الدرة الفريدة

شرح المبادئ المفيدة في التوحيد والفقه والعقيدة

لفضيلة الشيخ

أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري

كتبه الشيخ

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى الزعكري

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الشارح

الحمد لله والصلاة والسلام على رَسُول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد[1]:

فإن دراسة العقيدة من المهمات إذ أنها أصل الدِّيانات، وهي من الأمور المتحتمات دراستها ومعرفتها على المسلمين والمسلمات إذ بها صلاح البواطن والجليات، وبفسادها حصول البدع البليات وما ترى من تفرق الأمة إلى فرق وحزبيات سببه مخالفة الآيات البينات والأحاديث الصحيحات والآثار السلفيات.

وقد تنافس العلماء أصحاب الهمم العاليات في كتابه المطولات والمختصرات في هذا الباب، إظهارًا للحق وإزهاقًا للباطل، فمنها:

كتاب "**الشريعة**" للآجري أبي بكر محمد بن الحسين، وكتاب "**السنة**" لعبد الله بن الإمام أحمد، وكتاب "**أصول السنة**" للإمام أحمد بن حنبل، وكتاب "**الإبانة عن أصول الديانة**" لابن بطة العكبري، وكتاب "**الحجة في بيان المحجة**" للأصفهاني، وكتاب "**خلق أفعال العباد**" للبخاري، وكتاب "**السنة**" لابن أبي عاصم، وكتاب "**التوحيد**" لابن خزيمة، وكتاب "**السنة**" للخلال، وكتاب "**أصول السنة**" لابن أبي زمنين، ولي بحمد الله شرح عليه.

---

(١) كان الابتداء بتدريس هذا الكتاب في مسجد الصحابة رضي الله عنهم بمدينة الغيضة في يوم الثاني من شهر محرم الحرام لعام ألف وأربعمائة وأربعين من هجرة النبي ﷺ وانتهيت من مراجعة جزء التوحيد والعقيدة في مدينة جرجوان الهند (٣٠/ شعبان / ١٤٤٠هـ) والحمد لله على التمام.

وكتاب "**اعتقاد أهل الحديث**" لأبي بكر الإسماعيلي، وكتاب "**اعتقاد السلف أصحاب الحديث**" للصابوني، وكتاب "**السنة**" للمروزي، وكتاب "**شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة**" للالكائي، و"**العقيدة الطحاوية**" لأبي جعفر الطحاوي ومن أنفس ذلك: الواسطية لشيخ الإسلام بن تيمية، وقد شرحته في مجلد كبير، ولله الحمد والمنة، وغيرها كثير.

أما من حيث الكتب المتضمنة: فأعظمها وأجلها كتاب الله، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وما تضمنه صحيحي البخاري ومسلم، وما تضمنه المسانيد، والسنن، والمصنفات، والمعاجم، وكل هذا من باب حفظ الله لدينه.

وكان منها كتاب: "**المبادئ المفيدة في التوحيد والفقه والعقيدة**" لشيخنا الهمام أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري -حفظه الله تعالى -خليفة شيخنا الوادعي رحمه الله على كرسيه ودعوته.

صاحب العقيدة السلفية الصافية والطريقة المرضية، والأخلاق الزكية رافقناه حضرًا وسفرا فوجدناه على حال يسر الصديق والحبيب، ويغيض العدو البعيد، محبًا للعلم والعمل، ولطلاب العلم متفانيًا في خدمة الدعوة، كريمًا حليمًا، فأسأل الله عز وجل له الثبات إلى الممات.

ترجمة المصنف حفظه الله تعالى:

وقد ترجم لنفسه حفظه الله ترجمة مختصرة قال فيها:

الحمد لله حمداً كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد:

فقد طُلب مني أن أكتب نبذة عن مولدي واسمي وبلدي ونشأتي وبعض ما يتعلق بذلك، وبعد تكرار الطلب من الأحبة -أعزهم الله- رأيت تلبية طلبهم بكتابة هذه الأسطر، فأقول وبالله التوفيق:

أما اسمي: فأنا يحيى بن علي بن أحمد بن علي بن يعقوب الحجوري، من قبيلة بني وَهان، من قرية الحَنجَرة في أصل جبل الكُعَيْدنة -أسأل الله أن يُكرمهم بطلب علم كتاب الله وسنة رسوله-.

ثم انتقل جدي أحمد بن علي يعقوب إلى قرية تبعُد عنها بمسافة غير يسيرة يُقال لها قرية جبَر قبيلة الزغابية، وتزوج منهم، فهم أخوال والدي نشأ بينهم عند بعض أسرته وتزوج منهم أيضا بأمي من أسرة عقال قرية الزغابية -رحم الله أمواتهم وأصلح أحيائهم- وفيها كان مولدي قبل نحو أربعين عامًا، في أيام ما يُسمى بـ (الثورة الجمهورية اليمنية).

ووالدي -حفظه الله وأمد في عمره في طاعته- شغوف بالزراعة فكان يزرع مزرعةً كبيرة يمتلك منها الخير الكثير من الذرة والسمسم وغير ذلك، حتى كان بعض الناس يقترضون منه الذرة والقصب عند الجدب مع ما أعطاه الله من المواشي من الغنم والبقر، فكان ولله الحمد في الجانب المعيشي على أحسن حال.

وربّانا أنا وأخواني تربية حسنة بعيدين عن: القات والدخان والشمّة وغير ذلك من البلايا، وكان من أشد شيءٍ يُغضبه علينا أن يرى من أحدنا قصورا

في صلاة الجماعة أو الراتبة، وأحب شيءٍ إليه أن يصير بعضنا عالمًا، وليس هناك إلا التعليم في الكتاتيب، فجعلني فيما يُسمى بمعلامة الشيخ، أمين تلك القرى وفقيهها وخطيبها يحيى العتابي رحمه الله.

والتعليم في تلك المِعْلامة كما هو شأن التعليم القديم، تعليم قراءة القرآن نظرًا في المصحف، وتعليم الخط، ومن تخرّج منها غالبًا يصير فقيه قريته إمامةً وخطابةً في بعض الخُطب المؤلفة، وكتابة العقود ونحو ذلك.

وقد كان الفقيه العتابي رحمه الله يُحبني من أكثر طلابه. ولمّا تخرجت من تلك المِعلامة بقراءة القرآن نظرًا ومعرفة شيء من الخط عزم أبي على الذهاب بي إلى مدينة الزيديّة حيث كان يُشاع عند الناس هناك أنها مدينة العلم، وكانوا هم أهل الفتوى في الطلاق والمواريث ونحوها.

ووالدي حفظه الله محبٌ للعلم والدِّين كثير الصيام والقيام، ولا أعلمه أكل درهما من حرام، ولكنه ما كان يعرف عن الصوفية والشيعة ولا عن غيرهم من الفرق الضالة شيئًا، فكان يُجلّهم ويزورونه كثيرًا، ومن زاره منهم يُكرمه غاية الإكرام، فنجّاني الله عز وجل من الدراسة عند أولئك الصوفية بأمي حفظها الله وأحسن خاتمتها، حيث جعلت تبكي عليّ أن لا أذهب فأبقى في غير بلدي وحدي بغير رفيق من البلاد وأنا صغير، فأبقاني أبي أرعى الغنم، وكان حفظه الله أول من بنى مسجدًا من الخشب والقش في قريتنا التي هم فيها الآن، ومع أنه مسجد صغير يسع نحو أربعين مصليا آنذاك يُعتبر جامعا لعدد من القرى حوله، ولمّا تهدّم بناه من الحجر ووسّعه وكنت أنا إمامه، وفي يوم الجمعة يُجعل من يخلفني في رعي الغنم وأخطب بهم في بعض الخطب المؤلّفة، وأكثر ما كنت أعتمد على "**الفتوحات الربّانية**" للبيحاني رحمه الله حتى كدت أن أحفظها لكثرة تكراري لها.

ثم بعد ذلك ذهبت إلى السعودية فكنت أحضر حلقة الإقراء بعد صلاة الفجر عند فضيلة الشيخ المُقرئ الشهير عُبيد الله الأفغاني –حفظه الله– في مدينة أبها، وسمعنا عنده شيئا من "**صحيح مسلم**" كان يبدأ به قبل السماع لنا، ثم سافر انتقلت إلى الشيخ المقرئ محمد أعظم الذي كان يدرّس القرآن في مسجد اليحيى، فقرأت عليهما إلى سورة الأعراف، ثم سافر الشيخ أيضًا، وأكملت القراءة برواية حفص عن عاصم عند المقرئ محمد بشير، ولله الحمد.

ومع محبتي الشديدة للعلم آنذاك لم أجد هناك آنذاك من يُرشدني إلى الالتحاق بالشيخ الإمام ابن باز أو غيره من علماء المملكة ممن كانوا قائمين بالتعليم رحمهم الله، ثم سمعت بالشيخ العلامة مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأنه عالم سلفي يُدرّس علوم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في دماج –حرسها الله ووفق أهلها لكل خير– إحدى قرى بلاد صعدة، فالتحقت به في داره المباركة في عام خمسة وأربعمائة وألف للهجرة النبوية (١٤٠٥ هـ) على صاحبها الصلاة والسلام.

وجاء معي والدي ووصّى بي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ خيرًا، ثم انصرف، ولا يزال معينًا لي على طلب العلم بالمساعدات المالية بين حين وآخر.

وبقيت من ذلك التاريخ في طلب العلم؛ لا أحب كثرة السفريات، ولا ضياع شيء من الأوقات حتى يسر الله عَزَّ وَجَلَّ من فضله على يدي شيخنا العلامة المحدث السلفي الميمون مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بخيرٍ كثير من الاستفادة في علوم شتّى.

وكما هو الحال في هذا الدار المبارك، كنت أُضيف إلى ما نتلقاه جميعا من شيخنا شيخ مشايخ الدعوة السلفية في اليمن مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض الدروس في النحو العقيدة و الفقه عند بعض المشايخ الأجلة من أكابر طلاب شيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الدار، شكر الله لهم جميعًا، وبعد ذلك كان شيخنا مقبل أسكنه الله

الفردوس الأعلى يأمرني أن أنوبه في التدريس إذا مرض أو سافر، ولمّا دنى أجله رَحِمَهُ اللهُ أوصى أن أكون بعده خلَفاَ له على ذلك الحال.

وكان أعداء هذه الدار يظنون ظن السوء أن بموت الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ستزول هذه الدعوة وتصير بنيانها مكانًا للعلف ومجالسًا لتخزين القات كما كنا نسمعهم نحن وغيرنا في فترة مرض الشيخ وقبل ذلك، فلمّا أقبل الله بقلوب العباد على هذا الخير بعد موت الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وتوسعت الدعوة أكثر وصار طلبة العلم أضعاف ما كانوا عليه في حياة مؤسس الدار شيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ اغتاظ من ذلك بعض من أُصيب بمرض الحسد ممن كان من طلاب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ومن غيرهم من أهل الأغراض الدنيوية والفتن الحزبية، فدفع الله شرهم وبوّر مكرهم.

ولا تزال الدعوة في كل خير إلى الأمام، والفضل لله من قبل ومن بعد، فهو القائل: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [النحل:٥٣]، ونسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يحفظ علينا ديننا ودعوتنا، وأن يدفع عنا وعن بلادنا وسائر بلاد المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن، والحمد لله رب العالمين.اهـ

خلف شيخنا مقبل على كرسي تدريسه، وحين كان بغي الرافضة على دماج المرات والكرات، وآخرها في نهاية ١٤٣٤ هـ وبداية سنة ١٤٣٥ هـ حتى تم تهجير طلاب العلم منها في (١٥/ ٣/ ١٤٣٥) فلزم صنعاء ثم السعودية أربع سنوات حتى أسس له دار الحديث بمأرب في قرية العمود من بلاد مراد في سنة: (١٤٤٠)، فأسأل الله لنا وله الثبات حتى الممات، له الكثير من الكتب النافعات والأقوال الماتعات، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا .

وكتاب "**المبادئ المفيدة في التوحيد والفقه والعقيدة**" صغير المبنى، عظيم المعنى، فهو مقربٌ لعلومٍ كثيرة ولأبوابٍ مفيدة، وحاله أنه اسمٌ على مسماه ولفظٌ يحمل معناه.

فقوله (المبادئ): أي علوم يحتاجها المبتدئ في الإسلام والعلم والاستقامة والمبادئ كالأسس التي يقوم عليها غيرها.

وقوله (المفيدة): أي التي يستفيدها من تعلَّمَها من حيث أنها مبنية على أدلة من الكتاب والسنة وهذا هو الأصل الذي من أجله تُطلب العلوم للاستفادة والإفادة فيرفع الجهل عن نفسه وغيره، وكما قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في "**منظومة القواعد الفقهية**":

اعلــم هــديت أن أفضـل المــنن ... علم يزيل الشك عنك والدرن
ويكشــف الحــق لــذي القلــوب ... ويوصل العبـد إلى المطلــــوب

وقوله (في التوحيد): مصدر وحد يوحد وهو حق الله على العبيد به أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ولأجله شرع الجهاد وأعد لأهله الجنان ولمخالفيه النيران، فهو الحق المقدم، والطريق المعظم، والعلم المفخم وهو الأساس الذي يُبنى عليه غيره، فلا صلاح ولا قبول لأي عمل إلا به، قال الله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣]، وقال: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:٨١]. وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يدخُلُ الجنةَ إلا المؤمنونَ**»[١]، وفي رواية: «**إلا نفس مسلمة**»[٢].

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١١٤)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٠٦٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١١١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء في الصحيحين أيضًا من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه: «**بني الإسلام على خمس**»[١]. وبدأ بقوله: «**على أن يوحد الله**»: متفق عليه واللفظ لمسلم.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله**»[٢] وفي لفظ: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله»، وفي لفظ: «إلى أن يعبدوا الله».

وبهذا نعلم أنه يجب تقديم علم التوحيد والعمل به على كل علم وعمل، قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ [محمد: ١٩]، وسيأتي بيانه في موطنه إن شاء الله.

قوله (والفقه): هو الفهم والمراد به هنا بعض مسائل الصلاة وما إليها مما يحتاجها المكلف أكثر من غيرها.

إذ أن العلوم التي يدرسها الطالب تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: علم التوحيد: وهو علم يتعلق بدراسة الله لا في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وهو أجل العلوم وأنفعها للمكلف، ويسمى عند بعضهم بالفقه الأكبر.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨)، والإمام مسلم في صحيحه (١٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٣٧٢).

الثاني: علم العقيدة: وهو ما يعقد عليه القلب من أركان الإيمان وما يدخل تحتها من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وما أخبر به النبي ﷺ من أخبار الماضين والآتين والإيمان بوجود الجن والشياطين والإيمان بالسحر والعين وأن لهما حقيقة. ويدخل في العقيدة ما يتعلق بطاعة أولياء الأمور فالعقيدة أعم من التوحيد إذ أن التوحيد من العقيدة.

الثالث: الفقه: وهو علم العبادات وما يلتحق بها من المعاملات.

وربما عبر بعضهم عن هذا التقسيم بالأصول والفروع ويريد بالأصول العقيدة وما يليها وبالفروع ما يتعلق بالمسائل الفقهية.

ومع ذلك فإن هذا الاصطلاح قد أنكره بعض أهل العلم كشيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم رحمهما الله على ما بينته في كتابي "**معجم المصطلحات العصرية وأثرها على الشريعة الإسلامية**".

والأسوأ من ذلك تقسيم الدين إلى قشور ولباب.

فالإسلام كله دين الله من قول: «**لا اله إلا الله**» إلى «**إماطة الأذى عن الطريق**».

كما قال النبي ﷺ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»[(١)]، أخرجه البخاري، ومسلم واللفظ له، عن أبي هريرة رضي الله عنه، فمنه الواجب والمستحب ومنه الحدود والأركان.

فيعمل بما جاء عن الله عز وجل وثبت عن رسول الله ﷺ كل بحسبه، والله الهادي إلى سواء السبيل. وكانت تسمية هذا الشرح "**الدرة الفريدة شرح المبادئ**

---

(١) أخرجه الإمام البخاري (٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٥).

المفيدة في التوحيد والفقه والعقيدة»[١].

وقد قلت في هذا الشرح الذي أسأل الله ﷻ أن ينفع به الإسلام والمسلمين:

إن العلـــوم كثـــيرة وأهمهـــــا علم العقيدة يـا أخـا العرفـان
أقبـل هـديت إلى العلـوم فإنهـا نعم المكاسـب دونمـا خســران
إن المبـــادئ قـــد أفـــاد معارفًـا في الفقـه والتوحيـد والإيمـان
ومراتـب الديـن الحنيـف أبانهـا ومحـــذرًا مـــن كل فعـــل داني
ولذا شرحت كتاب شـيخي ارتـجي بـرًا وإحسـانًا ويصـلح شـاني
بـ(الدرة) احفظهـا (الفريـدة) إذ درر العلـوم تلـوح كالعقيـان
يـــا رب فاقبـــل كل فعـــلٍ صـالحٍ وتجـاوز اللّٰهُمَّ عـن عصـياني
فاحفظ إلـهي شـيخنا واكتـب له أجــرًا يبلغــه رضى الــرحمن[٢]

وقال أخونا أبو عبد الله أمين بن عبد الله التبسي الجزائري:

شرح المبـادئ للحجـوري انـبرى عبد الحميد لــشرحه ببيـان
بـــالدرة اختـــار الفريـــدة وســـمه وبريقهـــا في غايـــة اللمعـــان
وحـوى فوائـد في السـطور غزيـرة كالغيــث زاد تـدفق السـيلان
عبد الحميـد الزعكـري بـــشرحه زان المبـــادئ فكَّـــه لمعـــان
وأبـو محمـد اعتـنى بالـــشرح مع حســن وتــدقيق مــع الاتقــان

(١) تنبيه: ما كان في حاشية كتاب المبادئ المفيدة أثبتناه في الأصل، وأشرت إليه بقولي: (وفي الحاشية).

(٢) كتبته في يوم ٢٢ ربيع الآخر/ لعام ١٤٤١ من الهجرة النبوية الشريفة، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم. مركز الصحابة – بالغيضة.

وبـــشرحه زاد الكتــاب ســهولة	مع كونه سـهلًا عـلى الولـدان
لكـــن أراد الـــبر منـــه بشـــيخنا	والشيخ أهل البر والإحسـان
خـدم الكتــاب مـدققًا فغـدا بـه	بــرًّا بشــيخ ناصـح متفـان
ونحبـــــه في الله جــــل جـــلاله	هو شيخنا في العلم والعرفـان
هو شـيخنا يحـي الحجـوري الذي	عرف الـقصيُّ لفضله والـداني
لا غــرو أن يــزدان شرح منـــه إذ	هو ثمرة مـن ذلـك البسـتان
فتقبــــل اللّٰهُمَّ منــــه كتابــــه	وأنله منك مثوبـة بجنـان (١)

والله أسأل أن ينفع بهذا الشرح كما نفع بأصله، وأن يرزقني الإخلاص له والمتابعة لرسوله ﷺ والثبات على ذلك حتى ألقاه، وأسأله تعالى أن يغفرلي ولوالديَّ ولمشايخي ولجميع المسلمين .

كتبه

أبو محمد عبدالحميد بن يحيى الحجوري الزُّعْكُري حفظه الله تعالى

اليمن – المهرة – الغيضة وكان تاريخ المراجعة الأخيرة: في ربيع الآخرة/ ١٤٤٢ هـ

(١) كتبه في يوم ٢٢ ربيع الآخر لعام ١٤٤١ من الهجرة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم. مركز بشائر الخير–صنعاء.

مقدمة المؤلف حفظه الله تعالى ونفع بعلمه

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتح المؤلف كتابه بالبسملة اقتداءً بكتاب الله العظيم، وتأسيًا برسوله الصادق الأمين ﷺ؛ فقد افتتح الله القرآن بالبسملة، وكان النبي ﷺ يفتتح مراسلاته وكتاباته بها؛ ففي حديث أبي سفيان في كتاب النبي ﷺ إلى هرقل: «**بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ الله ورسوله إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ**»، و﴿**قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٦٤]»، متفق عليه، خ(٧)، م(١٧٧٣).

وهي كلمة عظيمة ما تقدمت شيئًا إلا وبورك فيه، وكان محروسًا بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ من شياطين الجن والإنس، ويعرف ذلك من كثرة المواطن التي شرع الله عَزَّ وَجَلَّ المجيئ بها، وقد ذكرت ذلك مفصلًا في شرحي على العقيدة الواسطية.

والباء في (**بسم الله**): للاستعانة بالله عَزَّ وَجَلَّ على الفعل إذ لا حول ولا قوة للإنسان إلا بعون الله عَزَّ وَجَلَّ، والاسم مشتق من السمو وهو العلو وقيل من السمة، والأول أظهر لأنه يجمع على أسماء ويصغر على سمي، بخلاف السمة، فإنها تجمع على سمات.

(الله): لفظ الجلالة علم على الذات العلية مشتق من الإله وهو المعبود محبة

وتعظيما، ، قال رؤبة بن العجاج:

لله در الغانيـــــــات المــــــــدَّه　　　سـبحن واسـترجعن مـن تـألهي

وهو الاسم الأعظم على الصحيح وأعرف المعارف وجميع الأسماء تابعة له على ما هو مقرر في قواعد الأسماء والصفات، فيقال الله الرحمن ولا يقال الرحمن الله، وما جاء في قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝١ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١-٢]، فقد جاء في قراءة على الرفع ولا إشكال، وما كان على الجر فهو عطف بيان أي أن العزيز الحميد هو الله .

و(الرحمن): اسم مختص بالله ﷻ دال على صفة الرحمة العامة، فهو رحمن الدنيا والآخرة، وبناؤه على وزن فعلان وزيادة المباني تدل على زيادة المعاني .

و(الرحيم): اسم من أسماء الله دالة على الرحمة الواصلة، قال ﷻ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣] وليس من الأسماء المختصة، فقد سمى الله نبيه ج رحيما في قوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] .

وقد تكلمت على ما يتعلق بمعاني البسملة في كتابي "**فتح العليم شرح رسالة الإمام المجدد إلى أهل القصيم**"، ولله الحمد والمنة.

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الحَمْدُ لله حَمْدًا كَثيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فيه، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه، أَمَّا بَعْدُ:

قولهُ (الحَمْدُ لِله): ثنى بالحمدلة، وهي ذكر محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه وإجلاله، فآلتها اللسان والقلب، بينما آلة القلب اللسان والقلب والجوارح، وربنا تعالى يحمد على كل حال على فضله وإحسانه، وعلى عدله وكماله، و(**أل**) في (**الحَمْدُ**) تفيد الاستغراق، أي أن جميع المحامد ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ، له حمد من أسمائه وله حمد من صفاته وله حمد من أفعاله.

وفضلها عظيم يعلم ذلك من كثرة مواطنها، وفي فضلها ما جاء عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»[1].

وقد تكلمت على ما يتعلق بها والفرق بينها وبين الشكر في كتابي: "**فتح الباري على شرح السنة للبربهاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ" فلخصه أن الحمد أعم متعلقًا فيكون على الصفات اللازمة والمتعدية، والشكر أخص متعلق فيكون على الصفات المتعدية فقط.

قولهُ (حمدًا كثيرًا): أي لا تناهي له، وذلك لكثرة نعم الله لأ على عباده، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل:١٨]، وفي حديث رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ في البخاري (٧٩٩) قَالَ: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، «**فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**» ، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٣٤).

الحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «**مَنِ المُتَكَلِّمُ**» قَالَ: أَنَا، قَالَ: «**رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاَثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ**» .

قوله (وَأَشْهَدُ): الشهادة هي الإقرار والإعلام والإخبار، فإن كانت مطابقة للواقع فهي الشهادة، وإن كانت خلاف ذلك فهي باطلة، وهي هنا الإقرار لله -لأ- بالوحدانية، ولمحمد ﷺ بالرسالة، ولا دخول في الإسلام إلا بها، والحكم على ما يأتي من قوله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**» متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنه .

ويتعين المجيء بها في الخطب، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُّدٌ فَهِيَ كَالْيَدِ الجذْمَاءِ**»[1]، والله أعلم، وقد كان رسول الله ﷺ يلتزمها في خطبه على ما هو معلوم في موطنه .

قوله (أَمَّا بَعْد): كلمة يؤتى بها للفصل بين الحمد وما يليه، وكان النبي ﷺ يأتي بها في خطبه على ما هو مقرر في موطنه وما يذكر أنه يفتتح خطبة العيد بالتكبير والاستغفار والاستسقاء والكسوف بالاستغفار لا دليل عليه يثبت عن النبي ﷺ وتقديره: ومهما يكن من شيء بعد فهو كذا، وقد اختلفوا في أول من جاء بها على أقوال ذكرها الحافظ في "**الفتح**" (٨/ ٢٢١) فقال: وَاخْتُلِفَ فِي أَوَّلِ مَنْ قَالَهَا: **فَقِيلَ**: دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. **وَقِيلَ**: يَعْرُبُ بْنُ قَحْطَانَ، **وَقِيلَ**: كَعْبُ ابْنُ لُؤَيٍّ. **وَقِيلَ**: قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ. **وَقِيلَ**: سَحْبَانُ. وَفِي غَرَائِبِ مَالِكٍ لِلدَّارَقُطْنِيِّ أَنَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَهَا؛ فَإِنْ ثَبَتَ وَقُلْنَا إِنَّ قَحْطَانَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ، فَيَعْقُوبُ أَوَّلُ مَنْ قَالَهَا مُطْلَقًا. **وَإِنْ قُلْنَا**: إِنَّ قَحْطَانَ قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَعْرُبُ أَوَّلُ مَنْ قَالَهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.اهـ

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٨٤١)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود رحمه الله، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٢٧٣)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

فيقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

استدل المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ بهذه الآية لبيان أن وصية الآباء للأبناء سبيلٌ نبوي وطريق مرضي، وقد قال الله ﷻ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]. فهذا نبي الله يعقوب يوصي بنيه أن يأخذوا بالدين الحق دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وهو عبادة الله وحده لا شريك له والاستسلام له بالجوارح والعقائد والأقوال.

والمعنى: هل كنتم مطلعين حين حضر يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الوفاة فقال لبنيه يوصيهم بما فيه مصالحهم الدينية والدنيوية، ما تعبدون من بعدي، فكان جوابهم نعبد إلهك، وهو الله تعالى معبودك ومعبود آبائك إبراهيم بن آزر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وإسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولد إبراهيم من سارة، وجد بني إسرائيل، وإسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولد إبراهيم من هاجر، وإليه ينتسب رَسُول الله ﷺ وهو الذبيح على الصحيح من أقوال أهل العلم يدل على ذلك سياق قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢]، ثم قال: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات:١١٢] فكانت البشارة بإسحاق بعد إرادة الذبح لإسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قولهُ (إِلَهًا وَاحِدًا): أي: أن معبودَهم واحد ليس لهم معبود سواه كما أنه لا شريك له ولا رب سواه، قال الله ﷻ: ﴿ **وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ** ﴾ [البقرة:١٦٣].

قولهُ (ونحن له مسلمون): أي: مستسلمون منقادون لشرعه وأمره، وسيأتي بيان أن الإسلام بمعناه العام دين جميع الأنبياء والمرسلين، حيث اتفقوا في التوحيد والعقائد كما هو مبين في موطنه، والله المستعان.

۞۞۞

قال المؤلف حفظه الله:

وَصَحَّ من حَديث ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيَ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، إِنِّ أُعَلِّمُكَ كَلِمَات، احْفَظ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَل اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْء لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْء قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْء لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

قوله (وَصَحَّ): أي ثبت، في الترمذي (٢٥١٦) وغيره.

فالحديث الصحيح هو الذي يرويه العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه، ولم يكن شاذًّا ولا معللًا، بمعنى أنه يشترط فيه:

١- أن يكون متصل السند إلى النبي ﷺ.

٢- أن يكون رواته عدولًا.

٣- أن يكون رواته ضابطين لمروياتهم.

٤- أن يكون سالمًا من الشذوذ، وهي المخالفة.

٥- أن يكون سالمًا من العلة التي تقدح في صحته.

وهو ينقسم إلى:

* **صحيح لذاته**: وهو ما تقدمت شروطه. * **وصحيح لغيره**: وهو الحديث الحسن إذا تعددت طرقه على ما يأتي بيانه إن شاء الله.

قوله (عن ابن عباس): هو عبدالله بن العباس أبو العباس، ابن عم النبي ﷺ دعا له رَسُول الله ﷺ أن يفقهه الله عز وجل في الدين وأن يعلمه التأويل، وهو من المكثرين في حديث رسول الله ﷺ.

واستدل المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ بهذا الحديث على أهمية تعليم الناس العقيدة الصحيحة لاسيما الصغار منهم فإن الناس إن لم يُعلَّمُوا الحق قد يتعلمون الباطل وإذ لم يُرشدوا إلى الخير يُدلون إلى الشر.

وفي الحديث مسابقة أهل العلم والفضل إلى المجتمع، وأن العقيدة الصحيحة ينبغي أن يتلقاها صغير السن والحدث فضلًا عن غيره حتى يتعلق قلبه بها، وسيأتي بيان ذلك عند حديث جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قولهُ (كنت رديف النبي ﷺ): أي: خلفه على دابة، ولعله حمار.

وقولهُ (يا غلام): يدل على أنه صغير السن، والمراد من هذا النداء حضور الذهن.

قولهُ (إني أعلمك كلمات): والمراد بها الجمل المركبة المفيدة وليس الكلمات المفردة، وهي هنا أصول التوحيد والعقيدة على ما يأتي إن شاء الله تعالى.

قولهُ (احفظ الله يحفظك): احفظه بامتثال أمره واجتناب نهيه يحفظك في سمعك وبصرك وجميع شأنك، وهو كقول الله عَزَّ وَجَلَّ في الحديث القدسي: «**فإذا أحببته كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يسمعُ بِهِ، و بَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بهِ، و يَدَهُ التي يَبْطِشُ بِها، و رِجْلَهُ التي يَمْشِي بِها، و إنْ سألَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، و لَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ**»[(١)]، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٠٢).

قوله (احفظ الله تجده تجاهك): وفي لفظ أحمد: «**تجده أمامك**» أي احفظ الله في حدوده بامتثال أمره واجتناب نهيه وتجاهك وأمامك معناهما واحد يعني تجد الله ﷻ أمامك يدلك على كل خير ويقربك إليه ويهديك إليه ويصرف عنك كل شر ولا سيما إذا حفظت الله بالاستعانة به فإن الإنسان إذا استعان بالله ﷻ وتوكل عليه كان الله حسبه ولا يحتاج إلى أحد بعد الله، قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الأنفال: ٦٤] [(١)].

ولا يلزم من هذا أن يكون الله ﷻ حالًا أو متحدًا بمخلوقاته، بل هو ﷻ في علوه على عرشه، على ما يأتي إن شاء الله تعالى.

قوله (إذا سألت فأسأل الله): أي: إذا أردت شيئًا من أمور الدنيا والآخرة فعليك أن تنزلها بالله ﷻ، فهو القائل: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [غافر: ٦٠].

والقائل: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه «**من يسألني فأعطيَه**»[(٢)] .

وفي حديث جابر بن سليم رضي الله عنه: «**وَإِذَا أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ، فَدَعَوْتَهُ أَسْهَلَ لَكَ**»[(٣)]، أخرجه أبو داود. وقد قلت في ذلك:

اسـأل لحاجتـك الإله فإنـه ... رب كـريمٌ قـادرٌ غفـارُ
يسـأله كل الخلـقُ يرجـو فضلـهُ ... يعطـي العبـاد وفضلـهُ مـدرارُ

---

(١) أفاده العثيمين في شرح الأربعين.
(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٠٢)..
(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٤٠٨٤)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٩٦) .

في سورة الرحمن يلقى ذكرهُ   فاشكر إلهك إنه الشَّكارُ

قوله (وإذا استعنت فاستعن بالله): الاستعانة طلب العون والنبي ﷺ كان يقول: «**اللهم أعِنِّي ولا تُعِنْ عليَّ**»(١)، أخرجه أبوداود عن ابن عباس رضي الله عنه.

وعلم ﷺ معاذًا أن يقول: «**اللهم أَعِنِّي على ذكرِكَ وشُكْرِكَ، وحُسْنِ عِبادَتِكَ**»(٢)، أخرجه أبو داود عن معاذ رضي الله عنه.

ويقول الله عز وجل مخبرًا عن موسى عليه السلام: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ [الأعراف:١٢٨]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**استعن بالله ولا تعجِزْ**»(٣)، أخرجه مسلم.

وفي سورة الفاتحة التي تقرأ في كل ركعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي نعبدك حال كوننا مستعينين بك، فالعبد عاجز لولا عون الله له. وقد أحسن من قال:

إذا لم يكن عون من الله للفتى   فأول ما يجني عليه اجتهاده

قوله (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لن ينفعوك إلا بشيٍ قد كتبه الله لك): أي تعلَّم أن الأمور بيد الله عطاءًا ومنعًا ونفعًا وضرًا ورفعًا وخفضًا فلا معقب لحكمه ولا راد لقضائه فالأمة بعددها وعدتها عاجزةٌ عن رد حكم الله الكوني وما قضاه الله عز وجل لك كونًا لابد أن يقع، شاء العباد أم أبوا. قال الله عز وجل: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:٣٠]. وقال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧].

---

(١)أخرجه الإمام أبو داود (١٥١٠)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٦٠٦).

(٢)أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٥٢٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١١٠٧)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

(٣)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٦٤).

وفيه: أن مقادير العباد مكتوبة على ما يأتي إن شاء الله.

قولهُ (ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيٍ لن يضروك الا بشيٍ قد كتبه الله عليك): أي لو اجتمعوا على مضرتك وعلى أخذ مالك أو منع رزقك لا يكون هذا منهم إلا بشيٍ قد قدره الله وكتبه وإلا فهم عاجزون مغلوبون يقول تعالى مخبرا عن نوح -عليه السلام-: ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس:٧١].

قولهُ (رفعت الأقلام): أي أن أقلام القدر والمراد بها هنا القلم الأول الذي كتب مقادير الخلائق حين خلقه الله فقال: «**اكتب قال ما اكتب قال ما كان وما يكون إلى قيام الساعة**»[(١)]، أخرجه أبو داود وغيره عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

قولهُ (وجفت الصحف): أي بما فيها كناية على أن القدر قد مضى، ولا خُلف لما قدره الله عز وجل. وفي مسلم عن أبي الأسود رضي الله عنه قال: قال لي عمران بن حصين رضي الله عنه: أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: «**لَا، بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ عز وجل وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**»[(٢)].

والشاهد من سوق الحديث: أهمية تعلم العقيدة الصحيحة للصغار والكبار، وفي الحضر والسفر، وغير ذلك من الأحوال.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢١٥٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٥٠).

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

فهذه الآية والحديث ونظائرهما، أصل في تلقين الأولاد كلمات جامعات في توحيد الله ﷻ، وتعليم عبادته، وحفظ حدوده، والتوكل عليه، ومراقبته، والإيمان بالقدر خيره وشره.

يريد حَفِظَهُ ٱللَّهُ أن يبين أن تلقين المسلمين مهمات العقيدة طريقة نبوية سلفية ليست بالحادثة حتى يستنكرها مستنكر أو يعرض عنها متكبر.

قوله (أصل): أي دليل.

قوله (في تلقين الأولاد): خرج مخرج الغالب وليس معناه أن مثل هذا الكتاب لا يستفيد منه غيرهم لكن الأصل أن المسلم يُعلَّم العقيدة الصحيحة من صغره ومن تلقى هذه العلوم وهو صغير لابأس أن ينميها كبيرا وإن كان لم يجد هذه العلوم إما لحداثة عهده بإسلام أو لأنه في بادية أو غير ذلك لابأس أن يتلقاها كبيرا.

مع أن العلم في الصغر كالنقش في الحجر، ونفعه عظيم، وسيأتي حديث جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**كُنَّا مَعَ النبي ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا**»[1]، أخرجه ابن ماجه.

فالعقيدة الصحيحة سبب لعبادة الله ﷻ كما أمر وشرع، وسبب لكل فلاح في الدارين، والله أعلم.

قوله (كلمات): لأنها أخصر في الطرح، وأجمع للعلم وأبعد عن التشتت.

---

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٦١)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (٢٧٣).

قوله (جامعات): أي لمعاني كثيرة .

قوله (في توحيد الله ﷻ): لأنه أهم المهمات، وأوجب الواجبات.

قوله (وتعليم عبادته): لأن العبادة بغير علم ضلال كما هو حال النصارى، فقد ضلوا لأنهم عملوا بغير علم، وغضب الله على اليهود لأنهم تركوا العمل بالعلم، ولذلك كان في قول الله ﷻ: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٧]، دعاء بالسلامة من الحالين .

قوله (وحفظ حدوده): أي محارمه، وذلك أن العلم يدعو إلى العمل .

قوله (والتوكل عليه): أي الاعتماد على الله لا في جلب المنافع ودفع المضار .

قوله (ومراقبته): أي يستشعر نظر الله إليه وعمله به فينزجر عن المعاصي.

قوله (والإيمان بالقدر خيره وشره): لأن ذلك ينمي في القلب الرضا والشجاعة والكرم والإيمان بعلم الله ﷻ الذي أحاط بكل شيء وقدرته النافذة التي لا يخرج عنها شيء، فالشاهد أن تعلم العقيدة الصحيحة سبب لينل الكرامات، فبصلاح هذا الأمور يصلح حال الإنسان ظاهرًا وباطنًا، وفي دنياه وأخراه، والله المستعان .

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

فهذه هي التربية الشرعية الصحيحة، التي يُرجى لمن نشأ عليها أن يكون من خير عباد الله الصالحين.

قولہ (فهذه): أي تلقين العقيدة وتعلمها.

قولہ (هي التربية الشرعية الصحيحة): التربية الموافقة للكتاب والسنة ومنهج السلف التي بها صلاح الظاهر والباطن، بخلاف ما عليه المدارس الآن من تعليم العقائد الفاسدة، والله المستعان.

فإذا صحت العقيدة صحت العبادة واذا فسدت العقيدة فسدت العبادة، وعن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»[1]، متفق عليه .

قولہ (التي يُرجى لمن نشأ عليها أن يكون من خير عباد الله الصالحين): أي بسبب عمله بها، أما من أعرض عنها فلا ينتفع بها.

وإذا تأملت ما لحق الأمة من الفرقة والبدعة وغيرها وجدت أن مصدر ذلك فساد العقيدة، بل إن صلاح العقيدة سبب لصلاح الأخلاق والقيم، ولا أدل على ذلك من النظر إلى حال الكفار الذين فسدت عقائدهم ففسدت أخلاقهم وقيمهم ومبادؤهم، فأقوالهم أسوء الأقوال وأفعالهم أخبث الأفعال، وعقائدهم أفسد العقائد.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٥٩٩).

وفي البخاري (٥١٢٧): عن عائشة رضي الله عنها ما يدل على ذلك قالت: «كَانَ النِّكَاحُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ:

فَنِكَاحٌ مِنْهَا؛ نِكَاحُ النَّاسِ الْيَوْمَ: يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلِيَّتَهُ أَوِ ابْنَتَهُ، فَيُصْدِقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا.

وَنِكَاحٌ آخَرُ: كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِامْرَأَتِهِ إِذَا طَهُرَتْ مِنْ طَمْثِهَا: أَرْسِلِي إِلَى فُلاَنٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ، وَيَعْتَزِلُهَا زَوْجُهَا وَلاَ يَمَسُّهَا أَبَدًا، حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِذَا أَحَبَّ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الوَلَدِ، فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ نِكَاحَ الِاسْتِبْضَاعِ.

وَنِكَاحٌ آخَرُ: يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَا دُونَ العَشَرَةِ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى المَرْأَةِ، كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا، فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ، وَمَرَّ عَلَيْهَا لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا، أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ، حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا، تَقُولُ لَهُمْ: قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَقَدْ وَلَدْتُ، فَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلاَنُ، تُسَمِّي مَنْ أَحَبَّتْ بِاسْمِهِ فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ بِهِ الرَّجُلُ.

وَنِكَاحٌ رابِعٌ: يَجْتَمِعُ النَّاسُ الكَثِيرُ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى المَرْأَةِ، لاَ تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا، وَهُنَّ البَغَايَا، كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا، فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ، فَإِذَا حَمَلَتْ إِحْدَاهُنَّ وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا، وَدَعَوْا لَهُمُ القَافَةَ، ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرَوْنَ، فَالْتَاطَ بِهِ، وَدُعِيَ ابْنَهُ، لاَ يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ «فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم بِالحَقِّ، هَدَمَ نِكَاحَ الجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ اليَوْمَ».

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

مما حملني على أن أكتب لأبنائي الصغار أسأل الله أن يصلحهم ويصلح بهم هذه الكلمات الميسرة في مبادئ التوحيد والعقيدة والفقه، مؤيدة بأدلة القرآن والسنة، راجيا من الله ﷻ أن ينفعهم بها، وسائر أبناء المسلمين، وبالله التوفيق.

قوله (مما حملني على أن أكتب لأبنائي الصغار):

في هذا بيان لسبب تأليف الكتاب وهو ما للعقيدة من نفع وما رجاءه من أن يكون مرجعًا لأبنائه الصغار يحفظونه ويدرسونه ويتلقونه ثم يسر الله ﷻ أن الكتاب طُبع للصغار والكبار واستفاد منه الناس في المشرق والمغرب وقد طبع عدة طبعات وترجم إلى عدة لغات وهذا من فضل الله ﷻ علينا وعلى الناس، فجزى الله شيخنا خير الجزاء، ونفعه الله بهذا الكتاب وغيره، فلا أعظم أجرًا من كتابة العلم، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاء: صَدَقةٍ جاريةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتفَعُ بِهِ، أَوْ ولَدٍ صَالِح يَدْعو لهُ**»[1]، أخرجه مسلم .

وقديمًا قيل: (علم الرجل ولده المخلد) .

قوله (أسأل الله أن يصلحهم ويصلح بهم): دعاء للأبناء بالصلاح، وهو من أحسن أسباب صلاحهم، ويصلح بهم غيرهم بأن يكونوا دعاة إلى الله ﷻ .

قوله (الكلمات اليسيرة في مبادئ التوحيد والعقيدة والفقه): وقد جعل الله في ذلك بركة عظيمة، وهذه طريقة الراسخين في العلم الذين يعلمون الناس صغار العلم قبل كباره.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٦٣١).

قولهُ (مؤيدة بأدلة القرآن والسنة): وذلك أن العلم النافع هو معرفة الله ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، وما بني على الدليل صعب التحول منه، وكان أبعد من التقليد.

قال ابن القيم رحمه الله:

العلـــم قـــال الله قـــال رســـوله   قـــال الصـــحابة لـــيس بالتمويـــه

ما العلم نصبك للخـلاف سـفاهةً   بين قول الرسـول وبـين رأي فقيـه

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

كتبه أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري، في شهر رجب عام خمس وعشرين وأربعمائة وألف، للهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام.

أي قبل خمسة عشر سنة من حال تدريسنا لهذا الكتاب وهو بحمد الله يحفظ ويلَّقن ويدرَّس، وهذا من فضل الله فإذا أراد الله عَزَّ وَجَلَّ بعبدٍ خيرًا يسر له أسباب ذلك.

وإني لأذكر أنَّا ذهبنا دعوة إلى بلاد تنزانيا قبل عشر سنوات، ودخلنا إلى أماكن بعيدة في الغابات وإذا بنا نجد هذا الكتاب يُدرَّس ويحفظ وذلك لسهولته ولأنه حوى علومًا غزيرة في أوراق يسيره ولأن مؤلفه من أئمة المسلمين ومن الدعاة المصلحين ومن المشهود لهم بسلامة المعتقد وحُسن المقصد إن شاء الله، والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدًا، والله الموفق.

❁❁❁

مبادئ التوحيد والعقيدة

قال المؤلف حفظه الله:

(مبادئ التوحيد والعقيدة).

هذا عنوان الجزء الأول من الكتاب، وهو ما يتعلق بمبادئ التوحيد والعقيدة، مع أن التوحيد من العقيدة، وبدأ به لأهميته ولأنه الأصل في صحة العمل من عدمه قال الله عز وجل في بيان حال الكفار: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

ولأن البدء به تأسيًا بالنبي ﷺ فانه كان يبدأ له ففي حديث جندب رضي الله عنه: **«كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا»** [(١)] أخرجه ابن ماجه.

فعلى المسلم أن يبدأ به فيطلبه ودعوته وتدريس وفإن الله عز وجل فرض التوحيد والعقيدة قبل أن يفرض الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها من العبادات.

فمكث رسول الله ﷺ على ذلك عشرة سنوات، يقول: **«قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»**[(٢)]، كما في حديث طارق المحاربي، أخرجه الدارقطني.

ويقر معها بالرسالة لمحمد ، فمن فعل ذلك كان مؤمنًا حقا، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣].

---

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٦١)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٢٧٣).

(٢) أخرجه الإمام الدارقطني (٣/ ٤٤ - ٤٥٨٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٥٢٠)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

أي صلاتكم قبل تحويل القبلة فما كان قبل الفرض لا يُعاتب الإنسان على تركه، ثم جاءت بعد ذلك الفرائض.

وأول ما يدخل الإنسان الإسلام ينبغي أن يُعَلَّم مهمات العقيدة والتوحيد ثم بعد ذلك الصلاة والصيام والحج وكل ما توجب عليه تعلمه.

ثم إن التوحيد والعقيدة: هما أساس الاتفاق والافتراق، فالمسائل الفقهية الخلاف فيها كثير بين أهل الحق أنفسهم لكن مسائل التوحيد والعقيدة اتفق عليها أهل الحق وأجمعت عليها الرسل من نوح -عليه السلام- إلى محمد ﷺ وهم متفقون فيها وإنما يختلفون في طريقة التعبد قال الله ﷻ: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ [المائدة:٤٨]، أي: سبيلًا وسنة، قاله مجاهد.

فاتفاق الرسل في هذا الباب يدل على أهميته وفضله ومنزلته، وأنه الدين الخالص والطريق القويم والصراط المستقيم إلى يوم الدين.

وللشوكاني رحمه الله رسالة بعنوان: "**إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات**". **قال فيها:** مِمَّا يدل على اتِّفَاق أَنْبيَاء الله وَكتبه على إِثْبَاتهَا لما فِي ذَلِك من عَظِيم الْفَائِدَة وجليل العائدة فَإِن من آمن بهَا كَمَا يَنْبَغِي وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهَا كَمَا يجب فقد فَازَ بخيري الدَّاريْنِ وَأخذ بالحظ الوافر من السَّعَادَة الآجلة والعاجلة وَدخل إِلَى الْإِيمَان الْخَالِص من الْبَاب الَّذِي أرشده إِلَيْنَا نَبينَا فِي جَوَاب من سَأَلَهُ عَن الْإِسْلَام وَالْإِيمَان وَالْإِحْسَان فَقَالَ فِي الْإِيمَان: «**أَن تؤمن بِالله وَمَلَائِكَته وَكتبه وَرُسُله وَالْقدر خَيره وشره**»، هَكَذَا ثَبت فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيرهمَا من طرق كَثِيرَة.اهـ

❁❁❁

معرفة الرب ﷻ متعينة على المكلف

قال المؤلف حفظه الله:

﴿١﴾ إذَا قيلَ لَكَ: مَن خَلَقَكَ؟ فَقُلْ: خَلَقَني اللهُ، وَخَلَقَ جَميعَ المَخْلُوقَات، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾ [الزمر:٦٢].

افتتح المصنف الكتاب بهذا السؤال؛ لأن معرفة الرب ﷻ متعينة على المكلف، فإذا عرف ربه تعالى بآياته الكونية والشرعية حقق الإيمان به.

قال الله ﷻ معرفا عباده بنفسه المقدسة: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ
مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١٩ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ
ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ٢٠ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا
لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١
وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٢٣ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا
وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ
يَعۡقِلُونَ ٢٤ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ
ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ٢٥ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦ وَهُوَ
ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ
وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الروم: ١٩ – ٢٧].

وقد يقول قائل لماذا وضع هذا الفقرة مع أنها لو وضعت على اليهودي

أو النصراني أو المشرك أو المندد لأقرَّ بها قال الله ﷻ:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [لقمان:٢٥].

فكلهم يقرو بأن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر مع أنهم أشركوا مع الله ﷻ غيره.

أقول وضعها المؤلف لأمور:

الأول: قد يقع الكتاب في يد ملحد فيبين له ذلك.

الثاني: لتعويد الطالب على التدريج في المسائل.

الثالث: حتى يعرف الدليل على أن الله خالق كل شيء فكثير من الناس يُسئل من خلقك فيقول: (الله)؛ لكن لا يعرف الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فوجود دليل أمر مهم قال تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر:٦٢].

ويقول الله ﷻ: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦].

ويقول الله ﷻ: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك:٢]. ويقول الله ﷻ: ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [الأعراف:٥٤].ويقول الله ﷻ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك:١٤].

و **الخلق** هو: الإيجاد من العدم، وهذا لا يكون إلا من الله ﷻ.

وأما قول الله **سبحانه وتعالى**: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون:١٤].

فالمراد به أحسن المصورين إذ أن النجار والبناء وغير ذلك قد يكون له صناعة وتصوير لكن الموجد لهذه الأشياء من العدم هو الله سبحانه وتعالى.

ثم إن الإيمان بأن الله ﷻ خالق رازق مالك مدبر لا يكفي في الإقرار بالتوحيد والدخول في الإسلام حتى يضاف إليه النطق بالشهادة وإفراد الله ﷻ

بالعبادة على ما يأتي إن شاء الله.

فقوله (خلقني): أي خلق المتكلم وخلق جميع المخلوقات ولا يخرج عن خلقه شيء لا المخلوق ولا فعل المخلوق قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦].أي خلقكم وخلق أفعالكم.

وفي قول إبليس: ﴿ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ [الأعراف:١٢]. دليل على أن خلق الله ﷻ للأشياء على مقتضى حكمته فخلق الخير محبًا له آمرًا به، وخلق الشر مبغضًا له، ناهيًا عنه ولكنه أوجده لحكمة، ومنها الابتلاء والاختبار، قال الله ﷻ: ﴿ الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾ [العنكبوت:١- ٢]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان:٢].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴾ [الملك:٢]. ومن هذا تتحقق مصالح دينية ودنيوية مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد ثم بعد ذلك عمارة الجنة والنار، ففي حديث أبي سعيد وأبي هريرة: «**تَحَاجَّتِ النَّارُ، وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ، وَسَقَطُهُمْ، وَعَجَزُهُمْ، فَقَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ، فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ**»(١)، متفق عليه، والله الموفق .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٨٥٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨٤٦).

معنى الرب

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٢ إذا قيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: اللهُ رَبِّي وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَالدَّليلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٦٤] وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢].

لما بين المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ أن الله عَجَّلَ الخالق ناسب أن يبين من هو الرب، **فالرب:** هو المربي جميع العالمين، وهو الخالق الرازق المالك المدبر عند الأطلاق.

فدليل الخلق قوله الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]، ودليل الرزق قوله عَجَّلَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨]، ودليل الملك قوله عَجَّلَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤].

وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

وقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١].

ودليل التدبير قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة:٥]. وقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩]. فيدبر أعمال العباد فلا يخرج عن ربوبيته مربوب ومخلوق.

قولُهُ (وَالدَّلِيلُ): أي من القرآن والسنة على أن الله هو الرب، **قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:** ﴿**قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ**﴾ [الأنعام:١٦٤]. أي قل يا محمد

لهؤلاء المشركين أأطلب إلهًا سوى الله، وهو رب كل شيء فلا يخرج عن ملكه وتدبيره شيء.

والرب يأتي على معنيين: عام وخاص.

فالمعنى العام: يدل على الخلق والملك والتدبير، ولا يخرج عن ذلك شيء من مخلوقاته خيرها وشرها مؤمنها وكافرها برها وفاجرها.

والمعنى الخاص: يقتضي مع ما تقدم النصر والعون والتأييد والحفظ، ولذلك تجد أغلب دعاء الأنبياء باسم الرب.

قال السعدي رحمه الله في تفسيره (ص: ٣٩):

وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة؛ **فالعامة**: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا، **والخاصة**: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر، ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب.

فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة، فدل قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] على انفراده بالخلق والتدبير، والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار.اهـ

وقوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ): أي جميع أنواع المحامد ثابتة لله عز وجل، وهذه الآية افتتح الله بها المصحف وهذا دليل على فضيلة حمد الله عز وجل، وقد اُفتتحت خمس سور بالحمد: (**الفاتحة – والأنعام – والكهف – وسبأ – وفاطر**).

وقد افتتح الله خلقه بالحمد، وختم بالحمد، قال الله ﷻ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام:١].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر:٧٥].

قوله: (رَبِّ الْعَالَمِينَ): ومعنى رب العالمين، أي: خالق ومالك ومدبر العالم العلوي والسفلي من الجن والإنس والملائكة وغيرها من المخلوقات، فكل ما سوى الله عالم، وقيل المراد بهم أهل التكليف، والأول أعم، سموا عالم لأنهم علامة وآية الله ﷻ والله الموفق.

الحكمة من خلق المكلفين

قال المؤلف حفظه الله:

٣ إذا قيلَ لَكَ: لماذا خَلَقَكَ اللهُ؟ فَقُلْ: خَلَقَنَا لعبادَته، وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

ذكر المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان الحكمة من خلق المكلفين من الجن والإنس، وهي عبادة الله عز وجل وحده وإفراده بما يجب له.

ومعنى ذلك: أن الله عز وجل لم يخلقنا عبثا ولم يتركنا هملا قال الله عز وجل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥ -١١٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧]، فالله خلقنا لعبادته. قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، أي: لعمارة الأرض بطاعة الله عز وجل وتوحيده.

والعبادة: اسمٍ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والمعتقدات، على ما يأتي بيانه إن شاء الله.

قوله (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ): أي: ليوحدون كما فسرها ابن عباس رضي الله عنه وغيره من العلماء. **ومعنى يوحدون:** أي يفردون الله بالعبادة واللام هنا للحكمة لا للعاقبة؛ لأن كثيرًا من الناس ما عبد الله، ولو كانت للمعاقبة لحصل الإيمان من جميعهم، إذ أن مراد الله الكوني لابد أن يقع، ولا خلاف له بحال .

وهي كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [النساء:٦٤]، ومع ذلك تجد أن كثيرًا من الرسل لم تقع لهم الطاعة، ففي حديث ابن عباس رضي الله عنه في الصحيحين قال: قال رسول الله ﷺ : «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فرأيتُ النبي ﷺ مَعَهُ الرَّهْطُ، والنبي ﷺ مَعَهُ الرَّجل، والنبي ﷺ مَعَه الرَّجلانِ، والنبي ﷺ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**»(١).

والعبادة تنقسم إلى قسمين:

الأول: عبادة عامة، وهي عبودية القهر، وهذه لا يتخلف عنها أحد من بر وفاجر ومؤمن وكافر ولا تقتضي الإثابة، قال تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾ [مريم:٩٣] .

الثاني: عبودية خاصة، وهي عبودية المؤمنين الموحدين.

قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ [الفرقان:٦٣]. وهي معنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ [الفاتحة:٥]، وهي متضمنة للذل والخضوع والمحبة.

قال ابن القيم رحمه الله في "النونية":

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "العبودية" (ص: ١٠٧):

وَلَفظ الْعُبُودِيَّة يتَضَمَّن كَمَال الذل وَكَمَال الْحبّ. اهـ

وسيأتي مزيد بيان في موطنه إن شاء الله عز وجل .

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٧٠٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٠).

بيان أن دين الإسلام هو الدين الحق الذي يتعبد الناس به

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

﴿٤﴾ إذَا قيلَ لَكَ: مَا دينُكَ؟ فَقُلْ: ديني هُوَ دينُ الإسْلَامِ الحَقِّ، وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩]. وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ [التوبة:٣٣]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

الإسلام هو الصراط المستقيم، والدليل حديث النواس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «والصراط الإسلام»، أخرجه أحمد (١٨٢/٤).

ساق المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان الدين الذي يتعبد الناس به، والدين يقال للطاعة والجزاء، واستعير للشريعة والدين كالملة.

قوله (الإِسْلامِ): هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله على ما يأتي بيانه إن شاء الله.

وقد تضمنت هذه الفقرة التعريف بدين الإسلام فإذا قيل لك ما دينك؟ ما هو الشيء الذي تدين وتتعبد لله عَزَّ وَجَلَّ به؟

قوله (دِينِي هُوَ دِينُ الإِسْلامِ الحَقُّ): أي الذي أنزله الله عَزَّ وَجَلَّ على محمد فلا يقوم على رأي كاسد ولا عقل فاسد، وإنما يؤخذ من الأدلة ويجب الأخذ بجميعه، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة:٢٠٨].

أي بالعمل بأركانه وواجباته ومستحباته ما استطاع إلى ذلك سبيلا ويجتنب محرماته لقول النبي ﷺ: «**ما أمرتكم به فاتوا ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه**»[١]، متفقٌ عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وقوله (الحَقُّ): أي الدين الذي لم يتلوث بالبدع والخرافات.

وأهل البدع ينقسمون إلى قسمين:

أصحاب بدعة مكفرة: وهم خارجون من الملة كالروافض والجهمية والباطنية وعباد القبور من الصوفية وغيرهم، حيث وقعوا في ناقض أو نواقض من نواقض الإسلام، والله المستعان.

وبدعة مفسقة: وهي البدعة التي تكون دون الكفر، وأصحابها متوعدون بوعيد عظيم ولعله يأتي بيانه في بابه إن شاء الله تعالى.

ثم إن الإسلام ينقسم إلى قسمين:

الأول: بالمعنى العام: وهو الدين الذي أنزله الله عز وجل الى جميع الرسل قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

فهو الدين الذي تعبد به آدم ونوح ومحمد وجميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٦].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٢٨٨)، والإمام مسلم في صحيحه (١٣٣٧).

وقال: ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٥٢].

وقال نوح عليه السلام: ﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [يونس:٧٢]، إلى غير ذلك.

الثاني: الإسلام بمعناه الخاص: وهو الدين الذي أوحاه الله عز وجل إلى محمدٍ ﷺ وكان ناسخًا لجميع الأديان قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الحَنِيفِيَّةُ المُسْلِمَةُ لَا اليَهُودِيَّةُ وَلَا النَّصْرَانِيَّةُ وَلَا المَجُوسِيَّةُ، مَنْ يَعْمَلْ خَيْرًا فَلَنْ يُكْفَرَهُ»**(١)، أخرجه الترمذي (٣٨٩٨) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمه ثم لا يؤمن بي والذي جئت به إلا كان من أهل النار»**(٢)، أخرجه مسلم.

قوله: (والدليل قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [التوبة:٣٣]): (**هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ**): أي محمدا ﷺ، (**بِٱلۡهُدَىٰ**): العلم النافع. (**وَدِينِ ٱلۡحَقِّ**): العمل الصالح كما فسره غير واحد من أهل العلم.

فظهور الدين متعلق بهذين الأمرين: العلم، والعمل، ومتى تخلف أحدهما وقع الضلال، قال تعالى: ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٧].

فالمَغْضُوبُ عليهم عِلِمُوا ومَا عَمَلُوا، والضَّالون عَمِلُوا ومَا عَلِمُوا.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٨٩٨)، وهو في الصحيح المسند للوادعي رحمه الله، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي.

(٢)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٥٣).

قوله (وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥])، أي: ومن اتخذ طريقا يتعبد به غير طريق الإسلام الذي أوحاه الله ﷻ إلى محمد فلن يقبل منه وهذا كقول النبي ﷺ: «**كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلاله**» [(١)]، على ما يأتي إن شاء الله.

وكقوله ﷺ : «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**»، **قَالُوا: يَا رسول الله، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ:** «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**» [(٢)]، رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقول النبي ﷺ : «**من أحدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[(٣)]، متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها .

فإن الله لا يقبل من عاملٍ عملًا إلا أن يجتمع فيه الإخلاص لله، والمتابعة لمحمد ﷺ .

وقد يعبر عنه بعضهم: بتوحيد المُرسِل، وتوحيد المُرسَل.

ومعنى قوله: ﴿ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾: لعدم توفر الإخلاص فيها وقد يعمل أعمالًا تخالف الكتاب والسنة فلن تقبل منه.

﴿ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾: هذا في حق أهل الإشراك والكفر فان خسارتهم مؤبدة ومستمرة وأما المسلم المفرط فقد يناله ما يناله ثم مآله إلى

---

(١)أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٦٠٧)، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٩٢١)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٢٨٠).

(٣)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٦٩٧)، والإمام مسلم في صحيحه (١٧١٨).

الجنة لقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء:١١٦].

وهذا كقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤].

وسيأتي معنا بيان ما يتعلق بخروج الموحدين من النار في موطنه إن شاء الله.

قولهُ (والصراط المستقيم): أي الطريق الموصل إلى الله ﷻ، فأنت حين تقول في صلاتك «اهدنا الصراط المستقيم» فإنك تقول اهدنا إلى الإسلام الحق الذي جاء به محمد ﷺ.

والدليل على أن الإسلام الحق الذي جاء به محمد ﷺ يسمى الصراط ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال، قال النبي ﷺ: «**ضَرَبَ الله مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ الله، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ الله، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ الله، وَالدَّاعِي مِنِ فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ الله فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ**»[(١)]، أخرجه أحمد، وهو في "الصحيح المسند".

---

(١)أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" (١٧٦٣٤)، وهو في "الصحيح المسند" للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١١٧٩)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

فمن استقام على الصراط المعنوي الذي هو الإسلام في الدنيا سلم على الصراط الحسي الذي هو الجسر الممدود على متن جهنم في الآخرة ومن اعوج عن هذا الصراط كان اعوجاجه عن ذلك الصراط بقدر ما عنده من الاعوجاج إلا أن يتداركه الله برحمة نسأل الله ﷻ السلامة والعافية.

ولذلك يساق الكفار إلى النار سوقا، ويتقادعون فيها تقادع الفراش ولا يصعدون على الصراط قال تعالى: ﴿ **وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا** ﴾ [مريم:٨٦].

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه : «**يقولون عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ**» (١) .

بينما المؤمنون بالله ﷻ ظاهرًا وباطنا يجوزون الصراط على قدر أعمالهم كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «**لَيَمُرُّ النَّاسُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ وَعَلَيْهِ حَسَكٌ، وَكَلَالِيبُ، وَخَطَاطِيفُ تَخْطَفُ النَّاسَ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَبِجَنْبَتَيْهِ مَلَائِكَةٌ، يَقُولُونَ: اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَمُرُّ مِثْلَ الرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ مِثْلَ الْفَرَسِ الْمُجْرَى، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْعَى سَعْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْبُو حَبْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا**»(٢)، الحديث، أخرجه مسلم.

والمنافقون لما كان إيمانهم ظاهرًا لا باطنا فانهم يعطون بعض النور فإذا ما صعدوا على الصراط انطفئ نورهم وعند ذلك يقولون للذين آمنوا: ﴿ **ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ**

(١)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٣).
(٢)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٢).

مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [الحديد: ١٣-١٤].

فمن عقيدة أهل السنة الإيمان بالصراط وهو جسر حقيقي ممدود على متن جهنم، والأحاديث متواترة في الدلالة عليه منها ما هو مخرج في الصحيحين كحديث ثوبان، وعائشة رضي الله عنهما في مسلم: «**قيل يا رسول أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض و السموات قال في الظلمة دون الجسر**»(١).

والدليل على أن الصراط ممدود على متن جهنم قول الله عز وجل: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

والمراد بالورود في هذا الموطن: المرور على الصراط أعاذنا الله من تلك الأهوال وسلمنا الله عز وجل في جميع الأحوال فإن الصراط من أشد المواقف التي يمر عليها أهل الإيمان و ذلك أنهم إذا انتهوا من جميع شؤونهم جاءت الأمانة والرحم جنبتي الصراط وما منا إلا وعنده تقصير، نسأل الله السلامة.

ومن الأدلة على الصراط: حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما في صحيح مسلم: «**وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ**» قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «**أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ**»(٢).

(١)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣١٥).
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٩٥).

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه في الصحيحين: «**وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُم السَّعْدَانَ؟** »، قَالُوا: نَعَمْ يَا رسول الله ﷺ ، **قَالَ**: «**فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا الله، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ المُوبَقُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ - أَوِ المُوثَقُ بِعَمَلِهِ -، وَمِنْهُمُ المُخَرْدَلُ، أَوِ المُجَازَى**» [(١)]،نسأل الله عز وجل السلامة.

ومن أسماء الصراط: الجسر فيجعل بين ظهري جهنم و في طرفه إلى جهة الجنة القنطرة، فعن أبي سعيد رضي الله عنه عَنْ رسول الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ**» [(٢)].

ومراد المصنف بذكر هذه الفقرة: بيان أن دين الإسلام هو النعمة التامة الكاملة قال الله عز وجل: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣]، وإنما استطرد الشيخ رحمه الله وذكر ما يتعلق بالصراط لاستيعاب مسائل العقيدة، والله الموفق.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٠٦)، والإمام مسلم في صحيحه (١٨٢).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤٤٠).

ما يجب على الإنسان من معرفة نبيه ﷺ

قال المؤلف حفظه الله:

٥ فإذا قيل لك: من نبيك؟ فقل: نبيي ونبي هذه الأمة جميعا هو محمد رسول الله ﷺ ، والدليل قول الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة:٢].

وقوله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٨].

بعد أن ذكر المصنف حفظه الله ما يجب على الإنسان في معرفة ربه ودينه ناسب أن يذكر ما يجب عليه من معرفة نبيه إذ أن تعلُّم هذه المسائل من المهمات حتى قال الإمام المجدد في "**الأصول الثلاثة**": العلم، وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.اهـ

ولأن الله عز وجل جعل محمدًا ﷺ رسُولًا وواسطة في تعليم الخلق ما يجب عليهم فلذلك لا دين يقبل بعد بعثت محمد ﷺ إلا من طريقه ﷺ، وقد أمر الله عز وجل بتوقيره وتعزيزه.

قال تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح:٩].

وقال تعالى مبينًا شفقته بأمته: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨].

وقال النبي ﷺ : «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي و لا نصراني ثم لا يؤمن بي والذي جئت به إلا كان من أهل النار أي من هذه الأمة**»، أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ومعرفة النبي ﷺ من الأمور المتعينة والمفيدة في الحياة العلمية والعملية.

ولهذا درس أهل الإسلام سيرته وشمائله وخصائصه وكل ما صدر عنه من سنته: القولية والفعلية والهمية.

قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ [آل عمران:٣١].

ويسأل عن النبي ﷺ في القبر كما في حديث أسماء رضي الله عنها وغيرها: «**فَأُوحِيَ إِلَيَّ: أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ - مِثْلَ أَوْ - قَرِيبَ - مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، يُقَالُ مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟**

فَأَمَّا المُؤْمِنُ أَوِ المُوقِنُ فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رسول الله ﷺ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالهُدَى، فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا، هُوَ مُحَمَّدٌ ثَلاَثًا، فَيُقَالُ: نَمْ صَالِحًا قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ. وَأَمَّا المُنَافِقُ أَوِ المُرْتَابُ - لاَ أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»[١]، متفق عليه.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٩٠٥).

والإيمان به يتضمن أربعة أمور:

الأول: تصديقه فيما أخبر ويدخل في ذلك الإيمان بكل ما ثبت عن رسول الله ﷺ مخبرًا به عن الله ﷻ من أسمائه وصفاته، والمغيبات كاليوم الآخر وغيرها.

الثاني: طاعته فيما أمر قال الله ﷻ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : «وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ».

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء:٦٥].

الثالث: الانتهاء عما نهى عنه و زجر قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب:٣٦].

الرابع: أن لا يعبد الله ﷻ إلا بما شرع، قال الله ﷻ: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى:٢١].

فعن عائشة رضي الله عنها قال ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» متفق عليه.

وقال الله ﷻ: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤٦].

ويدخل في الإيمان به: الإيمان بأنه رَسُول الله إلى جميع المكلفين فإن طائفة من النصارى يزعمون أنه رسول إلى العرب ولا يُدخلهم ذلك في الإسلام.

والدليل على عموم نبوته ﷺ قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وقول الله ﷻ: ﴿لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١] إلى غير ذلك.

ومن السنة حديث جابر رضي الله عنه: «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النبيونَ**»[(١)].

ومن الأدلة على عموم رسالته: أن النبي ﷺ أرسل رسله إلى كسرى و قيصر و المقوقس و النجاشي.

ومن الأدلة أن أُناسًا من أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام و النجاشي وغيرهم آمنوا بالنبي ﷺ وما فعلوا ذلك إلا لعلمهم أنه رسول إلى الجميع.

وجعل الله ﷻ دينه وكتابه ناسخًا ومهيمنًا على جميع الأديان، قال الله ﷻ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ [المائدة:٤٨].

وينبغي لطالب العلم و غيره أن يعرف من سيرته ﷺ ونسبه وصفاته ما يكون سبيلًا لمعرفة هذا الرَّسُول الذي هو أكرم مخلوق خلقه الله فقد قال جبريل عليه السلام للبراق: «**اسكن فما ركبك أحد أكرم من محمد** ﷺ»[(٢)]، أخرجه الترمذي عن أنس رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٢٣).

(٢)أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣١٣١)، وقال الإمام الألباني رحمه الله فيه: صحيح الإسناد.

فَصْلٌ فِي نَسَبِهِ ﷺ:

وَهُوَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ نَسَبًا عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَلِنَسَبِهِ مِنَ الشَّرَفِ أَعْلَى ذِرْوَةٍ، وَأَعْدَاؤُهُ كَانُوا يَشْهَدُونَ لَهُ بِذَلِكَ، وَلِهَذَا شَهِدَ لَهُ بِهِ عَدُوُّهُ إِذْ ذَاكَ أبو سفيان بَيْنَ يَدَيْ مَلِكِ الرُّومِ، فَأَشْرَفُ الْقَوْمِ قَوْمُهُ، وَأَشْرَفُ الْقَبَائِلِ قَبِيلَتُهُ، وَأَشْرَفُ الْأَفْخَاذِ فَخِذُهُ.

فَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعْدِ بْنِ عَدْنَانَ.

إِلَى هَاهُنَا مَعْلُومُ الصِّحَّةِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ النَّسَّابِينَ، وَلَا خِلَافَ فِيهِ الْبَتَّةَ، وَمَا فَوْقَ "(عدنان) مُخْتَلَفٌ فِيهِ. وَلَا خِلَافَ بَيْنِهِمْ أَنَّ (عدنان) مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِسْمَاعِيلُ: هُوَ الذَّبِيحُ عَلَى الْقَوْلِ الصَّوَابِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الصحابة رضي الله عنهم وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ.

ولَا خِلَافَ أَنَّهُ وُلِدَ ﷺ بِجَوْفِ مَكَّةَ، وَأَنَّ مَوْلِدَهُ كَانَ عَامَ الْفِيلِ، وَكَانَ أَمْرُ الْفِيلِ تَقْدِمَةً قَدَّمَهَا الله لِنَبِيِّهِ وَبَيْتِهِ، وَإِلَّا فَأَصْحَابُ الْفِيلِ كَانُوا نَصَارَى أَهْلَ كِتَابٍ، وَكَانَ دِينُهُمْ خَيْرًا مِنْ دِينِ أَهْلِ مَكَّةَ إِذْ ذَاكَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عُبَّادَ أَوْثَانٍ فَنَصَرَهُمُ الله عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ نَصْرًا لَا صُنْعَ لِلْبَشَرِ فِيهِ، إِرْهَاصًا وَتَقْدِمَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ الَّذِي خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ، وَتَعْظِيمًا لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ.

وَاخْتُلِفَ فِي وَفَاةِ أَبِيهِ عبد الله، هَلْ تُوُفِّيَ وَرَسُول الله حَمْلٌ، أَوْ تُوُفِّيَ بَعْدَ وِلَادَتِهِ؟

أَصَحُّهُمَا: أَنَّهُ تُوُفِّيَ وَرسول الله ﷺ حَمْلٌ.

وَكَفَلَهُ جَدُّهُ عبد المطلب، وَتُوُفِّيَ وَلِرَسُول الله نَحْوُ ثَمَانِ سِنِينَ، وَقِيلَ: سِتٍّ، وَقِيلَ: عَشْرٍ، ثُمَّ كَفَلَهُ عَمُّهُ أبو طالب، وَاسْتَمَرَّتْ كَفَالَتُهُ لَهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً خَرَجَ بِهِ عَمُّهُ إِلَى الشَّام، وَقِيلَ: كَانَتْ سِنُّهُ تِسْعَ سِنِينَ، وَفِي هَذِهِ الْخَرْجَةِ رَآهُ بحيرى الراهب وَأَمَرَ عَمَّهُ أَلَّا يَقْدَمَ بِهِ إِلَى الشَّامِ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِ، فَبَعَثَهُ عَمُّهُ مَعَ بَعْضِ غِلْمَانِهِ إِلَى مَكَّةَ.

أُمَّهَاتِهِ ﷺ اللاتِي أَرْضَعْنَهُ:

فَمِنْهُنَّ ثويبة مولاة أبي لهب: أَرْضَعَتْهُ أَيَّامًا وَأَرْضَعَتْ مَعَهُ أبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي بِلَبَنِ ابْنِهَا مسروح، وَأَرْضَعَتْ مَعَهُمَا عَمَّهُ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَاخْتُلِفَ فِي إِسْلَامِهَا، فَالله أَعْلَمُ.

ثُمَّ أَرْضَعَتْهُ حليمة السعدية[1]: بِلَبَنِ ابْنِهَا عبد الله أَخِي أنيسة وجدامة وَهِيَ الشيماء أَوْلَادِ الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدي، وَاخْتُلِفَ فِي إِسْلَامِ أَبَوَيْهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَالله أَعْلَمُ.

وَأَرْضَعَتْ مَعَهُ ابْنَ عَمِّهِ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ لِرسول الله ﷺ .

ثُمَّ أَسْلَمَ عَامَ الْفَتْحِ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَكَانَ عَمُّهُ حمزة مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ فَأَرْضَعَتْ أُمُّهُ رَسُول الله يَوْمًا وَهُوَ عِنْدَ أُمِّهِ حليمة، فَكَانَ حمزة رَضِيعَ رَسُول الله مِنْ جِهَتَيْنِ: مِنْ جِهَةِ ثويبة، وَمِنْ جِهَةِ السعدية.

---

(١) هكذا يقول المؤرخون ولم يثبت شيء في اسمها ولهذا قلت في المنظومة الزُّعكرية في بيان حوادث السيرة الزكية: قد أرضعته امرأة سعدية.. ثوبية أيضا لها مزية

حواضن النبي ﷺ:

فَمِنهُنَّ: أُمُّهُ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

وَمِنْهُنَّ: ثويبة، وحليمة والشيماء ابْنَتُها، وَهِيَ أُخْتُهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ كَانَتْ تَحْضُنُهُ مَعَ أُمِّهَا، وَهِيَ الَّتِي قَدِمَتْ عَلَيْهِ فِي وَفْدِ هَوَازِنَ، فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ، وَأَجْلَسَهَا عَلَيْهِ رِعَايَةً لِحَقِّهَا.

وَمِنْهُنَّ: الْفَاضِلَةُ الْجَلِيلَةُ أم أيمن بركة الحبشية، وَكَانَ وَرِثَهَا مِنْ أَبِيهِ، وَكَانَتْ دَايَتَهُ وَزَوَّجَهَا مِنْ حِبِّهِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، فَوَلَدَتْ لَهُ أسامة.

مَبْعَثِهِ ﷺ وَأَوَّلِ ما نَزَلَ عَلَيْهِ:

بَعَثَهُ الله عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ وَهِيَ سِنُّ الْكَمَالِ. قِيلَ: وَلَهَا تُبْعَثُ الرُّسُلُ، وَأَمَّا مَا يُذْكَرُ عَنِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ وَلَهُ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً فَهَذَا لَا يُعْرَفُ لَهُ أَثَرٌ مُتَّصِلٌ يَجِبُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ. «**وَأَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُول الله مِنْ أَمْرِ النُّبُوَّةِ الرُّؤْيَا، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ**» متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها .

قِيلَ: وَكَانَ ذَلِكَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَمُدَّةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، فَهَذِهِ الرُّؤْيَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ أَكْرَمَهُ الله تَعَالَى بِالنُّبُوَّةِ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ وَهُوَ بِغَارِ حِرَاءٍ، وَكَانَ يُحِبُّ الْخَلْوَةَ فِيهِ، فَأَوَّلُ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿ **ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ** ﴾ [العلق:١]، هَذَا قَوْلُ عائشة وَالْجُمْهُورِ.

وَقَالَ جابر رضي الله عنه: أَوَّلُ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ** ﴾ [المدثر:١].

قُلْتُ: وهذا يحمل على أول نزوله بعد فترة الوحي.

فِي أَسْمَائِهِ ﷺ:

فَمِنْهَا: مُحَمَّدٌ، وَهُوَ أَشْهَرُهَا، وَبِهِ سُمِّيَ فِي التَّوْرَاةِ صَرِيحًا.

ومنها: أَحْمَدُ، وَهُوَ الِاسْمُ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ الْمَسِيحُ لِسِرٍّ ذَكَرْنَاهُ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ. **وَمِنْهَا**: الْمُتَوَكِّلُ، وَمِنْهَا الْمَاحِي، وَالْحَاشِرُ، وَالْعَاقِبُ، وَالْمُقَفِّي، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ.

قَالَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سَمَّى لَنَا رَسُول الله نَفْسَهُ أَسْمَاءً، فَقَالَ: (« **أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو الله بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ**» البخاري (٣٥٣٢) ومسلم (٢٣٥٤)).

قُلْتُ: وعن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو الله بِيَ الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا العَاقِبُ**» أخرجه مسلم (٢٣٥٥)..

أَوْلادِهِ ﷺ:

أَوَّلُهُمُ: **القاسم**، وَبِهِ كَانَ يُكْنَى، مَاتَ طِفْلًا، وَقِيلَ: عَاشَ إِلَى أَنْ رَكِبَ الدَّابَّةَ وَسَارَ عَلَى النَّجِيبَةِ.

ثُمَّ زينب، وَقِيلَ: هِيَ أَسَنُّ مِنَ القاسم.

ثُمَّ رقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وَقَدْ قِيلَ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ: إِنَّهَا أَسَنُّ مِنْ أُخْتَيْهَا، وَقَدْ ذُكِرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رقية أَسَنُّ الثَّلَاثِ، وأم كلثوم أَصْغَرُهُنَّ.

ثُمَّ وُلِدَ لَهُ عبد الله، وَهَلْ وُلِدَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ أَوْ قَبْلَهَا؟ فِيهِ اخْتِلَافٌ، وَصَحَّحَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ وُلِدَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ، وَهَلْ هُوَ الطيب والطاهر، أَوْ هُمَا غَيْرُهُ؟

عَلَى قَوْلَيْنِ:

وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُمَا لَقَبَانِ لَهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مِنْ خديجة، وَلَمْ يُولَدْ لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ غَيْرِهَا.

ثُمَّ وُلِدَ لَهُ إبراهيم: بِالْمَدِينَةِ مِنْ سُرِّيَّتِهِ " مارية القبطية " سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَبَشَّرَهُ بِهِ أبو رافع مَوْلَاهُ، فَوَهَبَ لَهُ عَبْدًا، وَمَاتَ طِفْلًا قَبْلَ الْفِطَامِ، وَاخْتُلِفَ هَلْ صَلَّى عَلَيْهِ أَمْ لَا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ.

وَكُلُّ أَوْلَادِهِ تُوُفِّيَ قَبْلَهُ إِلَّا فاطمة، فَإِنَّهَا تَأَخَّرَتْ بَعْدَهُ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ فَرَفَعَ اللهُ لَهَا بِصَبْرِهَا وَاحْتِسَابِهَا مِنَ الدَّرَجَاتِ مَا فُضِّلَتْ بِهِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ.

وفاطمة رضي الله عنها أَفْضَلُ بَنَاتِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

أزواج النبي ﷺ وسراياه:

١-**خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية**، تَزَوَّجَهَا قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَلَهَا أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَيْهَا حَتَّى مَاتَتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ.

٢-**سودة بنت زمعة القرشي**، تزوجها بعد خديجة بأيام.

٣-**أُمَّ عَبْدِ الله عائشة الصديقة بنت الصديق** الْمُبَرَّأَةَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، حَبِيبَةَ رسول الله ﷺ .

٤-**حفصة بنت عمر بن الخطاب** رضي الله عنهما، وَذَكَرَ أبو داود أَنَّهُ طَلَّقَهَا ثُمَّ رَاجَعَهَا.

٥-**زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية** مِنْ بَنِي هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ، وَتُوُفِّيَتْ عِنْدَهُ بَعْدَ ضَمِّهِ لَهَا بِشَهْرَيْنِ.

٦-أم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية، وَاسْمُ أبي أمية حذيفة بن المغيرة، وَهِيَ آخِرُ نِسَائِهِ مَوْتًا.

٧-زينب بنت جحش مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَهِيَ ابْنَةُ عَمَّتِهِ أميمة، وَفِيهَا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا ﴾ [الأحزاب:٣٧].

٨-جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية، وَكَانَتْ مِنْ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ.

٩- صفية بنت حيي بن أخطب، من ذرية هارون عليه السلام، تزوجها بعد خيبر .

١٠-أم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب القرشية الأموية.

١١-ميمونة بنت الحارث الهلالية، وَهِيَ آخِرُ مَنْ تَزَوَّجَ بِهَا، تَزَوَّجَهَا بِمَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ بَعْدَ أَنْ حَلَّ مِنْهَا عَلَى الصَّحِيحِ.

وفِي سَرَارِيِّهِ ﷺ:

قَالَ أبو عبيدة: كَانَ لَهُ أَرْبَعٌ: مارية وَهِيَ أُمُّ وَلَدِهِ إبراهيم، وريحانة وَجَارِيَةٌ أُخْرَى جَمِيلَةٌ أَصَابَهَا فِي بَعْضِ السَّبْيِ، وَجَارِيَةٌ وَهَبَتْهَا لَهُ زينب بنت جحش.[1]

الدليل على أن محمداً هو رسول الله ﷺ:

قوله(و الدليل) أن محمدًا رسول الله ﷺ .

قوله (قول الله ﷻ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠]). **وفي الآية سبب نزول:** أخرجه ابن جرير عن ابن جريج قال: قلت لعطاء ﴿وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ

(١) مختصر من زاد المعاد لابن القيم رحمه الله .

﴿مِن أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ **قال كنا نتحدث أنها نزلت في** محمدﷺ حين نكح امرأة زيد بن حارثة رضي الله عنه قال المشركون في ذلك فنزلت: ﴿**وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ**﴾ ونزلت: ﴿**وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي**﴾ [الأحزاب:٤] ونزلت: ﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ**﴾، ومثل هذا لا تقوم به حجة لإرساله.

قوله (﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾): أي بعثه الله عز وجل وأرسله إلى الناس كافة كما تقدم، وفي هذا رد على الفلاسفة الذين يقولون إنما هو رجل ذكي، بل هو رسول كريم لرب عظيم كريم رحيم.

قوله (﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾): أي آخرهم فمن زعم أن بعد محمدٍ ﷺ رسولًا أو نبيًا كان من الكافرين لأن النبي ﷺ : يقول «**إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ**» أخرجه الترمذي (٢٢٧٢) عن أنس رضي الله عنه[(١)].

وقد زعم بعض الزنادقة أن معنى خاتم النبيين زينتهم يريد بذلك تجويز النبوة بعد محمد ﷺ وهذا قول باطل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النبيونَ**» أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٢٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه في البخاري ومسلم، أَنَّ رَسُول الله ﷺ ، قَالَ: «**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ**

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٢٧٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٩٠).

زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النبيينَ» [(١)].

قوله (وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ ﴾): أي أرسل.

قوله (﴿ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾): العرب أهل مكة وما حولها الذين لا يكتبون ولا يقرءون المكتوب وهذا الغالب فيهم.

قال النبي ﷺ : «**نحن أمة أميه لا نكتب و لانحسب**» [(٢)]، أخرجه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه وإنما اشتهرت الكتابة والحساب بعد أن دخلوا في دين الإسلام .

فقد أعز الله بدين الإسلام العرب ومن دخل فيه من العجم كما قال النبي ﷺ مخبرًا عن ذلك «**لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ، وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ الله كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ، إِمَّا يُعِزُّهُمُ الله فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يُذِلُّهُمْ فَيَدِينُونَ لَهَا**» [(٣)]، أخرجه أحمد.

وقال عمر رضي الله عنه: «**إِنَّا قَوْمٌ أَعَزَّنَا الله بِالإِسْلاَمِ فَلَنْ نَلْتَمِسَ الْعِزَّ بِغَيْرِهِ**» أخرجه ابن أبي شيبة.

❁❁❁

---

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٥٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٨٦).

(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٩١٣)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٨٠).

(٣)أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٣٨١٤)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١١٤٢)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [الجمعة:٢].

وقوله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلۡأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٨]

قوله (﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ﴾): هو محمد ﷺ فهو دعوة إبراهيم عليه السلام، حيث قال: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٩].

وفي صحيح البخاري: ما جرى بين المغيرة رضي الله عنه وعامل كسرى: فَقَالَ المُغِيرَةُ رضي الله عنه: سَلْ عَمَّا شِئْتَ؟ قَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ قَالَ: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ العَرَبِ، كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ وَبَلاَءٍ شَدِيدٍ، نَمَصُّ الجِلْدَ وَالنَّوَى مِنَ الجُوعِ، وَنَلْبَسُ الوَبَرَ وَالشَّعَرَ، وَنَعْبُدُ الشَّجَرَ وَالحَجَرَ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرَضِينَ - تَعَالَى ذِكْرُهُ وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ - إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا نَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، فَأَمَرَنَا نَبِيُّنَا رَسُولُ رَبِّنَا ﷺ: «**أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، أَوْ تُؤَدُّوا الجِزْيَةَ، وَأَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا ن عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا، أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَطُّ، وَمَنْ بَقِيَ مِنَّا مَلَكَ رِقَابَكُمْ**»(١).

قوله (﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ ﴾): أي وحيه المنزل، وهو القرآن، فهو آيات بينات وسور محكمات.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣١٥٩).

قوله (﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾)**:** أي بالأعمال الصالحة، حيث تزكوا نفوسهم، وأعمالهم بفضله تعالى، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور:٢١].

قوله (﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾)**:** أي القرآن و السنة.

قوله (﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾)**:** إرسال محمد ﷺ ونزول الوحي (﴿ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾)**:** أي كفر واضح بين حيث كانوا في الحادٍ وجهلٍ وشركٍ نسأل الله السلامة.

قوله (**وقوله تعالى:** ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾): أي معبودًا وربًا.

قوله (﴿ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ﴾)**:** أي محمدًا ﷺ .

قوله (﴿ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾)**:** يؤمن بالله و وحيه والمراد بالكلمات الشرعية .

قوله (﴿ وَٱتَّبِعُوهُ ﴾)**:** أي اقتدوا به في جميع شأنه في باب التعبد لله ﷻ (﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾) أي: يحصل لكم الهداية.

ولا يتم الإيمان بالله إلا بالإيمان برسوله وهذا أمر معلوم ضرورة ولهذا كان من أركان الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رَسُول الله، فيُجمع بين الشهادة لله ﷻ بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة.

والنبي ﷺ الأمي هو الذي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب وفي هذا رد على من زعم أن المراد بالأمي النسبة إلى أم القرى، بل الحق أنه الذي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب.

ولهذا كفَّر بعض أهل العلم من زعم أن النبي ﷺ كان يقرأ ويكتب، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت:٤٨].

وأنكر الله قولهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣].

فعلم من هذا أنه لا سبيل للهداية إلا باتباعه وذلك من قوله: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨].

ولا سبيل للرحمة إلا باتباعه ﷺ قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٢].

بعض شمائل وخصائص النبي صلى الله عليه وسلم

وكنت قد كتبت بعض شمائله في كتابي "**فتح المجيد ببيان هداية القران إلى التوحيد و التحذير من الشرك و التنديد**" ناسب أن أضعها هنا:

بيان بعض شمائل وخصائص رسول الله ﷺ:

ولرَسُول الله من الصفات الجليلة والمراتب الرفيعة ما تبين فضله على العالمين، وأنه أكرم الخلق وسيدهم أجمعين، فهو القائل: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد أكرم الله تعالى هذه الأمة أن بعث إليها محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]، ولقيامه بما أمره الله عز وجل رفع له قدره ووضع عنه وزره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾ [الشرح:١-٤].

وقال: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ﴾ [الفتح:١-٣].

ومن نعمة الله تعالى أن جعله حريصًا على المؤمنين، فقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة:١٢٨].

وجعله رحمة للعالمين، فقال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، ومن تأمل دعوته وطريقته ﷺ وجدها متضمنة لهذا المعنى

العظيم، سواء كان ذلك في أقواله أم أفعاله أم عباداته، وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حريصًا على هداية الناس عامة، وعشيرته خاصة حتى أنزل الله ﷻ في شأنه: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر:٨].

فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُول الله صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ، ثُمَّ صَلَّى مِنَ الْقَابِلَةِ فَكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُول الله فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: «**قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ، فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْكُمْ**»(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «**إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ، فَأُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ**»(٢)، متفق عليه.

فمن فضائله أن الله تعالى أضافه إلى نفسه تشريفًا له وتنويهًا بفضله في مواطن من كتابه:

أولها: موطن الإسراء قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١].

ثانيها: موطن إنزال الكتاب، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف:١]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١٢٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٦١).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٠٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٧٠).

ثالثها: موطن الدعوة، قَالَ تَعالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ [الجن:١٩].

رابعها: موطن المعراج، فقَالَ تَعالَى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ [النجم:١٠]. فحريٌ بمن هذه منزلته عند ربه أن تُدرس سيرته، وتُعرف أيامه، وأعوامه، فهو الرحمة المهداة والمنة من الله، قَالَ تَعالَى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

فأحيى الله به قلوبًا موتى، وبصَّر به من العمى قَالَ تَعالَى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢].

إلى غير ذلك مما يطول شرحه في هذه العُجالة، وقد تكلمت بشيء من التوسع عن فضائله ﷺ في كتاب "**السيرة**" عجَّل الله بإتمامه، وفي كتابي "**الزجر والبيان على دعاة التقارب بين الأديان**"، ولله الحمد والمنة.

ومما دعاني إلى ذكر بعض الشمائل المحمدية أمور:

الأول: معرفة شمائل النبي ﷺ الخَلْقية والخُلُقية، لما في ذلك من الأهمية من حيث العلم والعمل، فهو القائل: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**» (١)، أخرجه مسلم، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، والقائل: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**» (٢)، أخرجه البخاري من حديث مَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِثِ رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٢٩٧).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٣١).

الثاني: الاقتداء بكتاب الله ﷻ حيث حوى الكثير من أوصاف النبي ﷺ، وأخلاقه، ويكون هذا الشرح كالتفسير لتلك الآيات، ويدخل في ذلك موافقة مرضاة الله ﷻ ومحابه.

قال القاضي عياض في "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" (١/ ٤٥): قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي الْإِمَامُ أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ الله تَعَالَى وسَدَّدَهُ: لا خفاء عَلَى مَنْ مَارَسَ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ، أَوْ خُصَّ بِأَدْنَى لَمْحَةٍ مِنَ الْفَهْمِ، بِتَعْظِيمِ الله قَدْرَ نَبِيِّنَا ﷺ وخُصُوصِهِ إِيَّاهُ بِفَضَائِلَ وَمَحَاسِنَ وَمَنَاقِبَ لَا تَنْضَبِطُ لِزِمَامٍ، وَتَنويهِهِ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ بِمَا تَكِلُّ عَنْهُ الْأَلْسِنَةُ وَالْأَقْلَامُ:

فَمِنْهَا: مَا صَرَّحَ بِهِ تَعَالَى فِي كتاب: وَنَبَّهَ بِهِ عَلَى جَليلِ نِصَابِهِ، وَأَثْنَى بِهِ عَلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقِهِ وَآدَابِهِ، وَحَضَّ الْعِبَادَ عَلَى الْتِزَامِهِ وَتَقَلُّدِ إِيجَابِهِ، فَكَانَ جَلَّ جَلالُهُ هُوَ الَّذِي تَفَضَّلَ وَأَوْلَى، ثُمَّ طَهَّرَ وَزَكَّى، ثُمَّ مَدَحَ بِذَلِكَ وَأَثْنَى، ثُمَّ أَثَابَ عَلَيْهِ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى، فَلَهُ الْفَضْلُ بَدْءًا وَعَوْدًا، وَالْحَمْدُ أُولَى وأُخْرَى.

وَمِنْهَا: مَا أَبْرَزَهُ لِلْعَيَانِ مِنْ خَلْقِهِ عَلَى أَتَمِّ وُجُوهِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ، وَتَخْصِيصِهِ بِالْمَحَاسِنِ الْجَمِيلَةِ وَالْأَخلَاقِ الْحمِيدَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْكَرِيمَةِ وَالْفَضَائِلِ الْعَدِيدَةِ وَتَأْيِيدِهِ بِالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ وَالْكَرَامَاتِ الْبَيِّنَةِ الَّتِي شَاهَدَهَا مَنْ عَاصَرَهُ، وَرَآهَا مَنْ أَدْرَكَهُ، وَعَلِمَهَا عِلْمَ يَقِينٍ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ، حَتَى انْتَهَى عِلْمُ حَقِيقَةِ ذَلِكَ إِلَيْنَا، وَفَاضَتْ أَنْوَارُهُ عَلَيْنَا ﷺ .اهـ

الثالث: الرد على المخالفين لسبيل المؤمنين في حق النبي ﷺ.

الرابع: إظهار شمائل النبي ﷺ ليُقتدى به ويتعرف عليه عملًا بقول الله ﷻ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب:٢١].

وقَالَ تَعالَى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:٣١-٣٢]. وذلك يعود لوجوب محبته ﷺ، حيث قَالَ رسول الله ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» [١]. أخرجه البخاري ومسلم، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه.

ومحبته ﷺ تزداد في قلوب المؤمنين بمعرفتهم لشمائله وسيرته فقد كان ﷺ:

١- **رحمة بالمؤمنين ولهم،** وسماه الله رؤوفًا رحيمًا، وأسمائه ﷺ أعلام وأوصاف ففي "**الصحيحين**" عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو الله بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ، وَقَدْ سَمَّاهُ الله رَءُوفًا رَحِيمًا**» [٢].

٢- **حريصًا على هدايتهم وإرشادهم إلى أقوم السبل، وأحسن الطرق.** ففي صحيح **مسلم**: عن عَبْدِ الله بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه: كُنَّا مَعَ رَسُول الله فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رسول الله ﷺ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رسول الله ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ**

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٤).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٨٩٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣٤٥).

لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ»[١].

٣ - **ذا خُلق عظيم**، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم:٤].

وذلك لتخلقه بالقرآن، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**» أخرجه مسلم (٧٤٦)، وهو القائل: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**» أخرجه أحمد[٢]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٤ - **شجاعًا**، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ أَشْجَعَ النَّاسِ**»[٣].

وقيل للبراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ فَقَالَ الْبَرَاءُ: «**وَلَكِنْ رَسُولُ اللهِ لَمْ يَفِرَّ**»، متفق عليه[٤].

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّا كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ - وَيُرْوَى اشْتَدَّ الْبَأْسُ - وَاحْمَرَّتِ الْحَدَقُ، اتَّقَيْنَا بِرسول اللهِ ﷺ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ**

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٤٤).

(٢)أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٨٩٥٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ برقم (١٣٧٣)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣٠٧).

(٤)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٨٦٤)، والإمام مسلم في صحيحه (١٧٧٦).

مِنْهُ»، وقَالَ: «وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِالنبي ﷺ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا»(١).

وقال القاضي عياض رحمه الله في "الشفا" (١/ ٢٣٥): وَكَانَ ﷺ مِنْهُمَا بِالْمَكَانِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ قَدْ حَضَرَ الْمَوَاقِفَ الصَّعْبَةَ وَفَرَّ الْكُمَاةُ وَالْأَبْطَالُ عَنْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ وَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَبْرَحُ وَمُقْبِلٌ لَا يُدْبِرُ وَلَا يَتَزَحْزَحُ، وما شُجَاعٌ إِلَّا وَقَدْ أُحْصِيَتْ لَهُ فَرَّةٌ وَحُفِظَتْ عَنْهُ جَوْلَةٌ سِوَاهُ. اهـ

٥ - **كريمًا**، قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ الله رضي الله عنه: «**مَا سُئِلَ رَسُول الله شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لَا**»(٢)، أخرجه مسلم. وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: «**كَانَ النبي ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ**»(٣)، متفق عليه.

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: «**كان ﷺ يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَقْرَ**»(٤)، أخرجه مسلم.

٦ - **حييًا**، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡ﴾ [الأحزاب:٥٣].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: «**كَانَ النبي ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا**» أخرجه البخاري (٣٥٦٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

---

(١)أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦٥٣، ١٠٤٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٩٧٣).

(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٣٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣١١).

(٣)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٩٠٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣٠٨).

(٤)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣١٢).

٧ - **بشوشًا**، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وقَالَ جَرِيرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**مَا حَجَبَنِي النبي ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي**»[١] متفق عليه.

٨ - **غضبه لله**، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**وَمَا انْتَقَمَ رَسُول الله لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا**»[٢]، متفق عليه.

فكان لا يغضب لنفسه ﷺ إلا أن تُنتهك حرمة الله فيغضب لله عَزَّ وَجَلَّ، أخذًا بقول الله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩].

٩ - **نظيفًا طيبًا**، قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ**»، أخرجاه[١].

وفي حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «... **فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ**». أخرجه مسلم (٢٣٢٩).

١٠ - **جميلا**، فقد تميز بصفات جميلة جليلة خُلُقية وخَلْقية ﷺ على ما ترى، وكان وجهه ﷺ كالسيف بريقًا وكالقمر استدارةً ولم يكن بالطويل ولا بالقصير ولكن بين ذلك.

١١ - **فصيحًا**، فقد قال ﷺ: «**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ**»، أخرجه البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣). وكان إذا تكلَّم تكلَّم ثلاثًا، وإذا سلَّم سلَّم ثلاثًا.

---

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٠٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٤٧٥).
(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٥٦٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣٢٧) .

١٢ - **شريفًا**، قَالَ رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الله اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ، إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**». الترمذي (٣٦٠٥)، وأصله في مسلم (٢٢٧٦).

وفي قصة أبي سفيان مع هرقل: «... **قَالَ هِرَقْلُ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قَالَ أَبو سُفْيَانَ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ...، فقَالَ هِرَقْلُ: فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا**»، البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣).

١٣ - **وفيًا**، فهو القائل ﷺ: «**حُسْنُ العَهْدِ مِنَ الإِيمَانِ**»، خرجته في تحقيق «الإيمان» لابن أبي شيبة رَحِمَهُ الله، وهو القائل ﷺ: «**نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ الله عَلَيْهِمْ**» أخرجه مسلم (١٧٨٧)، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

١٤ - **متواضعًا**، فقد خيره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بين أن يكون ملكًا رسولًا أو عبدًا رسولًا، فاختار أن يكون عبدًا رسولًا، وهو القائل: «**إنما أنا عبدٌ، آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ**»، أخرجه أبو يعلى[١] عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وله طرق عن غيرها.

١٥ - **أمينًا**، قَالَ تَعَالَى: ﴿**مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ**﴾، على تفسير من فسرها بأنه محمد ﷺ، وهو القائل ﷺ: «**أَلَا تَأْمَنُونِي، وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ**». أخرجاه[٢] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكانت قريش تلقبه بالأمين قبل مبعثه ﷺ.

---

(١)أخرجه الإمام أبو يعلى في مسنده (٤٩٢٠)، والإمام البزار في مسنده (٥٧٥٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى (٥٤٤)، وقال فيه: بل هو صحيح. فإن له شاهدا مرسلا صحيحا أخرجه أحمد في "الزهد" (ص ٥ - ٦) من طريق جرير بن حازم قال: سمعت الحسن يقول: " كان رسول الله ﷺ إذا أتي بطعام أمر به فألقي على الأرض وقال " فذكره. وصححه في صحيح الجامع برقم (٨).

(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٣٥١)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٦٤).

١٦ - **عادلا**، فقد قال ﷺ: «**وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ**»[(١)]، متفق عليه، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

١٧ - **صادقًا**، فقد كانت قريش تلقبه بالصادق، وهو الذي قال لهم: هل جربتم عليّ كذبًا؟ قالوا: لا. وقال هرقل لابي سفيان: «... **هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟، قَالَ أَبو سُفْيَانَ: فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، قَالَ هِرَقْلُ: فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ**»، الحديث[(٢)].

١٨ - **وأما خوفه من ربه وحسن عبادته فهو القائل**: «**قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَصْدَقُكُمْ وَأَبَرُّكُمْ**»[(٣)] فكان متصفًا بكل خلق نبيل متنزهًا عن كل رذيل.

١٩ - **صبورًا شكورًا**، فقد كان يصلي ﷺ حَتَّى تَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، وَيَقُولُ: «**أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»[(٤)]، أخرجاه عَنِ المُغِيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وانفرد به مسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وفيه كلام.

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النبي ﷺ، يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «**اللهم اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**»، أخرجه البخاري (٣٤٧٧).

٢٠ - وكاملا متميزًا بجميع صفات الكمال الخَلْقية والخُلُقية.

ودراسة حياة رَسُول الله ﷺ القولية، والفعلية، والاعتقادية، والخَلْقية، والخُلُقية، هي دراسة لدين الإسلام الذي أنزله الله عَزَّ وَجَلَّ على محمد الكريم ﷺ، وبالله التوفيق .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٦١٠)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٦٤).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧)، والإمام مسلم في صحيحه (١٧٧٣)..

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٣٦٧)، والإمام مسلم في صحيحه (١٢١٣).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١٣٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨١٩).

أول واجب على العباد

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

﴿٦﴾ فإذا قيلَ لَكَ: مَا أَوَّلُ وَاجبٍ عَلَى العَبْدِ؟ فَقُلْ: تَوْحيد الله ﷻ، وَالدَّليلُ حَديثُ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إلَى اليَمَنِ قَالَ لَهُ: «إنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْم منْ أَهْل الكتَاب، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَهَذَا لَفْظُ البُخَارِيِّ.

بعد أن بين المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ ما يتعلق بالأصول الثلاثة التي يجب معرفتها على كل مسلم ومسلمة، وهي معرفة العبد ربه ونبيه ودينه، شرع في الكلام على أهم المهمات في العلم والعمل والدعوة:

قولهُ (فإذا قيل لك): وقد يكون القول بلسان الحال أو المقال.

قولهُ (ما أول واجبٌ): أول ما يجب معرفته والعمل به **(على العبد):** أي المكلف من الجن والأنس.

قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ {الذاريات:٥٦}، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٢].

قولهُ (فقل توحيد الله ﷻ): أي إفراده ﷻ بما يجبُ له.

والتوحيدُ ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- **توحيد الربوبية:** وهو إفراد الله بالخلق والملك والتدبير.

٢ - **توحيد الألوهية**: وهو إفراد الله بالعبادة أو بأفعال المكلفين.

٣ - **توحيد الأسماء والصفات**: وهو إفرادُ الله بما يجب له في أسمائه وصفاته.

يجمعها في التعريف قولهم: (إفراد الله بما يجبُ له).

وفي هذه الفقرة رد على المعتزلة الذين يقولون أو ما يجب على العبد النظر أو القصد إلى النظر مع أن النبي ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**» متفق عليه[(١)] عن ابن عمر رضي الله عنهما .

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين قال النبي ﷺ قال: «**بني الاسلام على خمس على أن يوحد الله**» **وفي لفظ**: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله** ﷺ »[(٢)] .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه عند البخاري أن النبي ﷺ قال: «**فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله**»[(٣)]، متفق عليه.

قال الله عز وجل مبينًا عظم شأنه: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل:٣٦].

وعن عثمان رضي الله عنه قال النبي ﷺ : «**من مات وهو يعلم أن لا اله إلا الله دخل الجنة**»[(٤)]، أخرجه مسلم .

---

(١)أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢)

(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨)، والإمام مسلم في صحيحه (١٦).

(٣)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٣٧٢) .

(٤)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦) .

ومن هذا تعلم أنه ينبغي على الداعي إلى الله ﷻ أن يبدأ بالتوحيد في دعوته، حتى ولو كان في بلاد المسلمين فإن الناس بحاجة إلى معرفة التوحيد إجمالًا وتفصيلًا.

ثم إن الكلام في التوحيد يعتبر من المواعظ إذ أن فيه من الدلائل العظيمة التي تؤدي إلى الخوف والرهبة والخشية والخشوع من الله ﷻ ومن التوكل والاعتماد على الله ﷻ ومن الإنابة والدعاء والسؤال لله ﷻ، وغير ذلك الشيء العظيم.

قولهُ (والدليل): أي على أن أول واجب على المكلفين هو التوحيد.

قولهُ (حديث ابن عباس): وهو عبدالله ابن عباس أبو العباس، وقد تقدم.

قولهُ (لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن):معاذ: هو أبو عبد الرحمن الأنصاري، من خلص المؤمنين وفقهائهم قال عنه رسول الله ﷺ : «**مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ أَمَامَ الْعُلَمَاءِ بِرَتْوَةٍ**»[1].

وكان بعث معاذ إلى اليمن في السنة التاسعة من الهجرة للدعوة وتبليغ دين الله، وتعليمه للناس، وكان مبعثه إلى إقليم الجند من اليمن، وأخبره النبي ﷺ بأنه لن يراه بقوله: «**يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا، وَقَبْرِي**»[2] أخرجه أحمد.

---

(١) أخرجه الإمام الطبراني في "الكبير(" ٢٠ / (٤١) ، وأبو نعيم في "الحلية" (١ / ٢٢٩)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله برقم (١٠٩١)، وقال فيه .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٢٠٥٢)، وإسناده صحيح. أفاده محقق المسند.

وبقي في اليمن إلى خلافة أبي بكر ﵁ ثم رجع وذهب إلى الشام فما زال فيها حتى مات بالطاعون وقد كان النبي ﷺ بعث أبا موسى الأشعري إلى الأشعريين وما حولها وبعث أبا عبيدة وعلي ابن أبي طالب إلى نجران.

وقد دخل أهل اليمن في الإسلام طواعية بغير قتال وفضائلهم معروفة مشهورة في غير ما كتاب، منها حديث: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ كَأَنَّهُمُ السَّحَابُ، هُمْ خِيَارُ مَنْ فِي الْأَرْضِ**»[1]، أخرجه البخاري عن ابن عمر ﵄.

قوله: (إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب): المراد بهم اليهود وفيه وصية الداعي إلى الله ﷿ للاستعداد لمن يقدم عليهم والتأهل لذلك.

وفيه أن الداعي إلى الله ﷿ ينبغي أن يكون من أهل العلم فإن أهل الباطل قد يوردون شبهًات يردون بها الحق ثم إن الجاهل يعجز أن يدعو إلى الله، لعدم معرفته بدين الله ﷿.

قوله: (فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى): **وفي رواية:** «عبادة الله». **وفي رواية:** «إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ».

أي أن أول واجب على العبيد هو توحيد الله وإفراده بما يجب له قبل أن يُدعى إلى الصلاة والصيام والحج وغير ذلك من العبادات.

قوله: (متفق عليه): أي أخرجه البخاري ومسلم، والبخاري: هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجُعفي المتوفى (٢٥٦) هـ، مُحدِّث الفقهاء وفقيه المحدثين. قال عنه الحافظ ﵀ في "**التقريب**": جبل الحفظ، وكتابه الصحيح

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦٧٧٩) من حديث جبير بن مطعم ﵁، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي ﵀ برقم (٢٦١).

أصح الكتب المصنفة بإجماع أهل العلم، ولا يطعن في "**صحيح البخاري**" إلا أحد رجلين: زنديق أو جاهل بمنزلة البخاري.

ومسلم: هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج القُشيري النيسابوري المتوفى (٢٦١) هـ، وصحيحه الكتاب الثاني بعد صحيح البخاري في الأصحية، وقد تلقت الأمة أحاديثهما بالقبول.

والحديث بطوله: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُول الله لِمُعَاذِ بْنِ جَبَل حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول الله فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الله قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الله قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله حِجَابٌ**»(١).

وقد انفرد مسلم بالحديث عن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نحوه.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٤٩٦)، والإمام مسلم في صحيحه (١٩).

معنى لا إله إلا الله وبيان شروطها

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٧ فإذَا قيلَ لَكَ: مَا مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ فَقُلْ: مَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [مُحَمَّد: ١٩]. وَقَوْلُهُ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الحج: ٦٢].

بعد أن بين المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ ما يتعلق بأول واجب على المكلف ناسب أن يأتي بمعنى أهم ما يجب أن يُعلم على المعنى الصحيح وهي كلمة التوحيد.

(لا إله إلا الله) فإن كثيرًا من الناس يقولونها بألسنتهم ويخالفونها بأفعالهم ومعتقداتهم وذلك لجهلهم بها وإعراضهم عن العلم بمدلولها .

فسر أهل الباطل (لا إله إلا الله) بتفسيرات عجيبة تخالف التوحيد أو تناقضه :

الأول: من زعم أن معنى لا اله إلا الله : لا موجود إلا الله وهذا أقبح ما فسرت به هذه الكلمة فهو تفسير أصحاب وحدة الوجود القائلين بالحلول والاتحاد وقد نقل شيخ الإسلام وغير واحدٍ الإجماع على كفرهم.

ومعنى قولهم: لا موجود إلا الله أن كل ما في الكون هو الله من حيوان وجماد وشجر وحجر وجبل ونهر وغير ذلك. وبسبب هذا الاعتقاد عُبد فرعون والأصنام وعيسى وعُبدت جميع المعبودات فتفسير كلمة الإخلاص والتوحيد بهذا التفسير تفسيرٌ باطل سار عليه ابن عربي الطائي ومن إليه. حتى قال قائلهم:

الـــرب عبـــدٌ والعبـــد ربٌّ   يـا ليـت شـعري مـن المكلـف

وقال الآخر:

فســـــــــبحانك ســـــــــبحاني　　الجنـــــة لعبـــــة صـــــبياني

وقال الآخر:

أنـــــا أنـــــت بـــــلا شـــــك　　فســـــــبحانك ســـــــبحاني

وتوحيــــــــــــدك توحيــــــــــــدي　　وعصــــــــيانك عصـــــــــياني

الثاني: قولهم لا معبود إلا الله وهذا تفسيرٌ باطل فقد عُبدت الملائكة والشياطين وعُبد عيسى والأحجار والأشجار وعُبدت القباب والقبور.

الثالث: قولهم لا خالق ولا رازق إلا الله وهذا تفسيرٌ قاصر إذ أنهم فسروا معنى (لا اله إلا الله) بالربوبية وأهل الكفر الذين خرج فيهم النبي ﷺ لم يُنكروا هذا النوع من التوحيد، قال الله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان:٢٥].

ويدل على ذلك قوله ﷻ: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٩].

وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ﴾ [سبأ:٢٤].

ومع ذلك ما أدخلهم ذلك الإقرار في الإسلام وإنما كان الدخول في الإسلام بإفراد الله ﷻ بالعبادة.

الرابع: قول أهل السنة والجماعة: (لا معبود بحقٍ إلا الله)، والدليل على ذلك قول الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]. فلا بد من تقييدها بحق.

وقد قلت في المنظومة الزعكرية في مهمات العقيدة في معنا ذلك:

معبودنا بالحق لا سواه ... وذاك معنى أنه الإله

وبهذا تعلم أن الحاجة إلى دراسة معاني هذه الكلمة من المهمات، وهو السبيل إلى إفراد رب البريات بما له تعالى.

بيان أركان كلمة التوحيد:

تتكون كلمة التوحيد من ركنين أساسيين هما: **النفي والإثبات**.

فالنفي في قوله: «لا إله»، **والإثبات** في قوله: «إلا الله»، وجمع بين النفي والإثبات لفائدة مهمة، فالنفي وحده عدم، فلو قلت لا إله وسكتَّ كان هذا عدم، والإثبات وحده لا يمنع المشاركة.

فلو قلت (الله إله)، سيقول النصراني: وعيسى إله، والبوذي سيقول: وبوذى إله.

❋ فإذًا لا بُدَّ مِن الجمع بين: النفي والإثبات في كلمة (**لا إله إلا الله**).

فـ(**لا إله**) نفي للألوهية عمن سوى الله ﷻ، و(إلا الله): إثبات الألوهية لله ﷻ وحده لا شريك له.

❋وقد تؤكد هذه الكلمة في كثير من المواطن بقوله: (وحده لا شريك له).

فـ (**وحده**): توكيد للإثبات. (**لا شريك**): توكيد للنفي.

قال الله ﷻ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ [محمد:١٩].

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ [الصافات:٣٥].

وفي قوله: ﴿ **إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ** ﴾ : نفي. وفي قوله: ﴿ **إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي** ﴾ : إثبات؛ ففي الآية معنى (لا إله إلا الله).

ومثلها قوله تعالى: ﴿ **أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ** ﴾ [النحل:٣٦].

فقوله: ﴿ **أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ** ﴾: فيه معنى الإثبات. وقوله: ﴿ **وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ** ﴾ : فيه معنى النفي، إلى غير ذلك.

شروط لا إله إلا الله :

قوله(فاعلم أنه لا اله إلا اللّه): فيها دليل على شرط العلم بهذه الكلمة حتى يحقق معناه، وشروطها ثمانية جمعت في قول الناظم:

علـمٌ يقـينٌ وإخـلاصٌ وصـدقك ... مع محبــةٍ وانقيادٍ والقبولَ لهـا
وزيد ثامنها الكفران منـك بمـا ... سوى الإلـه من المعبود قـد أُله

وقلت في "**المنظومة الزعكرية في العقيدة**" :

شُرُوطُهَا سَبْعٌ وَزِدْهَـا وَاحِـدَا ... فَحَقِّقَـــنْ وَلَا تَكُـــنْ مُعَانِـــدَا
عِلْـمٌ مَحَبَّـةٌ يَقِـينٌ وَالْقَبُـولْ ... صِدْقٌ وَإِخْلَاصٌ فَحَقِّقْ مَا أَقُولْ
وَالْكُفْـرُ بِالطَّـاغُوتِ يَـا سَـعِيدُ ... وَالِانْقِيَـــادُ شَـــرْطُهَا الْأَكِيـــدُ

فالأول: العلم، المنافي للجهل قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾ [محمد:١٩].

ثانيها: اليقين، المنافي للشك قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات:١٥].

ثالثها: الإخلاص، المنافي للشرك قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر:٢].

رابعها: الصدق، المنافي للكذب قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩].

خامسها: المحبة، المنافي للبغض قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ الآية [المائدة:٥٤].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴾ [البقرة:١٦٥].

سادسها: الانقياد، المنافي للإعراض قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [النور:٥١].

سابعها: القبول، المنافي للرد قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء:٦٥].

ثامنها: الكفر بالطاغوت، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وما أحسن أن يموت المسلم على هذه الكلمة قال النبي ﷺ: «**لقنوا هلكاكم لا اله إلا الله**»[١]، أخرجه النسائي عن عائشة رضي الله عنها.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنه: «**لقنوا موتاكم لا اله إلا الله**»[٢]. وهي أثقل كلمة في الميزان يوم القيامة كما سيأتي معنا في موطنه إن شاء الله تعالى في حديث البطاقة.

وهي أفضل كلمة لقول النبي ﷺ: «**أفضل الذكر لا اله إلا الله**»[٣] أخرجه الترمذي عن جابر رضي الله عنه.

ويقول: «**أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّون قَبْلِي عَشِيَّةَ عَرَفَةَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»[٤]، أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

ومن فضائلها أنها نافعة لمن قالها قبل الغرغرة:

فعن المُسَيِّبِ بن حزن رضي الله عنه: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رسول الله ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ الله بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ

---

(١) أخرجه الإمام النسائي في سننه (١٨٢٧)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٥٧٨)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٩١٦).

(٣)أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٣٨٣)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي.

(٤)أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٥٨٥)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي، وصححه في المشكاة برقم (٢٥٩٨).

الْمُغِيرَةِ، قَالَ رَسُول الله لِأَبِي طَالِبٍ: «**يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله**» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ الله بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُول الله يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، فَقَالَ رسول الله ﷺ : «**أَمَا وَالله لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**» **فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى فِيهِ: ية** [التوبة: ١١٣][١]، متفق عليه.

و عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ، قَالَ: «**كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النبي** ﷺ ، **فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النبي** ﷺ **يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ**: «**أَسْلِمْ**»، **فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ** فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، **فَخَرَجَ النبي** ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**»[٢]، أخرجه البخاري.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُول الله عَادَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: «**يَا خَالُ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله**» **فَقَالَ: أَخَالٌ أَمْ عَمٌّ؟ فقَالَ: لَا، بَلْ خَالٌ ، قَالَ: فَخَيْرٌ لِي أَنْ أَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله ؟ فقَالَ النبي** ﷺ : «**نَعَمْ**» [٣]، أخرجه أحمد.

ومما يدل على فضلها أنها عاصمة للنفس والعرض والمال بخلاف غيرها قال رسول الله ﷺ : «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول الله** ﷺ**، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله**» [٤]، متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنه .

---

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٣٠٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٤).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٣٥٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٥٤٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٣٧).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢).

وقوله (﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾): بيان لمعنى: (لا إله إلا الله) من أنه المعبود الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له، لأنه ذو السلطان العظيم، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وكل شيء فقير إليه ذليل لديه، وأما الأصنام والأحجار وغيرها من المعبودات فقد عبدت بباطل، والله الموفق.

۞۞۞

معنى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٨ فإذا قيلَ لَكَ: **مَا مَعْنَى مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله**؟ فَقُلْ: مَعْنَاهَا أَنَّهُ رَسُولُ الله إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، منَ الجِنِّ[ح١] وَالإنْسِ، وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «...وأُرسلْتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً». رواه مُسْلِمٌ.

وَيَجِبُ عَلَيْنَا جَميعًا طَاعَتُهُ وَتَصْديقُهُ وَاجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ، وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا نَهَيتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[ح١] يُقال للجن: ناس كما في «صحيح البخاري» رقم (٤٧١٤)، قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم.

لما بين المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ معنى (لا إله إلا الله) ناسب أن يفسر معنى: محمد رسول الله ﷺ، وذلك للجمع بينهما في الشهادة، ولأن كثيرًا ممن يشهد أن محمدًا رَسُول الله يخالف مدلولها.

وفي معنى قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:٤] لا يُذكر الله عَزَّ وَجَلَّ في الشهادة إلا ذُكر معه محمد ﷺ.

واسم محمد هو أشهر أسمائه وقد ذكر في القران في أربعة مواطن:

قال الله ﷻ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩].

وقال ﷻ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ ﴾ [آل عمران:١٤٤].

وقول الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد:١-٢]. وقال ﷻ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠].

وذكر باسم أحمد في موطن واحد:

قال الله ﷻ مخبرًا عن قول عيسى عليه السلام: ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ ﴾ [الصف:٦].

وقد ذكر العلماء لطيفة في ذلك؛ قالوا لأن عيسى عليه السلام ذكره قبل أن يوجد ويقع منه الحمد أي أنه سيكون حامدا لله ﷻ وأما محمد فهو بمعنى أنه حامدٌ لله ﷻ في الحال مع أنه محمود لكثرة محامده.

قوله (فَقُلْ: مَعْنَاهَا أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ):

معناها أنه رَسُول الله إلى جميع المكلفين من الجن والإنس، ومن الأدلة على عموم رسالته، ومنها **(قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾** [سبأ:٢٨]**)**. ومنها قوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:١]. وقول الله ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨].

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

والناس لفظ يدخل فيه الجن والإنس من النَّوْس وهو الحركة، وفي صحيح البخاري قال ابن مسعود ﵁ : «**كَانَ نَاسٌ مِنَ الإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَاسًا مِنَ الجِنِّ، فَأَسْلَمَ الجِنُّ وَتَمَسَّكَ هَؤُلَاءِ بِدِينِهِمْ**» (١).

ومما يدل على أنه مرسل للناس كافة قول النبي ﷺ : «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﵁.

قوله (وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁): هو عبدالرحمن بن صخر على أرجح الأقوال، أسلم في السنة السابعة وقيل السادسة وصَحِبَ النبي ﷺ أربع سنوات واستقى منه علمًا كثيرا وهو أكثر الصحابة ﵃ رواية عن النبي ﷺ وقد دعا له النبي ﷺ بقوله: «**اللهم حبب عُبيدك أبا هريرة وأمه إلى المؤمنين قال فلا يراني مؤمن إلا أحبني**» (٣) أخرجه مسلم.

قوله («...وأُرسِلْتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً». رواه مُسْلِمٌ(٤)): هو بمعنى الآية، أي: أن الله أرسله إلى جميع المكلفين، يدعوهم إلى التوحيد وتتمة الحديث: «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**»، وقد تقدم شيء من الأدلة في ذلك.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧١٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٠٣٠).
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٥٣).
(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٤٩١).
(٤)أخرجه مسلم (٥٢٣).

قولهُ (وَيَجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا طَاعَتُهُ وَتَصْدِيقُهُ وَاجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ):

يعبر عنها العلماء كثيرًا بقولهم: ومن مقتضى شهادة أن محمدًا رَسُول الله طاعته فيما أمر، **وهذه أول ما تقتضيه هذه الشهادة:**

قال الله ﷻ: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور:٦٣].

وقال النبي ﷺ: «**ما أمرتكم به فاتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه**» متفق عليه.

الثانية: تصديقه فيما أخبر أي أنه يُصدق في كل ما أخبر به من خبر الماضي والمستقبل والحاضر.

والدليل قوله: «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**»[(١)]. فهو الصادق في قوله والمصدوق من ربه.

الثالثة: اجتناب ما نهى عنه وزجر: وقد تقدم الدليل: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه**» أي ابتعدوا عنه ولا تأتوه ومن أتاه فقد خالف أمر النبي ﷺ.

الرابعة: ألا يعبد الله إلا بما شرع قال الله ﷻ: ﴿ **وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا** ﴾ [الأحزاب:٤٦].

وقوله: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ** ﴾ [الشورى:١٣].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٩٧١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾ [الشورى:٢١].

وقول النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور**»[(١)].

قوله (وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ ﴾ [النور:٥٤]).

وطاعة النبي ﷺ طاعة لله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿ **مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ** ﴾ [النساء:٨٠].

و عن أبي هريرة رضي الله عنه.: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ الله، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى الله، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي**»[(٢)] متفق عليه

قوله (وقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس:٥٢]). أي: من الأدلة على صدقهم أن الناس يقولون يوم القيامة هذا ما وعد الرحمن من البعث والجزاء وصدق المرسلون في خبرهم. ويدخل فيهم النبي ﷺ.

ومما يستدل به العلماء على صدق النبي ﷺ أن الله ﷻ هدد من كَذَبَ عليه وتوعده بقوله: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٦٧٦)، وابن ماجه في سننه (٤٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن.

(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٩٥٧)، والإمام مسلم في صحيحه (١٨٣٥).

وقد ادعى النبوة مسيلمة فأخزاه الله وادعتها سجاح فأُكْبِتت وادعاها غير واحد من المتقدمين والمتأخرين فيُخزى على الأشهاد.

ومحمد مكنه الله ونصره وأعزه ورفع قدره وحفظه من مكر أعدائه وهذا يدل على صدق رسالته، ولو كان كاذبًا لانتهى أمره كغيره.

قوله (مَا نَهَيتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ): أي اتركوه وتحيزوا منه ولا تأتوه لأنه حرام، وهذا هو الأصل في نهي النبي ﷺ وقد يأتي للكراهة لكن بقرينة تصرفه عن ذلك مثل نهي النبي ﷺ عن الشرب قائمًا وقد شرب قائما.

وقد قال بعضهم:

إذا ما شربت فاجلس تفز   بسنة صفوة أهل الحجاز
وقد نقلوا شربه قائما   وذلك لبيان الجواز

وقوله (فاجتنبوه): أبلغ من قوله: (فاتركوه)؛ لأن الاجتناب يدل على المباعدة، وعدم المقاربة فضلًا عن الإتيان.

قوله (وَمَا أَمَرْتُكمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ) أي ما طلبته منكم فالأمر هو طلب الفعل كما أن النهي طلب الكف ومن رحمة الله ﷻ أنه قيد الأمر بالاستطاعة. قال الله ﷻ: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وقال الله ﷻ ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا** ﴾ [الطلاق:٧]، وقال ﷻ: ﴿ **فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ** ﴾ [التغابن:١٦].

أي: إن الإنسان يأتي من الواجبات ما استطاع إلى ذلك سبيلا وليس عليه غير ذلك.

وقد رد العلماء على الطحاوي قوله: "ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم".

قال ابن أبي العز رحمه الله **في "شرح الطحاوية"** (ص: ٢٩٦): ولا يصح ذلك، لأنهم يطيقون فوق ما كلفهم به، لكنه سبحانه يريد بعباده اليسر والتخفيف، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]. وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء:٢٨].، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].

فلو زاد فيما كلفنا به لأطقناه، ولكنه تفضل علينا ورحمنا، وخفف عنا، ولم يجعل علينا في الدين من حرج. اهـ

حق الله على عباده

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٩ فإذَا قيلَ لَكَ: مَا حَقُّ الله عَلَى عبَاده؟ فَقُلْ: حَقُّ الله عَلَى عبَاده أنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْركُوا به شَيْئًا، وَالدَّليلُ حَديثُ مُعَاذ بْن جَبَل أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «حَقُّ الله عَلَى العبَاد أنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْركُوا به شَيْئًا، وَحَقُّ العبَاد عَلَى الله ألَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْركُ به شَيْئًا». مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

بعد أن ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ ما يتعلق بأسس الإسلام أتى بالتفصيل بعد الإجمال، وبدأ ببيان حق الله عَزَّ وَجَلَّ على العباد لأنه المقدم رتبة ومعنىً.

ومعرفة حق الله عَزَّ وَجَلَّ من الأمور المتحتمة والواجبة وقد ألف القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **"الواجبات المتحتمة معرفتها على المسلم والمسلمة"**.

وحق الله عَزَّ وَجَلَّ على عباده عظيمٌ به أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ولأجله شرع الجهاد ولمن حققه أعدت الجنان ولمن خالفه أعدت النيران والناس بسببه ينقسمون إلى مؤمن وكافر وبر وفاجر وشقي وسعيد فمن كان من الموحدين فهو من السعداء ومن كان من المشركين المنددين فهو من الأشقياء.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ** ﴾ [الليل ٥-١٠].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ

إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا
دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾ [هود: ١٠٥ – ١٠٨].

قوله ﵀ (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ؟): الحق هو الواجب اللازم أي ما الواجب على العباد تجاه ربهم سبحانه وتعالى.

قوله: (عِبَادِهِ) المراد بهم أهل التكليف وأما قوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾ [مريم:٩٣] المراد بها العبودية العامة.

وهي عبودية القهر والملك والسلطان، قال الله ﷻ: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [الجمعة:١].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ ﴾ [الإسراء:٤٤].

وقد تقدم أن المكلفين هم الجن والإنس وأما الملائكة فهم مسخرون للطاعة، قال الله ﷻ: ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:٦].

قوله ﵀ (فَقُلْ): بلسان الحال والمقال. **(حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ):** أن يوحدوه ويفردوه بما هو له.

والدليل على وجوب إفراد الله بالعبادة: قول الله ﷻ: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النساء:٣٦]، **وقوله** ﷻ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:٢٣]، **وقوله تعالى:** ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩].

وقوله: ﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴾ [الشرح: ٧–٨]، **وقوله** ﷻ: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر:٢]. إلى غير ذلك من الأدلة.

بل إن جميع الرسل بُعِثُوا بذلك، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

قوله: (وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) : أي لا يشركون معه غيره لا في ملكه ولا في حكمه ولا في عبادته، لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا، فإن الشرك ظلم عظيم وجرم جسيم.

قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ [الأحقاف:٤].

وقال ﷻ: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

ففي هذه الآية قطع جميع العلائق حيث أخبر أنه المالك المتفرد بالملك وأنه لا معين له ولا ظهير ولا شريك وأنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه فالأمر أمر الله أولًا وآخرًا.

والأدلة من القران على التحذير من الشرك كثيرة:

قال الله ﷻ: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء:٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣].وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ [فاطر:٣٦]. لأنهم صرفوا حق الله ﷻ لغيره.

وقال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الأنعام:١٣٦].

وقد قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**أنا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»أخرجه مسلم (٢٩٨٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله (والدليل): أي أن إفراد الله بالعبادة هو الحق الواجب على العباد **(حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه)** وجاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه في الصحيحين قال معاذ رضي الله عنه : **كُنْتُ رِدْفَ النبي ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ الله عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى الله ؟»، قُلْتُ: الله ورسوله أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ الله عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى الله أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُول الله أَفَلاَ أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟**

قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا»[١]، متفق عليه.

وقولهُ (أَلا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا): نكره في سياق النهي فتفيد العموم فلا يُشرك به في ألوهيته ولا في ربوبيته ولا في أسمائه وصفاته.

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٨].

سواء كان الشرك الأكبر أو الأصغر فمن مات على شرك لا يغفره الله وهذا هو القول الصحيح في أن الشرك الأصغر غير داخل تحت المشيئة.

بيان الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

١- **الشرك الأكبر** مخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار ويحبط جميع الأعمال ويذهب الإيمان ويباح معه العرض والمال والنفس.

٢-**الشرك الأصغر** لا يخلد صاحبه في النار ولا يحبط جميع الأعمال وإنما يحبط العمل الذي قارنه ولا يباح معه النفس والمال والعرض لأن صاحبه مسلم عاصي مرتكب لكبيرة عظيمة وهي الشرك إلا أنَّ من مات عليه يعذب في النار ثم يخرج منها على الصحيح.

وإن كان شيخنا يحيى حفظه الله في جماهير أهل العلم يرون أن الشرك الأصغر داخل تحت المشيئة، لكن الذي عليه التحقيق أنه غير داخل تحت المشيئة وهو قول شيخ الإسلام رحمه الله وابن القيم واختيار الشيخ ابن عثيمين والشيخ السعدي

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٨٥٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٠).

وقد نقلت في كتابي "**فتح الوهاب شرح كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد ابن عبد الوهاب**" ما يدل على ذلك.

قولهُ (وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا): يعني إن وحدوه وأفردوه بما يجب له أكرمهم بعدم عذابهم، وهذا في حق من حقق التوحيد.

وقولهُ (حق العباد): أي حق أوجبه الله ﷻ على نفسه تفضلًا وكرمًا، ففي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قال رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ**» قَالَ رَجُلٌ: وَلَا إِيَّاكَ؟ يَا رَسُول الله قَالَ: «**وَلَا إِيَّايَ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ الله مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَلَكِنْ سَدِّدُوا**»[١] أخرجه مسلم.

قال النووي رحمه الله في شرح الحديث(١٧/ ١٦٠): وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَيْضًا أَنَّ الله تَعَالَى لَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ تَعَالَى الله بَلِ الْعَالَمُ مُلْكُهُ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ فِي سُلْطَانِهِ يَفْعَلُ فيهما ما يشاء فلو عَذَّبَ الْمُطِيعِينَ وَالصَّالِحِينَ أَجْمَعِينَ وَأَدْخَلَهُمُ النَّارَ كَانَ عَدْلًا مِنْهُ وَإِذَا أَكْرَمَهُمْ وَنَعَّمَهُمْ وَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ فَهُوَ فَضْلٌ مِنْهُ وَلَوْ نَعَّمَ الْكَافِرِينَ وَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ كَانَ لَهُ ذَلِكَ وَلَكِنَّهُ أَخْبَرَ وَخَبَرُهُ صِدْقٌ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ هَذَا بَلْ يَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَيُخَلِّدُهُمْ في النار عدلا منه وَأَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ فَيُثْبِتُونَ الْأَحْكَامَ بِالْعَقْلِ وَيُوجِبُونَ ثَوَابَ الْأَعْمَالِ وَيُوجِبُونَ الْأَصْلَحَ وَيَمْنَعُونَ خِلَافَ هَذَا فِي خَبْطٍ طَوِيلٍ لَهُمْ تَعَالَى الله عَنِ اخْتِرَاعَاتِهِمُ الْبَاطِلَةِ الْمُنَابِذَةِ لِنُصُوصِ الشَّرْعِ وَفِي ظَاهِرِ هَذِهِ الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أَحَدٌ الثَّوَابَ وَالْجَنَّةَ بِطَاعَتِهِ وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى اُدْخُلُوا

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٦٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨١٦).

الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كنتم تعملون وَنَحْوُهُمَا مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ يُدْخَلُ بِهَا الْجَنَّةُ فَلَا يُعَارِضُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ بَلْ مَعْنَى الْآيَاتِ أَنَّ دُخُولَ الْجَنَّةِ بِسَبَبِ الْأَعْمَالِ ثُمَّ التَّوْفِيقِ لِلْأَعْمَالِ وَالْهِدَايَةِ لِلْإِخْلَاصِ فِيهَا وَقَبُولِهَا بِرَحْمَةِ الله تَعَالَى وَفَضْلِهِ فَيَصِحُّ أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ بِمُجَرَّدِ الْعَمَلِ وَهُوَ مُرَادُ الْأَحَادِيثِ وَيَصِحُّ أَنَّهُ دَخَلَ بِالْأَعْمَالِ أَيْ بِسَبَبِهَا وَهِيَ مِنَ الرَّحْمَةِ. اهـ

تنبيه مهم:

قول النووي رَحِمَهُ اللهُ: "فلو عَذَّبَ الْمُطِيعِينَ وَالصَّالِحِينَ أَجْمَعِينَ وَأَدْخَلَهُمُ النَّارَ كَانَ عَدْلًا مِنْهُ"، هذا قول باطل جرى فيه على عقيدة الأشاعرة في تجويز عقاب المحسن.

حتى قال السفاريني رَحِمَهُ اللهُ:

وجـاز للمـولى يعـذب الـورى — من غير ما ذنب ولا جرم جرى
فـكل مـا منـه تعـالى يجمـل — لأنـه عن فعـله لا يسـأل
فـإن يثـب فإنـه مـن فضـله — وإن يعـذب فـبمحض عـدله

إذ يرد هذا قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ [فصلت:٤٦]. وقوله تعالى: ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ [الكهف:٤٩].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ في "**شرح العقيدة السفارينية**" (١/ ٣٤٠): قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

فـكل مـا منـه تعـالى يجمـل — لأنـه عـن فعلـه لا يسـأل

علل ذلك بتعليلين: التعليل الأول: أن كل شيء من الله فهو جميل.

التعليل الثاني: أن الله لا يسأل عن فعله، كما قال الله تعالى: ﴿ **لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ** ﴾ [الأنبياء:٢٣].

ولكن هذا القول والتعليل لهذا القول كلاهما باطل ولا نقول: ضعيف بل نقول: إنه باطل؛ لأنه مخالف للنص الصريح في كتاب الله.

قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ** ﴾ [هود:١١٧]. وقال تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا** ﴾ [طه:١١٢]. وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا** ﴾ [يونس:٤٤].

وقال تعالى: ﴿ **مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ [فصلت:٤٦] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فإذا قلنا: إن من آمن واتقى ومات على ذلك جاز أن يعذبه الله صار هذا القول مخالفًا لنص القرآن.

ثم، هذا الفعل غير جميل، والله سبحانه وتعالى لا يفعل إلا الجميل، وفي الحديث القدسي الصحيح أن الله تعالى قال: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا**»[(١)].

ثم إن تعذيب المطيع القائم بأمر الله ليلًا ونهارًا حتى مات، لا أحد يشك في أنه ظلم وأنه غير جميل.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧٧)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

إذا سقط التعليل الأول في قوله: (فكل ما منه تعالى يجمل)، فإن عقوبة المطيع ليست جميلة، فلا يصدق عليها هذا التعليل.

أما التعليل الثاني في قوله: (لأنه عن فعله لا يسأل) فهذا صحيح، فالله تعالى لا يسأل عما يفعل، فلا يسأل لماذا هدى هذا الرجل حتى استقام، ولماذا أضل الآخر حتى انحرف، فلا يسأل عن هذا؟

لأن الله له الحكمة فيما قدر، لكن بعد أن يوجد السبب المقتضي للثواب أو العقاب، فلو أن الله عاقبه لكان هناك سؤال عن سبب معاقبة الله لهذا الرجل، ولهذا أيضًا يسقط هذا التعليل، ويحمل - إذا أردنا أن نجعله صحيحًا - على أنه لا يسأل عن فعله في إيجاد الأسباب المقتضية للعذاب أو للثواب.

فإذا قال قائل: أليس الخلق كله ملكًا لله؟ وإذا كان ملكًا له أفلا يمكن أن يقال: إن له أن يفعل في ملكه ما شاء؟

فالجواب: بلى، ولكن نقول: هو نفسه ﷻ أخبر بأنه لا يمكن أن يظلم أحدًا، ولا يمكن أن يعذب طائعًا، فيكون هذا الشيء - أي تعذيب المطيع - ممتنعًا بمقتضى خبر الله ﷻ، وبمقتضى أسمائه وصفاته، وأنه ﷻ احكم الحاكمين واعدل العادلين.

فحينئذٍ يكون ممتنعًا لأخبار الله بأنه لا يظلم أحدًا، وأن ﴿ **مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ** ﴾ [فصلت:٤٦].

﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ** ﴾ [الزلزلة:٧] إلى غير ذلك من الآيات.

وصلنا هنا فهو ممتنع لهذا الوعيد، وإلا فمن المعلوم أن الله يفعل في خلقه ما يشاء، لكن هو نفسه سبحانه وتعالى حرم على نفسه الظلم وأوجب على نفسه أن

يثيب المطيع، قال الله ﷻ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:٥٤].

وبناء على ذلك صار قول المؤلف رحمه الله:

وجاز للمولى يعذب الورى من غير ما ذنب ولا جرم

قولًا باطلًا مخالفًا للكتاب والسنة، ومخالفًا لما تقتضيه أسماء الله وصفاته.

وأما التعليلان المذكوران: فهما أيضًا غير صحيحين بالنسبة لهذه المسالة؛ **لأنه إذا قال:** كل فعل من أفعال الله فهو جميل. **قلنا:** لا جميل في تعذيب المطيع.

وإذا قال: لأنه عن فعله لا يسأل. **قلنا:** هذا في منع السبب المقتضي للثواب أو العقاب، فإذا هدى شخصًا وأضل شخصًا فإنه لا يسأل، لكن إذا وجد الضلال أو الهدى فإنه لا بد أن يترتب عليهما مقتضاهما من ثواب في الهدى، وعقاب في الضلال.اهـ

ومعنى: (لا يعذب من لا يشرك به شيئًا): يقال في صاحب الكبيرة من المسلمين إن شاء الله أن يعذبه لا يعذبه عذاب خلود في النار أو أن الله ﷻ يمنُ على من شاء من عباده بالمغفرة والتجاوز.

أو أنه يُحمل على أُناسٍ حققوا التوحيد والتزموا مقتضياته وشرائعه ظاهرًا وباطنًا، وهو ما بوب عليه الإمام المجدد في كتاب التوحيد: (باب من حقق التوحيد دخل الجنة من غير حساب ولا عذاب).

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه عند مسلم: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ**

نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»، فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، كَأَنَّ رَسُول الله ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ. [(١)].

وهذه الفقرة مع ما سيأتي إن شاء الله دليل على فضل التوحيد، وأنه الحسنة العظيمة التي من حافظ عليها كان من المقربين إلى رب العالمين، والله الموفق.

❁❁❁

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٥).

ما هو الشرك

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

﴿ ١٠ ﴾ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: **مَا هُوَ الشِّرْكُ؟** فَقُلْ: هُوَ عِبَادَةُ غَيْرِ اللهِ ﷻ، فَكُلُّ مَا كَانَ عِبَادَةً للهِ ﷻ فَصَرْفُهُ لِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

لما بين المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ حق الله ﷻ الواجب على العباد، ناسب أن يبين ما يناقضه وهو الشرك بالله ﷻ، ويعبر عنه في القرآن بالشرك والكفر والظلم وغير ذلك، والأدلة على النهي عنه أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر.

ولابد للمكلف أن يعرف التوحيد والشرك لأن كثيرًا من عباد القبور يظنون شركهم توحيدًا وفعلهم حميدًا وإذا سألتهم ما هذا الذي تصنعونه عند قبر العيدروس أو هود أو فلان وفلان قالوا هذا ليس بشرك هذا معرفة لحق الصالحين والأولياء، وهذا هو التوحيد، إذ أنهم يقربونا إلى الله وعندهم شفاعة وقربة، وهذا هو قول المشركين الأول كما سيأتي إن شاء الله.

وقد ذكر الإمام المجدد في الأصول الستة ما يبين ذلك حيث قال:

الأصل الأول: إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين وأتباعهم. اهـ

قولهُ (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا هُوَ الشِّرْكُ؟) مأخوذ من المشاركة، وقد أشرك بالله إذا جعل له شريكًا، والشرك الكفر.

قولهُ (هو عبادة غير الله ﷻ): أي تعريف الشرك اصطلاحًا: هو صرف العبادة التي هي حق الله ﷻ لغيره.

فمثلا: الدعاء عبادة يجب أن تصرف لله ﷻ قال الله ﷻ: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ [غافر:٦٠].

فمن دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك، والنذر عبادة فمن صرفه لغير الله فقد أشرك، والاستعانة والاستغاثة عبادة فمن استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ فقد اشرك، والركوع والسجود عبادة فمن صرفها لغير الله ﷻ فقد أشرك وهكذا يقال في بقية العبادات فكل ما أمر الله أن يصرف له فصرفه لغير الله شرك، وصرفه لله ﷻ عبادة وينبغي للمكلف أن تكون حركاته وسكناته لله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [الأنعام:١٦٢].

وفي الأثر المروي عن سلمان رضي الله عنه : دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ فِي ذُبَابٍ ، قَالُوا: وَمَا الذُّبَابُ؟، فَرَأَى ذُبَابًا عَلَى ثَوْبِ إِنْسَانٍ، فَقَالَ: هَذَا الذُّبَابُ ، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَاكَ؟، قَالَ: مَرَّ رَجُلَانِ مُسْلِمَانِ عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى صَنَمٍ لَهُمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: قَرِّبَا لِصَنَمِنَا قُرْبَانًا قَالَا: لَا نُشْرِكُ بِالله شَيْئًا، قَالُوا: قَرِّبَا مَا شِئْتُمَا وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا تَرَى؟، قَالَ أَحَدُهُمَا: لَا نُشْرِكُ بِالله

شَيْئًا، فَقُتِلَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ الْآخَرُ: بِيَدِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَأَخَذَ ذُبَابًا فَأَلْقَاهُ عَلَى الصَّنَمِ فَدَخَلَ النَّارَ»(١) أخرجه البيهقي في الشعب.

قوله (فكل ما كان عبادة فصرفه لغير الله شرك الدليل، قول الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء:٣٦]) .

أي فكل ما ثبت أنه عبادة فيجب أن يصرف لله ﷻ ولا يصرف لغيره، مهما علت رتبته ومنزلته.

وانظر لإنكار رَسُول الله ﷺ على من قال: ما شاء الله وشاء محمد قال: «**أجعلتني لله ندًا قل ما شاء الله وحده**»(٢).

ولما قالوا: «يا سيدنا وابن سيدنا قال رسول الله ﷺ : «**السيد الله**»(٣).

فتلخص: أن الشرك شبكة شائكة من دخل فيه قيده وأحبطه كما أن الصلاة لا تصح إلا بالطهارة كذلك العبادة لا تصح إلا بالتوحيد ومن أشرك بالله أو مع الله ﷻ كان كمن أحدث في الصلاة، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا مع الفرق الواسع بين الأمرين، فإن الصلاة تصح من فاقد الطهورين في أوقات أما التوحيد فلا يصح إلا بنبذ الشرك والتنديد.

---

(١) قال الإمام الألباني رحمه الله في الضعيفة برقم (٥٨٢٩): أخرجه أحمد في " الزهد " (ص ١٥ - ١٦)، فذكره موقوفا عليه. ثم قال رحمه الله : وبالجملة؛ فالحديث صحيح موقوفا على سلمان الفارسي رضي الله عنه ؛ إلا أنه يظهر لي أنه من الإسرائيليات التي كان تلقاها عن أسياده حينما كان نصرانيا.

(٢)أخرجه البخاري في " الأدب المفرد " (٧٨٧)، وابن ماجه (٢١١٧)، والطحاوي في " المشكل " (١ / ٩٠) والبيهقي (٣ / ٢١٧) وأحمد (١ / ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧)، وهو في الصحيح المسند للوادعي رحمه الله وفي الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله برقم (١٣٩) .

(٣)أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٠٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٥٨٥)، من طريق مطرف، عن أبيه عبد الله بن الشخير رضي الله عنه .

وفي حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه عند الترمذي: «**وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ فَقَالَ هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِك**»[(١)].

تنبيه: الشرك قد يقع في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات أو في بعضها.

شرك الربوبية: وهو صرف خصائص الربوبية أو بعضها لغير الله عز وجل مثل اعتقاد أن غير الله ينفع أو يضر أو يرفع أو يخفض أو يعافي أو غير ذلك من أفعال الله عز وجل.

شرك الألوهية: وهو أن يجعل لله ندًا في العبادة أو التشريع وهو صرف العبادة كالصلاة والنذر والاستعانة والاستغاثة لغير الله عز وجل.

شرك الأسماء والصفات: وهو مشاركة غير الله لله عز وجل في شيء من خصائصه تعالى. فعن هَانِئٍ رضي الله عنه أَنَّهُ لَمَّا وَفَدَ إِلَى رَسُول الله صلى الله عليه وسلم مَعَ قَوْمِهِ سَمِعَهُمْ يَكْنُونَهُ بِأَبِي الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، فقَالَ: «**إِنَّ الله هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ؟**» **فَقَالَ**: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فقَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟**» قَالَ: لِي شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ الله، قَالَ: «**فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟**» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «**فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ**»[(٢)] أخرجه أبو داود. أسأل الله السلامة.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٨٦٣)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٢٨٥).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٩٥٥)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٨١١)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

حكم تصوير ذوات الأرواح

١١ فإذا قيلَ لَكَ: **فَمَا حُكْمُ تَصْوير ذَوَات الأَرْوَاح؟** فَقُلْ: تَصْوِيرُ ذَوَات الأَرْوَاح منْ كَبَائر الذُّنوب، وَالدَّليلُ حَديثُ ابْن مَسْعُود رضي الله عنه أَنَّ النَّبىَّ ﷺ قَالَ: «إنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَحَديث أَبِي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: «نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ، وَثَمَنِ الدَّمِ... وَلَعَنَ المُصَوِّرَ». أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ.

ناسب وضع لهذه الفقرة في هذا الموطن لأن الكلام عن تصوير ذوات الأرواح يتعلق بأمرين:

الأول: سد ذريعة الشرك. **الثاني:** مضاهاة خلق الله تعالى.

وتضمنت هذه الفقرة مسألة عظيمة من المسائل التي ابتلي بها الناس وهي تصوير ذوات الأرواح، وهي من المحرمات وكبائر الذنوب.

دل على ذلك صحيح السنة ومن ذلك:

ما في «صحيح مسلم» (٢١٠٤): عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: وَاعَدَ رَسُول الله جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فِي سَاعَةٍ يَأْتِيهِ فِيهَا، فَجَاءَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأْتِهِ، وَفِي يَدِهِ عَصًا، فَأَلْقَاهَا مِنْ يَدِهِ، وَقَالَ: «**مَا يُخْلِفُ الله وَعْدَهُ وَلَا رُسُلُهُ، ثُمَّ الْتَفَتَ؛ فَإِذَا جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ مَتَى دَخَلَ هَذَا الْكَلْبُ هَاهُنَا؟**» فَقَالَتْ: وَالله مَا دَرَيْتُ؛ فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، فَجَاءَ جِبْرِيلُ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**وَاعَدْتَنِي فَجَلَسْتُ لَكَ فَلَمْ تَأْتِ، فَقَالَ: مَنَعَنِي الْكَلْبُ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِكَ، إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ**».

وأخرج مسلم أيضا (٢١٠٥): عن ميمونة ﵂، قالت: أَنَّ رَسُول الله أَصْبَحَ يَوْمًا وَاجِمًا، فَقَالَتْ مَيْمُونَةُ: يَا رَسُول الله لَقَدْ اسْتَنْكَرْتُ هَيْئَتَكَ مُنْذُ الْيَوْمِ، قَالَ رسول الله ﷺ : «**إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ وَعَدَنِي أَنْ يَلْقَانِي اللَّيْلَةَ، فَلَمْ يَلْقَنِي، أَمَ وَالله مَا أَخْلَفَنِي**» قَالَ: فَظَلَّ رَسُول الله يَوْمَهُ ذَلِكَ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ فُسْطَاطٍ لَنَا، «**فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ مَاءً فَنَضَحَ مَكَانَهُ، فَلَمَّا أَمْسَى لَقِيَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ لَهُ: قَدْ كُنْتَ وَعَدْتَنِي أَنْ تَلْقَانِي الْبَارِحَةَ؟ قَالَ: أَجَلْ، وَلَكِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ**» فَأَصْبَحَ رَسُول الله يَوْمَئِذٍ؛ فَأَمَرَ بِقَتْلِ الْكِلَابِ، حَتَّى إِنَّهُ يَأْمُرُ بِقَتْلِ كَلْبِ الْحَائِطِ الصَّغِيرِ، وَيَتْرُكُ كَلْبَ الْحَائِطِ الْكَبِيرِ.

وعن أبي طلحة ﵁ ، عن النبي ﷺ قال: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة**» أخرجه البخاري (٣٢٢٥)، ومسلم (٢١٠٦).

وأخرج مسلم (٢١٠٧): قالت عائشة ﵂: «**كَانَ لَنَا سِتْرٌ فِيهِ تِمْثَالُ طَائِرٍ، وَكَانَ الدَّاخِلُ إِذَا دَخَلَ اسْتَقْبَلَهُ، فَقَالَ لِي رسول الله ن : «حَوِّلِي هَذَا؛ فَإِنِّي كُلَّمَا دَخَلْتُ فَرَأَيْتُهُ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا**» قَالَتْ: وَكَانَتْ لَنَا قَطِيفَةٌ كُنَّا نَقُولُ عَلَمُهَا حَرِيرٌ، فَكُنَّا نَلْبَسُهَا.

وأخرج البخاري برقم (٢٤٧٩): قالت: دَخَلَ عَلَيَّ النبي ﷺ وَفِي الْبَيْتِ قِرَامٌ فِيهِ صُوَرٌ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ، ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ، وَقَالَتْ: قَالَ النبي ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ**».

وعنها ﵂ قالت: «**دَخَلَ عَلَيَّ رَسُول الله وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ هَتَكَهُ وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ، وَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ الله**» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَطَعْنَاهُ، فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ.

وفي لفظ لها ﵄ عند البخاري (٢١٥٠): «**إِنَّ أَصْحَابَ الصُّوَرِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَهَا، يُعَذَّبُونَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**».

وفي البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩): عن عبدالله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْمُصَوِّرُونَ**».

ولهما البخاري (٢٢٢٥) ومسلم (٢١١٠): عند سعيد بن أبي الحسن قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ﵁ ، فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ أُصَوِّرُ هَذِهِ الصُّوَرَ، فَأَفْتِنِي فِيهَا، فَقَالَ لَهُ: ادْنُ مِنِّي، فَدَنَا مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: ادْنُ مِنِّي، فَدَنَا حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، قَالَ: أُنَبِّئُكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رسول الله ﷺ ، سَمِعْتُ رَسُول الله يَقُولُ: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ**»، وقَالَ: «**إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلًا، فَاصْنَعْ الشَّجَرَ وَمَا لَا نَفْسَ لَهُ؛ فَأَقَرَّ بِهِ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ**».

وفي لفظ لهما: «**مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا، كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**».

ولهما: عن أبي هريرة ﵁ ، قال: سمعت رَسُول الله يقول: «**قال الله ﷻ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا شعيرة**»[1].

ولمسلم (٢١١٢): عن أبي هريرة﵁ ، قال: قَالَ رسول الله ﷺ : «**لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ تَمَاثِيلُ أَوْ تَصَاوِيرُ**».

قال النووي ﵀ في شرح أحاديث الباب: قال أصحابنا وغيرهم من العلماء: تصوير صورة الحيوان حرام، شديد التحريم، وهو من الكبائر؛ لأنه متوعد عليه

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٥٥٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١١١).

بهذا الوعيد الشديد المذكور في الأحاديث، وسواء صنعه بما يمتهن أو بغيره، فصنعته حرام بكل حال؛ لأن فيه مضاهاة لخلق الله تعالى، وسواء ما كان في ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء أو حائط أو غيرها، وأما تصوير صورة الشجر ورحال الإبل وغير ذلك، مما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام، هذا حكم نفس التصوير. اهـ

ونزيد على هذا: ما أخرجه مسلم في «صحيحه» (٩٦٩): عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال لأبي الهياج: ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ: «**لا تدع قبرًا مشرفًا إلا سويته، ولا صورة إلا طمستها**».

قال الشيخ مقبل رحمه الله في "إجابة السائل" (٢٤٩): صورة نكرة في سياق النفي، يشمل كل صورة بعدها يأتي بفتوى صاحب الفضيلة: أنه قد أجاز أن يتصور الشخص في التلفزيون، وأن يتصور بالفيديو من أجل الدعوة. اهـ

فخلصنا بهذه الأحاديث: التي غيرها أكثر منها إلى أن تصوير ذوات الأرواح من كبائر الذنوب والآثام، فعلى المسلم البعد عن هذه البلية العظيمة، والفتنة الجسيمة التي وقع فيها الناس لضعف استقامتهم وجهلهم بدين رب العالمين، وسنة سيد المرسلين.

وأما الاستدلال بصنع عائشة رضي الله عنها للعب، أو الفرس الذي له أجنحة، فجوابه من أوجه:

الأول: أنها كانت غير مكلفة في ذلك الوقت، وهذا الجواب قد يكون بعيدًا.

الثاني: أنها إنما تصنع كهيئة ما ذكر، وليس معناها أنها تضاهي خلق الله عز وجل.

والثالث: أن ما صنعه الطفل للعب لا ينكر عليه فيه.

الرابع: أنه لم يرد أن النبي ﷺ أعانها.

وأما الاستدلال بفعل الحكومات من التصوير للجوازات والبطائق، فالإثم عليهم، ولم يكن إلزامهم هذا شرع لنا يجب علينا فعله، وإن فعلناه فالإثم على من ألزم مع فعلنا له مع الكراهة، ولا يستدل بالباطل على جواز الباطل.

وقال شيخنا مقبل رحمه الله في "تحفة المجيب"(٦٢): التصوير محرم، فالنبي ﷺ يقول: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة**»، ويقول: «**لعن الله المصوّرين**»[(١)].

وفي "**جامع الترمذي**" : من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**تخرج عنق من النّار يوم القيامة، لها عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق، يقول: إنّي وكّلت بثلاثة: بكلّ جبّار عنيد، وبكلّ من دعا مع الله إلهًا آخر، وبالمصوّرين**»[(٢)].

وقد أبى النبي ﷺ أن يدخل حجرة عائشة رضي الله عنها : «**وقد سترت سهوةً لها بقرام فيه تصاوير**»[(٣)].

فهذا دليل يرد على الذين يقولون: ليس هناك محرم إلا المجسمة. فقد أبى النبي ﷺ أن يدخل الحجرة حتى هتك الستار وقال: «**إنّ من أشدّ النّاس عذابًا يوم القيامة، الّذين يصوّرون هذه الصّور**». والذي لا بد منه مثل رخصة القيادة، وجواز السفر، والبطاقة، فالإثم على الحكومة. اهـ

(١) أخرجه البخاري (٢٠٨٦) عن أبي جحيفة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٥٧٤)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٤٠٦)، وقال فيه: هذا حديث صحيح ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٢٢٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٠٧).

وفي "**فتاوى اللجنة الدائمة**"(١/ ٦٦٠-٦٦١): لا شك أن تصوير كل ما فيه روح حرام، بل من الكبائر؛ لما ورد في ذلك من الوعيد الشديد في نصوص السنة، ولما فيه من التشبه بالله في خلقه الأحياء، ولأنه وسيلة إلى الفتنة وذريعة إلى الشرك في كثير من الأحوال، والإثم يعم من باشر التصوير ومن كلفه به وكل من أعانه عليه أو تسبب فيه؛ لأنهم متعاونون على الإثم، وقد نهى الله عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢].

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم. اهـ

وفي نفس المرجع (١/ ٦٦٦): لا يجوز تصوير ذوات الأرواح بالكاميرا أو غيرها من آلات التصوير، ولا اقتناء صور ذوات الأرواح ولا الإبقاء عليها إلا لضرورة كالصور التي تكون بالتابعية أو جواز السفر.

أقول: ويكون الإثم في هذه الحالة على من ألزم بالتصوير كما هو معلوم من قواعد الشريعة. اهـ

وفي نفس المصدر (١/ ٦٦٩): التصوير الفوتوغرافي الشمسي من أنواع التصوير المحرم، فهو والتصوير عن طريق النسيج والصبغ بالألوان والصور المجسمة سواء في الحكم، والاختلاف في وسيلة التصوير وآلته لا يقتضي اختلافا في الحكم، وكذا لا أثر للاختلاف فيما يبذل من جهد في التصوير صعوبة وسهولة في الحكم أيضا، وإنما المعتبر الصورة فهي محرمة وإن اختلفت وسيلتها وما بذل فيها من جهد، وظهور صورتي في مجلتي المجتمع والاعتصام مع فتواي في أحكام الصيام في شهر رمضان ليس دليلا على إجازتي التصوير، ولا على رضاي به، فإني لم أعلم بتصويرهم لي. اهـ

شبهة وجوابها:

وأما من قال بأن التصوير الشمسي، كارتسام الصورة في المرآة؟

فالرد عليه ما في "**مجموع فتاوى اللجنة الدائمة**" (١/ ٦٧٣):

وليس التصوير الشمسي مجرد انطباع، بل عمل بآلة ينشأ عنه الانطباع فهو مضاهاة لخلق الله بهذه الصناعة الآلية. ثم النهي عن التصوير عام؛ لما فيه من مضاهاة خلق الله والخطر على العقيدة والأخلاق دون نظر إلى الآلة والطريقة التي يكون بها التصوير.اهـ

شبهة تصوير ذوات الأرواح للتوضيح في الدراسة:

أجابت اللجنة الدائمة كما في "**مجموع فتاواها**" (١/ ٦٨٤):

تصوير ذوات الأرواح حرام مطلقا؛ لعموم الأحاديث التي وردت في ذلك وليست ضرورية للتوضيح في الدراسة، بل هي من الأمور الكمالية لزيادة الإيضاح، وهناك غيرها من وسائل الإيضاح يمكن الاستغناء بها عن الصور في تفهيم الطلاب والقراء، وقد مضى على الناس قرون وهم في غنى عنها في التعليم والإيضاح وصاروا مع ذلك أقوى منا علما وأكثر تحصيلا، وما ضرهم ترك الصور في دراستهم، ولا نقص من فهمهم لما أرادوا ولا من وقتهم وفلسفتهم في إدراك العلوم وتحصيلها، وعلى هذا لا يجوز لنا أن نرتكب ما حرم الله من التصوير لظننا أنه ضرورة، وليس بضرورة لشهادة الواقع بالاستغناء عنه قرونا طويلة، وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم. اهـ

فتبين: من هذه الأدلة الصحيحة الصريحة المتواترة مع أقوال العلماء الموافقة لها تحريم تصوير ذوات الأرواح، كيفما تصرف بالفيديو،

أو التلفزيون، أو الكاميرا، أو النحت، أو التطريز والنسج، فلا يأتي بعد ذلك متقول ويقول بالجواز.

وأما الاحتجاج بالضرورة، فالضرورة لها ضوابطها، وليس كل ما زعموه ضرورةً يكون ضرورة، وقد تكلمت على توسع المبتدعة فيما يسمونه بالإكراه والضرورةً، والمصالح المرسلة في كتابي: "**المبحث البديع في أسباب وحلول ونتائج التمييع**" فراجعه إن شئت، ولشيخنا الإمام مقبل بن هادي الوادعي: رسالة في "**حكم تصوير ذوات الأرواح**".

قولهُ (من كبائر الذنوب): أي أن التصوير معصية كبيرة، والكبيرة لابد من توبة لتكفيرها، وقد اختلف العلماء في عدها فقيل سبع وقيل: سبعون وقيل سبعمائة وقيل أكثر وقيل أقل وضابط ذلك أن الكبيرة ما توعد عليه بالنار أو حرمان من الجنة، وما جاء فيه براءة أو لعن لصاحبه أو ما رتب عليه حدٌ في الكتاب والسنة.

والذنوب تنقسم إلى قسمين: ١- كبائر ٢- صغائر.

فأما الكبائر: فلا تغفر إلا بالتوبة على قول جماهير العلماء، **وأما الصغائر**: فلها مكفرات كثيرة مثل ما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**»[1] أخرجه مسلم.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣٢).

وقد قال الله ﷻ: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء:٣١]. وقال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [النجم:٣٢].

قولهُ (والدليل): أي على تحريم تصوير ذوات الأرواح، حديث عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه وهو أبو عبدالرحمن الهذلي هاجر إلى الحبشة وهاجر إلى المدينة، وهو من حفاظ القرآن وعلماء الأمة وله فضائل مشهورة، وفي غير كتاب مذكورة منها: أن رَسُول الله قال: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**» قَالُوا: يَا نَبِيَّ الله، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»[١] أخرجه أحمد.

قولهُ (أن النبي ﷺ قال إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون): وهذا مؤكد بعدة توكيدات القسم المحذوف وحرف التوكيد إنَّ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «**يخرج عنقٌ من النار يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبمن دعا مع الله إلهًا آخر وبالمصورين**» أخرجه أحمد (٨٤٣٠) .

قولهُ (وحديث أبي جحيفة): وهو وهب بن عبدالله السوائي رضي الله عنه.

قولهُ (نهى رَسُول الله عن ثمن الكلب): أي حرم ثمن الكلاب فلا يجوز بيعها ولا شرائها ولا اقتنائها إلا إذا كان كلب صيد أو ماشية أو زرع، فيجوز أن تقتنى لكن بغير البيع والشراء.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «**مَنِ اقْتَنَى كَلْبًا، لَيْسَ بِكَلْبِ مَاشِيَةٍ، أَوْ ضَارِيَةٍ،**

---

(١) أخرجه الطيالسى (رقم ٣٥٥)، وأحمد (رقم ٣٩٩١)، وأبو نعيم فى " الحلية " (١/ ١٢٧)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٨٣٧)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

نَقَصَ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عَمَلِهِ قِيرَاطَانِ»[١] متفق عليه.

وقد أمر النبي ﷺ بقتل الكلاب ثم نهى عن ذلك وقال: «**عليكم بالأسود البهيم فإنه شيطان**»[٢]، أخرجه مسلم عن جابر رضي الله عنه .

قوله (ثمن الدم): قال الشوكاني رحمه الله في **"نيل الأوطار" (٥/ ١٧١):** قوله: (حَرَّمَ ثَمَنَ الدَّمِ): اُخْتُلِفَ فِي الْمُرَادِ بِهِ فَقِيلَ: أُجْرَةُ الْحِجَامَةِ فَيَكُونُ دَلِيلًا لِمَنْ قَالَ: بِأَنَّهَا غَيْرُ حَلَالٍ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ ثَمَنُ الدَّمِ نَفْسِهِ، فَيَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ بَيْعِهِ، وَهُوَ حَرَامٌ إجْمَاعًا كَمَا فِي الْفَتْحِ. اهـ

قوله (ولعن المصور): هذا هو الشاهد من أنه لعن من يباشر التصوير، وهذا دليل على أنها كبيرة حيث لعن فاعلها.

قلت في كتابي: "فتح الوهاب شرح كتاب التوحيد": **اللعن**: هو الطرد من رحمة الله، وقد يكون الطرد جزئيًا وقد يكون كليًا، فالكافر يلعن، واللعن في حقه طردًا كليًا من رحمة الله سبحانه وتعالى.

واللعن ينقسم إلى قسمين:

الأول: لعن بالوصف كقولهم لعن الله السارق ونحو هذا.

الثاني: لعن بالشخص كقولهم لعن الله زيدا.

وجماهير أهل العلم على أنه لا يجوز لعن الشخص الحي المعين، وإنما يُلعن من يستحق اللعن بالوصف، والمسألة خلافية والخلاف فيها مبسوط.

---

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٣٢٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٥٧٥).

(٢)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٥٧٢).

وقد نقلت نقولات كثيرة عن ابن مفلح كما في "**الآداب الشرعية**"، وعن شيخ الإسلام وغيره في ردي على طارق السويدان الموسوم: بـ "**البيان في لعن اليهود والنصارى والرد على طارق السويدان**".

وتلخص لنا: أن من العلماء من حرم لعن المعين مطلقًا: لا المؤمن ولا الكافر إلا من مات على كفره، قالوا: وذلك لأن اللعن دعاء بالطرد من رحمة الله، والكافر الحي قد يسلم.

ومن العلماء من جوّز لعن المستحق، سواء كان كافرًا أو مسلمًا، ويستدل من جوز لعن المعين بما أخرج الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٠٠):

من حديث عائشة رضي الله عنها الذي قَالَتْ: **دَخَلَ عَلَى رَسُول الله رَجُلَانِ فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ، لَا أَدْرِي مَا هُوَ فَأَغْضَبَاهُ، فَلَعَنَهُمَا، وَسَبَّهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَا، قُلْتُ: يَا رَسُول الله مَنْ أَصَابَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا، مَا أَصَابَهُ هَذَانِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكِ» قَالَتْ: قُلْتُ: لَعَنْتَهُمَا وَسَبَبْتَهُمَا، قَالَ: «أَوَ مَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قُلْتُ: اللهم إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ، أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا»**.

وقد يقول قائل: هذا النبي صلى الله عليه وسلم قد قال: «**اللهم إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ، أَوْ لَعَنْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً**»، يقال: نعم، لكن الرَّسُول صلى الله عليه وسلم اشترط على ربه، لمن ليس لها أهل، وأما من كان لها أهل فلم تكن له زكاة ورحمة.

وقد لعن كثيرٌ من العلماء المريسي، وجهم بن صفوان، والجعد بن درهم، وغيرهم من رؤوس الضلال، ولعن الإمام يحيى بن معين رحمه الله الكرابيسي.

وأما اللعن بالوصف فمنها ما عند الترمذي (١٢٩٥) وغيره: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁، قَالَ: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ فِي الخَمْرِ عَشَرَةً: عَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالمَحْمُولَةُ إِلَيْهِ، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَآكِلَ ثَمَنِهَا، وَالمُشْتَرِي لَهَا، وَالمُشْتَرَاةُ لَهُ**».

وفي صحيح مسلم (٢١٢٥) عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود ﵁، قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ» قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ: مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «وَمَا لِيَ لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رسول الله ﷺ؟ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللهِ**».

ويأتي اللعن بمعنى السب؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ: يَا رسول الله ﷺ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ**»، أخرجاه[١]، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﵄.

❁❁❁

(١) البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠).

بيان تعلق تصوير ذوات الأرواح بالشرك

﴿ ١٢ ﴾ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: فَمَا تَعَلُّقُ تَصْوِيرِ ذَوَاتِ الأَرْوَاحِ بِالشِّرْكِ؟ فَقُلْ: إِنَّ التَّصْوِيرَ خَلْقٌ يَكُونُ بِهِ المُصَوِّرُ مُضَاهِيًا وَمُشَارِكًا للهِ ﷻ فِي ذَلِكَ، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي... ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنف حفظه الله هذه الفقرة للرد على سؤال قد يرد من بعض من لم يعلم حقيقة التصوير وضرره.

وقد ذكر العلماء أن تصوير ذوات الأرواح حُرم لأمرين:

الأول: لسد ذرائع الشرك، فإن أول شرك وقع في بني آدم كان بسبب التصوير.

كما جاء عند الإمام البخاري رحمه الله عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «**صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ، عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلَاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ**»[(١)].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٩٢٠).

الثاني: المضاهاة، وهي المشابهة لخلق الله، على ما تقدم، وسيأتي في الأدلة التي ذكرها المؤلف حفظه الله.

فالمصور دائر بين كبيرتين: كبيرة الوقوع في الشرك أو ذرائعه. وكبيرة المضاهاة لخلق الله ﷻ، وقد يقع فيهما جميعًا، والله المستعان.

والإسلام قد جاء بسد ذرائع الشرك فما دونه فقد جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي كُلُّكُمْ عَبِيدُ الله، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ الله، وَلَكِنْ لِيَقُلْ غُلَامِي وَجَارِيَتِي وَفَتَايَ وَفَتَاتِي**»[١] أخرجه مسلم.

ومن ذلك أنه أَتَى رَجُلٌ النبي ﷺ فَقَالَ: **إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي لَقِيتُ بَعْضَ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ: نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ الله وَشَاءَ مُحَمَّدٌ فَقَالَ النبي** ﷺ : «**قَدْ كُنْتُ أَكْرَهُهَا مِنْكُمْ، فَقُولُوا: مَا شَاءَ الله ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ**»[٢].

قوله (المصور مُضاهيًا ومشاركًا لله ﷻ في ذلك): بل إن تصوير ذوات الأرواح بالصور الحديثة فيه من المضاهاة مالم يكن في التصوير القديم فإنه ربما يرسم ولا يحسن أما هذه المصورات فتصور الإنسان كهيئته بل ربما أجمل من هيئته التي هو عليها لا سيما إذا أجرى معها بعض التحسينات.

قوله (والدليل على أن الصور حرام للمضاهاة حديث عائشة): وهي أم عبدالله الصديقة بنت الصديق، زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، قال عنها النبي ﷺ : «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[٣]،

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٢٤٩).

(٢) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٢١١٨)، من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه.

(٣)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٤١١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٤٣١) .

أخرجه مسلم عن أبي موسى ﵁، وهي فقيهة نساء الأمة.

قوله (إن أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله):

قال المناوي ﵀ في "فيض القدير" (١/ ٥١٨): أي يشبهون عملهم التصوير بخلق الله من ذوات الأرواح فمن صور الحيوان ليعبد أو قصد به المضاهاة لخلق ربه واعتقد ذلك فهو أشد الناس عذابا لكفره ومن لم يقصد ذلك فهو فاسق فتصوير الحيوان كبيرة ولو على ما يمتهن كثوب وبساط ونقد وإناء وحائط». اهـ

فيه: أن الناس يتفاوتون في العذاب فمنهم من يكون في عذاب شديد ومنهم من يكون في أشد لكن من أشدهم الذين يضاهون بخلق الله أي يصورون الصور، مشاركين لله ﷿ في هذه الصفة.

قوله (وحديث أبي هريرة ﵁ ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي)[1]:
سماه خلقًا مع أنه ليس بإيجاد من العدم لكن لما فيه من التحويل: «**فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا برة أو ليخلقوا شعيرة**»، وهذا التحدي يدل على أنه كبيرة من كبائر الذنوب.

قال الحافظ ابن حجر ﵀ في "فتح الباري" (١٠/ ٣٨٦): وقوله: «كَخَلْقِي»: التَّشْبِيهُ فِي فِعْلِ الصُّورَةِ وَحْدَهَا لَا مِنْ كل الْوُجُوه، **قَالَ ابن بَطَّالٍ**: فَهِمَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ التَّصْوِيرَ يَتَنَاوَلُ مَا لَهُ ظِلٌّ وَمَا لَيْسَ لَهُ ظِلٌّ فَلِهَذَا أَنْكَرَ مَا يُنْقَشُ فِي الْحِيطَانِ قُلْتُ هُوَ ظَاهِرٌ مِنْ عُمُومِ اللَّفْظِ. اهـ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٩٥٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١١١).

تعريف العبادة؟

﴿١٣﴾ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا تَعْرِيفُ العبَادَة؟ فَقُلْ: هِيَ اسْمٌ جَامعٌ لكُلِّ مَا يُحبهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطنَة وَالظَّاهرَة، وَالدَّليلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

ساق المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان معنى العبادة التي معرفتها من المهمات لأن كثيرًا ممن يخالف في هذا الباب يصرف العبادات لغير الله عز وجل، وإذا قيل له في ذلك عارض بأنه لا يعبد غير الله عز وجل.

قوله (هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة): شُهر هذا التعريف عن شيخ الإسلام حيث قال رحمه الله في "**العبودية**" (ص: ٤٤): **الْعِبَادَة**: هِيَ اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة.

فَالصَّلَاة وَالزَّكَاة وَالصِّيَام وَالْحج وَصدق الحَدِيث وَأَدَاء الْأَمَانَة وبرّ الْوَالِدين وصلَة الْأَرْحَام وَالْوَفَاء بالعهود وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر وَالْجهَاد للْكفَّار وَالْمُنَافِقِينَ وَالْإِحْسَان للْجَار واليتيم والمسكين وَابْن السَّبِيل والمملوك من الْآدَمِيّين والبهائم وَالدُّعَاء وَالذكر وَالْقِرَاءَة وأمثال ذَلِك من الْعِبَادَة.

وَكَذَلِكَ حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إِلَيْهِ وإخلاص الدّين لَهُ وَالصَّبْر لحكمه وَالشُّكْر لنعمه وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ والتوكل عَلَيْهِ والرجاء لِرَحْمَتِهِ وَالْخَوْف من عَذَابه وأمثال ذَلِك هِيَ من الْعِبَادَة لله.

وَذَلِكَ أَن الْعِبَادَة لله هِيَ الْغَايَة المحبوبة لَهُ والمرضية لَهُ الَّتِي خلق الْخلق لَهَا

كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وَبهَا أرسل جَمِيع الرُّسُل كَمَا قَالَ نوح لِقَوْمِهِ: ﴿ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩].

وَكَذَلِكَ قَالَ هود وَصَالح وَشُعَيْب وَغَيرهم لقومهم وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل:٣٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢].

كَمَا قَالَ فِي الْآيَة الْأُخْرَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون:٥١- ٥٢].

وَجعل ذَلِك لَازِما لرسوله إِلَى الْمَوْت كَمَا قَالَ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩].

وَبِذَلِك وصف مَلَائِكَته وأنبياءه فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠].

وَقَالَ تعال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾ [الأعراف:٢٠٦].

وذم المستكبرين عَنْهَا بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠].

ونعت صفوة خلقه بالعبودية لَهُ فقَالَ تَعَالَى: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان:٦]، وَقَالَ: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان:٦٣].

وَلما قَالَ الشَّيْطَان: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر:٣٩-٤٠]. قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر:٤٢].

وَقَالَ فِي وصف الْمَلَائِكَة بذلك: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾[الأنبياء:٢٦-٢٨] .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم:٨٨-٩٥] ، وَقَالَ تَعَالَى عَن الْمَسِيح الَّذِي ادعيت فِيهِ الإلهية والبنوة: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الزخرف:٥٩].

وَلِهَذَا قَالَ النبي ﷺ فِي الحَدِيث الصَّحِيح: «لَا تطروني كَمَا أطرت النَّصَارَى عِيسَى ابْن مَرْيَم فَإِنَّمَا أَنا عبد فَقولُوا عبد الله ورسوله »(١).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وَقد نَعته الله بالعبودية فِي أكمل أَحْوَاله:

فَقَالَ فِي الإِسْرَاء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١].

وَقَالَ فِي الإيحاء: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم:١٠].

وَقَالَ فِي الدعْوَة: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن:١٩].

وَقَالَ فِي التحدي: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:٢٣]، فالدين كُله دَاخل فِي الْعِبَادَة. اهـ

ومما يدل على دخول القول والفعل والاعتقاد في العبادة وقول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

فقد تضمنت هذه الآية جملًا من أعمال البِر، ومنها القولي وفعلي واعتقادي.

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الإيمان بضع وستون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»(١).

فلو ذهب أحدهم يطوف بقبر ويقول أنا ما أعبده نقول هذا الفعل منك عبادة

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٥).

وذلك لأنه صرف ما يحبه الله ويرضاه لغير الله والله ﷻ يقول ﴿ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾ [الحج:٢٩].

وهكذا من ذبح لغير الله وقال أنا ما عبدته نقول فعلك هذا عبادة لأن الله ﷻ يقول: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ [الكوثر:٢]؛ فكل ما أمر الله به فهو يحبه، وكل ما أمر الله به لنفسه من الأقوال والأفعال والاعتقادات فصرفه لله ﷻ عبادة وصرفه لغير الله ﷻ شرك.

والعبادة تنقسم إلى قسمين:

الأول: عبادة عامة: وهي عبادة القهر ويشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر.

الثاني: عبادة تذلل وخضوع ومحبة وهي الممدوح أصحابها ، قال الله ﷻ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ [الفرقان:٦٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ ﴾ [الجن:١٩].وقال الله ﷻ: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ [الإسراء:١]، وقال الله ﷻ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:١]، وقال تعالى: ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴾ [النجم:١٠]؛ لأنه تعبد لله ﷻ بعبادات يحبها الله ويرضاها، مع أنه سبحانه وتعالى غني عنا وعن عبادتنا، كما سيأتي.

قوله ؒ (والدليل قوله تعالى: ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ ﴾ [الزمر:٧]):

وهذا كقوله في الحديث القدسي: «**يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وإنسكم**

وجنكم كانوا على افجر قلب رجل ما نقص ذلك من ملكي شيئا»، أخرجه مسلم(٢٥٧٧) عن أبي ذر رضي الله عنه ، وكقوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥].

وقوله عز وجل: (﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧])، أي لا يرضاه ولا يحبه، لأن الكفر يناقض التوحيد فالله لا يرضاه بل يبغضه ويأباه.

قوله ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟﴾ : أي لله عز وجل بحسن عبادته وامتثال أمره ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾: يرضه لكم ويحبه منكم، وقد رضي الله لنا الإسلام، قال الله عز وجل: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وقد رضي **الله عن الصحابة**؛ لأنهم شكروه والتزموا شرعه؛ قال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [البينة:٨].

وفي هذه الآية إثبات صفة الرضا لله عز وجل وهي من الصفات الفعلية على ما يليق بجلال الله عز وجل، والله المستعان.

وعقيدة أهل السنة اثبات ما أثبته الله عز وجل لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، والله أعلم.

وجوب الإيمان بالعلو المطلق لله عزوجل

﴿١٤﴾ فَإِذَا قيلَ لَكَ: أَينَ اللهُ؟ فَقُلْ: اللهُ فِي السَّمَاء، مُسْتَو عَلَى عَرْشه، وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وَحَديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «يَنزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيلَة إلَى السَّمَاء الدُّنيَا حينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيل الآخر، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِى فَأَسْتَجيبَ لَه، مَنْ يَسأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغفِرَ لَهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1].

ساق المصنف حَفِظَهُ اللهُ هذه الفقرة لبيان مسألة مهمة، وهي مسألة العلو ومشروعية السؤال عن الله عَزَّ وَجَلَّ بأين، وقد سأل النبي ﷺ الجارية بهذا كما في حديث معاوية بن الحكم السُلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي أخرجه الإمام مسلم قال: كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُول الله فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُول الله أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «ائْتِنِي بِهَا» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ الله ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رسول الله ﷺ ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»[2].

والعجب! أن أهل البدع يُنكرون السؤال عن الله عَزَّ وَجَلَّ (بأين)؛ وذلك لأنهم يعتقدون أن الله في كل مكان.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١٤٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٥٨).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٣٧).

وقولهم باطل شرعًا وعقلًا ونقلًا على ما يأتي إن شاء الله تعالى.

فمن زعم أن الله في كل مكان بذاته: فهو من الحلولية أو الاتحادية القائلين بحلول الله في الأشياء، أو اتحاده بها.

وقد نقل شيخ الإسلام الإجماع على كفرهم؛ لأنهم جعلوا الله ﷻ محلًا للحوادث إلى غير ذلك من اللوازم المخالفة للمعقول والمنقول والثوابت والأصول.

والأدلة من الكتاب وصحيح السنة وإجماع السلف، على أن الله مستوٍ على العرش كثيرة.

منها: قول الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وقال تعالى في ست مواطن من القرآن: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:٥٤].

والاستواء معناه: العلو والارتفاع والصعود، وزاد بعضهم والاستقرار.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "نونيته":

وهي استقر وقد علا وكذلك ار ... تفع الذي ما فيه من نكران
وكذاك قد صعد الذي هو أربع ... وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره ... أدرى من الجهمي بالقرآن

قوله (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: أَيْنَ اللّٰهُ؟ فَقُلْ: اللّٰهُ فِي السَّمَاءِ، استوى عَلَى عَرْشِهِ): أي على السماء؛ لأن (في) بمعنى (على) في هذا الموضع؛ قال الله ﷻ مخبرا عن فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه:٧١] أي: على جذوع النخل.

والعرش أكبر وأعلى المخلوقات:

قال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩]، وقال: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج:١٥]، على قراءة كسر (المجيد) أي الواسع.

وفي حديث جويرية رضي الله عنها: «سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»[١]، أخرجه مسلم، فلو كان في المخلوقات أكبر منه لذكره.

وهو أول المخلوقات على الصحيح من أقوال أهل العلم:

فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله يَقُولُ: «كَتَبَ الله مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»[٢] أخرجه مسلم.

وهو أعلى المخلوقات:

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ الله فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»[٣]، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وحَمَلَتُهُ ثمانية، وقيل أربعة:

قال الله ﷻ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧].

وفي حديث جابر رضي الله عنه عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٢٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٥٣).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٧٩٠).

مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»(١) أخرجه أبو داود.

والأدلة على إثبات علو الله ﷻ كثيرة منها:

١- **أدلة الفوقية**: قال الله ﷻ: ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ** ﴾ [النحل:٥٠].

٢- **أدلة العندية**: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كتب كتابا عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي**» (٢)، متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومعنى فوق العرش أي في العرش لا على أن الكتاب فوق العرش، ففي مسند أحمد (١٠٠١٤) عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ بلفظ: «لَمَّا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْخَلْقِ، كَتَبَ عَلَى عَرْشِهِ: رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»(٣).

٣- **أدلة العروج إليه**: فيدخل فيها أدلة العروج بالنبي ﷺ إلى حيث شاء الله من العلى، وقال الله ﷻ: ﴿ **تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ** ﴾ [المعارج:٤]، والعروج من أسفل إلى أعلى.

٤- **أدلة الصعود إليه**: قال الله ﷻ: ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾ [فاطر:١٠].

٥- **وأدلة الرفع إليه** قال الله ﷻ: ﴿ **بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ** ﴾ [النساء:١٥٨].

٦- **أدلة أنه في السماء**: قول الله ﷻ: ﴿ **ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ** ﴾ [الملك:١٦].

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٧٢٧).

(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٤٢٢).

(٣)أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٠٠١٤)، والحديث إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٧٧٥١) من طريق وكيع، بهذا الإسناد. قاله محقق المسند.

وقول رسول الله ﷺ : «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء**»[(١)]، متفق عليه عن أبي سعيد رضي الله عنه . وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «**ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّماء**»[(٢)]، أخرجه الترمذي.

٧- **أدلة العلو**: قال تعالى: ﴿ **سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى** ﴾ [الأعلى:١]، وقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ** ﴾ .

٨- **أدلة الاستواء**: كما تقدم، لأن من معاني الاستواء العلو.

٩- **أدلة النزول**: فإن النزول يكون من أعلى إلى أدنى، ومن أشهر أحاديث هذه الصفة حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تبارك وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا، حين يبقى ثُلُثُ الليل، فيقول: مَنْ يدعوني فأستجيبَ له؟ مَنْ يسألُني فأعطيَه؟ مَنْ يستغفرني فأغفرَ له**»[(٣)]، متفق عليه.

١٠- **أدلة الرؤية**: لأن الله عز وجل يُرى في العلو كما هو قول أهل السنة والجماعة فعن أبي هريرة رضي الله عنه : «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر**» [(٤)]، متفق عليه، والقمر يُرى في العلو.

١١- **إشارة النبي ﷺ إلى السماء عند قوله اللهم اشهد**، ففي حديث جابر رضي الله عنه الطويل في الحج، الذي أخرج مسلم، وفيه: «**وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ الله، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟**» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٣٥١)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٦٤)..

(٢)أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٩٤١)، والإمام الترمذي في سننه (١٩٢٤).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١٤٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٥٨).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٥٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٣٣).

وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «**اللهمَّ، اشْهَدْ، اللهمَّ، اشْهَدْ**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[(١)].

١٢- **إخبار الله ﷻ عن فرعون أنه أراد الصعود إلى السماء لأن موسى قد أخبره أن ربه في السماء**: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦- ٣٧]، إلى غير ذلك من الأدلة.

١٣ - **الدليل العقلي**: فإن العلو كمال والسفل نقص والله ﷻ موصوف بالكمال المطلق ومنه علو الذات والصفات والقهر.

١٤- **الدليل الحسي**: فإن القلوب إذا أحست بشيء تعلقت بالعلو لا بغيره.

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "المجموع" (٣/ ٢٢٠): عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الهمداني أَنَّهُ حَضَرَ مَجْلِسَ بَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ فَقَالَ: " كَانَ اللهُ وَلَا عَرْشَ "، فَقَالَ: يَا أُسْتَاذُ دَعْنَا مِنْ ذِكْرِ الْعَرْشِ.

أَخْبِرْنَا عَنْ هَذِهِ الضَّرُورَاتِ الَّتِي نَجِدُهَا فِي قُلُوبِنَا مَا قَالَ عَارِفٌ قَطُّ يَا اللهُ إلَّا وَجَدَ فِي قَلْبِهِ ضَرُورَةً تَطْلُبُ الْعُلُوَّ لَا تَلْتَفِتُ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً. فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ: حَيَّرَنِي الهمداني، حَيَّرَنِي الهمداني.

أَرَادَ الشَّيْخُ أَنَّ إقْرَارَ الْفِطَرِ بِأَنَّ مَعْبُودَهَا وَمَدْعُوَّهَا فَوْقَ: هُوَ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ عَقْلِيٌّ فِطْرِيٌّ لَمْ تَسْتَفِدْهُ مِنْ مُجَرَّدِ السَّمْعِ بِخِلَافِ الِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ - بَعْدَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ - فَإِنَّ هَذَا عُلِمَ مِنْ جِهَةِ السَّمْعِ. اهـ

١٥- **الدليل الفطري**، وذلك أن الإنسان مفطور على القول بعلو الله ﷻ، وإنما تصرفه الصوارف، ولو خُلي بين الإنسان وعقيدته التي فطر عليها لكان ما ذكر،

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٢١٨).

لكن كثير من الناس ينحرف عن العقيدة بسبب المؤثرات الخارجية من المجالسين، وغير ذلك.

قولهﷺ(وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]): أي: علا وارتفع وصعد كما تقدم.

وفسر الجهمية أتباع جهم بن صفوان ومن إليهم من المحرفين لكلام رب العالمين الاستواء بالاستيلاء، وهذا تفسير باطل مخالف لما عليه السلف أصحاب الحديث .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

نون اليهود ولام جهمي هما   في وحي دين الله زائدتان

حيث زعمت الجهمية أن استوى بمعنى استولى معتمدين على قول لأخطل:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ولا دم مهراق

قال الإمام اللالكائي رحمه الله في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (١/ ١٩٨): وَأَنَّ الله عز وجل عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رسوله ﷺ بِلَا كَيْفٍ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وَأَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُرَى فِي الْآخِرَةِ، يَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِأَبْصَارِهِمْ وَيَسْمَعُونَ كَلَامَهُ كَيْفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ.اهـ

صفة النزول:

قوله﴾(وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «يَنْزِلُ ربُّنا تباركَ وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا، حينَ يَبْقَى ثُلُثُ الليلِ الآخرِ، يقولُ: من يَدعوني فأَستجيبُ لهُ، من يَسْأَلُنِي فأُعْطِيهِ، من يَستغفرني فأَغْفِرُ لهُ» متفق عليه[١]) فيُثبت منه صفة النزول وهي من الصفات الفعلية فإن الله ينزل متى شاء وكيف شاء في الثلث الأخير من الليل.

وثبت عن النبي ﷺ أن الله عَزَّ وَجَلَّ يدنو عشية عرفة:

فعن عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إِنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: **«مَا مِنْ يَوْم أَكْثَرَمِنْ أَنْ يُعْتِقَ الله فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»** [٢]، أخرجه مسلم.

وفي حديث عمرو بن عبسه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : **«أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر»**[٣]، أخرجه أحمد.

وحديث النزول إلى السماء الدنيا من المتواترات فينزل تعالى نزولًا يليق بجلاله: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١٤٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٥٨).

(٢)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٣٤٨).

(٣)أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٢٧٧)، والترمذي (٣٥٧٩)، والنسائي (٥٧٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (١٠١٥)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

ونزوله حقيقي:

والدليل أنه يقول: «من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»، وهذا لا يكون إلا من الله عز وجل.

قال الله عز وجل: ﴿ **وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ** ﴾، وقال تعالى: ﴿ **وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾ [آل عمران:١٣٥].

قولهُ (ينزل ربنا): نص في نزول الله حقيقة لأن المبتدعة يقولون ينزل ملك وقال بعضهم: ينزل أمره، وقال بعضهم: تنزل رحمته.

فيرد عليهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى**».

وقال هذا بلسان عربي فصيح وقيده في كل ليلة إلى السماء الدنيا.

قال الإمام أبو بكر بن أبي داود رحمه الله :

وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ في كُلِّ لَيْلَةٍ ... بِلا كَيْف جَلَّ الواحدُ المتَمَدِّحُ
إلى طَبَقِ الدُّنيا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ ... فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ
يَقولُ: ألا مُسْتغفِرٌ يَلْقَ غافِرًا ... ومُسْتَمنِحٌ خَيْرًا ورِزقًا
رَوَى ذَاكَ قَومٌ لا يُرَدُّ حَدِيثَهم ... ألا خَابَ قَومٌ كَذَّبوهُم

ومثله في اللامية المنسوبة إلى شيخ الإسلام رحمه الله:

والمؤمنون يرون حقا ربهم ... وإلى السماء بغير كيف ينزل

ولكن ينبغي أن تعلم أن السماء لا تظله ولا تقله ويجب أن تصان الصفات عن التمثيل والتشبيه كما تصان عن التعطيل والتحريف.

وقوله (بلا كيف): أي كيف معلوم لنا، وإلا ما من صفة إلا ولها كيفية يعلمها الله عَزَّ وَجَلَّ.

وفي قوله (يقول من يدعوني) إثبات صفة الكلام لله عَزَّ وَجَلَّ وهو تعالى يتكلم بحرف وصوت متى شاء وكيف شاء على ما يأتي إن شاء الله تعالى.

قوله (فاستجيب له): مثل قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

والاستجابة تكون على ثلاثة أوجه:

الأول: أن يحقق الله عَزَّ وَجَلَّ للسائل المطلوب.

الثاني: أن يدخر الله له حسنات إلى يوم القيامة.

الثالث: أن يصرف الله عَزَّ وَجَلَّ عنه من الشر بقدر دعائك، ففي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ الله بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا " قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: «الله أَكْثَرُ**»[١].

قوله (ومن يسألني فأعطيه): أن يسأل الله عَزَّ وَجَلَّ حاجته، ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع الله كما في حديث المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت**»[٢] متفق عليه.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١١١٣٣)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٠١)، وعبد بن حميد في "المنتخب" (٩٣٧)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٧١٠) ، والبيهقي في "الشعب" (١١٣٠)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (٤١٢).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٤٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٩٣).

قولهﷺ(من يستغفرني فاغفر له): المغفرة هي ستر الذنب والتجاوز عنه، وقد قال الله ﷻ: ﴿ **وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾ وهذا يدل على أن المتكلم حقيقة هو الله.

فأراد الشيخ حفظه الله بهذا الحديث إثبات صفتي العلو والنزول لله ﷻ.

۞۞۞

اثبات معية الله عزوجل

﴿ ١٥ ﴾ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: هَلِ اللهُ مَعَنَا؟ فَقُلْ: اللهُ ﷻ مَعَنَا بِعلْمه، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: المُرَادُ أَنَّهُ اللهُ الَّذِى يَعلَمُ مَا فِى السَّمَوَات وَمَا فِى الأَرْض، منْ سِرٍّ وَجَهْرٍ.

لما تكلم حفظه الله عن العلو، ناسب أن يتكلم عن المعية لأمرين:

الأول: الجمع بين أدلة العلو، والمعية.

الثاني: اثبات معية لله ﷻ على الوجه الحق الذي يثبته أهل السنة بعيدًا عن تخرصات المبتدعة.

أقسام المعية:

معية الله ﷻ منقسمة إلى قسمين:

معية عامة: لجميع المخلوقات وهذه تقتضي العلم والإحاطة والقهر والسلطان وغير ذلك من خصائص الربوبية.

معية خاصة: وهذه تقتضي النصر والتأييد والحفظ والكلاءة، وغير ذلك من معاني المعية. والمعية الخاصة منها ما قُيد بشخص كما تقدم في ذكر موسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليه .

ومنها ما قُيِّدَ بوصف كقوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [النحل:١٢٨]، وغير ذلك.

وقد ذهب المبتدعة مستدلين بعموم أدلة المعية مثل قول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]. وقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧] . وقوله: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]، وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة:٤٠] إلى أن الله في كل مكان وهو خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَخِلَافُ مَا فَطَرَ الله عَلَيْهِ الْخَلْقَ.

وقد جمع الله في الآية بين إثبات الاستواء على العرش والمعية، قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:٤].

وكون الله ﷻ قد جمع بينهما في آية واحدة يدل على أنهما لا يتناقضان ولو كان المعنى أن معية الله لخلقة تقتضي الاختلاط والاتحاد لناقضت الرحمن على العرش استوى ثم إن الله ختم الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؛ فدل على أن المعية معية بصر وسمع وعلم وسلطان وغير ذلك.

قولهُ (وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:٣]). قال المبتدعة بأن الآية تدل على أن الله في السماء بذاته وفي الأرض بذاته فرد عليهم أهل العلم بأن المراد بها وهو في السموات وفي الأرض إله معبود. و ذهب بعض أهل العلم على الوقف على السماوات فتقول: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي وهو الله بذاته على السموات.

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾، وهو على عرشه لا يخفى عليه شيء، فهو بكل شيء عليم.

قولهﷺ(قال ابن كثير: المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض من سر وجهر وهذا تفسير السلف للآية): وابن كثير ﵀ هو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، من أشهر المفسرين وتفسيره أحسن التفاسير.

والمهم أن كل موحد يعلم أن كلمة (الله معي) لا تقتضي حلولًا ولا اتحادًا ولا اختلاطًا.

قال شيخ الإسلام ﵀ في "العقيدة الواسطية"(ص: ٦): **وَلَيْسَ مَعْنَى قوله:**﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ**﴾ : أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَخِلَافُ مَا فَطَرَ الله عَلَيْهِ الْخَلْقَ؛ بَلْ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ الله مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ هُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ؛ وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ؛ وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ مُطَّلِعٌ إلَيْهِمْ إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ الله سُبْحَانَهُ - مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا - حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ لَا يَحْتَاجُ إلَى تَحْرِيفٍ وَلَكِنْ يُصَانُ عَنْ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ.

مِثْلُ أَنْ يَظُنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قوله: ﴿**فِي ٱلسَّمَآءِ**﴾ ، أَنَّ السَّمَاءَ تُقِلُّهُ أَوْ تُظِلُّهُ؛ وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ؛ فَإِنَّ الله قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَهُوَ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إلَّا بِإِذْنِهِ. اهـ

معنى الإسلام

﴿١٦﴾ فَإذَا قيلَ لَكَ: مَا تَعْرِيفُ الإسْلَامِ؟ فَقُلْ: هُوَ الاسْتسْلَامُ لله بالتَّوْحيد، وَالانْقيادُ لَهُ بالطَّاعَة، وَالخُلُوصُ منَ الشِّرْك. وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]. وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

ساق المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان معنى الإسلام، وقد تقدم الكلام على معناه بما يغني عن الإعادة.

فيقول المصنف حفظه الله أنت أيها المسلم تعتقد وتتعبد بالإسلام فما معنى الإسلام الذي أوحاه الله عَزَّوَجَلَّ إلى محمد وهو دين جميع الرسل بالمعنى العام.

قوله (فقل هو الاستسلام لله بالتوحيد): أي افراده بكل ما يجب له، فلا يصرف إلى غيره، لقوله: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ﴾: أي معبودكم.

﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: أي معبود واحد لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، بل هو الواحد الأحد.

﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾: أي استسلموا لله عَزَّوَجَلَّ بالتوحيد وأفردوه بما يجب له ظاهرًا وباطنًا. ﴿وَبَشِّرِ﴾: بالجنة، وعظيم الجزاء. ﴿ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾: أي المتواضعين لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله (والانقياد له بالطاعة): أي المبادرة إليها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١].

فاعمل بما أمرك من صلاةٍ وصيامٍ وحجٍ وقيامٍ قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٢].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٢٤].

وفي حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «جَاءَتْ مَلاَئِكَةٌ إِلَى النبي ن وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا صَلَّى -الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمُحَمَّدٌ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ»[(١)]، أخرجه البخاري.

قوله رحمه الله (والخلوص من الشرك): أي التخلص من الشرك لأن الشرك يُذهب الإسلام، وإذا قارن العمل أفسده.

ولا يمكن الخلوص من الشرك إلا بتوحيد الله عَزَّ وَجَلَّ وإخلاص العمل له ظاهرًا وباطنًا، ولذلك قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر:١١].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٢٨١).

والمقصود بالشرك هنا: الشرك الأكبر فمن وقع فيه خرج من الإسلام، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:٥٠].

فلا يستقيم الإسلام إلا:

١- بالاستسلام لله بالتوحيد. ٢- التخلص من الشرك والتنديد.

٣- الانقياد لله ﷻ ولرسوله بالطاعة. ٤- البراءة من الشرك وأهله .

(فلا إله): فيها الخلاص من الشرك. و**(إلا الله)**: فيها إفراد الله بالتوحيد ومن مقتضياتها طاعة الله ﷻ وكما قيل لا اله إلا الله مفتاح الجنة والمفتاح لابد له من أسنان.

قولهُ (وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾):

هذا خطاب من الله أمر به المؤمنين أن يتقوه حق تقواه، لكن ما معنى ذلك؟

قال بعض أهل العلم: معناه أن يُذكر فلا يُنسى وان يُطاع فلا يُعصى وأن يُشكر فلا يُكفر.

وقال بعضهم معنى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾، راجع إلى **قوله**: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وإلى قوله : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن:١٦].

وقوله ﴿ **وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران:١٠٢]. أي لازموا الإسلام حتى الموت لأن من عمل بالإسلام ثم كفر فلا ينفعه عمله، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣].

وفي الحديث المخرج في الصحيحين وغيرها: «**ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة**»[١] وفي رواية: «**مؤمنة**»، وقد تقدم، وقد قال الله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة:٢٠٨].

أي ادخلوا في الإسلام من جميع جوانبه في التوحيد، والعقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق فالإسلام دينٌ شاملٌ كامل، تام محفوظ، وهذا من نعمة الله ﷻ على عباده، ودليل على فضل الإسلام، وتقديمه على غيره من الأديان، فهل من مدكر، ووالله إنا لنعجب حين نجد من يدعو إلى وحدة الأديان أو التقارب معها ضاربًا بأدلة القرآن والسنة عرض الحائط، وقد رددت على هذه الفكرة البائرة في كتابي: "**الزجر والبيان لدعاة الحوار والتقارب بين الأديان**"، والله المستعان.

فدين الإسلام دين عظيم رضيه الله ﷻ لعباده وأمرهم أن يتعبدوا به وشرعه لكل أهل زمان، فلا يمكن أن يجمع بين ما جاء عن رب العالمين، وما جاء عن سخافات العقول وزبالة الأفكار حيث عبدوا الحجارة الصماء، والحيوانات البكماء، وغير ذلك من المربوبات، والله المستعان.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٠٦٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١١١).

والإسلام فضله عظيم، ويظهر فضله في أمور:

الأول: أنه دين الله الحق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران:١٩].

الثاني: أنه قد اتفق في الدعوة إليه جميع الرسل.

الثالث: أن به صلاح الدنيا والآخرة.

الرابعة: أن به قوام حياة الإنسان، وإلا فما الفرق بينه وبين البهيمة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [محمد:١٢].

الخامس: أن الله رضيه وأتمه وأكمله، قال الله ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

السادس: أنه دين محفوظ عن التغيير والتبديل، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

السابع: أنه دين يتوافق مع الفطرة المستقيمة والعقول السليمة.

الثامن: أنه يدعو إلى مكارم الأخلاق ويحذر من سفاسفها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**»[١] أخرجه أحمد.

التاسع: أنه العدل الخيار، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة:١٤٣].فهو بعيد عن الغلو والجفاء في جميع جوانب الحياة.

العاشر: أن التفاضل فيه بالتقوى، بخلاف بقية النظريات البشرية من الديمقراطية، والاشتراكية، والرأسمالية، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات:١٣]، إلى غير ذلك، والله المستعان.

---

(١)أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٨٩٥٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٣٧٣)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

دين الإسلام كامل

﴿١٧﴾ فَإذَا قيلَ لَكَ: هَلْ دينُ الإسلام كَاملٌ، أَمْ يَحتَاجُ إِلَى تَكْميل؟ فَقُلْ: هُوَ دينٌ كَاملٌ، وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

لما بين المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ فضل الإسلام ناسب أن يتكلم على كمال الإسلام، وأنه لا يحتاج إلى زيادة أو نقصان، فإن ذلك من أجلى فضائله، فهو دين الله عَزَّ وَجَلَّ الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]. وما كان هذا حاله يجب أن يصان عن غلو الغالين، وتفريط الجافين، وسيأتي معنا بيان ضرر البدعة، لأنها زيادة لم يشرعها الله عَزَّ وَجَلَّ، وفيها استدراك على الدين، بمعنى أنه ناقص فأتموه.

ودين الإسلام يتميز بعدة صفات:

الأول: أنه كامل، بمعنى أنه لا يحتاج إلى زيادة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ومعنى ذلك أنه أتم أحكامه، وأخباره وما يتعلق بالتوحيد إلى غير ذلك حيث أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ هذه الآية قبل موت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بواحد وثمانين يوما.

الثاني: أنه محفوظ، حيث حفظه الله من الزيادة والنقصان، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

نزلت التوراة ولم تحفظ ونزل الإنجيل ولم يحفظ، ونزل الزبور ولم يحفظ، بل غيرت وبدلت وتلاعب بها الناس بينما القرآن محفوظ منذ أوحاه الله إلى محمد

وإلى أن يُرفع إلى الله ﷻ كما قال رسول الله ﷺ : «**لَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ الله ﷻ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ**»(١)، أخرجه ابن ماجه عن حذيفة رضي الله عنه .

الثالث: أنه شامل، بمعنى أنه دين جميع الناس قال الله ﷻ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ**﴾ [الأعراف:١٥٨].

فليس خاصًا بالعرب أو طائفة أو زمره، وقد تقدم قول النبي ﷺ : «**أرسلت إلى الخلق كافة**»، متفق عليه عن جابر رضي الله عنه .

ومن شموله: أنه يتعلق بجميع شؤون الدين من عقائد وعبادات وتوحيد وأحكام ومعاملات وكل شيء مما يحتاجه الناس في شؤونهم اليومية والشهرية والسنوية والعمرية، سواء الدينية أو الدنيوية.

قولهُ (فقل هو دين كامل، والدليل قول الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ﴾ [المائدة:٣]): وفي هذا رد على أهل البدع المستحسنين، لما هم عليه من المحدثات. فإن قال أحدهم بأن البدعة منها الحسنة نقول من أين لك هذا، فما كان عند رَسُول الله ﷺ و أصحابه رضي الله عنهم دين فهو لنا دين، وما كان عن رَسُول الله ﷺ و أصحابه رضي الله عنهم ليس بدين فليس لنا بدين، فالدين كامل من زمن النبي ﷺ قال رسول الله ﷺ : «**تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ**»(٢)، أخرجه ابن ماجه عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٤٠٤٩)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٢٩٣).

(٢)أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٥)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله برقم (٦٨٨)، وقال فيه: وهذا إسناد حسن، رجاله كلهم ثقات وفي هشام بن عمار وإبراهيم الأفطس كلام لا ينزل الحديث عما ذكرنا، وقد بيض له البوصيري في " زوائد ابن ماجه " (١ / ٢).

فلا يحتاج إلى زيادة لأن الزيادة في الكامل تنقصه فلو فصلت لك ثوبا على هيئتك ثم قلت أزيده تنقصه وتفسده فمن أراد أن يزيد في الإسلام ما ليس فيه نقص دينه بقدر زيادته فربما كانت بدعته مكفرة، وربما كانت مفسقة.

ولهذا قال الله ﷻ: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى:٢١].

وفي الصحيحين: عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا، مِنَ اليَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ**﴾ [المائدة:٣]، قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «**قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النبي ﷺ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ**»[(١)].

وكان نزولها في عيد شرعي وهو يوم عرفة كما قال النبي ﷺ: «**يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهي أيام أكل وشرب وذكر لله**»[(٢)]، أخرجه أحمد عن عقبة رضي الله عنه.

والمراد أن اليهودي قد أقر أن هذا الدين تم وكمل ويرى أن مثل هذا يُفرح به، فالحمد لله أن الدين قد تم وكَمل وما قبض الله ﷻ محمدًا ﷺ حتى أقام به الملة المعوجة ليلها ونهارها سواء لا يزيغ عنها إلا هالك.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٠١٧).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٢٤١٩)، والترمذي (٧٧٣)، والنسائي (٣٠٠٤)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٩٣٠)، وقال فيه: هذا حديث حسن على شرط الشيخين.

قولهُ(وَأَتْمَمْتُ): أي أتمه، فلا يحتاج إلى زيادة.

قولهُ (عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي): سماه نعمة وأضافها إلى نفسه، وهذا دليل على أن أعظم وأفضل نعمة هي الإسلام حيث يؤدي إلى النعيم العظيم من رضى رب العالمين والفوز بجنة النعيم.

قال الله ﷻ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء:٦٩].

وقولهُ (وَرَضِيتُ): أي رضيه لما فيه من التمام والكمال، وما رضيه إلا لأنه يحبه، وفيه إثبات صفة الرضا لله ﷻ على ما يليق به وهي من الصفات الفعلية.

وقولهُ (لكم): أي لأمة محمد ﷺ.

قولهُ (الإسلام دينا): دل على أنه قد رضي هذا الدين وحفظه وأتمه وأكمله فعلى المسلمين أن يستشعروا عظمة هذا الدين فهو الحبل المتين الذي لا ينقطع والطريق القويم الذي لا ينحرف والصراط المستقيم الموصل إلى جنة النعيم، والله أعلم.

❁❁❁

من أين يأخذ المسلم دينه

﴿١٨﴾ فإذا قيل لَكَ: مِنْ أَيْنَ يَأْخُذُ المُسْلِمُ دينَهُ؟ فَقُلْ: يَأْخُذُ المُسْلِمُ دينَهُ مِنَ القُرْآنِ وَالسُّنَّة عَلَى فَهْمِ السَّلَف الصَّالحِ، وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]. وَقَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، وَقَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]. وَانْظُرِ الحَدِيثَ الَّذي بَعْدَ هَذَا.

ذكر المصنف هذه الفقرة -بعد أن بين دين الإسلام، وعرَّفه، وذكر فضائله،- لبيان الأصل الذي يقوم عليه الدين، **وهو الكتاب العزيز والسنة الصحيحة مع إجماع السلف رضوان الله عليهم**، وهذه هي الأدلة المتفق عليها على ما يأتي إن شاء الله تعالى، فدين يقوم على مثل هذه الأدلة معصوم عن الخطأ والزلل.

فيقول المصنف حفظه الله: (فإذا سُئلت أيها المسلم من أين تأخذ عقيدتك ودينك)، وذلك أن الدين الصحيح لابد أن يُبنى على الدليل الصحيح من الكتاب والسنة والإجماع، وأما من أخذ دينه عن الهوى، أو الراي الفاسد، أو القياس الكاسد، أو التقليد للآباء والأمهات فان دينه يكون ركيكًا مخالفًا ظاهر النقصان وما لحق الناس من الضلال إلا لتقديم ما تقدم على وحي الله عزوجل المنزل.

ومن أدلة وجوب أخذ الكتاب: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت:٥١]، أي على المسلم أن يكتفي بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ تلاوةً وتدبرًا

وتعقلًا وعلمًا وعملا ويدخل في اطلاق الكتاب السنة.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في "تفسيره" (ص: ٦٣٣):** فقال: ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ ﴾ في علمهم بصدقك وصدق ما جئت به ﴿ **أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ** ﴾ وهذا كلام مختصر جامع، فيه من الآيات البينات، والدلالات الباهرات، شيء كثير، فإنه كما تقدم إتيان الرَّسُول به بمجرده وهو أمي، من أكبر الآيات على صدقه.

ثم عجزهم عن معارضته، وتحديه إياهم آية أخرى، ثم ظهوره، وبروزه جهرا علانية، يتلى عليهم، ويقال: هو من عند الله، قد أظهره الرسول، وهو في وقت قلَّ فيه أنصاره، وكثر مخالفوه وأعداؤه، فلم يخفه، ولم يثن ذلك عزمه، بل صرح به على رءوس الأشهاد، ونادى به بين الحاضر والباد، بأن هذا كلام ربي، فهل أحد يقدر على معارضته، أو ينطق بمباراته أو يستطيع مجاراته؟.

ثم إخباره عن قصص الأولين، وأنباء السابقين والغيوب المتقدمة والمتأخرة، مع مطابقته للواقع.ثم هيمنته على الكتب المتقدمة، وتصحيحه للصحيح، ونَفْيُ ما أدخل فيها من التحريف والتبديل، ثم هدايته لسواء السبيل، في أمره ونهيه، فما أمر بشيء فقال العقل "ليته لم يأمر به" ولا نهى عن شيء فقال العقل: "ليته لم ينه عنه" بل هو مطابق للعدل والميزان، والحكمة المعقولة لذوي البصائر والعقول، ثم مسايرة إرشاداته وهدايته وأحكامه لكل حال وكل زمان بحيث لا تصلح الأمور إلا به.

فجميع ذلك يكفي من أراد تصديق الحق، وعمل على طلب الحق، فلا كفى الله من لم يكفه القرآن، ولا شفى الله من لم يشفه الفرقان، ومن اهتدى به واكتفى، فإنه خير له.اهـ

والمراد بالسنة: أفعال النبي ﷺ وأقواله وتقريراته، بل واعتقاداته، وغير ذلك، قال الله ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

وأما الإجماع: فهو إجماع الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم إذا ثبت في مسألةٍ من المسائل فإن النبي ﷺ يقول: «**لا تجتمع امتي على ضلالة**»[١]، أخرجه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه. وعن عمر رضي الله عنه يقول: «**من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة**»[٢]، أخرجه أحمد.

ومن أدلة القرآن الكريم على الإجماع: قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧ ﴾[الفاتحة:٦-٧]، ويدخل في المنعم عليهم الصحابة رضي الله عنهم دخولًا أوليا.

وفي قوله (﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء:١١٥]): المراد به سبيل الصحابة رضي الله عنهم ومن سار على سيرهم.

فإذا أخذت دينك من الأدلة سلمت من البدع والضلالات.

قوله (فقل: يأخذ المسلم دينه من القرآن): والقرآن هو كلام الله ﷻ المنزل على محمد ﷺ المحفوظ لفظًا ومعنًا.

قوله(والسنة): هي المضافة إلى النبي ﷺ من قوله، أو فعله، أو تقريره.

قوله(وفهم السلف الصالح): أي على طريقتهم في العلم والتلقي والعمل.

---

(١) في المستدرك: (١/ ١١٦). وهو في الصحيح المسند للوادعي رحمه الله.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١١٤) وصححه الألباني رحمه الله في الصحيحة (٤٣٠).

الانتساب إلى السلف:

وكلمة **سلفي**: كلمة شرعية قال تعالى: ﴿ **فَلَهُۥ مَا سَلَفَ** ﴾ . وقال النبي ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: «**فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ**»[١] متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها.

والسلف في اللغة: المتقدم على غيره.

وفي الاصطلاح: من اعتقد عقيدة الصحابة -رضي الله عنهم- ومن جاء بعدهم بإحسان.

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠].

ويسمى المتأخرون من الأمة بالخَلَفِ:

فإذا قيل وعلى هذا درج السلف والخلف:

فيريدون بالسلف: الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من القرون الثلاثة.

ويريدون بالخلف: من سلك سبيلهم من القرون المتأخرة.

لكن اذا قالوا: وبهذا قال السلف الصالح رضوان الله عليهم، وخالفهم الخلف، فهذا على الذم والمراد بهم المبتدعة.

وأما الخُلْف: فهم المبتدعة قال الله عز وجل: ﴿ **فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا** ﴾ [مريم:٥٩].

قوله (والدليل): أي على وجوب الأخذ بالقرآن والسنة قول الله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ** ﴾ .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٨٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٤٥٠).

فينبغي للمسلم أن يكتفي بالقرآن والسنة وهما الشرع الذي أوحاه الله ﷻ إلى محمد ﷺ في عقيدته وعبادته ومعاملته، فإن من تطلع إلى غير ذلك ضل.

قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله : فمن ترك سبيلهم جاهلًا زل، ومن تركه متعمدًا ضل.اهـ

ولما رأى النبي ﷺ عمر رضي الله عنه يقرأ في التوراة قال له: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**»[(١)]، أخرجه أحمد عن جابر رضي الله عنه .

قوله (وقوله : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾): يقول ومن الأدلة على وجوب الأخذ بالكتاب والسنة قوله:﴿**فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ**﴾: أي اختلفتم ﴿**فِي شَيۡءٖ**﴾ عام يدخل فيه المسائل العلمية والعملية ﴿**فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ**﴾: أي أرجعوه إلى كتاب الله ﷻ ﴿**وَٱلرَّسُولِ**﴾: إلى سنة رَسُول الله بعد موته، وذلك من علامة الإيمان؛ لقوله ﴿**إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ**﴾ مفهومه أن الذي لا يؤمن بالله واليوم الأخر يعرض عن التحاكم إلى كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا﴾ [النساء:٦١].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٥١٥٦)، وهو في الإرواء للإمام الألباني رحمه الله برقم (١٥٨٩)، وقال فيه: حسن.

أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٤٨ – ٥١]

وقولهُ (اهْدِنَا): أي وفقنا **(الصِّرَاطَ):** أي الإسلام، وهو السبيل الموصل إلى السلامة.

قولهُ (الْمُسْتَقِيمَ): وهو أقرب السبل الموصلة إلى الله إلى الجنة لا اعوجاج فيه ولا انحراف.

قال ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين" في بيان شروط الصراط (١/ ٣٣):

لا تَكونُ الطَّرِيقُ صِراطًا حَتَّى تَتَضَمَّنَ خَمْسَةَ أُمُورٍ:

الِاسْتِقَامَةَ، وَالْإِيصَالَ إِلَى الْمَقْصُودِ، وَالْقُرْبَ، وَسَعَتَهُ لِلْمَارِّينَ عَلَيْهِ، وَتَعَيُّنَهُ طَرِيقًا لِلْمَقْصُودِ. وَلَا يَخْفَى تَضَمُّنُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ لِهَذِهِ الْأُمُورِ الْخَمْسَةِ. اهـ

ثم بينه بقوله: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ وهم الأنبياء ومن سلك سبيلهم، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٩-٧٠].

وفي حديث عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: خَطَّ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ الله مُسْتَقِيمًا**»، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذِهِ**

السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ﴾[١] [الأنعام:١٥٣]،أخرجه أحمد.

قولهُ (غير المغضوب عليهم ولا الضالين): أي أن المنعم عليهم ليسوا من المغضوب عليهم ولا الضالين.

والمغضوب عليهم: اليهود. **والضالون**: النصارى على أغلب تفسير العلماء.

وعند التحقيق: كلهم مغضوبٌ عليهم وضالون إلا أن الغضب في حق اليهود أظهر، والضلال في حق النصارى أظهر، وذلك أن اليهود علموا ولم يعملوا، والنصارى عملوا بجهل.

وقولهُ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ : أي يخالف دين الرَّسُول وطريقته. **﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾** أي ظهر له الهدى وعمل به، وفي هذا العذر بالجهل فالذي لم يتبين له الهدى ولا يَعلم يُعَلَّم ولا يعنَّف أو يُنتقد لقول النبي ﷺ : «**ألا علمت إذ كان جاهلا**»[٢].

ومن الأدلة على العذر بالجهل:

قوله ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]. وقال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه:١٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٤٣٧)، وإسناده حسن من أجل عاصم، وهو ابن أبي النجود.

(٢)أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٢٦٢٠)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود رحمه الله.

وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر:٧١].

ومنها قوله: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ [التوبة:١٢٨]. وقوله: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [النساء:١٦٥]، **وقوله تعالى:** ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ ﴾ [التوبة:١١٥].

فلا بد على الداعي إلى الله أن يبيِّن للناس الطريق الحق الذي أنزله الله على محمد ومنهج السلف الصالح ويبين لهم سبل الشيطان التي تخالف طريق النبي ﷺ ومن خالف الحق عن علمٍ فلا رده الله.

قوله ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء:١١٥]: أي يتبع غير سبيل الصحابة رضي الله عنهم المجمع عليه. وهذا هو دليل الإجماع.

قال النووي رحمه الله في "المجموع" (١٠/ ٤٢): فَإِنَّ الشَّافِعِيَّ يَرَى التَّمَسُّكَ بِالْكِتَابِ بِآيَاتٍ مِنْ جُمْلَتِهَا قَوْله تَعَالَى: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النساء:١١٥] الْآيَةَ.

وَيُقَالُ: إنَّهُ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَتَّى وَجَدَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ احْتَجَّ بِهَا، فَذَكَرَهَا لِلرَّشِيدِ حِينَ طَلَبَ مِنْهُ حُجَّةً مِنْ الْقُرْآنِ عَلَى الْإِجْمَاعِ.اهـ

والمؤمنون يدخل فيهم ابتداءً الصحابة رضي الله عنهم ثم من سار على سيرهم.

ولم يقل سبيل المؤمن؛ لأن الناس يختلفون فما أجمع عليه المؤمنون في باب العقائد والأحكام والمعاملات، ووجب الأخذ به، وحرمت مخالفته؛ لقول النبي ﷺ «**لا تجتمع امتي على ضلالة**»، وقد تقدم.

قوله ﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ : هذا تهديدٌ أي يتحمل تبعات مخالفته لسبيل المؤمنين في الدنيا والآخرة فلا يوفق لخير ولا يعان عليه، ومن أوكله الله ﷻ إلى نفسه هلك.

قوله ﴿ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ ﴾: وهذا وعيدٌ عظيم يدل على أن مخالفة الإجماع كبيرة من كبائر الذنوب وقد يكون كفرًا، وقد يكون ضلالًا.

فمن أنكر شيئا أجمعت عليه الأمة: مثل أن الله في السماء، أو أن الله يرى يوم القيامة، أو خالف غير ذلك من الإجماعات المتيقنة كفر.

قال في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"(١/ ١٩٣): وَسَأَلْتُ عن: الصَّلَاةُ خَلْفَ مَنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟

فَهَذَا كَافِرٌ بِقَوْلِهِ، لَا يُصَلَّى خَلْفَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَلَا اخْتِلَافَ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَمَنْ قَالَ: كَلَامُ الله مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ وَزَعَمَ أَنَّ الله ﷻ حَدَثَ فِيهِ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ. اهـ

قوله ﴿ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾: أي بئس المكان والمصير الذي يرجع إليه لأنه مصير سيء فيه عذاب ونكال.

قال الله ﷻ: ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ ﴾ [التحريم:٦].

قال الإمام السعدي رحمه الله **في "تفسيره"**:فمن يخالف الرَّسُول ويعانده فيما جاء به: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾ بالدلائل القرآنية والبراهين النبوية.

قوله ﴿ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ : وسبيلهم هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم. ﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ أي: نتركه وما اختاره لنفسه، ونخذله فلا نوفقه

للخير، لكونه رأى الحق وعلمه وتركه، فجزاؤه من الله عدلا أن يبقيه في ضلاله حائرا ويزداد ضلالا إلى ضلاله.

كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾ [الصف:٥]. وقال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾ [الأنعام:١١٠].

ويدل مفهومها: على أن من لم يشاقق الرسول، ويتبع سبيل المؤمنين، بأن كان قصده وجه الله واتباع رسوله ولزوم جماعة المسلمين، ثم صدر منه من الذنوب أو الهّم بها ما هو من مقتضيات النفوس، وغلبات الطباع، فإن الله لا يوليه نفسه وشيطانه بل يتداركه بلطفه، ويمن عليه بحفظه ويعصمه من السوء.

كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [يوسف:٢٤] أي: بسبب إخلاصه صرفنا عنه السوء، وكذلك كل مخلص، كما يدل عليه عموم التعليل.

وقوله ﴿ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ ﴾ [النساء:١١٥] أي: نعذبه فيها عذابا عظيما. ﴿ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ أي: مرجعا له ومآلا.

وهذا الوعيد المرتب على الشقاق ومخالفة المؤمنين مراتب لا يحصيها إلا الله بحسب حالة الذنب صغرا وكبرا، فمنه ما يخلد في النار ويوجب جميع الخذلان. ومنه ما هو دون ذلك، فلعل الآية الثانية كالتفصيل لهذا المطلق.

وهو: أن الشرك لا يغفره الله تعالى لتضمنه القدح في رب العالمين وفي وحدانيته وتسوية المخلوق الذي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا بمن هو مالك النفع والضر، الذي ما من نعمة إلا منه، ولا يدفع النقم إلا هو، الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، والغنى التام بجميع وجوه الاعتبارات.

فمن أعظم الظلم وأبعد الضلال عدم إخلاص العبادة لمن هذا شأنه وعظمته، وصرف شيء منها للمخلوق الذي ليس له من صفات الكمال شيء، ولا له من صفات الغنى شيء بل ليس له إلا العدم. عدم الوجود وعدم الكمال وعدم الغنى، والفقر من جميع الوجوه.

وأما ما دون الشرك من الذنوب والمعاصي: فهو تحت المشيئة، إن شاء الله غفره برحمته وحكمته، وإن شاء عذب عليه وعاقب بعدله وحكمته، وقد استدل بهذه الآية الكريمة على أن إجماع هذه الأمة حجة وأنها معصومة من الخطأ.

ووجه ذلك: أن الله توعد من خالف سبيل المؤمنين بالخذلان والنار.

و﴿ **سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ مفرد مضاف يشمل سائر ما المؤمنون عليه من العقائد والأعمال.

فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه، أو تحريمه أو كراهته، أو إباحته - فهذا سبيلهم، فمن خالفهم في شيء من ذلك بعد انعقاد إجماعهم عليه، فقد اتبع غير سبيلهم. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ** ﴾ [آل عمران:١١٠].

ووجه الدلالة منها: أن الله تعالى أخبر أن المؤمنين من هذه الأمة لا يأمرون إلا بالمعروف، فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه فهو مما أمروا به، فيتعين بنص الآية أن يكون معروفا ولا شيء بعد المعروف غير المنكر، وكذلك إذا اتفقوا على النهي عن شيء فهو مما نهوا عنه فلا يكون إلا منكرا.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ** ﴾ [البقرة:١٤٣].

فأخبر تعالى أن هذه الأمة جعلها الله وسطا أي: عدلا خيارا.

﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: في كل شيء، فإذا شهدوا على حكم بأن الله أمر به أو نهى عنه أو أباحه، فإن شهادتهم معصومة لكونهم عالمين بما شهدوا به عادلين في شهادتهم، فلو كان الأمر بخلاف ذلك لم يكونوا عادلين في شهادتهم ولا عالمين بها.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]. يفهم منها أن ما لم يتنازعوا فيه بل اتفقوا عليه أنهم غير مأمورين برده إلى الكتاب والسنة، وذلك لا يكون إلا موافقا للكتاب والسنة فلا يكون مخالفا.

فهذه الأدلة ونحوها: تفيد القطع أن إجماع هذه الأمة حجة قاطعة.اهـ

قوله ؒ (وانظر الحديث الذي بعد): أي للدلالة على حجية الإجماع ينظر حديث العرباض بن سارية ؓ في قوله ﷺ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[١]، وسيأتي الكلام عليه في موطنه إن شاء الله تعالى، والله الموفق.

۞۞۞

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٦٧٦)، والإمام ابن ماجه في سننه (٤٣)، وصححه الإمام الألباني ؒ في صحيح السنن.

بيان العقيدة التي يجب على المكلف التمسك بها

١٩ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا عَقِيدَتُكَ؟ فَقُلْ: أَنَا سُنِّيٌّ سَلَفِيٌّ، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». أَخْرَجَهُ أَبُودَاوُدَ وَغَيْرُهُ[١]، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وضع الشيخ حفظه الله هذه الفقرة لبيان ما يجب على المكلف من التمسك بعقيدة السلف رضوان الله عليهم، وهم ابتداء الصحابة رضي الله عنهم ومن سلك سبيلهم في فهم الكتاب والسنة والعمل بهما فإن القرآن نزل بلغتهم، وقد عايشوا أسباب نزوله، وكان تلقيهم العلم والخير عن رسول الله ﷺ ، وهم أحرص الناس على خير يعمل وشر يترك.

فإذا سُئلت عن عقيدتك وهذا يرد كثيرًا، إما بلسان الحال أو المقال.

وفي اللامية المنسوبة لشيخ الإسلام رحمه الله يقول:

يـا سَـائِلِي عَـن مَـذهَبِي وعَقِيـدَتِي ... رُزِقَ الهُـدى مَـن لِلهِدايَـةِ يَسـأَلِ

وقال أبو حسن الأشعري رحمه الله في مقدمة "الإبانة" (ص: ٢٠): فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافعة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٦٧٦)، والإمام ابن ماجه في سننه (٤٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن.

وبسنة نبينا محمد ﷺ وما روى عن السادة الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون ولما خالف قوله مخالفون لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ودفع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من إمام مقدم وجليل معظم وكبير مفهم. اهـ

ومع ذلك **تجد الإخواني يقول**: أنا من الإخوان المسلمين أتباع سيد قطب وحسن البنا. **وتجد التبليغي**: ينتسب إلى محمد بن إلياس. **وتجد الرافضي**: ينتسب إلى رافضيته، وربما انتحل الحسن والحسين وعلي وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين.

وتجد القرمطي: ينتسب إلى حمدان بن قرمط من ينتسب إليهم. **والجهمي**: ينتسب إلى الجهم بن صفوان. **والسروري**: ينتسب إلى محمد بن سرور زين العابدين. فكل مبطل ينتسب إلى صاحبه وباطله.

وأهل الحق ينتسبون إلى الحق، ومن ألقابهم:

أهل الحديث: نسبة إلى حديث النبي ﷺ.

وأهل السنة: نسبة إلى سنة النبي ﷺ .

والسلفيون: نسبة إلى السلف الصالح رضوان الله عليهم.

والطائفة المنصورة: نسبة إلى قول النبي ﷺ : «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرة منصورة**»[1].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري (٣٦٤٠)، والإمام مسلم في صحيحه (١٩٢١) من حديث المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه. ومن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما برقم (١٥٦)، ومن حديث ثوبان رضي الله عنه برقم (١٩٢٠).

والفرقة الناجية: نسبة إلى أنهم ناجون من البدع ومن النار بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ.

والجماعة: نسبة إلى اجتماعهم على الحق.

والأصل الأول للجماعة: هم الصحابة رضوان الله عليهم.

فمسميات أهل السنة والجماعة مأخوذة من صفاتهم.

والعقيدة: ما عُقد عليه في القلب، وبها يقع التمايز بين أهل السنة والبدعة.

لأن الصلاة يشترك فيها أهل السنة وأهل البدعة فكل مسلم يصلي، **وكذلك الزكاة والحج.**

لكن اعتقاد أن الله في السماء، وأن الله يرى يوم القيامة، وأن الله عَزَّ وَجَلَّ موصوف بصفات تليق بجلاله، هذا عليه أهل السنة والجماعة.

ويخالف فيه أهل البدعة والشناعة، فيلتزمون التمثيل أو التعطيل أو التفويض، ولا يسلم منهم إلا من شذ في بعض المواطن.

وسبب صفاء عقيدة أهل السنة والجماعة أمور:

الأول: أنها مأخوذة من القرآن والسنة الصحيحة.

الثاني: أنها مأخوذة عن السلف الصالح الذين هم أعلم بمراد الله ومراد رسول وأحكم في فهمه وطريقهم أسلم لبعدها عن الكلام والهوى، ولزومها الدليل، فينطقون ويعملون به.

الثالث: أنها بعيدة عن الخلاف، فقول أهل السنة فيها واحد، من زمن رَسُول الله ﷺ إلى قيام الساعة.

الرابع: أنها مأخوذة على ظاهر القرآن والسنة بعيدًا عن التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل.

قولهُ(فقل أنا سني): نسبة إلى سنة النبي ﷺ وهي طريقته.

والسنة لها معنيان:

معنى الندب والمستحب: وهذا هو إطلاقها عند الفقهاء فلو دخلت على فقيه وتسأله عن صيام يوم عاشوراء؟

يقول: سنة، بمعنى مستحب، وليس بواجب، وإذا تركته ليس عليك إثم.

ويعرف أهل الأصول المستحب بأنه: ما يثاب فاعله امتثالًا ولا يعاقب تاركه.

لكن إذا سئل عالم: عن حب أبي بكر واعتقاد أن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير من الليل؟

يقول: سنة، أي طريقة النبي ﷺ .

وأما السنة بمعناها العام: فتطلق على الخير والشر.

قال بعضهم: «ولكل قوم سنة وإمامها».

أما عند الإطلاق: فقد صار مصطلحًا على طريقة النبي ﷺ القولية والفعلية والاعتقادية، وفي حديث العرباض رضي الله عنه : «**فعليكم بسنتي**».

قولهُ (سلفي): أي على طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم نسبة إلى السلف وهو المتقدم: **ف** ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ [البقرة:٢٧٥]. **فالسلف**: الماضي، ولا محظور في الانتساب إلى السلفية.

قال شيخ الإسلام رحمه الله (٤/ ١٤٩): وَلَا عَيْبَ عَلَى مَنْ أَظْهَرَ مَذْهَبَ السَّلَفِ وَانْتَسَبَ إِلَيْهِ وَاعْتَزَى إِلَيْهِ بَلْ يَجِبُ قَبُولُ ذَلِكَ مِنْهُ بِالِاتِّفَاقِ. فَإِنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ لَا يَكُونُ إِلَّا حَقًّا. فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا: فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي هُوَ عَلَى الْحَقِّ بَاطِنًا وَظَاهِرًا. وَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لَهُ فِي الظَّاهِرِ فَقَطْ دُونَ الْبَاطِنِ: فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُنَافِقِ. فَتُقْبَلُ مِنْهُ عَلَانِيَتُهُ وَتُوكَلُ سَرِيرَتُهُ إِلَى اللهِ. فَإِنَّا لَمْ نُؤْمَرْ أَنْ نُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا نَشُقَّ بُطُونَهُمْ.اهـ

وفي فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٢٤٢): السلفية: نسبة إلى السلف. والسلف: هم صحابة رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ، **وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى** رضي الله عنهم، **الذين شهد لهم رَسُول الله** صلى الله عليه وسلم بالخير في قوله:«**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**»[1] رواه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري ومسلم .

والسلفيون: جمع سلفي نسبة إلى السلف، وقد تقدم معناه، وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل بهما، فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة. اهـ

قوله(و الدليل): أي على هذه التسمية.

قوله(حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه): وهو أحد الذين بكوا حين لم يجد النبي صلى الله عليه وسلم ما يحملهم عليه في غزوة تبوك قال الله عز وجل: ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٦٥١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، وأخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٥٢)، ومسلم في صحيحه (٢٥٣٣)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة:٩٢].

ويسمى هذا الحديث بحديث الوصية، أو حديث الموعظة؛ لأن النبي ﷺ وعظهم موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقالوا يا رَسُول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال: «**عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة**».

فقوله ﷺ (من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرًا): فيه علم من أعلام النبوة والاختلاف مرض سرى في الأمة، والدواء منه.

قوله ﷺ (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ): أي الزموا طريقة النبي ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال الله ﷻ: ﴿ **وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ** ﴾ [آل عمران:١٣٢].

وقال الله ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء:٦٥].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ ﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقد اختلف في المراد بالخلفاء في هذا الحديث:

فقيل: الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم؛ لقول النبي ﷺ : «**وإن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا**» أخرجه مسلم.

وقال النبي ﷺ : «**اقتدوا بالذين من بعدي أبا بكر وعمر**»[1]، أخرجه الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه .

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٦٦٢)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله برقم (١٢٣٣).

وفي حديث سفينة رضي الله عنه : «**خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ، أَوْ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ**»(١) أخرجه أبو داود.

فما أجمع عليه الخلفاء الأربعة فهو حجة ودليل لأنهم لا يجتمعون على ضلالة وأما إذا اختلفوا فيقدم ما عليه أبو بكر وعمر وإن وجد الدليل عن النبي ﷺ فهو المقدم.

والقول الثاني: أن الخلفاء هم الصحابة رضي الله عنهم فكلهم خلفوا النبي ﷺ على طريقته ودعوته وبلغوها للناس.

وقوله (المهديين): لأنهم اهتدوا بالقرآن والسنة قال الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢].

وقوله (الراشدين): لأنهم رشدوا في أقوالهم وأفعالهم ومعتقداتهم.

والرشد: هو ملازمة الحق قال الله عز وجل: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن:٢].

وقال الله عز وجل: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٥١].

قوله (تمسكوا بها): أي تمسكوا بسنة النبي ﷺ وما أجمع عليه السلف في أعمالكم وأقوالكم ومعتقداتكم.

قوله (عضوا عليها بالنواجذ): العض هو المسك بالأسنان، والنواجذ هي الأضراس الداخلية، وقيل الأنياب، والأول أظهر.

وفي هذا دليلٌ على شدة التفلت ولكن على المسلم أن يعتصم بالله عز وجل قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١].

---

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٦٤٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٤٣٧).

وأن يأخذ بسنة رَسُول الله وإن يثبت على دينه لقول النبي ﷺ : [«**يأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض على الجمر**» أخرجه الترمذي[١] عن أنس رضي الله عنه .

فالتمسك بالدين أمره عظيم قال الله عز وجل: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴾ [مريم:١٢]. وقال لموسى: ﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ ﴾ [الأعراف:١٤٥]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**المؤمن القوي خيرٌ واحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**»[٢]، أخرجه مسلم.

وعبر بالنواجذ؛ لأنها أشد الأسنان مسكا لما مسكت به، بخلاف غيرها.

قولهُ (وإياكم): أي اجتنبوا وهذا يسمى عند أهل العلم بالحمية؛ لأن الحديث تضمن المرض، وهو الفرقة والدواء وهو الأخذ بالكتاب والسنة والحمية.

وهي قولهُ (وإياكم ومحدثات الأمور): فإذا أردتم أن تسلموا من البدع فإياكم ومحدثات الأمور أي احذروها فلا تقربوها ولا تعتقدوها ولا تتعبدوا لله عز وجل بها، وهذا التحذير سببه أن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار، فالمسلم يكون حذرًا من المحدثات.

---

(١)أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٢٦٠)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن.

(٢)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٦٤).

وكان النبي ﷺ يخطب في كل جمعة ويقول: «**فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى رسول الله ﷺ**»[(١)]، وقد أحسن من قال:

وخــير الأمــور الســالفات على ... وشر الأمور المحدثات البـدائع

والمراد بالمحدث: ما كان من زيادة في دين الله لم تكن على مثال سابق، فلا يقول قائل، السيارة والساعة وركوب الطائرة والإسفلت واستخدام الإذاعة بدعة ونحو هذا، هذا من تلبيسهم، إذ أن الأصل في العادات الإباحة.

والمذموم من البدع: ما كان في الدين، وأما ما كان في الدنيا فعن رافع بن خديج رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أنتم اعلم بأمور دنياكم**» [(٢)].

فمن أحدث في الدين ما ليس منه فقوله وفعله مردودٌ عليه، لقول رسول الله ﷺ : «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» متفق عليه[(٣)].

والاهتمام بالعقيدة من أهم المسائل التي ينبغي لطالب العلم أن يحققها، ففي حديث جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال: «**كنا نأتي النبي ﷺ ونحن أطفال حزاورة فكان يعلمنا الإيمان ثم يعلمنا القرآن فنزداد به إيمانا**» أخرجه ابن ماجه[(٤)]وقد تقدم.

والمخالفة في العقيدة ضلال يصل بصاحبه إلى التبديع، وربما التكفير لأن الخلاف فيها من خلاف التضاد، قَالَ الْمُزَنِيُّ: سَأَلْتُ الشَّافِعِيَّ عَنْ مَسْأَلَةٍ مِنَ

---

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٢٧٧)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه برقم (٨٦٧)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣٦٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٩٧)، مسلم في صحيحه (١٧١٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٤)أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٦١)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٢٧٣).

الكَلاَمِ، فَقَالَ: سَلْنِي عَنْ شَيْءٍ، إِذَا أَخْطَأْتُ فِيْهِ، قُلْتَ: أَخْطَأْتَ، وَلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ، إِذَا أَخْطَأْتُ فِيْهِ قُلْتَ: كَفَرْتَ.

بيان مصدر عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين

ومصدر عقيدة السلف رضوان الله عليهم: الكتاب والسنة والإجماع.

وهذه الأدلة محفوظة بحفظ الله ﷻ لدينه، على ما هو مقرر في غير ما موطن.

بينما مصدر البدع: الهوى، ولذلك سموا بأهل الأهواء. **ومن مصادرهم**: تقديم العقل على النقل، تقديم الرأي الفاسد على دليل الكتاب والسنة.

ومن أعظم أسباب البدع: التقليد للآباء والمشايخ، بغير دليل، ولا حجة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "المجموع" (٢٠/ ١٥): أَمَّا التَّقْلِيدُ الْبَاطِلُ الْمَذْمُومُ فَهُوَ: قَبُولُ قَوْلِ الْغَيْرِ بِلَا حُجَّةٍ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠] فِي الْبَقَرَةِ، وَفِي لُقْمَانَ: ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ﴾ [لقمان:٢١]. وَفِي الزُّخْرُفِ: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ [الزخرف:٢٤]. وَفِي الصَّافَّاتِ: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ [الصافات:٦٩]. ﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات:٧٠].

وَقَالَ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب:٦٦]. ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب:٦٧].الْآيَاتِ.

وَقَالَ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦].

وَقَالَ: ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٤٧]. وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [إبراهيم:٢١]. وَقَالَ: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾ [النحل:٢٥].

فَهَذَا الِاتِّبَاعُ وَالتَّقْلِيدُ الَّذِي ذَمَّهُ الله هُوَ اتِّبَاعُ الْهَوَى إمَّا لِلْعَادَةِ وَالنَّسَبِ كَاتِّبَاعِ الْآبَاءِ وَإِمَّا لِلرِّئَاسَةِ كَاتِّبَاعِ الْأَكَابِرِ وَالسَّادَةِ والمتكبرين فَهَذَا مِثْلُ تَقْلِيدِ الرَّجُل لِأَبِيهِ أَوْ سَيِّدِهِ أَوْ ذِي سُلْطَانِهِ وَهَذَا يَكُونُ لِمَنْ لَمْ يَسْتَقِلَّ بِنَفْسِهِ وَهُوَ الصَّغِيرُ: فَإِنَّ دِينَهُ دِينُ أُمِّهِ فَإِنْ فُقِدَتْ فَدِينُ مَلِكِهِ وَأَبِيهِ: فَإِنْ فُقِدَ كَاللَّقِيطِ فَدِينُ الْمُتَوَلِّي عَلَيْهِ وَهُوَ أَهْلُ الْبَلَدِ الَّذِي هُوَ فِيهِ فَأَمَّا إذَا بَلَغَ وَأَعْرَبَ لِسَانُهُ فَإِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا. وَقَدْ بَيَّنَ الله أَنَّ الْوَاجِبَ الْإِعْرَاضُ عَنْ هَذَا التَّقْلِيدِ إلَى اتِّبَاعِ مَا أَنْزَلَ الله عَلَى رُسُلِهِ؛ فَإِنَّهُمْ حُجَّةُ الله الَّتِي أَعْذَرَ بِهَا إلَى خَلْقِهِ. اهـ

قولهُ (أخرجه أبو داود): وهو سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى: (٣١٦)، أي في سننه .

(وهو حديث حسن): هي رتبة دون الصحيح، وشروطه نفس شروط الحديث الصحيح، إلا ما كان من خفة ضبط بعض رواته، وإذا عضد بغيره ارتقى إلى الصحيح لغيره.

❁❁❁

من أول الرسل إلى أهل الأرض، ومن آخرهم؟

٢٠ فَإذا قيلَ لَكَ: مَنْ أَوَّلُ الرُّسُل إلى أَهْل الأَرْض، ومَنْ آخرُهُم؟ فَقُلْ: أَوَّلُهُمْ نُوحٌ عليه السلام، وَآخرُهُمْ أَفْضَلُ الأَنْبيَاء نَبيُّنَا مُحمَّدٌ ﷺ ، فَبعْثَتُه أَوَّلُ العَلامَات الصُّغْرى لِلسَّاعَةِ، وَيَجِبُ عَلَيْنَا الإِيمَانُ بِهِمْ جَميعًا.

وَالدَّليلُ حَديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ عَنْ أَهْل المَحْشَر يَوْمَ القيَامَة: «فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُل إِلَى أَهْل الأَرْض، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

وَالدَّليلُ عَلَى أَنَّ آخرَهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وَحَديثُ ثَوْبَانَ رضي الله عنه أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[٢].

وَالدَّليلُ عَلَى أَنَّهُ أَفْضَلُ الأَنْبيَاء: حَديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القيَامَة». مُتَّفَقٌ عَلَيْه[٣]. وَالدَّليلُ عَلَى أَنَّهُ أَوَّلُ عَلامَات السَّاعَة: حَديثُ سَهْل بْنِ سَعْد رضي الله عنه أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «بُعثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيه. مُتَّفَقٌ عَلَيه[٤]. وعَنْ أَنَس ابنِ مَالك رضي الله عنه أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «بُعثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالوُسطَى. مُتَّفَقٌ عَلَيه[٥].

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٣٤٠)، والإمام مسلم في صحيحه (١٩٤).

(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٥٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٨٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأخرجه أبو داود عن ثوبان (٤٢٥٢) وأصله في مسلم.

(٣)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧١٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٩٤).

(٤)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٠٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٩٥٠).

(٥)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٠٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٩٥١).

وَالدَّلِيلُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا الإِيمَانُ بِهِمْ جَمِيعًا، وَمَنْ كَفَرَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ فَقَدْ كَفَرَ بِهِمْ جَمِيعًا؛ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٍ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١] [ح١].

[ح١] وفي آخر الآية وقول الله تعالى: (وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ) [آل عمران: ١٣١]. وقوله تعالى: (وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ) [آل عمران:١٣٣] دليل على أن الجنَّة والنار موجودتان الآن.

ساق المصنف حَفِظَهُ اللهُ هذه الفقرة لبيان من هو أول رسول أرسل إلى أهل الأرض على ما يأتي، إلا أن المصنف حفظه الله تكلم فيها على عدة مسائل:

الأولى: مسألة الإيمان بالرسل والإيمان بهم ركن من أركان الإيمان الستة كما في حديث عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغيره: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**» [(١)] أخرجه مسلم.

وقال تعالى: ﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة:١٧٧].

وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة:٢٨٥].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨)..

الثانية: الإشارة إلى بعض أشراط الساعة.

الثالثة: الإيمان بالجنة والنار وأنهما موجدتان الآن ولا تبيدان.

قوله (مَنْ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلى أَهْلِ الأَرْضِ، ومَنْ آخِرُهُم): الرَّسُول: هو إنسان حرٌ ذكرٌ بالغٌ عاقلٌ أوحى الله اليه بشرعٍ، وأرسله إلى قومٍ مخالفين لتبليغ شرعه.

وليس من النساء والجن رسول مع خلاف ضعيف لبعضهم، ومن الجِن نُذر، قال الله ﷻ: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ ﴾ [الأنعام:١٣٠]، أي من أحدكم وهم الأنس كما جاءت الأدلة بذلك.

وأول رسول إلى أهل الأرض نوح عليه السلام وكان أهل الأرض في ذلك الوقت قومه، فلا تعارض بين كونه أول رسول إلى أهل الأرض وبين ما علم من خصائص النبي ﷺ أنه أرسل إلى الناس عامة.

والإيمان بالرسل يدخل فيه: الإيمان بمن قص الله علينا في كتابه كما قال: ﴿ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ ﴾ [غافر:٧٨]، لكن يجب علينا الإيمان بجميعهم إجمالا ومن كفر بواحد منهم كفر بهم جميعًا. كما قال الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [الشعراء:١٠٥]، وإنما كان تكذيبهم لنوح.

والمذكورون منهم في القرآن خمسة وعشرون:

ثمانية عشر منهم في سورة الأنعام قال تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ

وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٦].

وقد نظمها بعضهم بقوله:

في تلك حجتنا منهم ثمانية ... من بعد عشر ويبقى سبعة وهم

إدريس هود شعيب صالح وكذا ... ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

قوله (فقل: أَوَّلُهُمْ نُوحٌ عليه السلام): وبينه وبين آدم -عليه السلام- عشرة قرون.

فعن أبي أمامة رضي الله عنه : «**أن رجلا، قال: يا رَسُول الله أنبي كان آدم؟ قال: «نعم، مكلم»، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «عشرة قرون»** [(١)] أخرجه ابن حبان.

وبهذا تعلم ضعف قول من قال بأن إدريس عليه السلام كان قبل نوح عليه السلام.

ولبث نوحًا عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله عز وجل قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ** ﴾ [العنكبوت:١٤].

وقيل: بأنه عليه السلام عُمِّر ألفين سنة، وما آمن به إلا قليل.

وقد أنزل الله عز وجل في القرآن سورة باسمه قال الله عز وجل: ﴿ **إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [نوح:١-٤]، وكفرت زوجته وابنه، والله المستعان.

---

(١) أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٦١٩٠)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في التعليقات الحسان (٦١٥٧)، وفي (الصحيحة) (٢٦٦٨).

قوله (وَآخِرُهُمْ أَفْضَلُ الأَنْبِيَاءِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ): وهو آخرهم فلا نبي بعده ولا رسول. فمن ادعى النبوة بعده أو آمن بمدعي النبوة بعده فهو خارج من الملة. وهذه أحد الأوجه التي كفر بها العلماء القاديانية أتباع الميراز أحمد القادياني. حيث زعم أنه رسول، وله أتباع في الهند وفلسطين وقلة في الجزائر نسأل الله العافية والسلامة. وكونه أفضل الأنبياء قد تقدم شيء من ذلك، والله المستعان.

أشراط الساعة:

قوله (فَبِعْثَتُهُ أَوَّلُ العَلامَاتِ الصُّغْرَى لِلسَّاعَةِ): أي بعثة محمد ﷺ.

والدليل حديث أنس رضي الله عنه وغيره: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**»[1] متفق عليه.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن مبعث عيسى عليه السلام من علامات الساعة، قال الله عز وجل: ﴿**وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ**﴾ [الزخرف:٦١].

وقيل: نزوله في آخر الزمن من علامات الساعة الكبرى وهو الأظهر، لتواتر الأدلة بذلك، والله أعلم.

وسميت الساعة بهذا الاسم؛ لأنها تأتي في وقت محدد لا يزيد ولا ينقص.

قال الله عز وجل: ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا**﴾ [النازعات:٤٢]. **فكان الجواب**: ﴿**قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا**﴾ [الأحزاب:٦٣].

ولها أسماء غير هذه فمنها: القيامة والحاقة والغاشية والوقعة والصاخة والطامة إلى غير ذلك.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٠٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٩٥١).

وأشراطها منقسمة إلى قسمين:

كبرى، وصغرى، قال الله ﷻ: ﴿ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ ﴾ [محمد:١٨].

فمن أشراطها الصغرى: بعث النبي ﷺ وموته وانشقاق القمر، وفشوا الزنا والخمر، ورفع العلم، وغير ذلك على ما هو مفصل في موطنه.

وفي البخاري: عن عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ ﵁، قَالَ: «أَتَيْتُ النبين فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَم، فَقَالَ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا» (١).

ومن العلامات الكبرى:

ما جاء في مسلم: من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﵁، قَالَ: اطَّلَعَ النبي ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ» (٢).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣١٧٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٠١).

قوله (وَيَجِبُ عَلَيْنَا الإِيمَانُ بِهِمْ جَمِيعًا): لقول الله ﷻ:﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥]».

لكن الطاعة: إنما هي لمحمد ﷺ؛ لأن دين جميع الأنبياء قد نسخ ببعثة محمد ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿ **وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ** ﴾ [المائدة:٤٨].

قوله (وَالدَّلِيلُ): لأن أي قول لا ينبني على دليل قول ضعيف وربما يكون باطلا وربما يكون غير مقبول لكن مع الدليل الثابت والحجة الظاهرة يقبل القول.

قوله (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ عَنْ أَهْلِ المَحْشَرِ): أي في حديث الشفاعة الطويل.

وإنما ذكر من الحديث الشاهد منه، ورواية الحديث مختصرة جائزة كصنيع البخاري رحمه الله، والحديث بطوله:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه «أَنَّ رَسُولَ الله أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً ثُمَّ قَالَ أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ يَجْمَعُ الله النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمْ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنْ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ.

فَيَقُولُ النَّاسُ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام فَيَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ الله بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ آدَمُ إِنَّ رَبِّي قَدْ

غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنْ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ.

فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَقَدْ سَمَّاكَ الله عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي عز وجل قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ الله وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُول الله فَضَّلَكَ الله بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ.

فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُول الله وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ عِيسَى إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ.

فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ.

فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷻ ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ. فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الْأَبْوَابِ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»[(١)].

قوله (فَيَأْتُونَ نُوحًا): أي بعد أن يأتوا إلى آدم عليه السلام لطلب الشفاعة، كما هو موضح في الحديث بطوله .

قوله (عن أهل المحشر): سمي المحشر لأن الناس يُحشرون ويجمعون إليه حفاةً عراةً غُرلًا بُهماَ فعن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رسول الله ﷺ ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: «**الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ**»[(٢)] متفق عليه. وقال الله ﷻ: ﴿ **يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [المطففين:٦].

قوله (فَيَأْتُونَ نُوحًا): أي لطلب الشفاعة في فصل القضاء بين العباد.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧١٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٩٤).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٢٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨٥٩).

قولهُ (فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ): هذا نداء لحي حاضر قادر فلا دلالة فيه لما ذهب إليه عباد القبور من تجويز دعاء الأنبياء والصالحين.

قولهُ (أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ): هذا هو الشاهد وأهل الأرض قومه في زمنه.

قولهُ (وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا): قال الله ﷻ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣].

فالعبد: من العبودية وهو المتذلل بالطاعة والخضوع أُخِذ من قوله طريق معبد وشكورا صيغة مبالغة لكثرة شكره لله ﷻ أي أنه كان شاكرا لله ﷻ بلسان الحال والمقال وكان شاكرا بقلبه ولسانه وجوارحه فان الشكر يكون بالقلب استكانةً وباللسان ذكرا وبالجوارح استقامةً، ويكون الشكر على النعم المتعدية، بخلاف الحمد فإنه يكون على المتعدي واللازم من الصفات.

قولهُ (وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ آخِرَهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٠]).

ومعنى خاتم النبيين آخرهم، يدل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع والنظر، ومن هذه الأدلة قوله ﷺ «**لا نبي بعدي ولا رسول**»[(١)].

ومعلوم أنه أُرسل إلى الناس كافة لإقامة الحجة الرسالية فكان آخر الأنبياء والمرسلين.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٢٧٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٩٠).

قوله (﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب:٤٠]).جاء في قراءة: «**وهو أبٌ لكم**» والمراد الأبوة الدينية لا الطينية، وقد قال النبي ﷺ : «**أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم**»[1]، أخرجه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقد تبنى زيد ابن حارثة رضي الله عنه فلما أنزل الله عز وجل النهي عن ذلك نُسب زيد إلى أبيه.

قوله (وَحَدِيثُ ثَوْبَانَ رضي الله عنه): وهو ثوبان ابن بجدد مولى النبي ﷺ ومواليه.

قوله (وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لا نَبِيَّ بَعْدِي): هذا توكيد وبيان أنا خاتم النبيين هو الذي لا نبي بعده.

قوله (الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ أَفْضَلُ الأَنْبِيَاءِ: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ»). وإذا كان سيدهم يوم القيامة فهو سيدهم في الدنيا وذكر القيامة لشرفها ولأن السيادة بها أكمل ومنها أنه صاحب الشفاعة العظمى قال الله عز وجل: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء:٧٩]، وسيأتي الكلام عليها في موطنه إن شاء الله تعالى.

قوله (وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ أَوَّلُ عَلامَاتِ السَّاعَةِ): أي أشراطها، وقد تقدم.

قوله (سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه): وهو أبو العباس سعد بن مالك الأنصاري.

قوله (بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيهِ): أي السبابة والوسطى بمعنى أن الفارق بينهما متقارب وفيه التعليم بالإشارة وضرب الأمثال، وقد تقدم أن مبعث النبي ﷺ من أشراط الساعة الصغرى.

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٨)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٣٢٦)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

قوله (وعَنْ أَنَسِ ابنِ مَالِكٍ رضي الله عنه): وهو أبو حمزة خادم النبي ﷺ ، من المكثرين في رواية حديث رسول الله ﷺ .

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالوُسطَى: وهي التي تلي الإبهام. وسميت **سبابة**؛ لأن العرب كانوا يشيرون بها عند السب وسميت بالمسبحة لأن التسبيح يقع بها.

قوله (وَالدَّلِيلُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا الإِيمَانُ بِهِمْ جَمِيعًا، وَمَنْ كَفَرَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ فَقَدْ كَفَرَ بِهِمْ جَمِيعًا): قول الله عز وجل: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا** ﴾ [النساء:١٣٦].

قوله (قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ [البقرة:٢٨٥]**)**.أي أن من طريقة النبي ﷺ الإقرار والإيمان والتصديق بما أنزل الله عز وجل من الكتب.

قوله(﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ ﴾ [البقرة:٢٨٥]**)**. (والمؤمنون) آمنوا بكل ما آمن به النبي ﷺ واستقاموا على أمره وشرعه: ﴿ **كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ** ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وهذه أركان الإيمان الستة، أولها الإيمان بالله.

والإيمان بالله يتضمن أربعة أركان:

١- الإيمان بوجوده. ٢ - الإيمان بربوبيته.

٣ - الإيمان بألوهيته. ٤- الإيمان بأسمائه وصفاته، وسيأتي تفصيل ذلك في موطنه إن شاء الله عز وجل.

الإيمان بالملائكة:

قوله (﴿ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ﴾): ويتضمن الإيمان بأنهم خلق من خلق الله ﷻ خلقهم من نور وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأنهم موكلون بشؤون العالم والآيات والأحاديث طافحة بذكرهم.

الإيمان بالكتب:

قوله (﴿ وَكُتُبِهِۦ ﴾): فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى.

وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب. فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله، وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء. قال تعالى: [البقرة:١٣٦].

﴿ **الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ** ﴾ [آل عمران:١-٢] إلى قوله: ﴿ **وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ** ﴾ [آل عمران:٤]. ﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ** ﴾ [البقرة:٢٨٥].

﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا** ﴾ [النساء:٨٢]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تكلم بها، وأنها نزلت من عنده. **وفي ذلك إثبات صفة الكلام والعلو.**

وقال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [البقرة:٢١٣]، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴾ [فصلت:٤١]﴿ **لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ** ﴾ [فصلت:٤٢]، ﴿ **وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ** ﴾ [سبأ:٦]، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم

مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس:٥٧]، ﴿ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ ﴾ [فصلت:٤٤]، ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ ﴾ [التغابن:٨]، وأمثال ذلك كثيرة في القرآن.

ونؤمن بالقرآن جملة وتفصيلًا فنعمل بما فيه وننقاد لما شرعه الله وأنه كتاب محفوظ قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]. وقال ﷻ: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [فصلت:٤٢].

قولهُ (﴿ وَرُسُلِهِۦ ﴾): جمع رسول وهم الذين أرسلهم الله ﷻ إلى الناس يدعونهم إلى التوحيد ويخرجونهم من الظلمات الى النور قال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل:٣٦].

والرَّسُول أكمل من النبي ﷺ، مع أن كل رسول نبي ولا عكس والفرق بينهما أن النبي ﷺ من أرسل بشريعة سابقة والرَّسُول من أرسل بشرعٍ جديد وبعث إلى قومٍ مخالفين.

وقيل: لا يشترط لأن الله سمى يوسف عليه السلام رسولًا مع أنه جاء مجددًا لدين من قبله.

وأما الأنبياء والمرسلون، فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلا سواهم وأنبياء، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم. فعلينا الإيمان بهم جملة؛ لأنه لم يأت في عددهم نص.

وقد قال تعالى: ﴿ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ ﴾ [النساء:١٦٤].وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن

قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ ﴾ [غافر:٧٨].

وعلينا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به، على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بيانا لا يسع أحدا ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل خلافه.

قال تعالى: ﴿ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النحل:٣٥]، ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النحل:٨٢]، ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النور:٥٤].

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [التغابن:١٢].

وأولو العزم من الرسل قيل فيهم أقوال أحسنها: ما نقله البغوي وغيره عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ وقتادة: أنهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم.

قال: وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ ﴾ [الأحزاب:٧].

وفي قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ﴾ [الشورى:١٣].

وأما الإيمان بمحمد ﷺ، فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالا وتفصيلا.

قوله: (لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ): أي من حيث أنهم رسل الله أما من حيث التفضيل فالتفضيل حاصل، فأفضلهم أولوا العزم من الرسل قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [الأحقاف:٣٥]، وهم محمد ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ونوح عليهم السلام.

وأما حديث: «**لا تفاضلوا بين الأنبياء**»، فالمراد به التفضيل المفضي إلى التنقص لأحدهم.

وكان سببه: ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رجلًا من اليهود قال: «**وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى العَالَمِينَ، فَرَفَعَ المُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَطَمَ وَجْهَ اليَهُودِيِّ، فَذَهَبَ اليَهُودِيُّ إِلَى النبي** ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَمْرِ المُسْلِمِ، فَدَعَا النبي المُسْلِمَ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النبي ﷺ: «**لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ**»[1]، أخرجه البخاري ومسلم.

فيجب الإيمان بهم جميعا والإيمان بمحمد تفصيلا بطاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر والانتهاء عما نهى عنه وزجر وألا يعبد الله ألا بما شرع على ما تقدم، وبالله التوفيق.

قولهُ (قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [النساء:١٥٠]): بمعنى أنهم: **يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا،** طريقًا وسطا يؤمنون بعيسى عليه السلام ويكفرون بمحمد أو يؤمنون بموسى عليه السلام ويكفرون بمحمد.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤١١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣٧٣).

قولهُ (﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾) أي أن من كفر بمحمد وفرق بين رسل الله فهو كافرٌ كفر أكبر مخرج من الملة.

بيان أن الجنة والنار موجودتان، وأنهما لا تفنيان تبيدان:

قولهُ (﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾): دليل على أن الجنة والنار موجودتان الآن، وقول الله ﷻ: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣].

وذهب المعتزلة ومن إليهم إلى أن وجود الجنة والنار الآن عبث، مخالفين الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة.

وقد قلت في كتابي "سلامة الخلف" (٢٢٧) مختصرًا: ومن قول أهل السنة أن الجنة والنار قد خلقتا وقال ﷻ: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:٣٥]. **وقال:** ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [يس:٢٦]. **وقال:** ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [غافر:٤٦].

ولم يخالف في ذلك إلا أهل البدع من المعتزلة والخوارج، والأدلة على ذلك متوافرة متواترة .

منها: قوله تعالى: ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [الحديد:٢١]. وقوله: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣].

وقوله ﷺ : «**أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» **متفق عليه عن أبي هريرة** رضي الله عنه.

وقال عن النار: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١]. **وقوله:** ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا﴾ [النبأ: ٢١-٢٢].

وقوله تعالى في الجنة: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾ [النجم:١٣-١٥].

ومن السنة ما أخرجه في الصحيحين:

أخرج البخاري (٥٢٢٦): عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ النبي ﷺ قَالَ: «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ أَوْ أَتَيْتُ الْجَنَّةَ فَأَبْصَرْتُ قَصْرًا فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا قَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَلَمْ يَمْنَعْنِي إِلَّا عِلْمِي بِغَيْرَتِكَ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَا رَسُول الله بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا نَبِيَّ الله أَوَعَلَيْكَ أَغَارُ**»، وأخرجه مسلم (٢٣٩٤).

وأخرج: (٣٢٤٢): عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُول الله إِذْ قَالَ بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ فَقَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رسول الله**»، وأخرجه مسلم (٢٣٩٥).

وأخرج (٣٢٤١): عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النبي ﷺ قَالَ: «**اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**».

وأخرج (٣٢٤٠): عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، وأخرجه مسلم (٨٦٦).

وأخرج البخاري (٤٥٠): عن عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: عِنْدَ قَوْلِ النَّاسِ فِيهِ حِينَ بَنَى مَسْجِدَ الرَّسُول ﷺ: إِنَّكُمْ أَكْثَرْتُمْ وَإِنِّي سَمِعْتُ النبي ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ بَنَى**

مَسْجِدًا قَالَ بُكَيْرٌ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ»، وأخرجه مسلم (٥٣٣).

وأخرج مسلم (٢٤٥٦): عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: «**دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت من هذا؟ قالوا هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك**».

وأخرج (٢٤٥٧):عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رَسُول الله ﷺ قال: «**أريت الجنة فرأيت امرأة أبي طلحة ثم سمعت خشخشة أمامي فإذا بلال**».

وأخرج (٢٤٥٨): عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول الله ﷺ لبلال عند صلاة الغداة: «**يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام منفعة فإني سمعت الليلة خشف نعليك بين يدي في الجنة قال بلال ما عملت عملا في الإسلام أرجى عندي منفعة من إني لا أتطهر طهورا تاما في ساعة من ليل ولا نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي**».

وأخرج (٤٢٦): عن المختار بن فلفل عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **صلى بنا رَسُول الله** ﷺ ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «**أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف فإني أراكم أمامي ومن خلفي ثم قال والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» قالوا وما رأيت يا رسول الله** ﷺ **؟ قال رأيت الجنة والنار**».

وأخرج البخاري (٣٥٢١): عن سَعِيد بْن الْمُسَيَّبِ قَالَ الْبَحِيرَةُ الَّتِي يُمْنَعُ دَرُّهَا لِلطَّوَاغِيتِ وَلَا يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنْ النَّاسِ وَالسَّائِبَةُ الَّتِي كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِآلِهَتِهِمْ فَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ قَالَ: وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ النبي ﷺ : «**رَأَيْتُ**

عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ»، أخرجه مسلم (٢٨٥٦).

وأخرج مسلم (٢٨٤٦): عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «**تحاجت النار والجنة فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم فقال الله للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي**»، وأخرجه البخاري (٤٨٥٠).

وأخرج (١٩١٤-١٢٩): عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين**».

وأخرج البخاري (٣٤٨٢): عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «**عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ**»، وأخرجه مسلم (٢٢٤٢).

وأخرج مسلم (٢٦١٩): عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رَسُول الله ﷺ فذكر أحاديث منها: وقال رَسُول الله ﷺ: «**دخلت امرأة النار من جراء هرة لها أو هر ربطتها فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها ترمرم من خشاش الأرض حتى ماتت هزلا**».

وفي البخاري: باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة.

قال الحافظ رحمه الله في "الفتح" (٦/ ٣٢٥٦): قوله: باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، أي: موجودة الآن. قال: وأصرح مما ذكره ما أخرجه أحمد وأبو داود بإسناد قوي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ،**

أَرْسَلَ جِبْرِيلَ، قَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَجَاءَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُجِبَتْ بِالْمَكَارِهِ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُجِبَتْ بِالْمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، قَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَجَاءَهَا فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ، فقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَا يَسْمَعَ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»(١).

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: خسفت الشمس فصلى رَسُول الله ﷺ والناس معه، ثم ذكر الحديث وفيه قالوا: يا رَسُول الله رأيناك تناولت شيئًا في مقامك هذا ثم تكعكعت، فقال رَسُول الله ﷺ: «**رأيت الجنة فتناولت منه عنقودًا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرًا قط، ورأيت أكثر أهلها النساء**». أخرجه البخاري (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧).

والحديث يدل دلالة ظاهرة: نص لا يحتمل التأويل والتحريف أن النبي ﷺ رأى الجنة بعينيه ورأى النار بعينيه، فلا ينكر وجود الجنة والنار مع وجود هذه الأدلة الصراح الصحاح إلا من أزاغ الله قلبه وأعمى بصيرته، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٥٦٠)، والنسائي في سننه برقم (٣٧٦٣)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٤٠٠).

قال الحافظ رحمه الله في "الفتح" (٢/ رقم ١٠٥٢):قوله: «**إني رأيت الجنة فتناولت منه عنقودًا**»: ظاهره أنها رؤية عين فمنهم من حمله على أن الحجب كشفت له دونها فرآها على حقيقتها، وطويت المسافة بينهما حتى أمكنه أن يتناول منها وهذا أشبه بظاهر هذا الخبر، ويؤيده حديث أسماء الماضي في أوائل صفة الصلاة بلفظ «دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطف من قطافها».

ومنهم: حملها على أنها مثلت له في الحائط كما تنطبق الصورة في المرآة فرأى جميع ما فيها، ويؤيد هذا حديث أنس الآتي في التوحيد «**لقد عرضت عليَّ الجنة والنار آنفًا في عرض هذا الحائط وأنا أصلي**» وفي رواية «**لقد مثلت**» وفي رواية: «**صورت**»...

قال: وأبعد من قال إن المراد بالرؤية رؤية العلم.

قال القرطبي: لا إحالة في إبقاء هذه الأمور على ظواهرها لا سيما على مذهب أهل السنة في أن الجنة والنار قد خلقتا ووجدتا، فيرجع إلى أن الله تعالى خلق لنبيه ﷺ إدراكًا خاصًا به أدرك به الجنة والنار على حقيقتهما. اهـ

وأهل السنة يؤمنون بأن الجنة والنار لا تفنيان ولا يموت أهلها قال عز وجل: ﴿**وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ**﴾ [العنكبوت:٦٤].

وقال: ﴿**وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ**﴾ [غافر:٣٩]، وقال: ﴿**مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ**﴾ [النحل:٩٦]، وقال: ﴿**لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ**﴾ [الدخان:٥٦]، والآيات البينات والأحاديث الصحيحات على هذه المسألة كثيرات وواضحات لا يعتقد خلافها إلا أهل الضلالات قال الله تعالى: ﴿**وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ**

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨]، أي غير مقطوع.

وقال ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ [القصص:٥٤]، وقال: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:٣٥]، وقال: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ﴾ [المائدة:٣٧]، وقال: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٣].

وقال ﷻ مؤكدًا خلود أهل الجنة فيها: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان:٥٦] وهذا الاستثناء منقطع، والمراد به أنهم ماتوا في الوقت الذين لم يكونوا في الجنة.

ومن الأدلة على أبدية الجنة من السنة:

ما أخرجه مسلم (٢٨٣٦) من حديث أبي هريرة قال: قال رَسُول الله ﷺ: **«من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»**.

وفي حديث أبي سعيد: **«يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت»** متفق عليه[(١)].

ومن أدلة القول بأبدية النار:

قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة:٣٧]. ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف:٧٥]. ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ:٣٠]. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ﴾ [النساء:٥٧]. ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨]. ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]. ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ﴾ [الأعراف:٤٠]. ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧٣٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨٤٩).

﴿فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ﴾ [فاطر:٣٦]. **﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾** [الفرقان:٦٥]، أي مقيما لازما.

وقد دلت السنة المستفيضة: أنه يخرج من النار من قال: **لا إله إلا الله** ، وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما، بل بإبقاء الله لهما، إلى غير ذلك، والله أعلم. .اهـ مختصرًا

اتفاق الرسل في الدعوة إلى التوحيد

٢١ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: جَمِيعُ الرُّسُلِ إِلَى مَاذَا يَدْعُونَ النَّاسَ؟ فَقُلْ: يَدْعُونَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

بعد أن ذكر حفظه الله ما يتعلق بالإيمان بالرسل ناسب أن يأتي بهذه الفقرة الدالة على أن جميع الرسل يدعون إلى توحيد الله عز وجل وإفراده بما يجب له.

وهذا محل إجماع كما تقدم فإن الله عز وجل أرسل جميع الرسل وأنزل جميع كتبه ليعبد فلا يُشرك معه غيره لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا.

قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥٧].

والأمر الذي اتفقت الرسل عليه تفصيلًا وإجمالًا التوحيد.

قال الله عز وجل: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون:٣٢].

وقال الله عز وجل: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:٦٥].

وهكذا قول صالح وشعيب، وأجمع الآيات الدالة على ذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وقوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقال الله ﷻ مخبرًا عن عيسى -عليه السلام-: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [المائدة:٧١-٧٣]. وقال الله ﷻ آمرًا لمحمدٍ وأمته: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء:٣٦].

قولهُ(فَقُلْ: يَدْعُونَهُمْ إِلَى عِبادَةِ اللّٰهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللّٰهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا﴾): أي والله قد أرسلنا فاللام لام القسم والبعث مأخوذ من الإثارة والتحريك.

قولهُ(﴿فِي كُلِّ أُمَّةٖ﴾): أي في كل طائفةٍ من الناس.

فالأمة تأتي في القرآن على معاني:

الأول: الطائفة من الناس كما في هذه الآية.

الثاني: الفترة من الزمن، قال الله ﷻ: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف:٤٥].

الثالث: الملة، دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ [الزخرف:٢٢].

الرابع: الإمام، دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ﴾ [النحل:١٢٠].

قولهُ(﴿رَّسُولًا﴾): أي أنه مرسل من الله بالتوحيد.

قوله «﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ »: أي دعوتهم إلى عبادة الله وحده، وقد كان رَسُول الله يسير في الأسواق ويقول: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» أخرجه الدارقطني عن طارق المحاربي رضي الله عنه .

قوله (﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾): أي ابتعدوا عن الطاغوت والطاغوت ما تجاوز حده، أُخِذ من الطغيان قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ** ١١﴾ [الحاقة:١١].

اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى الطَّاغُوتِ، كما في تفسير الطبري وغيره:

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الشَّيْطَانُ، وهو مروي عن عمر ومجاهد والشعبي وقتادة والسدي والضحاك.

وَقَالَ آخَرُونَ: الطَّاغُوتُ: هُوَ السَّاحِرُ، وهذا مروي عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ وابن سيرين.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الطَّاغُوتُ: هُوَ الْكَاهِنُ، وهذا القول مروي عن جابر رضي الله عنه وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، **والمعنى عام فيها جميعا.**

وهذه الآية فيها معنى لا إله إلا الله.

فقوله: «﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ إثباتٌ ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾: نفيٌ.

والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة:

قال الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله في "**الأصول الثلاثة**" : وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ الله، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حكَمَ

بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ الله ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٦].

قوله (واجتنبوا): أبلغ من قوله: (اتركوا)؛ لأن فيها التحذير من القرب منهم، فضلًا عن إتيانهم وغشيانهم، والله أعلم.

❁❁❁

تعريف التوحيد

﴿ ٢٢ ﴾ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا تَعْرِيفُ التَّوحِيد الَّذي جَمِيعُ الرُّسُل يَدْعُونَ إليه؟ فَقُلْ: هُوَ إِفْرَادُ الله بِالعِبَادَة، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

بعد أن بين حفظه الله ما يتعلق بالتوحيد الذي دعت إليه رسل الله عَزَّ وَجَلَّ وأنزلت به كتبه ناسب أن يأتي بهذه الفقرة التي فيها بيان التوحيد الذي دعوا إليه، وقد بوب الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد: باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

أي تفسير هاتين الكلمتين، والعطف لتغاير اللفظين، وإلا فالمعنى واحد.

حيث ذكر المصنف في الأبواب السابقة التوحيد وفضائله، والدعوة إليه، والخوف من ضده الذي هو الشرك، فكأن النفوس اشتاقت إلى معرفة هذا الأمر الذي خلقت له الخليقة، والذي بلغ من شأنه عند الله أن من لقيه به غفر له، ـ وإن لقيه بملء الأرض خطايا ـ.

بين رَحِمَهُ الله في هذا الباب أنه ليس اسمًا لا معنى له، أو قولًا لا حقيقة له كما يظنه الجاهلون الذين يظنون أن غاية التحقيق فيه هو النطق بكلمة الشهادة، من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني.

والحاذق منهم يظن أن معنى الإله: هو الخالق المتفرد بالملك، فتكون غاية معرفته هو الإقرار بتوحيد الربوبية، وهذا ليس هو المراد بالتوحيد، ولا هو أيضًا

معنى (لا إله إلا الله) وإن كان لا بد منه في التوحيد بل التوحيد اسم لمعنى عظيم، وقول له معنى جليل هو أجل من جميع المعاني.

وحاصله: هو البراءة من عبادة كل ما سوى الله، والإقبال بالقلب والعبادة على الله، وذلك هو معنى الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، وهو معنى (لا إله إلا الله) كما قال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٣].

وقال تعالى حكاية عن مؤمن يس: ﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس:٢٢-٢٤].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴾ [الزمر:١١-١٤]. وقال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: ﴿ ۞ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ﴾ [غافر:٤١-٤٤].

والآيات في هذا كثيرة تبين أن معنى (لا إله إلا الله) هو البراءة من عبادة ما سوى الله من الشفعاء والأنداد، وإفراد الله بالعبادة.

فهذا هو الهدى، ودين الحق الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه.

أما قول الإنسان (لا إله إلا الله) من غير معرفة لمعناها، ولا عمل به، أو دعواه أنه من أهل التوحيد، وهو لا يعرف التوحيد، بل ربما يخلص لغير الله من عبادته من الدعاء والخوف والذبح والنذر والتوبة والإنابة وغير ذلك من أنواع

العبادات، فلا يكفي في التوحيد، بل لا يكون إلا مشركًا والحالة هذه، كما هو شأن عباد القبور[١].اهـ

إذًا فمعرفة التوحيد من الأمور المتعينة والمهمة فمن عرف حقيقة الشيء سلكه.

فالتوحيد: هو إفراد الله بما يجب له. وإن شئت أن تزيد في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والشيخ حفظه الله عرّف توحيد الألوهية وقد انتقد بعض من لا يحسن الصنيع، وقال: هذا قصور من الشيخ زعم، فله جوابان:

الأول: أن هذا التعريف هو الذي عرف به الشيخ محمد بن عبد الوهاب التوحيد في كتابه الأصول الثلاثة.

الثاني: أن توحيد الربوبية قد أقر به كثير من المشركين والمنددين في الجملة، فضلًا عن المسلمين قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥].

فأراد أن يعرف التوحيد الذي كان الخلاف فيه بين أهل الإسلام وأهل الكفر، فيه أظهر، وهو: إفراد الله بالعبادة، ويسمى إفراد الله بأفعال المكلفين، ولهذا التوحيد عدة أسماء:

الأول: التوحيد الطلبي: من حيث أن الله طلبه من الناس.

الثاني: توحيد الإرادة والقصد: لأن الناس يقصدون به الله.

الثالث: توحيد العبادة: لأن الناس يتعبدون به الله.

الرابع: توحيد الألوهية: لأنه يتأله لله به، والتأله التعبد، فيدل على إفراد الله بهذا

---

(١) انتهى من تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص: ١٠٩)

الباب العظيم فلا يدعى ولا يرجى إلا هو ولا يخاف إلا منه ولا يتوكل إلا عليه وهكذا، وقد تقدم أن العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والمعتقدات.

ولو أن الشيخ جاء بالتعريف الأكمل وهو إفراد الله بما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

أو إفراد الله بما يجب له؛ لكان أليق، ومع ذلك لا ينتقد على الشيخ -حفظه الله تعالى- بحيث تجعل من أخطائه التي يشنع عليه بها.

قوله (والدليل قول الله ﷻ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ﴾ [النساء:٣٦]).

أي أفردوا الله ﷻ بما هو له ولا تشركوا معه غيره.

قوله (شَيۡـًٔا): نكرة في سياق النهي فتفيد العموم، فلا يشرك معه لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا، وفي باب هذه الآية قوله ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣].

وقوله تعالى: [النحل:٣٦]. وقال الله ﷻ: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾ [الأنعام:١٥١]. وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود:١٢٣]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ [الشرح:٨]. وقال الله ﷻ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩].

قوله (وقوله تعالى: «﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»): هذا دليل على توحيد الأسماء والصفات وعلى بقية أنواع التوحيد فهو الواحد الذي لا شريك له ولاند ولا ظهير ولا معين. قال الله ﷻ: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأحقاف:٤]. وقال تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ﴾ [الأحقاف:٤].

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

فمن الأدلة على إفراد الله ﷻ بالعبادة سورة الإخلاص وسميت بذلك لخلوصها في بيان التوحيد الذي هو حق الله ﷻ، وقد جاء في فضلها عدة أحاديث وأنها تعدل ثلث القرآن، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟**» قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»(١)، وقد ألفت فيها -بحمد الله -رسالة بعنوان: "**النبراس في تفسير سورتي الإخلاص**".

والناس الذين وقعوا في الشرك والإلحاد سببه الكبر والهوى وعدم فهمهم لهذا الباب، قال الله ﷻ: ﴿ **إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ** ﴾ [الصافات:٣٥].وقال الله ﷻ مخبرًا عن الكافرين الذين علموا التوحيد ولم يلتزموه: ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ** ﴾ [القصص:٥].

فما بالك بمشركي زماننا من عباد القبور الذين يقولون لا إله إلا الله ويجهلون معناها فكان كفار قريش أعلم بمعناها منهم حيث عرفوا أن معنى قول لا إله إلا الله أن يكون المعبود واحدًا، إلا أنهم استكبروا عن قولها، والله المستعان.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨١١).

أقسام توحيد الله ﷻ

٢٣ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: **كَمْ أَقْسَامُ تَوْحِيدِ اللهِ ﷻ؟** فَقُلْ: ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

١- تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ. ٢- تَوْحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ. ٣- تَوْحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل:٣٠]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥] ، فَهَاتَانِ الآيَتَانِ فِيهَا أَنْوَاعُ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةُ.

ذكر المصنف حفظه الله هذه الفقرة بعد أن عرِّف التوحيد الذي دعت إليه الرسل، فناسب أن يذكر أقسام التوحيد لبيان حقيقة التوحيد وتجليته أكثر حتى لا تبقى شبهة لمريد الحق.

وبيان هذه الفقرة من المهمات فإن أهل البدع ينكرون هذا التقسيم لاسيما والتوحيد عند كثير منهم الربوبية من أن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر إلى غير ذلك من خصائص الربوبية ويتحاشون الكلام في توحيد الألوهية الذي به أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وشرع من أجله الجهاد.

وقد رأيت في جزيرة بمبا في بلاد تنزانيا: كتابًا فيه الإنكار على من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام.

قد يقولون: ليس عندنا دليل من الكتاب والسنة على هذا التقسيم.

نقول: أما دليل صريح فلا يوجد، كما أنه ليس هنالك دليل على علم المصطلح، والأصول، والنحو.

لكن بالاستقراء: تجد أن هذه العلوم من علوم الشريعة.

فبالاستقراء: نجد أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام فننظر مثلًا إلى المشركين الذين يعبدون الأصنام والأحجار والأوثان هل يؤمنون بربٍ خالقٍ رازقٍ مالكٍ مدبر الجواب نعم.

والدليل: ما في سورة يونس ونحوها من السور المكية أن كفار قريش كانوا يقرون بذلك.

قال الله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥].

وقال: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٩].

ومن الأدلة أنهم كانوا يطوفون بالبيت ويلبون: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك) ثم يشركون ويقولون: (إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك)(١).

ومع ذلك كانوا في حال رغبتهم ورهبتهم يسألون الله تعالى.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٦٧].

فالشاهد: أن كثيرًا من الكفار يؤمنون بأن الله خالق رازق مالك مدبر وإنما صرفوا عبادتهم لغيره من دعائهم ونذرهم وذبحهم وتوكلهم، إلى غير ذلك. فهل أدخلهم هذا الإقرار في الإسلام؟

الجواب: أن الله ﷻ أكفرهم بذلك مع اعترافهم به.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١١٨٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

قال تعالى: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر:٣].

إذًا فالتوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيد الربوبية: وهو أثبات الخلق والملك والتدبير لله سبحانه وتعالى وهذا قد يقر به حتى الكفار قال الله ﷻ: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء:١٠٢].

قال الله ﷻ: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل:١٤].

الثاني: توحيد العبادة: وهو توحيد الألوهية: وهو إفراد الله بأفعال المكلفين وهذا التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأنزلت به الكتب، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]. وقال الله ﷻ: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء:٣٦]. وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [هود:٦١]. إلى غير ذلك من الآيات، وقد تقدم ذكر شيء من ذلك. وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ الله بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ.

وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ الله بِهَا. كُلُّهَا للهِ تَعَالَى.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات: وهو إفراد الله لا بما له من الأسماء والصفات، والأصل في هذا الباب أن الله ﷻ موصوف بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل هو سبحانه وتعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

بعض قواعد في الأسماء والصفات

وقد ذكرت بعض قواعد الأسماء والصفات في كتابي "**فتح المجيد لبيان هداية القرآن إلى التوحيد**" قلت فيه:

١- أسماء الله كلها حسنى.

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ**﴾ [الأعراف:١٨٠].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿**ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ**﴾ [طه:٨].

وقَالَ الله تَعَالَى: ﴿**هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ**﴾ [الحشر:٢٤].

ومن حسنها أنها أسماء مدح وكمال، وتتضمن صفات مدح وكمال، وأنها مذكورة في الكتاب والسنة، وأن الله ﷻ أمرنا أن ندعوه بها، وقد ذكر نحو هذا شيخ الإسلام، والشيخ السعدي رَحِمَهُمَا الله.

٢- أسماء الله أعلام وأوصاف.

فكل اسم يتضمن صفة، وهذا من كمالها وحسنها.

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿**أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ**﴾ [الشورى:٥]. وقَالَ الله تَعَالَى: ﴿**وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ**﴾ [الأنعام:١٣٣].

فالرحيم هو ذو الرحمة، كما أن الغفور هو ذو المغفرة.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿**سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ [الصافات:١٨٠]، أي: صاحب العزة المتصف بها.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ**﴾ [الذاريات:٥٨]، أي: صاحب

القوة. وهو السميع يسمع، والبصير يبصر، والعليم يعلم، كما هو معلومٌ عقلًا، وشرعًا، وعرفًا، خلافًا لمن زعم أنه سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

٣- أن الله ﷻ موصف بما وصف به نفسه في كتابه الكريم، وما صح عن نبيه محمد ﷺ الصادق الأمين.

وبيان ذلك أن باب أسماء الله ﷻ وصفاته توقيفية، يُتَوقف في أثبتها على الكتاب والسنة الصحيحة؛ لأنه لا يعرف كيف الله إلا الله ﷻ، وقد أوحى الله ﷻ بذلك إلى محمد ﷺ .

والدليل على هذه القاعدة: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣].

٤- يجب على جميع المسلمين أن ينقادوا للكتاب وسنة رسوله ﷺ.

لا سيما في هذا الباب الذي بابه النصوص الشرعية، فما أثبته الله ﷻ ورسوله ﷺ أثبتناه، وما نفاه الله ﷻ ورسوله ﷺ نفيناه، والدليل قوله الله ﷻ: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٢]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر:٧].

فمثال الإثبات: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ﴾ [النساء:٥٨]، فنثبت لله ﷻ السمع والبصر.

ومثال النفي: قوله تعالى: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

فينزه الله ﷻ عن النوم، ومقدماته لكمال قيوميته ﷻ؛ ولأنه نفى ذلك عن نفسه، **وهنا تنبيه:** وهو أن الصفات المنفية لابد أن تتضمن كمال الضد لأن النفي وحده عدم، وإذا اثبت به كمال الضد صار كمالًا.

فنقول: يُنفى عن الله تعالى الظلم، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ [آل عمران:١٨٢]، لكمال عدله تعالى.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا**﴾ [فاطر:٤٤]، لكمال علمه وقدرته وهكذا.

٥- عند الإثبات والنفي يجب التخلي من محاذير تجر إلى الباطل والضلال وتجر إلى الزيغ والانحراف.

أولا عند الإثبات: الحذر كل الحذر من التكييف والتمثيل.

والتكييف: أن تتخيل لصفة الله ﷻ كيفية وهيئة، فإن اقترن هذا التكيف بشيء موجود كان تمثيلًا، وإن لم يقترن كان تكيفًا، والتكييف والتمثيل من أعظم الإلحاد في أسماء الله وصفاته.

فالله يقول: ﴿ **وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ** ﴾ [الإخلاص:٤]. ويقول: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا**﴾ [مريم:٦٥]. ويقول: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١].

وفي أثر نُعَيم بْنِ حَمَّادٍ الْخُزَاعِيُّ شَيْخُ الْبُخَارِيِّ قَالَ: مَنْ شَبَّهَ الله بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ الله بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ مَا وَصَفَ الله بِهِ نَفْسَهُ وَلَا مَا وَصَفَهُ بِهِ رسوله تَشْبِيهًا.

ويجب أن نؤمن أن لصفات الله ﷻ كيفية وحقيقة لكننا نجهلها؛ لأنها لا تعلم كيفية الشيء إلا بالنظر إليه أو إلى مثيله، أو يحدثك من رآه عنه، وكل هذه منتفية في حق الله تعالى.

ثانيًا عند التنزيه: يجب التخلي من محذورين:

الأول: التعطيل. **والثاني**: التحريف.

والتعطيل في اللغة: هو التفريغ.

وفي الاصطلاح: هو تعطيل الله ﷻ من أسماءه وصفاته وأفعاله أو من بعضها.

والتحريف: هو الميل، وفي الاصطلاح: هو الميل بأدلة الكتاب والسنة عما دلت عليه، ويكون التحريف إما بتغيير اللفظ بزيادة أو نقصان أو بهما أو تغيير المعنى.

ومن هذه الأمثلة المحذورة، قول القائل: يد الله كيدي، فهذا باطل وكفر، أو **قوله**: يد الله ﷻ كذا وكذا على كيفية ليست كالمخلوقات.

نقول: وهذا باطل، وكفر، وحرام؛ لأنك تقول على الله ما لا تعلم.

ومن أمثلتها في باب التحريف والتعطيل، أن يقول القائل: يد الله، هي نعمته، نقول: هذا باطل وحرام، وكفر؛ لأنك صرفت اللفظ عن ظاهره الذي أرداه الله ﷻ، وهو إثبات اليد لله سبحانه يدًا تليق بجلاله لا تماثل صفات المخلوقين؛ إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

٦- كل اسم من أسماء الله ﷻ يتضمن صفة.

كقول الله ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨].

فاسم الحي يتضمن صفة الحياة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء، كقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٣٧].

يتضمن اسم السميع صفة السمع، واسم العليم صفة العلم؛ لأن أسماء الله أعلام وأوصاف، وهذا من حسنها فهي تدل على الذات والوصفية.

٧- كل فعلٍ أضافه الله عز وجل إلى نفسه يشتق منه صفة.

كقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي ﴾ [آل عمران:٥٥].

وكقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤].

فنثبت لله صفة الكلام كما يليق بجلاله.

وكقول النبي ﷺ: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ**»، الحديث في الصحيحين، البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، فنثبت لله عز وجل صفة النزول كما يليق بجلاله.

٨- ما أضيف إلى الله عز وجل يكون على قسمين:

الأول: ما أضيف إلى الله عز وجل من المعاني التي تقوم بغيرها: كالوجه، والعين، والكلام، واليد، وغير ذلك، فهو إضافة صفة إلى موصوف.

الثاني: وما أضيف إلى الله عز وجل من المعاني التي تقوم بنفسها، فإضافتها إلى الله إضافة خلق أو ملكٍ، كناقة الله عز وجل، وبيت الله، وعبد الله، وهكذا.

٩- كل دليلٍ يدل على وصف الله عز وجل فإنه يبقى على ظاهره.

وهو المتبادر للسان العربي، والفطرة السليمة المستقيمة، ولا يجوز تحريفه؛

لأن هذا من الإلحاد الذي حرمه الله ﷻ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

ومعلوم: أن الله ﷻ أنزل القرآن: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٥].

فصرف اللفظ من المعاني الحقة إلى معاني باطلة يعتبر جناية على القرآن وعلى رب العالمين.

١٠- لِيُعلم أن المتصف بالصفات أكمل من الذين لا صفات له.

فلا يعقل أن يكون المخلوق المربوب الضعيف المحتاج يسمع، ويبصر، ويعلم، ويقدر، والله ﷻ معطل عن ذلك، بل يثبت لله ﷻ الكمال اللائق به مما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله.

١١- لسنا أحرص واتقى من السلف رِضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ.

فهم قد أثبتوا لله ﷻ ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل، فلا يلبس علينا شياطين الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، والقرامطة، والفلاسفة، بشبه أوهى من خيط العنكبوت:

وكل خير في إتباع من سلف.

١٢- طريقة السلف أعلم وأحكم.

فالسير عليها في جميع جوانب الحياة فما من خير إلا وسبقونا إليه، وما من شر وضير إلا وحذرونا منه.

قَالَ الأَوْزَاعِيُّ: عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ» أخرجه الآجري في "**الشريعة**" (١/ ٤٤٥).

١٣- إنَّ الله عز وجل أنزل القرآن وذكر فيه صفاته وأسمائه وما يتعلق بذلك.

وذكر فيه الأحكام وما يتعلق بها، وذكر فيه القصص وغير ذلك، وكل هذه الآيات تُتلى على العالم والجاهل، والذكر والأنثى، فليبلغ دين الله الحق وخصوصًا في هذا الباب.

١٤- القول في بعض الصفات كالقول في الصفات الأخرى.

وهذه القاعدة رد على الأشاعرة: الذين يثبتون لله عز وجل سبع صفات.

وهي المجموعة في قول السفاريني:

حَيٌّ مُرِيدٌ قَادِرٌ عَلَّامُ لَهُ السَّمعُ والبَصَرُ والكَلامُ

زاعمين أن هذه دل عليها العقل، فيلزمهم أن يثبتوا لله عز وجل الصفات التي دل عليها الشرع: كالغضب، والرضى، والسخط، والكراهة، وغير ذلك.

مما ثبتت به النصوص، والعقل الصحيح لا يعارض النقل الصحيح، والعقل يعتبر في هذا الباب، وفي غيره من أبواب الشرع منقادًا لا قائدًا.

١٥- العلم بأن الله جل جلاله موصوف بالنفي والإثبات.

والأصل الإثبات، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:١-٤].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥].

والنفي لا بد أن يتضمن كمال الضدِّ، على ما تقدم ويكون لبيان عموم كماله المقدس كما في قوله: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١].

ويكون لدفع توهم النقص، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ**﴾ [ق:٣٨].

ويكون لرد ما ادعاه في حقه المبطلون، كما في قوله: ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**﴾ [الإخلاص:٣].

١٦- أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معلوم لنا.

لحديث عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ : «**مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللهم إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ الله عز وجل هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا**»، **قَالُوا: يَا رَسُول الله يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ**»[(١)]، رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم، وهو صحيح.

وقد خرجته في كتابي: "**التبيين لخطأ من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين**".

ويدل على عدم الحصر، حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها، عند الإمام مسلم (٤٨٦): أنه

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٣١٨)، وابن حبان في صحيحه (٩٧٢)، وقال الإمام الألباني رحمه الله في التعليقات الحسان (٩٦٨): صحيح، وهو في الصحيحة برقم (١٩٩).

كان يقول وهو ساجد: «**اللهم أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**».

والثناء على الله تعالى إنما يكون بالصفات العُلى والأسماء الحسنى.

قال شيخ الإسلام ﵀ كما في "درء تعارض العقل والنقل" (٣/ ٣٣٢-٣٣٣)- في كلامه على حديث عائشة الآنف الذكر-: فأخبر ﷺ أنه لا يحصي ثناءً عليه، ولو أحصى أسمـــائه تعالى لأحصى صفاته كلها، فكان يحصي الثناء عليه؛ لأن صفاته إنما يعبر بها عن أسمائه. اهـ

و نحن إذا نظرنا إلى القرآن نجد أن الله سمى نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات.

فبتتبع نصوص القرآن والسنة نجد هذه الأقسام من التوحيد: ويدل على هذا التقسيم أول سورة الفاتحة، على ما يأتي إن شاء الله تعالى.

تنبيه: جاء الإخوان المسلمون والسرورية ومن إليهم بقسيِّم رابع للتوحيد وهو:

توحيد الحاكمية: وقدموه على توحيد الألوهية، ويسمون ما يقع من الحكام: شرك القصور، ولهذا تجد أنهم يكَفِرُون الحكام ويخرجون عليهم مع عدم جواز الخروج عليهم. مع أن الدعوة إلى الحاكمية وتحكيم كتاب الله ﷻ قسم من أقسام توحيد الألوهية، فإن الله ﷻ أمرنا بالتحاكم إلى القرآن والسنة.

قال الله ﷻ: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ**﴾ [المائدة:٤٤].

والمراد به كفر دون كفر في تفسير جماهير العلماء سلفا وخلفًا.

وقال الله ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء:٦٥]، واعلم أن توحيد الربوبية: يستلزم توحيد الألوهية. وتوحيد الألوهية: يتضمن توحيد الربوبية، ومعنى ذلك: أن من أقر بأن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر لزمه أن يقر أنه المعبود بحق.

وبما أن الله هو المعبود بالصلاة والصيام والحج والقيام والدعاء والنذر وهو يتضمن توحيد الربوبية وهذا إفراد الله بالخلق والملك والتدبير.

قوله (وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل:٣٠]).

أي والدليل على هذا التقسيم قَوْلُ الله تَعَالَىَ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾أي أن البسملة فيها توحيد الأسماء والصفات.

فلفظ الجلالة (ٱللَّهِ): علم على الذات العلية وهو أعرف المعارف وهو الاسم الأعظم على الصحيح. وفيه دلالة على توحيد الألوهية. ولازم ذلك أن يكون إلا له ربًا خالقًا ورازقًا وهذا هو توحيد الربوبية.

وأما الاستدلال بها على توحيد الأسماء والصفات فظاهر.

و(ٱلرَّحْمَٰنِ): اسم مختص بالله ﷻ لا يجوز أن يسمى به غير وهو دال على صفة الرحمة العامة، وكان بعض الكفار يثبتونه وبعضهم ينفيه.

قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان:٦٠].

وقيل: بأن نفيهم هذا على سبيل المكابرة. **وقد قال بعضهم**:

ألا كسرت تلك الفتاة هجينها ... ألا قضب الرحمن ربي يمينها

و(ٱلرَّحِيمِ): اسم من أسماء الله ﷻ الحسنى وهو متضمن لصفة الرحمة الخاصة وليس من الأسماء المختصة فقد سمى الله ﷻ محمد رؤوفًا رحيما.

وقوله (وقوله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]): فيه إثبات توحيد الربوبية.

(**فَٱعْبُدْهُ**): فيه إثبات توحيد الألوهية. (**وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ**): أي اصبر حال عبادته لما في ذلك من المشقة أحيانًا.

وقد قال الله ﷻ: ﴿**وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم**﴾ [الكهف:٢٨].

والصبر ثلاثة أقسام:

الأول: صبر على أقدار الله؛ بعدم التسخط فيها.

الثاني: صبر عن معاصي الله؛ بعدم ارتكابها.

الثالث: صبر على طاعة الله؛ بفعلها.

قوله (**هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا**) :فيه اثبات توحيد الأسماء والصفات. **والسمي**: هو المثيل والنظير. ومثله قوله تعالى: ﴿ **وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ** ﴾ [الإخلاص:٤]، وقوله ﷻ:﴿ **فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ** ﴾ [النحل:٧٤]. وقوله ﷻ: ﴿ **فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا** ﴾ [البقرة:٢٢].

قوله (فهاتان الآيتان فيهما أنواع التوحيد الثلاثة): أي أن الاستدلال بهما فيه ما تقدم بيانه. والله الموفق.

❁❁❁

بيان أعظم حسنة وأعظم سيئة

﴿٢٤﴾ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا أَعْظَمُ حَسَنَة[ح١]، وَمَا أَعْظَمُ سَيِّئَة؟ فَقُلْ: أَعْظَمُ حَسَنَة تَوْحِيدُ الله ﷻ، وَأَعْظَمُ سَيِّئَة الشِّرْكُ بالله ﷻ[ح٢]، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠٢].

عَنْ أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «شَفَاعَتى لأهل الكَبَائر من أُمَّتي». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ(١)، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَسْعَدَ النَّاس بشَفَاعَة النَّبِيِّ ﷺ هُمْ أَهْلُ الكَبَائر من المُسْلمينَ، وَلَا شَفَاعَةَ لِمُشْرِكٍ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدالله رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بالله شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّة، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيئًا دخَلَ النَّارَ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ(٢).

[ح١] تسميةُ التَّوحيدِ حسنةً جَاء مِن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا عند الترمذي وابن ماجه وهو حديثٌ صحيحٌ.

[ح٢]جاء تسميةُ الشِّرك سيئةً في قول الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٨١]، قال مجاهد وأبووائل وغيرهما كما في تفسير ابن جرير عند الآية: السيئةُ المذكورةُ في هَذِهِ الآية هي الشِّركُ. وفي هَذَا بيانٌ لجَهل ضُلَّال الخوارج في الاستدلالِ بمثلِ هذه الآية على تكفيرِ عُصَاةِ المُسلمِينَ.

---

(١) أخرجه أحمد (١٣٢٢٢) وأخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، من حديث أبي أنس بن مالك رضي الله عنه وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن.

(٢)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٩٣).

ساق المصنف حَفِظَهُ اللهُ هذه الفقرة لبيان عِظَمِ حسنة التوحيد وسيئة الشرك.

وفيها: إثبات الشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ خلافًا لعقيدة الخوارج والمعتزلة ومن إليهم من الرافضة وغيرهم.

قوله (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا أَعْظَمُ حَسَنَةٍ): لأن الحسنات تتفاوت ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند مسلم: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَفَضَلُها قول لا إله إلا الله وَأَدنَاها إِماطة الَذَى عن الطَرِيق وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»[١].

وفي حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ : «**عرضت علي أعمال أمتي حسنها وسيئها فرأيت من محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق ورأيت من مساوئ أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن**»[٢] أخرجه مسلم.

وفي حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ : «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله**»[٣] أخرجه الترمذي. وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال رسول الله ﷺ : «**أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيين من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»[٤].

وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الله اصْطَفَي مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالله أَكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله، كَتَبَ الله لَهُ عِشْرِينَ حَسَنَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ عِشْرِينَ**

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٥).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٥٣).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٣٨٣)، وابن ماجه في سننه (٣٨٠٠)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح السنن.

(٤)أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٥٨٥)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح الترمذي.

سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً، أَوْ حُطَّ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً»[١].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[٢] متفق عليه.

وفي حديث عبد الله بن عمرو عند البخاري: «**أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ العَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ بِهَا الجَنَّةَ**». قَالَ حَسَّانُ: فَعَدَدْنَا مَا دُونَ مَنِيحَةِ العَنْزِ، مِنْ رَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإِمَاطَةِ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَنَحْوِهِ فَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَبْلُغَ خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً»[٣].

فالشاهد من هذه الأدلة: أن الحسنات تتفاوت وأعظمها التوحيد والسيئات تتفاوت وأعظمها الشرك والتنديد لأن حسنة التوحيد سبب لرضى الله عز وجل والخلود في الجنة وسيئة الشرك الأكبر سبب لغضب الله عز وجل والخلود في النار وما بينهما من شعبهما فما كان إلى التوحيد فهو من شعب الإيمان والإسلام وما كان من الشرك والمعاصي فمن شعب الكفر.

قال ابن القيم رحمه الله في "حكم تارك الصلاة" (ص: ٥٥): وكذلك الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٨٠١٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٤١٨).
(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٠٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٤).
(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٦٣١).

من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان، وتركها من شعب الكفر، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان.

وشعب الإيمان قسمان: قولية وفعلية.

وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية.

ومن شعب الإيمان القولية شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الإيمان وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية.

فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختيارا وهي شعبة من شعب الكفر فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف. **اهـ**

قوله **(فَقُلْ: أَعْظَمُ حَسَنَةٍ تَوْحِيدُ اللّهِ ﷻ)**: لأنه يعصم الدم والمال والعرض في الدنيا، قال تعالى: ﴿ **فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ** ﴾ [التوبة:٥].

وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول الله** ﷺ ، **وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ،**

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ» [(١)] متفق عليه.

وسبب لدخول الجنة والخلود فيها وسبب الفلاح العظيم ولأنه حق الله رب العالمين.

قوله(**وَأَعْظَمُ سَيِّئَةٍ الشِّرْكُ بِاللهِ** ﷻ): لأنه يناقض حق الله وسبب لخلود في النار ويبيح العرض والمال والنفس، إلى غير ذلك مما سطرته في كتابي: "فتح الحميد المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد".

قوله« وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ** ﴾ [النساء:٤٨].

وهذا دليل عام في فضل التوحيد وخطر الشرك، ومفهوم الآية إن الله قد يغفر الزنا والسرقة وشرب الخمر وغير ذلك من المعاصي فكلها داخلة تحت المشيئة لكن الشرك الأكبر لا يغفر الله ﷻ وحتى الأصغر على الصحيح من أقوال أهل العلم، كما تقدم.

قوله(﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾): أي يغفر ما سوى ذلك من الذنوب ما خلا الشرك بالله ﷻ.

وقد أخذ بعض أهل العلم من قوله: «ما دون»، على أن الشرك الأصغر داخلٌ تحت المشيئة.

قالوا: لأن بعض جزئيات الشرك الأصغر ربما تكون أدنى من بعض كبائر الذنوب. **لكن القاعدة عند أهل العلم:** (أن الشرك من حيث هو أعظم معصية

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢).

يُعصى الله بها)، لأنه صرف لحق الله لغير الله، ويدل على هذا المعنى ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، عَنْ وَبَرَةَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا أَدْرِي ابْنَ مَسْعُودٍ أَوِ ابْنَ عُمَرَ - لِأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا " ، لأن الحلف بالله كاذبًا يمين غموس، وهي من أكبر الكبائر على ما تقدم، والحلف بغيره صادقًا شرك، فتنبه لهذه الدقيقة .

قوله ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾: دليل أن صاحب الكبيرة تحت المشيئة.

قال الإمام السفاريني رحمه الله :

ومـن يمـت ولم يتـب مـن الخطَ … فـأمره مفـوض لـذي العطـاء

فـإن يشـاء يعفـو وإن شـاء انـتقم … وإن يشـاء يعطـي ويجـزل الـنعم

قولهُ (وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ١٠١ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾): ساق المصنف حفظه الله الآية لبيان أن الشرك سيئة لا تغفر، والآية في حق الكافرين، وقد أنزلها الخوارج على المسلمين فكفَّروهم واستباحوا دمائهم وأعراضهم.

فيخبر الله عن الكافرين أن ليس لهم من يشفع لهم عند الله عز وجل يوم القيامة لأن الشفاعة فيهم لا تقبل قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، وقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]. ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ أي ولا صديق قريب يشفع فيهم. ثم يقولون: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ أي عودة إلى الدنيا. ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من الموحدين والواقع أنها لو كانت لهم كرة لعادوا لما نهوا عنه كما الله عز وجل: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨].

وفيه: أن الإيمان سبب الفلاح، من قولهم: ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:١٠٢]، أي: المستسلمين المنقادين لله ﷻ، وقد قال الله ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١].

قوله (أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ): أبو حمزة الأنصاري من المكثرين في رواية حديث النبي ﷺ، خدم النبي ﷺ عشر سنين، ودعا له رَسُول الله أن يبارك في أهله وماله.

قوله (شَفَاعَتِي لأَهلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي): الشفع ضد الوتر، وقد جاءت الشفاعة في القرآن مثبتة ومنفية.

فتكون الشفاعة المثبتة بشرطين:

الأول: إذن الله للشافع، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

الثاني: رضى الله عنه عن الشافعي والمشفوع فيه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

والشفاعة أقسام:

أولها: الشفاعة العظمى: وهي خاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين وهذا النوع اتفق على اثباته أهل السنة ووافقتهم المبتدعة، من الخوارج وغيرهم، ودليلها قول الله ﷻ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩]

وهي المشار إليها في حديث أبي سعيد وأنس وأبي هريرة رضي الله عنهم في الصحيحين. ولفظ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ الله النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ الله بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ...**»[(١)] الحديث تقدم.

النوع الثاني والثالث: شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

النوع الرابع: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم. وقد وافقت المعتزلة على هذه الشفاعة خاصة، وخالفوا فيما عداها من المقامات، مع تواتر الأحاديث فيها.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧١٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٩٤).

النوع الخامس: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى** عليه السلام **وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**»، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟**» فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ؟**» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**» متفق عليه[١].

النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب، قال القرطبي في التذكرة بعد ذكر هذا النوع: فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨].

قيل له: لا تنفعه في الخروج من النار، كما تنفع عصاة الموحدين، الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة .

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٧٥٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٠).

النوع السابع: شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة، ففي صحيح مسلم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُول الله ﷺ قال: «**أنا أول شفيع في الجنة**»[١].

وقال: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**»[٢] أخرجه مسلم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها.

وقد تواترت الأحاديث بهذا النوع:

منها: حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ : «**خيرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفىء أترونها للمتقين لا ولكنها للمذنبين الخاطئين المتلوثين**»[٣] أخرجه أحمد.

قوله (شَفَاعَتِي لأَهلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي): خرج طرقه الشيخ مقبل في كتاب الشفاعة رقم: (٥٠) وبين ثبوته وقد قلبه المبتدعة إلى: «**ليست شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**».

قال الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس له أصل في كتب أهل العلم.

وهذا يدل على استحلال المبتدعة للكذب لتبرير بدعهم كما وضعوا: «**الإيمان واحد زيادته ونقصانه كفر**» وهذا حديث مكذوب موضوع يخالف عقيدة المسلمين.

قوله (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ): وهو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، إمام أهل السنة والجماعة رَحِمَهُ اللَّهُ أخرجه في مسنده المسمى بديوان السنة.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٩٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٩٧).

(٣) أخرجه الإمام ابن ماجه (٤٣١١)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (٨٢٢).

قوله (وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ هُمْ أَهْلُ الكَبَائِرِ مِنَ المُسْلِمِينَ): وقد سُئل رَسُول الله كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري: «من أسعد الناس بشفاعتك يا رَسُول الله قال: «من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه»[1].

قوله (وَلا شَفَاعَةَ لِمُشْرِكٍ): لقول الله عز وجل: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]. وقال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨].

وقال الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣].

وقال تعالى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٨٠].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي»[2] أخرجه مسلم.

قوله (وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللّٰهِ رضي الله عنه): وهو ابن عبدالله ابن حرام من المكثرين في رواية حديث النبي ﷺ شهد مع رَسُول الله جميع المشاهد غير بدر وأُحد حيث تخلف بسبب أبيه، وأبوه أفضل منه، كلمه الله كفاحًا ليس بينه وبينه ترجمان بعد أن استشهد في أحد.

قوله (مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بِاللّٰهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ): أي من مات بريئا من الشرك الأكبر والأصغر كان من داخلي الجنة دخولًا أوليًا إن شاء الله وأما من

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٩٩).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٩٧٦).

مات وعنده الشرك الأكبر فإنه يخلد في النار ومن مات وعنده الشرك الأصغر فإن مآله إلى الجنة ولا يدخلها دخولًا أوليًا على الصحيح.

قوله(وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئًا دَخلَ النَّارَ): أي ومن مات على الشرك الأكبر دخل النار دخول خلودٍ.

قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾ [المائدة:٧٢].

وقال الله ﷻ: ﴿**لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ**﴾ [الأعراف:٤٠].

وجاء من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**» وَقُلْتُ أَنَا: «**مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ**» [(١)]متفق عليه.

قوله(تسميةُ التَّوحيدِ حسنةً): أي أن هذا له دليله من السنة الصحيحة جَاء مِن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وهو أبو محمد كان من المطيعين لأبيه بأمر النبي ﷺ: «**أطع أباك ما دام حيا**»[(٢)].

وكان من عباد الصحابة رضي الله عنهم بل شهر بأنه عابد الصحابة رضي الله عنهم.

قوله(مرفوعًا): مرفوع عنه إلى النبي ﷺ أي من قول النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٢٣٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٩٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٧١١)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٧٩٨)، وقال فيه: هذا حديث صحيح، رجاله رجال الصحيح، إلا أسود بن مسعود وحنظلة ابن خويلد، وقد وثقهما ابن معين كما في "التاريخ" من رواية عثمان بن سعيد الدارمي.

وقد قلت في المنظومة الزعكرية في مصطلح الحديث:

مرفوعه ما ينتهى إلى النبي   قولًا وفعلًا أو أقرَّ فانسُبِ

«إِنَّ الله سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسوله ﷺ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ الله شَيْءٌ»[1] والحديث مخرج في "**الصحيح المسند**" للشيخ مقبل رحمه الله.

قوله (عند الترمذي): هو محمد بن عيسى بن سَوْرة صاحب "**جامع الترمذي**" و"**العلل**" .

قوله(ابن ماجه): هو محمد بن يزيد القزويني صاحب السنن .

قوله (جاء تسمية الشرك سيئة): في قول الله عز وجل: ﴿ **بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ** ﴾ [البقرة:٨١].

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٦٣٩)، وابن ماجه في سننه (٤٣٠٠)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٧٨٧)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

فلما ذكر أن الخلود لاحقٌ لهذا الصنف دل على أن المعصية هي الشرك الأكبر المخرج من الملة لأن من عقيدة أهل السنة أن المسلم لا يخلد في النار وأحاديث الشفاعة المتكاثرة تدل على خروج الموحدين من النار.

ومنها: حديث أبي سعيد رضي الله عنه : «**يُدْخِلُ الله أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَمًا قَدْ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ، أَوِ الْحَيَا، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً**»(١) أخرجه مسلم.

وقوله (قال مجاهد): هو ابن جبر المكي تلميذ ابن عباس رضي الله عنه .

قوله (وأبو وائل وغيرهما): شفيق بن سلمة، من تلاميذ ابن مسعود رضي الله عنه .

قوله (في تفسير ابن جرير): هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفي: ٣١٠هـ) وتفسيره أوسع تفاسير السلف.

قوله (السيئة المذكورة في هذه الآية هي الشرك): فخرجت به بقية السيئات من الكبائر والصغائر.

والأخذ بتفسير السلف هو المتعين فعلى جميع المسلمين أن يأخذوا تفسير القرآن من القرآن أو من السنة أو من طريقة السلف الصالحين رضي الله عنهم.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٨٤).

قولهُ (وفِي هَذَا بيانٌ لِجَهل ضُلَّال الخوارج في الاستدلالِ بمثلِ هذه الآية على تكفيرِ عُصَاةِ المُسلمِينَ): الخوارج قوم من المبتدعة، وبدعتهم أول بدعة في الإسلام، حيث كفروا المسلمين بمطلق المعاصي، فكل صاحب كبيرة عندهم كافر، وإن مات عليها يخلد في النار، وهو مذهب ردي وطريق غير سوي.

قال الإمام ابن أبي داود رحمه الله في "حائيته" :

ولا تَعتقِدْ رَأيَ الخَوارجِ إنَّهُ مَقَالٌ لِمَنْ يهواهُ يُرْدِي ويَفْضَحُ

ويرد عليهم بأدلة دخول أهل الكبائر الجنة، إما بتجاوز من الله أو بسبب الشفاعة أو خروجهم من النار بعد العذاب، وقد جعل الله حدودًا لبعض الذنوب، كشرب الخمر، وقطع يد السارق، وجلد الزاني غير المحصن وجلد القاذف، ولو كان فعل المعصية كفرًا لكان حدهم القتل ردة، لقول النبي ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**» أخرجه البخاري[1] عن ابن عباس رضي الله عنه.

فجعل الخوارج السيئة عامة فكل سيئة عندهم كفر وشرك مستدلين بالآية والآية إنما هي في حق الشرك الأكبر المخرج من الملة.

وقد بوب البخاري في صحيحه: (باب كفر دون كفر وظلم دون ظلم).

لرد مثل هذا الباطل، ووقعوا في ذلك لجهلهم بدين الله عز وجل.

ومما يدل على جهلهم: ما أخرجه النسائي في الخصائص عن ابن عباس رضي الله عنه : «لَمَّا خَرَجَتِ الْحَرُورِيَّةُ اعْتَزَلُوا فِي دَارٍ، وَكَانُوا سِتَّةَ آلَافٍ فَقُلْتُ لِعَلِيٍّ: يَا أَمِيرَ

(١)أخرجه البخاري (٣٠١٧).

الْمُؤْمِنِينَ أَبْرِدْ بِالصَّلاَةِ، لَعَلِّي أُكَلِّمُ هَؤُلاَءِ الْقَوْمَ قَالَ: إِنِّي أَخَافُهُمْ عَلَيْكَ قُلْتُ: كَلاَّ، فَلَبِسْتُ، وَتَرَجَّلْتُ، وَدَخَلْتُ عَلَيْهِمْ فِي دَارِ نِصْفِ النَّهَارِ، وَهُمْ يَأْكُلُونَ فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، فَمَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ لَهُمْ: أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَصْحَابِ النبين الْمُهَاجِرِينَ، وَالأَنْصَارِ، وَمِنْ عِنْدِ ابْنِ عَمِّ النبين وَصِهْرِهِ، وَعَلَيْهِمْ نُزِّلَ الْقُرْآنُ، فَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ مِنْكُمْ، وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، لأُبَلِّغَكُمْ مَا يَقُولُونَ، وَأُبَلِّغَهُمْ مَا تَقُولُونَ، فَانتَحَى لِي نَفَرٌ مِنْهُمْ قُلْتُ: هَاتُوا مَا نَقِمْتُمْ عَلَى أَصْحَابِ رَسُول الله وَابْنِ عَمِّهِ قَالُوا: ثَلاَثٌ قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَ: أَمَّا إِحْدَاهُنَّ، فَإِنَّهُ حُكْمُ الرِّجَالِ فِي أَمْرِ الله وَقَالَ الله : ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ما شَأْنُ الرِّجَالِ وَالْحُكْمِ؟ قُلْتُ: هَذِهِ وَاحِدَةٌ قالوا: وَأَمَّا الثَّانِيَةُ، فَإِنَّهُ قَاتَلَ، وَلَمْ يَسْبِ، وَلَمْ يَغْنَمْ، إِنْ كَانُوا كُفَّارًا لَقَدْ حَلَّ سِبَاهُمْ، وَلَئِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ مَا حَلَّ سِبَاهُمْ وَلاَ قِتَالُهُمْ قُلْتُ: هَذِهِ ثِنْتَانِ، فَمَا الثَّالِثَةُ؟ وَذَكَرَ كَلِمَةً مَعْنَاهَا.

قَالُوا: مَحَى نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ أَمِيرُ الْكَافِرِينَ قُلْتُ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ غَيْرُ هَذَا؟ قَالُوا: حَسْبُنَا هَذَا قُلْتُ: لَهُمْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ مَا يَرُدُّ قَوْلَكُمْ أَتَرْجِعُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ قُلْتُ: أَمَّا قَوْلُكُمْ: حُكْمُ الرِّجَالِ فِي أَمْرِ الله، فَإِنِّي أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِ الله أَنْ قَدْ صَيَّرَ الله حُكْمَهُ إِلَى الرِّجَالِ فِي ثَمَنِ رُبْعِ دِرْهَمٍ، فَأَمَرَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَحْكُمُوا فِيهِ أَرَأَيْتَ قَوْلَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ﴾ [المائدة:٩٥]، وَكَانَ مِنْ حُكْمِ الله أَنَّهُ صَيَّرَهُ إِلَى الرِّجَالِ يَحْكُمُونَ فِيهِ، وَلَوْ شَاءَ لحكم فِيهِ، فَجَازَ مِنْ حُكْمِ الرِّجَالِ، أَنْشُدُكُمْ بِالله أَحُكْمُ الرِّجَالِ فِي صَلاَحِ ذَاتِ الْبَيِّنِ، وَحَقْنِ دِمَائِهِمْ أَفْضَلُ أَوْ فِي أَرْنَبٍ؟

قَالُوا: بَلَى، هَذَا أَفْضَلُ وَفِي الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ [النساء:٣٥]، فَنَشَدْتُكُمْ بِالله حُكْمَ الرِّجَالِ فِي صَلاَحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ، وَحَقْنِ دِمَائِهِمْ أَفْضَلُ مِنْ حُكْمِهِمْ فِي بُضْعِ امْرَأَةٍ؟ خَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ.

قُلْتُ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ قَاتَلَ وَلَمْ يَسْبِ، وَلَمْ يَغْنَمْ، أَفَتَسْبُونَ أُمَّكُمْ عَائِشَةَ، تَسْتَحِلُّونَ مِنْهَا مَا تَسْتَحِلُّونَ مِنْ غَيْرِهَا وَهِيَ أُمُّكُمْ؟ فَإِنْ قُلْتُمْ: إِنَّا نَسْتَحِلُّ مِنْهَا مَا نَسْتَحِلُّ مِنْ غَيْرِهَا فَقَدْ كَفَرْتُمْ، وَإِنْ قُلْتُمْ: لَيْسَتْ بِأُمِّنَا فَقَدْ كَفَرْتُمْ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب:٦]، فَأَنْتُمْ بَيْنَ ضَلاَلَتَيْنِ، فَأْتُوا مِنْهَا بِمَخْرَجٍ، أَفَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ.

وَأَمَّا مَحْيُ نَفْسِهِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَنَا آتِيكُمْ بِمَا تَرْضَوْنَ. إن نَبِيَّ الله ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ صَالَحَ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ لِعَلِيٍّ: اكْتُبْ يَا عَلِيُّ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُول الله قَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُول الله مَا قَاتَلْنَاكَ فَقَالَ رسول الله ﷺ: «**امْحُ يَا عَلِيُّ اللهم إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي رسول الله ﷺ، امْحُ يَا عَلِيُّ، وَاكْتُبْ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله**»، وَالله لَرَسُول الله خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ، وَقَدْ مَحَى نَفْسَهُ، وَلَمْ يَكُنْ مَحْوُهُ نَفْسَهُ ذَلِكَ مَحَاهُ مِنَ النُّبُوَّةِ، أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَلْفَانِ، وَخَرَجَ سَائِرُهُمْ، فَقُتِلُوا عَلَى ضَلاَلَتِهِمْ، فَقَتَلَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ»[١].

ويمثل الخوارج في هذه الأيام: جماعة الجهاد، والقاعدة، وداعش.

---

(١) أخرجه الإمام النسائي في الخصائص ص (١٩٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٦٩٤).

والإباضية يعتبرون من الخوارج.

وقد اختلف العلماء في تكفير الخوارج، والصحيح أن بدعتهم غير مكفرة إلا إذا كفروا بأمر خارج عنها، كعبادة القبور، أو إنكار شيء من القرآن، كما قالت العجاردة، أو إنكار حجية السنة، وهذا هو اختيار شيخ الإسلام، وعليه شيخنا يحيى حَفِظَهُ ٱللَّهُ، والله المستعان.

۞۞۞

بيان مراتب الدين

﴿٢٥﴾ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: كَمْ مَرَاتِبُ الدِّينِ؟ فَقُلْ: مَرَاتِبُ الدِّينِ ثَلَاثٌ: الإِسْلَامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ رَقْم(٨)، وَفِيهِ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الإِسْلَامِ، ثُمَّ عَنِ الإِيمَانِ، ثُمَّ عَنِ الإِحْسَانِ.

بعد أن بين المصنف حفظه الله كثيرًا من مهمات الدين ناسب أن يذكر مراتب الدين، والناس في التمسك به متفاوتون، قال الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر:٣٢].

فدلت الآية على ثلاثة أصناف من المسلمين نذكرهم من الأدنى إلى الأعلى:

الأول: الظالم لنفسه. **الثاني:** المقتصد. **الثالث:** السابق بالخيرات.

قال ابن القيم رحمه الله في "طريق الهجرتين" (ص: ١٨٦):

والسائرون إلى الله وإلى دار السلام، وهم ثلاثة أقسام:

ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات بإذن الله.

وهؤلاء كلهم مستعدون للسير موقنون بالرجعّ إلى الله، ولكن متفاوتون في التزود وتعبئة الزاد واختياره، وفي نفس السير وسرعته وبطئه.

فالظالم لنفسه مقصر في الزاد غير آخذ منه ما يبلغه المنزل لا في قدره ولا في صفته، بل مفرط في زاده الذى ينبغي له أن يتزوده، ومع ذلك فهو متزود ما يتأَذى به في طريقه، ويجد غب أذاه إذا وصل المنزل بحسب ما تزود من ذلك المؤذي الضار.

والمقتصد اقتصر من الزاد على ما يبلغه، ولم يشدَّ مع ذلك أحمال التجارة الرابحة، ولم يتزود ما يضره، فهو سالم غانم لكن فاتته المتاجر الرابحة وأنواع المكاسب الفاخرة.

والسابق بالخيرات همه في تحصيل الأَرباح وشد أَحمال التجارات لعلمه بمقدار الربح الحاصل، فيرى خسرانًا أن يدخر شيئًا مما بيده ولا يتجر به، فيجد ربحه يوم يغتبط التجار بأَرباح تجاراتهم، فهو كرجل قد علم أَن أمامه بلدة يكسب الدرهم فيها عشرة إلى سبعمائة وأكثر، وعنده حاصل وله خبرة بطريق ذلك البلد وخبرة بالتجارة، فهو لو أَمكنه بيع ثيابه وكل ما يملك حتى يهيئ به تجارة إِلى ذلك البلد لفعل، فهكذا حال السابق بالخيرات بإِذن ربه يرى خسرانًا بينًا أن يمر عليه وقت في غير متجر. اهـ

قوله: (مَرَاتِبُ الدِّينِ ثَلاثٌ): فمن الأعلى إلى الأدنى الإحسان ثم الإيمان ثم الإسلام ومن الأدنى إلى الأعلى الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان.

والإسلام: هو الاستسلام لله بالطاعة وقد تقدم.

والإيمان: هو الإقرار وسياتي تعريفه الشرعي.

والإحسان: هو المراقبة، وينقسم إلى قسمين:

١- **إحسان فيما بين العبد وبين الله** ﷻ: بتوحيده وإلتزام شرعه، وهو أكمل أنواع الإحسان قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾.

٢- **إحسان بين العباد**: ويكون بكف الأذى وبذل الندى وطلاقة الوجه.

قوله (وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ): وهو أبو حفص أمير المؤمنين ثاني أفضل هذه الأمة بعد النبي ﷺ .

قال ابن عمر ﷺ : «**كنا نقول ورَسُول الله حيٌّ أفضل هذه الأمة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ولم ينكر ذلك علينا**» أخرجه البخاري[١].

وهو الفاروق قال عنه النبي ﷺ قبل إسلامه: «**اللهم أعز الإسلام بأحب العمرين إليك**»[٢]، فأعز الله الإسلام بإسلام عمر ابن الخطاب ﷺ قال عبدالله بن مسعود ﷺ : «**ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر**» أخرجه البخاري[٣].

قوله (في صحيح مسلم): أصح كتاب بعد صحيح البخاري من الكتب المصنفة .

قوله (رقم(٨)): الصحيح أنه أول حديث في كتاب صحيح مسلم وما كان قبله من الأحاديث فهي من المقدمة وأحاديثه ليست على شرط الصحيح، وإنما هذا على ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

قوله (أن جبريل عليه السلام): هو أفضل الملائكة وأفضل الأملاك عند الله ﷻ ثلاثة كان يتوسل النبي ﷺ بربوبية الله ﷻ لهم حيث كان يقول: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل**»[٤] أخرجه مسلم عن عائشة ﷺ.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٦٥٥).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٦٨١)، من حديث ابن عمر ﷺ ، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح الترمذي.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٨٦٣).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٧٧٠).

فجبريل الملك الموكل بالوحي وإسرافيل الملك الموكل بالنفخ في الصور وميكائيل الملك الموكل بالقطر واليهود تبغض جبريل قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨].

قوله (سأل رَسُول الله عن الإسلام): ذكر المصنف الحديث على الاختصار وعلى ما عُلم مؤخرًا.

وإلا فإن لفظ الحديث: عن عمر رضي الله عنه قال: «**بينما نحن جلوس عند رَسُول الله إذ جاء رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يعرفه منا أحد ولا يُرى عليه أثر السفر فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه ثم قال يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رَسُول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا. قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال فأخبرني عن أمراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاة الشاة يتطاولون في البيان قال ثم انطلق فلبث مليًا فقال رسول الله ﷺ :يا عمر أتدرى من السائل، قلت: الله ورسولهن قال: هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم**».

قوله(أخرجه مسلم)[١]: وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه بألفاظ متقاربة.

قوله(سأل عن الإسلام): أي على أركانه وقد بينها النبي صلى الله عليه وسلم وسيأتي بيانها إن شاء الله .

قوله(ثم عن الإيمان): أي عن أركانه وقد بينها النبي صلى الله عليه وسلم وستأتي إن شاء الله.

قوله(عن الإحسان): أي عن ركنه وسيأتي إن شاء الله.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وجاء في صحيح الإمام البخاري (٥٠)، وفي صحيح الإمام مسلم (٩، ١٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

بيان أركان الإسلام وقواعده العظام

﴿٢٦﴾ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: كَمْ أَرْكَانُ الإِسْلَامِ؟ فَقُلْ: خَمْسَةُ أَرْكَان، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ عَبْدالله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَة أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلَاة، وَإِيتَاء الزَّكَاة، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

بعد أن ذكر المصنف حَفِظَهُ اللهُ مراتب الدين ناسب أن يذكر أركان كل مرتبة من مراتبه.

قوله (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: كَمْ أَرْكَانُ الإِسْلامِ؟): الركن هو الأساس الذي يقوم عليه غيره، فأركان الإسلام هي: القواعد العظام التي يتميز بها أهل الإسلام، ويقوم عليها الإسلام مع خلاف بين أهل العلم في التكفير لمن ترك بعضها.

قوله (فَقُلْ: خَمْسَةُ أَرْكَانِ): وبعضها أفضل من بعض.

قوله (وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ عَبْدِالله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا): وجاء عن عمر كما تقدم في حديث جبريل أن النبي ﷺ قال: « **بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ** » فشبه النبي ﷺ الإسلام بالبناء والبناء لا يقوم إلا على أركان وأعمده

قوله (عَلَى خَمْسٍ): وهي أشهر وأظهر أمور الإسلام، وإلا فمن الواجبات غير الخمسة؛ الجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة وغير ذلك، لكن هذه الأركان اتفقت عليها الشرائع في الجملة، ثم هي أعظم

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨)، والإمام مسلم في صحيحه (١٦).

ما يتقرب به إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وهي جامعة لجميع أنواع العبادات القولية والفعلية والاعتقادية والمالية.

وفي **"الإيمان" لابن أبي عبيد (ص: ٢٣)**: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إن للإسلام صوى ومنارا كمنار الطريق منها: أن تؤمن بالله ولا تشرك به شيئا وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تسلم على أهلك إذا دخلت عليهم وأن تسلم على القوم إذا مررت بهم فمن ترك من ذلك شيئا فقد ترك سهما من الإسلام ومن تركهن فقد ولى الإسلام ظهره**»[1]، والحديث ضعيف السند، ولكنه ثابت المتن، على ما بينته في تحقيقي على كتاب الإيمان للقاسم بن سلاَّم.

قوله: (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): وهذا ركن واحد لأن من شهد أن لا إله إلا الله ولم يقر لمحمد بالرسالة فليس بمؤمن.

فكثير من اليهود والنصارى ربما يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وهو غير مؤمن؛ لأنه لم يؤمن برسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والشهادة الحقة: هي الإخبار المطابق للواقع وتكون مع الاعتقاد، وإلا كانت كشهادة المنافقين.

قوله: (أن لا إله إلا الله): أن لا معبود بحق إلا الله وهي أفضل كلمة ولا يدخل في الإسلام إلا بها؛ لحديث: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله**

---

(١) أخرجه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في " كتاب الإيمان " (رقم الحديث ٣ بتحقيق الألباني)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (٣٣٣)، وصححه في صحيح الجامع برقم (٢١٦٢).

إلا الله، وأن محمد رسول الله ﷺ »[١] .

أي أرسله الله ﷻ، وقد تقدم الكلام على ما يتعلق بالشهادتين في مواطن.

قوله (وإقام الصلاة): أي المفروضة كما هو مبين في غير ما حديث فلا يطالب الإنسان أن يأتي بالنافلة وهو مضيع للفريضة، وهن خمس صلوات في اليوم والليلة، وكان فرضها ليلة المعراج، قبل الهجرة بثلاث سنوات.

والصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام: وقواعده العظام ومن ضيعها فقد ضاع حظه من الدين لقول النبي ﷺ : «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[٢] وقال عمر رضي الله عنه لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة .

وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي ﷺ ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْنِينِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: «**تَعْبُدُ الله لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ ذَا رَحِمِكَ**» فَلَمَّا أَدْبَرَ، قَالَ رَسُول الله ﷺ : «**إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[٣] متفق عليه.

ولها أوقاتها وشروطها وأركانها وستأتي إن شاء الله.

قوله (وإيتاء الزكاة): المراد به الزكاة المفروضة، كما تقدم في حديث أبي أيوب رضي الله عنه[٤].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٦٢١)، والإمام النسائي (٤٦٣)، والإمام ابن ماجه (١٠٧٩)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٧١).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٣)، وأخرجه الإمام البخاري : في صحيحه (١٣٩٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٣).

وهـي عبـارة عـن إيجـاب طائفـة مـن المـال في مـال مخصـوص لمالـك مخصوص .

الزكاة: من الزكاء وهو النماء ومن التزكية وهي التطهير.

واختلف في فرضها: والصحيح أنها فرضت بمكة، وحددت أنصبتها بالمدينة، وأرسل رَسُول الله السعاة لجلبها في السنة التاسعة من الهجرة.

ولها أحكامها:

منها: **إذا كانت زكاة الزرع**: فيفرق بين ما سقي من السماء أو بالسانية، ففي حديث ابن عمر رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النبي صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: «**فِيمَا سَقَتِ الْأَنْهَارُ، وَالْغَيْمُ الْعُشُورُ، وَفِيمَا سُقِيَ بِالسَّانِيَةِ نِصْفُ الْعُشْرِ**»[1] أخرجه مسلم.

وإن كانت من المال الصامت أو من عروض التجارة: ففيها ربع العشر.

وضابطه: أن يقسم المال على أربعين، فالناتج هو الزكاة.

وتكون الزكاة في تسعة أصناف:

في النقدين: الذهب والفضة، إذا بلغت النصاب وحال عليها الحول، ونصاب الذهب عشرون دينارًا، ونصاب الفضة (٢٠٠) درهم، فإذا بلغ المال هذا المقدار وحال عليه الحول، ففيه ربع العشر .

وفي الغراس: النخل(التمر) والزبيب إذا بلغت خمسة أوساق والوسق ستون صاعًا.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٩٨١).

وفي الحبوب: (الحنطة والشعير) ونصابها وما قبلها إذا بلغت خمسة أوسق لحديث أبي سعيد متفق عليه: «**لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ، وَلَا فِيمَا دُونَ خَمْسِ ذَوْدٍ صَدَقَةٌ، وَلَا فِيمَا دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ صَدَقَةٌ**»(١).

وفي بهيمة الأنعام: (البقر والغنم والابل)

وتكون زكاة الإبل والغنم: على ما في حديث أنس رضي الله عنه أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه، كَتَبَ لَهُ هَذَا الكِتَابَ لَمَّا وَجَّهَهُ إِلَى البَحْرَيْنِ: «**بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذِهِ فَرِيضَةُ الصَّدَقَةِ الَّتِي فَرَضَ رَسُول الله عَلَى المُسْلِمِينَ، وَالَّتِي أَمَرَ الله بِهَا رسوله، «فَمَنْ سُئِلَهَا مِنَ المُسْلِمِينَ عَلَى وَجْهِهَا، فَلْيُعْطِهَا وَمَنْ سُئِلَ فَوْقَهَا فَلاَ يُعْطِ فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الإِبِلِ، فَمَا دُونَهَا مِنَ الغَنَمِ مِنْ كُلِّ خَمْسٍ شَاةٌ.**

إِذَا بَلَغَتْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ إِلَى خَمْسٍ وَثَلاَثِينَ، فَفِيهَا بِنْتُ مَخَاضٍ أُنْثَى.

فَإِذَا بَلَغَتْ سِتًّا وَثَلاَثِينَ إِلَى خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ فَفِيهَا بِنْتُ لَبُونٍ أُنْثَى.

فَإِذَا بَلَغَتْ سِتًّا وَأَرْبَعِينَ إِلَى سِتِّينَ فَفِيهَا حِقَّةٌ طَرُوقَةُ الجَمَلِ.

فَإِذَا بَلَغَتْ وَاحِدَةً وَسِتِّينَ إِلَى خَمْسٍ وَسَبْعِينَ، فَفِيهَا جَذَعَةٌ.

فَإِذَا بَلَغَتْ يَعْنِي سِتًّا وَسَبْعِينَ إِلَى تِسْعِينَ، فَفِيهَا بِنْتَا لَبُونٍ فَإِذَا بَلَغَتْ إِحْدَى وَتِسْعِينَ إِلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ، فَفِيهَا حِقَّتَانِ طَرُوقَتَا الجَمَلِ.

فَإِذَا زَادَتْ عَلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ، فَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ بِنْتُ لَبُونٍ وَفِي كُلِّ خَمْسِينَ حِقَّةٌ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِلَّا أَرْبَعٌ مِنَ الإِبِلِ، فَلَيْسَ فِيهَا صَدَقَةٌ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا، فَإِذَا بَلَغَتْ خَمْسًا مِنَ الإِبِلِ، فَفِيهَا شَاةٌ وَفِي صَدَقَةِ الغَنَمِ فِي سَائِمَتِهَا إِذَا كَانَتْ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٤٥٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٩٧٩).

أَرْبَعِينَ إِلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ شَاةٌ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ إِلَى مِائَتَيْنِ شَاتَانِ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى مِائَتَيْنِ إِلَى ثَلَاثِ مِائَةٍ، فَفِيهَا ثَلَاثُ شِيَاهٍ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى ثَلَاثِ مِائَةٍ، فَفِي كُلِّ مِائَةٍ شَاةٌ، فَإِذَا كَانَتْ سَائِمَةُ الرَّجُلِ نَاقِصَةً مِنْ أَرْبَعِينَ شَاةً وَاحِدَةً، فَلَيْسَ فِيهَا صَدَقَةٌ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا وَفِي الرِّقَّةِ رُبْعُ العُشْرِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا تِسْعِينَ وَمِائَةً، فَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا»(١) أخرجه البخاري.

ومن البقر: على ما في مرسل طَاوُسٍ، أَنَّ رَسُول الله بَعَثَ مُعَاذَ بْنَ الْجَبَلِ إِلَى الْيَمَنِ، «**فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ كُلِّ ثَلاثِينَ بَقَرَةً تَبِيعًا، وَمِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ مُسِنَّةً**»(٢)، فَأُتِيَ بِهَا دُونَ ذَلِكَ، فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا، وَقَالَ: لَمْ أَسْمَعْ فِيهِ مِنْ رَسُول الله شَيْئًا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَتُوُفِّيَ رَسُول الله قَبْلَ أَنْ يَقْدَمَ مُعَاذٌ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَبِهَذَا نَأْخُذُ لَيْسَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلاثِينَ مِنَ الْبَقَرِ زَكَاةٌ، فَإِذَا كَانَتْ ثَلاثِينَ فَفِيهَا تَبِيعٌ، أَوْ تَبِيعَةٌ، وَالتَّبِيعُ الْجَذَعُ الْحَوْلِيُّ، إِلَى أَرْبَعِينَ، فَإِذَا بَلَغَتْ أَرْبَعِينَ فَفِيهَا مُسِنَّةٌ.

قال البيهقي رحمه الله في "معرفة السنن والآثار" (٦/ ٤٤): قال أحمد: قد روى المسعودي والحسن بن عمارة عن الحكم عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنه حديث معاذ رضي الله عنه موصولًا. اهـ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٤٥٤).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٦٢٣)، والترمذي (٦٢٣)، والنسائي (٥/ ٢٥ – ٢٦)، وابن ماجه (١٨٠٣)، وأحمد (٥/ ٢٣٠)، وصححه ابن حبان (٧/ ١٩٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن.

ومصارفها ثمانية: قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٠].

فيعطى الفقير والمسكين ما يكفيه عام، ويعطى العامل عليه مقدار سعيانه، ويعطى المؤلفة قلوبهم لمصلحة الإسلام، وهم صنفان: مؤمنون وكفار، فيعطى المؤمن ما يزاد به إيمانه، ويكون سببًا في ثباته، وثبات أتباعه، ويعطى الكافر لترغيبه في الإسلام أو كف شره على أهل الإسلام، ويعطى الرقيق لعتقهم والمشاركة في دفع مكاتباتهم، ويعطى الغارم وهو صاحب الدين وأصحاب الحملات ما يقضي حاجتهم، ويعطى المجاهد والمرابط، وطاب العلم ما يكفي حاجته، ويعطى ابن السبيل وهو المسافر ما يبلغه منزله .

قوله (والحج): الحج في اللغة الزيارة وهو زيارة بيت الله الحرام والإتيان بالمناسك في وقت مخصوص على هيئة مخصوصة، ويجب في العمر مرة، إلا إن أوجبه على نفسه بنذر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ» أخرجه مسلم(١).

---

(١) أخرجه والإمام مسلم في صحيحه (١٣٣٧).

وهو الذي بينه النبي ﷺ بقوله: «**خذوا عني مناسككم**»[(١)] أخرجه مسلم عن جابر رضي الله عنه.

وكان فرضه: في السنة الثامنة من الهجرة، ولم يحج رَسُول الله إلا في السنة العاشرة حين تطهرت الكعبة من المشركين.

فقد أرسل أبا بكر وعلي رضي الله عنهما في العام التاسع بالبراءة كما في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الحَجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ يَوْمَ النَّحْرِ، نُؤَذِّنُ بِمِنًى: أَنْ لاَ يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ وَلاَ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: ثُمَّ أَرْدَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا، فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبَرَاءَةٌ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ فِي أَهْلِ مِنًى يَوْمَ النَّحْرِ: «**لاَ يَحُجُّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ وَلاَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ**»[(٢)].

وللحج شرط: وهو والاستطاعة. وقد فسرت بالزاد والراحلة وأمن الطريق ويضاف في حق المرأة المحرم.

لقول النبي ﷺ : «**لا يحل لمراءة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة ثلاثة أيام**» أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي رواية: «**يوم ليلة**» وفي رواية: «**يوم إلا معها محرم منها أو من زوجها**»[(٣)].

وأما مسألة العصبة النسائية: فلا دليل عليها؛ لأن النساء ليست بمحرم للنساء.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٢٩٧).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٦٩)، والإمام مسلم في صحيحه (١٣٤٧).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٠٨٦، ١٠٨٨)، والإمام مسلم في صحيحه (١٣٣٨، ١٣٣٩، ٨٢٧).

قوله: (وصوم رمضان): المراد به صوم شهر رمضان وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة.

وفيه: دليل على تسمية رمضان بهذا الاسم.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥].

وساق المصنف حفظه الله اللفظ الذي رتب عليه البخاري صحيحه من تقديم الحج على الصيام.

ولهذه الأركان أحكامها وموضوعة كتب الفقه، وإنما ذُكرت على ما يتعلق بباب العقيدة، وهي معرفة أركان الإسلام وقواعده العظام.

حكم من ترك أركان الإسلام:

وقد اختلف العلماء في تكفير من ترك بعضها، والصحيح في هذه المسألة كفر من لم يقر بها، أو بشيء منها، أو من ناقض الشهادة بإحدى النواقض القولية أو الفعلية أو الاعتقادية، وكفر من ترك الصلاة على ما يأتي إن شاء الله تعالى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٧/ ٦١٠): وَأَمَّا مَعَ الْإِقْرَارِ بِالْوُجُوبِ إذَا تَرَكَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ فَفِي التَّكْفِيرِ أَقْوَالٌ لِلْعُلَمَاءِ هِيَ رِوَايَاتٌ عَنْ أَحْمَد:

أَحدُها: أَنَّهُ يَكْفُرُ بِتَرْكِ وَاحِدٍ مِنْ الْأَرْبَعَةِ حَتَّى الْحَجِّ وَإِنْ كَانَ فِي جَوَازِ تَأْخِيرِهِ نِزَاعٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فَمَتَى عَزَمَ عَلَى تَرْكِهِ بِالْكُلِّيَّةِ كَفَرَ وَهَذَا قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنْ السَّلَفِ وَهِيَ إحْدَى الرِّوَايَاتِ عَنْ أَحْمَد اخْتَارَهَا أَبُو بَكْرٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِتَرْكِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَعَ الْإِقْرَارِ بِالْوُجُوبِ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ الْفُقَهَاءِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَهُوَ إحْدَى الرِّوَايَاتِ عَنْ أَحْمَد اخْتَارَهَا ابْنُ بَطَّةَ وَغَيْرُهُ.

وَالثَّالِثُ: لَا يَكْفُرُ إلَّا بِتَرْكِ الصَّلَاةِ، وَهِيَ الرِّوَايَةُ الثَّالِثَةُ عَنْ أَحْمَد وَقَوْلُ كَثِيرٍ مِنْ السَّلَفِ وَطَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَطَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَد.

والرَّابِعُ: يَكْفُرُ بِتَرْكِهَا وَتَرْكِ الزَّكَاةِ فَقَطْ.

والْخَامِسُ: بِتَرْكِهَا وَتَرْكِ الزَّكَاةِ إذَا قَاتَلَ الْإِمَامَ عَلَيْهَا دُونَ تَرْكِ الصِّيَامِ وَالْحَجِّ. انتهى

وقال رحمه الله أيضا كما في "المجموع" (٧/ ٣٠٢): وَقَدْ اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِالشَّهَادَتَيْنِ فَهُوَ كَافِرٌ.

وَأَمَّا الْأَعْمَالُ الْأَرْبَعَةُ فَاخْتَلَفُوا فِي تَكْفِيرِ تَارِكِهَا.

وَنَحْنُ إذَا قُلْنَا: أَهْلُ السُّنَّةِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِالذَّنْبِ فَإِنَّمَا نُرِيدُ بِهِ الْمَعَاصِيَ كَالزِّنَا وَالشُّرْبِ وَأَمَّا هَذِهِ الْمَبَانِي فَفِي تَكْفِيرِ تَارِكِهَا نِزَاعٌ مَشْهُورٌ.

وَعَنْ أَحْمَد: فِي ذَلِكَ نِزَاعٌ.

وَإِحْدَى الرِّوَايَاتِ عَنْهُ: إِنَّهُ يَكْفُرُ مَنْ تَرَكَ وَاحِدَةً مِنْهَا وَهُوَ اخْتِيَارُ أَبِي بَكْرٍ وَطَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ كَابْنِ حَبِيبٍ.

وَعَنْهُ رِوَايَةٌ ثَانِيَةٌ: لَا يَكْفُرُ إِلَّا بِتَرْكِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فَقَطْ.

وَرِوَايَةٌ ثَالِثَةٌ: لَا يَكْفُرُ إِلَّا بِتَرْكِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ إِذَا قَاتَلَ الْإِمَامَ عَلَيْهَا.

وَرَابِعَةٌ: لَا يَكْفُرُ إِلَّا بِتَرْكِ الصَّلَاةِ.

وَخَامِسَةٌ: لَا يَكْفُرُ بِتَرْكِ شَيْءٍ مِنْهُنَّ. وَهَذِهِ أَقْوَالٌ مَعْرُوفَةٌ لِلسَّلَفِ. اهـ والله الموفق.

بيان الإيمان

﴿٢٧﴾ فَإذَا قيلَ لَكَ: **مَا هُوَ الإِيمَانُ؟** فَقُلْ: هُوَ نُطقٌ باللِّسَانِ، وَاعْتقَادٌ بالقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالجَوَارِحِ، وَهُوَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ نُطقٌ باللِّسَان، وَعَمَلٌ بالجَوَارِح: حَديثُ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَستُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

وَالدَّلِيلُ أَنَّهُ اعْتقَادٌ بالقَلْب: حَديثُ عُمَرَ الَّذى تَقَدَّمَ فِى أَرْكَان الإيمَان، وَقَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وَعَنْ أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «آيَةُ الإيمَان حُبُّ الأَنْصَار، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٢].

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ يَزِيدُ بالطَّاعَة: قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ يَنْقُصُ بالمَعْصيَة: أَدلَّةُ زيَادَته، فَإِنَّهُ قَبْلَ أَنْ يَزِيدَ كَانَ نَاقصًا. قَالَ الإِمَامُ البُخَاريُّ فِي (كتَابِ الإِيمَانِ) منْ "صَحيحه" بَابِ (٣٣): فَإذَا تَرَكَ شَيْئًا منَ الكَمَال فَهُوَ نَاقِصٌ.

---

(١)أخرجه البخاري(٩) ومسلم (٣٥) وهذا لفظه

(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٤).

وَحَديثُ شُعَب الإيمَان الَّذى ذَكَرْنَاهُ قَريبًا، وَحَديثُ أَبِي سَعيد الخُدْرىِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ رَأى منكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِه، فَإنْ لَمْ يَسْتَطعْ فَبلسَانه، فَإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[1].

وَفِيهِ أَنَّ إِنْكَارَ المُنْكَرِ مِنَ الإِيمَانِ.

بعد أن تكلم المصنف حفظه الله على مرتبة الإسلام، ناسب أن يتكلم عن مرتبة الإيمان.

ومعرفة القول في الإيمان على طريقة السلف من الأمور المهمة، حيث خالف فيها الخوارج وكفروا المسلمين وأوجبوا النار لمن مات على الكبيرة وخالف فيها المرجئة ووقعوا فيما وقعوا فيه حتى أثبتوا الإيمان الكامل للزاني والسارق وشارب الخمر على أي حال كانوا بل ربما لتارك الصلاة بل لغير ذلك على ما هو مبين في المطولات .

وضل فيها المعتزلة، فجعلوا فاعل الكبيرة في الدنيا في منزلة بين منزلتين، وأوجبوا له الخلود في النار في الآخرة موافقة للخوارج.

والإيمان في اللغة: الإقرار. وقيل: التصديق.

وتعريفه بالإقرار أولى؛ لأن الإقرار تصديق وزيادة من حيث أن الإنسان قد يصدق ولا يقر، بينما الإقرار يكون بتصديق مع العمل، وتعريفه بالإقرار هو اختيار شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه الإيمان.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٩).

قولہ(فَقَلْ: هُوَ نُطْقٌ بِاللِّسَانِ): كشهادة أن لا اله إلا الله، وقول سبحان الله والحمد الله والله أكبر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك من أعمال اللسان.

قولہ (وَاعْتِقَادٌ بِالقَلْبِ): فيدخل فيه التصديق وما يليه كالتوكل والإنابة والخشية والإخلاص والخوف والرغبة والرهبة، وغير ذلك من أعمال القلوب.

قولہ(وَعَمَلٌ بِالجَوَارِحِ): أي أعمال البدن كالصلاة والصوم والحج والزكاة والمشي إلى المسجد، وغير ذلك من أعمال البر التي تكون بالجوارح.

وربما عرفه بعضهم بقوله: "الإيمان قول وعمل".

ويريد بالقول: قول القلب: وهو تصديقه، **وقول اللسان**: وهو نطقه، **ويراد بالعمل**: عمل القلب: وهو إخلاصه وتوكله وإنابته، وغيرها.

وعمل الجوارح: وهو الصلاة والصيام وغير ذلك.

وبمعرفة هذا التفصيل تفهم المسألة، وهي دخول الأعمال في مسمى الإيمان، فكل أعمال البر: القلبية أو القولية أو الفعلية داخلة في مسمى الإيمان.

قولہ (وَهُوَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ): أي أن الإيمان يزيد بالأعمال الصالحة كالصلاة والصيام والحج والبر وغير ذلك وينقص بالمعاصي وتفصيله:

أن الزيادة تقع من أمرين:

الأول: فعل الصالحات

الثاني: ترك المنهيات من الأعمال.

فعن أبي هريرة ﵁ قال النبي ﷺ : قال الله ﷻ:«**إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا** ».

وَقَالَ رَسُول الله ﷺ : « **قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْقُبُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ** ».

وَقَالَ رَسُول الله ﷺ : «**إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى الله**» [(١)] أخرجه مسلم.

والنقص يقع بأمرين:

الأول: ترك الواجبات. **والثاني:** فعل المحرمات.

بيان أن ترك الواجب أشد، من فعل المعصية :

وقد اختلف العلماء أيهما أشد إثمًا تارك الواجب أو فاعل المعصية.

وكان الترجيح: أن تارك الواجب أعظم إثمًا من فاعل المعصية، ورجحوا ذلك بالنظر إلى قصة آدم عليه السلام -عليه السلام- وإبليس.

فآدم ﵇ : وقع في النهي فتاب الله عليه ورُحم.

وإبليس: خالف الأمر فطرد من رحمة الله ﷻ ورجم.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٢٩).

وقد ذكر ابن القيم في كتابه "**الفوائد**" أكثر من عشرين وجهًا في بيان هذه المسألة في تعليقه على كلام سهل بن عبد الله ترك الْأَمر عِنْد الله أعظم من ارْتِكَاب النَّهْي لِأَن آدم نهي عَن أكل الشَّجَرَة فَأكل مِنْهَا فَتَابَ عَلَيْهِ وإبليس أَمر أَن يسْجد لآدَم فَلم يسْجد فَلم يتب عَلَيْهِ. اهـ

قوله (وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ نُطْقٌ بِاللِّسَان، وَعَمَلٌ بِالجَوَارِحِ): حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة**» رجح الحافظ ابن حجر ﵀ **قوله**: «بضع وستون».

والبضع: ما بين الثلاثة إلى العشرة.

قوله(فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ: لا إِلَهَ إِلا اللّٰهُ): أي أعلاها وأزكاها.

وفيه: دليل على أن الإيمان يتفاضل فأعلاه قول لا إله إلا الله.

وهذا دليل على أن الإيمان نطقٌ باللسان.

ففيها: دليل على اعتقاد القلب أيضًا؛ لأنه لو قال: أشهد أن لا إله إلا الله بلسانه، ولم يقر بقلبه لم تنفعه، وقد كان المنافقون يقولون: لا إله إلا الله وما نفعتهم.

قوله (وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ): يعني أدنى مراتب الإيمان إزالة الأذى عن الطريق وهو أدنى الأعمال الصالحة.

كما في حديث أنس رضي الله عنه : «**عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، لَا تُدْفَنُ**»[١] أخرجه مسلم.

ويستدل بهذا اللفظ على دخول عمل الجوارح في الإيمان.

قوله (وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ): والحياء خلقٌ عظيم يحملك على مراقبة الله عز وجل وعدم مخالفة أمره. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : «**الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ**»[٢].

وفي رواية: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[٣]، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

ويدل على فضله حديث: «**الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا، رُفِعَ الآخَرُ**»[٤] أخرجه الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنه .

قوله (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ): الصحيح أن هذا اللفظ انفرد به مسلم، والمتفق عليه بلفظ: «**الإيمان بضعٌ وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان**».

قوله (وَالدَّلِيلُ أَنَّهُ اعْتِقَادٌ بِالقَلْبِ: حَدِيثُ عُمَرَ رضي الله عنه الَّذِي تَقَدَّمَ فِي أَرْكَانِ الإِيمَانِ): وهو قوله: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره». وهذا لا يكون إلا بالقلب: فتؤمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبيًا.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٥٣).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٧)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦١١٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٧).

(٤) أخرجه الإمام الحاكم في مستدركه (ج١ص٢٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٧٥٢)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرطهما، فقد احتجا برواته، ولم يخرجاه بهذا اللفظ. اهـ

وبملائكة الله أنهم خلق من خلقه خلقهم من نور، وبرسله وكتبه وتؤمن بغير ذلك مما دل عليه من الأركان.

قوله(وقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]):

التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة به -سبحانه وتعالى- وفعل الأسباب المأذون فيها شرعًا.

قال النبي ﷺ : «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**»[1] أخرجه الترمذي عن عمر رضي الله عنه .

وقد ضربالصحابة رضي الله عنهم المثل الأعلى في هذه الشعيرة، قال الله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ**﴾ [آل عمران:١٧٣].

ومن توكل على الله كفاه، ومن استهدى به هداه، ومن استعان به أعانه.

والتوكل عمل قلبي، وهو أعظم المنازل التي يتميز بها السالك إلى الله عز وجل.

وقوله(إن كنتم مؤمنين): دل على أن التوكل شرط في الإيمان.

قال ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين" (٢/ ١٢٨): وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ الْإِيمَانِ عِنْدَ انْتِفَاءِ التَّوَكُّلِ. فَمَنْ لَا تَوَكُّلَ لَهُ لَا إِيمَانَ لَهُ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿**وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ**﴾ [المائدة:٢٣].

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٣٤٤)، والإمام ابن ماجه (٤١٦٤)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٩٨٦).

قَالَ الله تَعالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢]. اهـ

قوله (وَعَنْ أَنَسٍ): وهو أبو حمزة الأنصاري، وقد تقدم.

قوله (آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ): أي علامة الإيمان حب الأنصار وهذا عمل قلبي.

قوله (وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ): أي وعلامة النفاق بغض الأنصار وهو عمل قلبي.

والحديث: دليل على فضيلة الأنصار رضي الله عنهم فقد آووا النبي ﷺ، ونصروه وضحوا بأموالهم وأنفسهم وأكرموه. فعن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رضي الله عنه وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ العَقَبَةِ: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْأصحابه رضي الله عنهم: «**بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِالله شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى الله، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِك شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ الله فَهُوَ إِلَى الله، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ**» **فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ**[(١)] متفق عليه.

ولذلك أكرمهم الله برضاه عنهم وأكرمهم رَسُول الله ﷺ بالدعاء لهم بقوله: «**اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار**»[(٢)]، متفق عليه عن أنس.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٨)، والإمام مسلم في صحيحه (١٧٠٩).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٩٠٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٠٦).

وفي حديث عبد الله بن زيد ﵁ ، عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «**لَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرًا مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا**» [١] متفق عليه.

وفيه: أن بغض الصحابة ﵃ كفر؛ لأن الأنصار من حيث الجملة لفظ يطلق على المهاجرين والأنصار، فكلهم ناصروا النبي ﷺ .

فبغض الصحابة ﵃ والسب عظيمة تؤدي بصاحبها إلى الكفر، على تفصيل يأتي من كلام أهل العلم ففي فتاوى السبكي (٢/ ٥٧٥):

وَيَنْبَنِي عَلَى هَذَا الْبَحْثِ سَبُّ بَعْضِ الصَّحَابَةِ فَإِنَّ سَبَّ الْجَمِيعِ لَا شَكَّ أَنَّهُ كُفْرٌ وَهَكَذَا إذَا سَبَّ وَاحِدًا مِنْ الصَّحَابَةِ حَيْثُ هُوَ صَحَابِيٌّ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ اسْتِخْفَافٌ بِحَقِّ الصُّحْبَةِ فَفِيهِ تَعَرُّضٌ إلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَا شَكَّ فِي كُفْرِ السَّابِّ.

وَعَلَى هَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ قَوْلُ الطَّحَاوِيِّ وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ فَإِنَّ بُغْضَ الصَّحَابَةِ بِجُمْلَتِهِمْ لَا شَكَّ أَنَّهُ كُفْرٌ . اهـ

وقال ابن حزم ﵀ في "الفصل" (٣/ ١٤٣): وَمن أبْغض الْأَنْصَار لأجل نصرتهم للنَّبِي ﷺ فَهُوَ كَافِر لِأَنَّهُ وجد الْحَرج فِي نَفسه مِمَّا قد قضى الله تَعَالَى وَرَسُوله ﷺ من إِظْهَار الْإِيمَان بِأَيْدِيهِم وَمن عادى عليا لمثل ذَلِك فَهُوَ أَيْضا كَافِر وَكَذَلِكَ من عادى من ينصر الْإِسْلَام لأجل نصْرَة الْإِسْلَام لَا لغير ذَلِك. اهـ

وقال شيخ الإسلام ﵀ في "الصارم المسلول" (ص: ٥٨٦): وأما من سبهم سبا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٣٣٠)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٦١).

أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم.

وأما من لعن وقبح مطلقا فهذا محل الخلاف فيهم لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد.

وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نفرا قليلا لا يبلغون بضعة عشر نفسا أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضا في كفره فإنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع: من الرضى عنهم والثناء عليهم بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين . اهـ

وهذا أحد أوجه كُفر الروافض، حيث يكفرون أصحاب النبي ﷺ .

وقد استدل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ على كفرهم بقول الله ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح:٢٩].

قوله (وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢]):

(**إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ**): ظاهرًا وباطنًا. (**ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ**): بلسان الحال أو المقال، فالذكر طاعة الله ﷻ كما قال سعيد بن جبير وغيره. (**وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ**):

رقت لذلك، واطمأنت وهذا عمل قلبي ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: أي القرآنية ويدخل فيها الأحاديث النبوية ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾: في قلوبهم وزيادة في العمل. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: أي يعتمدون.

وقولهُ (وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤]):

﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾: هي الطمأنينة أنزلها الله على نبيه ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم في مواطن؛ حتى لا يقع منهم التضعضع أمام الكفار، وزاد بنزولها إيمانهم: قال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح:٢٦].

وقولهُ (﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾): ومثلها: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم:٧٦].

ففي القرآن أكثر من سبع آيات صريحة في زيادة الإيمان:

ذكر منها **البخاري** جملة في صحيحه **فقال**: بَابُ زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ، وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣].[﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١]. وَقَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣].

قولهُ (والدليل على أنه ينقص بالمعصية أدلة زيادته): فإنه قبل أن يزيد كان ناقصًا وما قَبِلَ الزيادة فإنه يقبل النقص.

قولهُ (قال الإمام البخاري في (كتاب الإيمان)): وهو من أحسن الكتب المصنفة في الرد على المرجئة والخوارج وهو مطبوعٌ ضمن "**الجامع الصحيح المسند من سنن النبي ﷺ وأيامه**" المعروف بـ: "**صحيح البخاري**".

(فإذا ترك شيئًا من الكمال فهو ناقصٌ): قاله تحت باب زيادة الإيمان ونقصانه بعد ذكر قول الله ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:٣].

قوله (وحديث شعب الإيمان الذي ذكرناه قريبا): أي من الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه.

وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه عَنْ النبي ﷺ قَالَ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**» أخرجه البخاري ومسلم، حيث ذكر في لفظ مسلم أعلى وأدنى.

وقد ألف البيهقي رحمه الله كتاب "**شعب الإيمان**" وأُختصر إلى: "**مختصر شعب الإيمان**" ذكر فيه سبعة وسبعين شعبة ويذكرها بأدلتها.

قال ابن القيم رحمه الله في "كتاب الصلاة": «وقد بينا أن المعاصي كلها شعب من شعب الكفر كما أن الطاعات كلها شعب من شعب الإيمان، فالعبد تقوم به شعبة أو أكثر من شعب الإيمان، وقد يسمى بتلك الشعبة مؤمنا وقد لا يسمى، كما أنه قد يسمى بشعبة من شعب الكفر كافرا وقد لا يطلق عليه هذا الاسم فها هنا أمران أمر اسمي لفظي وأمر معنوي حكمي، فالمعنوي هل هذه الخصلة كفر أم لا؟، واللفظي هل يسمى من قامت به كافرا أم لا؟ فالأمر الأول شرعي محض، والثاني لغوي وشرعي».اهـ

قوله (وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه): أي ومن الأدلة على الزيادة والنقصان حديث أبي سعيد رضي الله عنه وهو: سعد بن مالك الأنصاري رضي الله عنه من المكثرين في رواية حديث النبي ﷺ. **قال الناظم** رحمه الله:

والمكـــثرون في روايـــة الأثـــــر أبــو هريــرة يليــه ابــن عمـــــر
وأنـــس والحبـــر كالخـــدري وجـابـــــر وزوجـــــة النـــبي

قوله (أن النبي ﷺ قال: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده»): فمن رأى منكم يا معاشر المسلمين منكر فليكن مغير له بيده، وهذه أقوى درجات التغيير، ودليل على قوة الإيمان.

قوله (فإن لم يستطع فبلسانه): أي فإن عجز عن التغيير باليد فليغير بالقول، كقوله اتقوا الله، وقوله: هذا حرام وهذا حلال، افعلوا الحلال واتركوا الحرام، ويدخل فيه الخطب والمحاضرات والنصائح.

قوله (فإن لم يستطع فبقلبه): أي إن عجز عن التغيير باليد واللسان فلا أقل من أن يبغضه بقلبه، وذلك أضعف الإيمان ولا يعذر فيه أحد لأنه عمل قلبي لا يطلع عليه إلا الله عز وجل.

قال النووي رحمه الله في "**شرح مسلم**" (٢/ ٢٥): فَقَوْلُهُ ﷺ : «فَبِقَلْبِهِ»: **مَعْنَاهُ فَلْيَكْرَهْهُ بِقَلْبِهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِإِزَالَةٍ وَتَغْيِيرٍ مِنْهُ لِلْمُنْكَرِ؛ وَلَكِنَّهُ هُوَ الَّذِي فِي وُسْعِهِ**.اهـ

وفي قوله: «وذلك أضعف الإيمان»: دليل على أن الإيمان ينقص.

قوله (أخرجه مسلم): في كتاب الإيمان رقم: (٤٩).

وفي ما تقدم من الأدلة تتقرر مسألة مهمة وهي مسألة دخول الأعمال في مسمى الإيمان، سواء كانت الأعمال القلبية أو القولية أو الفعلية.

وهذه المسألة خالف فيها المرجئة، وزعموا أن الأعمال ليست من الإيمان، وقد رد عليهم العلماء قاطبة.

قال ابن رجب رحمه الله في "جامع العلوم والحكم" (١/ ١٠٤): وَالْمَشْهُورُ عَنِ السَّلَفِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ أَنَّ الْإِيمَانَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ، وَأَنَّ الْأَعْمَالَ كُلَّهَا دَاخِلَةٌ فِي مُسَمَّى الْإِيمَانِ. وَحَكَى الشَّافِعِيُّ عَلَى ذَلِكَ إِجْمَاعَ الصحابة رضي الله عنهم وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِمَّنْ أَدْرَكَهُمْ.

وَأَنْكَرَ السَّلَفُ عَلَى مَنْ أَخْرَجَ الْأَعْمَالَ مِنَ الْإِيمَانِ إِنْكَارًا شَدِيدًا. وَمِمَّنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَى قَائِلِهِ، وَجَعَلَهُ قَوْلًا مُحْدَثًا: سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ، وَقَتَادَةُ، وَأَيُّوبُ السِّخْتِيَانِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ، وَالزُّهْرِيُّ، وَيَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، وَغَيْرُهُمْ.

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: هُوَ رَأْيٌ مُحْدَثٌ، أَدْرَكْنَا النَّاسَ عَلَى غَيْرِهِ.

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: كَانَ مَنْ مَضَى مِمَّنْ سَلَفَ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ.

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ فَرَائِضُ وَشَرَائِعُ وَحُدُودٌ وَسُنَنٌ، فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا، اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ. وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا، لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ، ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فِي "**صَحِيحِهِ**".

قِيلَ: الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ.

وَقَدْ دَلَّ عَلَى دُخُولِ الْأَعْمَالِ فِي الْإِيمَانِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه : أَنَّ «النبين قَالَ: لِوَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ: آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ: «الْإِيمَانُ بِالله، وَهَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِالله ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ»[(١)].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النبيِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» وَلَفْظُهُ لِمُسْلِمٍ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النبيِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[(٢)].

فَلَوْلَا أَنَّ تَرْكَ هَذِهِ الْكَبَائِرِ مِنْ مُسَمَّى الْإِيمَانِ، لَمَا انْتَفي اسْمُ الْإِيمَانِ عَنْ مُرْتَكِبِ شَيْءٍ مِنْهَا؛ لِأَنَّ الِاسْمَ لَا يَنْتَفِي إِلَّا بِانْتِفَاءِ بَعْضِ أَرْكَانِ الْمُسَمَّى أَوْ وَاجِبَاتِهِ. اهـ

وأخرج الآجري رحمه الله في "الشريعة" (٢/ ٥٥٣): عن مُحَمَّد بْن عَبْدِ الْمَلِكِ الْمِصِّيصِيُّ أَبُو عَبْدِ الله قَالَ: كُنَّا عِنْدَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ فِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْإِيمَانِ؟ فَقَالَ: "قَوْلٌ وَعَمَلٌ قَالَ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؟

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٢٣، ١٣٩٨)، والإمام مسلم في صحيحه (١٧).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤٧٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٧).

قَالَ: " يَزِيدُ مَا شَاءَ اللهُ، وَيَنْقُصُ حَتَّى لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنْهُ مِثْلُ هَذِهِ، وَأَشَارَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ، قَالَ الرَّجُلُ: كَيْفَ نَصْنَعُ بِقَوْمٍ عِنْدَنَا يَزْعُمُونَ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ؟ قَالَ سُفْيَانُ: كَانَ الْقَوْلُ قَوْلَهُمْ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ أَحْكَامُ الْإِيمَانِ وَحُدُودُهُ، ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعَالَى بَعَثَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ كَافَّةً أَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّهُ رسول الله ﷺ، فَإِذَا قَالُوهَا، عَصَمُوا بِهَا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى، فَلَمَّا عَلِمَ اللهُ تَعَالَى صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، أَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالصَّلَاةِ، فَأَمَرَهُمْ فَفَعَلُوا، فَوَاللهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ الْأَوَّلُ، فَلَمَّا عَلِمَ اللهُ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، أَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَمَرَهُمْ فَفَعَلُوا، فَوَاللهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ الْأَوَّلُ وَلَا صَلَاتُهُمْ، فَلَمَّا عَلِمَ اللهُ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ أَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى مَكَّةَ فَيُقَاتِلُوا آبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ، حَتَّى يَقُولُوا كَقَوْلِهِمْ، وَيُصَلُّوا صَلَاتَهُمْ، وَيُهَاجِرُوا هِجْرَتَهُمْ، فَأَمَرَهُمْ فَفَعَلُوا، حَتَّى أَتَى أَحَدُهُمْ بِرَأْسِ أَبِيهِ، فَقَالَ: يَا رسول الله ﷺ، هَذَا رَأْسُ شَيْخِ الْكَافِرِينَ فَوَاللهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ الْأَوَّلُ، وَلَا صَلَاتُهُمْ، وَلَا هِجْرَتُهُمْ، وَلَا قِتَالُهُمْ، فَلَمَّا عَلِمَ اللهُ ﷻ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، أَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالطَّوَافِ بِالْبَيْتِ تَعَبُّدًا، وَأَنْ يَحْلِقُوا رُءُوسَهُمْ تَذَلُّلًا فَفَعَلُوا، فَوَاللهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ الْأَوَّلُ، وَلَا صَلَاتُهُمْ، وَلَا مُهَاجَرَتُهُمْ، وَلَا قَتْلُ آبَائِهِمْ، فَلَمَّا عَلِمَ اللهُ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، أَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ، فَأَمَرَهُمْ فَفَعَلُوا، حَتَّى أَتَوْا بِهَا، قَلِيلِهَا وَكَثِيرِهَا، وَاللهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ الْأَوَّلُ، وَلَا صَلَاتُهُمْ، وَلَا مُهَاجَرَتُهُمْ، وَلَا قَتْلُهُمْ آبَاءَهُمْ، وَلَا طَوَافُهُمْ، فَلَمَّا عَلِمَ اللهُ الصِّدْقَ مِنْ قُلُوبِهِمْ فِيمَا تَتَابَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ وَحُدُودِهِ قَالَ لَهُ: قُلْ لَهُمْ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة:٣] . قَالَ سُفْيَانُ: فَمَنْ تَرَكَ خَلَّةً مِنْ خِلَلِ الْإِيمَانِ جَاحِدًا كَانَ بِهَا عِنْدَنَا كَافِرًا، وَمَنْ تَرَكَهَا كَسَلًا أَوْ تَهَاوُنًا، أَدَّبْنَاهُ، وَكَانَ بِهَا عِنْدَنَا نَاقِصًا، هَكَذَا السُّنَّةُ أَبْلِغْهَا عَنِّي مَنْ سَأَلَكَ مِنَ النَّاسِ".

والكلام في هذا الباب حصر في خمسة أبواب:

الأول: أن الإيمان قول وعمل على ما تقدم.

الثاني: أن الإيمان يزيد وينقص.

الثالث: أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان.

الرابع: العلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام والتحقيق أنها إذا اجتمعا فالإسلام يدل على الأعمال الظاهرة والإيمان على الأعمال الباطنة، وإذا افترقا دل كل منهما على معنى الآخر، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة وفد عبد قيس قَالَ: " آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الْإِيمَانِ بِاللهِ "، ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ، فَقَالَ: «**شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَنَّ تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالنَّقِيرِ، وَالْمُقَيَّرِ**» متفق عليه. ففسر الإيمان بأعمال الإسلام.

الخامس: الاستثناء في الإيمان والمراد بالاستثناء: قول أنا مؤمن إن شاء الله أو أرجوا إلى غير ذلك، والناس في هذه المسألة انقسموا إلى ثلاثة أقسام:

قوم أوجبوا الاستثناء في الإيمان، وقوم حرموه، وقوم جوزوا الأمرين وهذا أصح الأقوال(١).

(١) راجع «الإيمان» لابن تيمية (٤١٠).

ويكون الاستثناء جائزًا إذا كان خائفًا من تزكية النفس وكذا باعتبار ما يختم له، أو كان عنده تقصير في فعل المأمورات، أما إن كان الاستثناء على الشك فهذا محرم لا يجوز قطعًا.

وقد نقل أبو يعلى إجماع السلف على جواز الاستثناء في الإيمان[١].

قال الآجري رحمه الله في "الشريعة" (٢/ ٦٥٦): من صفة أهل الحق ممن ذكرنا من أهل العلم الاستثناء في الإيمان لا على جهة الشك، نعوذ بالله من الشك في الإيمان، ولكن خوف التزكية لأنفسهم من استكمال الإيمان لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا. اهـ

ومن باب الفائدة فقد قلت في "المنظومة الزعكرية في العقيدة":

إيماننا قولٌ وفعلٌ وعمل ... تزيده الطاعة نقصُهُ الزلل

أعمالنا تدخل في الإيمان ... بعكس قول مرجي فتان

واستثن في الإيمان كن فهيمًا ... من غير شكٍ كن بها عليمًا

---

(١) «مسائل الإيمان» لأبي يعلى (٤٤٥).

تتمة ذكر شيء من فضائل الصحابة رضي الله عنهم

ومن باب تتمة الكلام نذكر شيئًا من فضائل الصحابة رضي الله عنهم، قال الله عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ [الأنفال:٧٢].

وقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [الأنفال:٧٤-٧٥].

وقال عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٨-٩].

وقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا

وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران:١٩١-١٩٥].

وقال ﷻ: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة:٨٨-٨٩].

وقال ﷻ: ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء:١٠٠]. وقال ﷻ: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣].

وقال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال:٦٢-٦٣].

وقال ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل:١١٠].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل:٤١-٤٢].

وقال ﷻ: ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [التحريم:٨].

وقال ﷻ ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ [الفتح:١٨].

وقال ﷻ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

وقال ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح:٢٩].

وقال ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا﴾ [النور:٥٥].

وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي- رضي الله عنهم وأرضاهم-.

فمن فضائل الصديق الأكبر أبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

ما جاء عند البخاري (٣٦٥٦): عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي**».

وفي حديث أبي سعيد عند البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢)؛ أن رسول الله جلس على المنبر؛ فقال: «**عَبْدٌ خَيَّرَهُ الله بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ**»؛ فَبَكَى أَبُوبَكْرٍ وَبَكَى، فَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ الله هُوَ المُخَيَّرُ، وَكَانَ أَبُوبَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ.

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُوبَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ لَا تُبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ خَوْخَةٌ؛ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ**».

وأخرج مسلم في صحيحه (٢٣٨٣) عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ قال: قال رسول الله: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدِ اتَّخَذَ الله صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا**».

وفي الصحيحين: البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤): عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «أن رسول الله بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ؛ فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**» فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «**أَبُوهَا**» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ**»؛ فَعَدَّ رِجَالًا.

وأخرج مسلم (١٠٢٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ اليَوْمَ صَائِمًا؟**» قَالَ أَبُوبَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ تبعَ مِنْكُمُ اليَوْمَ جَنَازَةً؟**» قَالَ أَبُوبَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ اليَوْمَ مِسْكِينًا؟**» قَالَ أَبُوبَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ**

عَادَ مِنكُمُ اليَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُوبَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخلَ الجَنَّةَ**».

وأخرج البخاري (٣٦٦١): عن أبي الدرداءﷺ قال: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّإِذْ أَقْبَلَ أَبُوبَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ**» فَسَلَّمَ، وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَدِمْتُ فَسَالتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فقَالَ: «**يَغْفِرُ الله لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**» ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ أَثَّمَ أَبُوبَكْرٍ فَقَالُوا: لَا، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُوبَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فقَالَ: يَا رَسُولَ الله، وَالله أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الله بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُوبَكْرٍ: صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُم تَارِكُوا لِي صَاحِبِي**» مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا.

وأخرج البخاري (٣٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨٨): عن أبي هريرةﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ: «**بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا الذِّئْبُ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً فَطَلَبَهَا حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا، فَالتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ فقَالَ لَهُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي**» فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ الله! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ وَ أَبُوبَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَمَا ثَمَّ أَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ**».

وأخرج البخاري (٣٦٦٤)، ومسلم (٢٣٩١): عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ الله، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَالله يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا فَأَخَذَهَا ابْنُ الخَطَّابِ فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ**».

وفيهما: البخاري (٣٦٦٦) ومسلم (١٠٢٧): عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ الله دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ يَا عَبْدَالله، هَذَا خَيْرٌ لَكَ وَلِلجَنَّةِ أَبْوَابٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ**» قَالَ أَبُوبَكْرٍ: هَلْ عَلَى مَنْ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**» يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ.

وفي الصحيحين: البخاري (٣٦٧٤) ومسلم(٢٤٠٣): عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : «أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَقُلْتُ: لَأَلْزَمَنَّ رَسُولَ الله، وَلَأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا قَالَ: فَجَاءَ المَسْجِدَ فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: خَرَجَ وَوَجَّهَ هَا هُنَا فَخَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ حَتَّى قَضَى رَسُولُ الله ﷺ حَاجَتَهُ، فَتَوَضَّأَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى بِئْرِ أَرِيسٍ وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلَّاهُمَا فِي البِئْرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ فَقُلْتُ: لَأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ الله ﷺ اليَوْمَ فَجَاءَ أَبُوبَكْرٍ فَدَفَعَ البَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا، فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ: فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ ثُمَّ ذَهَبْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، هَذَا أَبُوبَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**» فَأَقْبَلْتُ: حَتَّى قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرَسُولُ الله ﷺ يُبَشِّرُكَ بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ أَبُوبَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ الله ﷺ مَعَهُ فِي القُفِّ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ الله بِفُلَانٍ خَيْرًا يُرِيدُ أَخَاهُ يَأْتِ بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ

يُحَرِّكُ البَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**» فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ وَبَشَّرَكَ رَسُولُ الله ﷺ بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي القُفِّ عَنْ يَسَارِهِ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ الله بِفُلَانٍ خَيْرًا يَأْتِ بِهِ فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ البَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ: فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**» فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: ادْخُلْ وَبَشَّرَكَ رَسُولُ الله ﷺ بِالجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُكَ فَدَخَلَ فَوَجَدَ القُفَّ قَدْ مُلِئَ فَجَلَسَ وِجَاهَهُ مِنَ الشَّقِّ الآخَرِ. قَالَ شَرِيكُ بْنُ عَبْدِالله: قَالَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ».

ومن فضائل عمر رضي الله عنه :

نزيد على ما تقدم في البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم (٢٣٩٤): عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ : «**رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ وَسَمِعْتُ خَشَفَةً فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا، فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا، فَقَالَ: لِعُمَرَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ، فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله، أَعَلَيْكَ أَغَارُ**».

وأخرج البخاري (٣٦٨١) ومسلم (٢٣٩١): عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أُتِيتُ بِقَدَحٍ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ فِي ظُفْرِي، أَوْ قَالَ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ نَاوَلْتُ فَضْلَهُ عُمَرَ**» **فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَا أَوَّلْتَهُ قَالَ**: «**العِلْمَ**». ورؤيا الأنبياء وحي.

واتفقا: على حديث أبي سعيدﷺ البخاري رقم (٣٦٩١) ومسلم (٢٣٩٠): قال سمعت رسول الله ﷺ : «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ**» قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**الدِّينَ**».

وأخرج البخاري (٢٦٨٣) ومسلم (٢٣٩٦): عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الحِجَابَ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَرَسُولُ الله ﷺ يَضْحَكُ فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ الله سِنَّكَ يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الحِجَابَ**» قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ».

ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي، وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ الله ﷺ ، قُلْنَ: نَعَمْ أَنْتَ أَغْلَظُ، وَأَفَظُّ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ؛ فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**اثْبُتْ أُحُدُ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ**» رواه البخاري (٣٦٨٦).

ومن فضائل عثمان رضي الله عنه :

نزيد على ما تقدم قول النبي ﷺ في شأنه «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ**»[(١)] فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ.

---

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٧٧٨).

وأخرج البخاري (٣٦٩٦): عن عُبَيْدَ الله بْنَ عَدِيِّ بْنِ الخِيَارِ؛ أَنَّ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ قَالَا: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُكَلِّمَ عُثْمَانَ لِأَخِيهِ الوَلِيدِ؛ فَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ، فَقَصَدْتُ لِعُثْمَانَ حَتَّى خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، قُلْتُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً وَهِيَ نَصِيحَةٌ لَكَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا المَرْءُ، قَالَ مَعْمَرٌ: أُرَاهُ قَالَ: أَعُوذُ بِالله مِنْكَ؛ فَانْصَرَفْتُ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ إِذْ جَاءَ رَسُولُ عُثْمَانَ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا نَصِيحَتُكَ؟ فَقُلْتُ: إِنَّ الله سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الكِتَابَ، وَكُنْتَ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لِلهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ؛ فَهَاجَرْتَ الهِجْرَتَيْنِ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ الله ﷺ وَرَأَيْتَ هَدْيَهُ وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي شَأْنِ الوَلِيدِ، قَالَ: أَدْرَكْتَ رَسُولَ الله ﷺ؟

قُلْتُ: لَا، وَلَكِنْ خَلَصَ إِلَيَّ مِنْ عِلْمِهِ مَا يَخْلُصُ إِلَى العَذْرَاءِ فِي سِتْرِهَا، قَالَ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الله بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالحَقِّ، فَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لِلهِ وَلِرَسُولِهِ وَآمَنْتُ بِمَا بُعِثَ بِهِ وَهَاجَرْتُ الهِجْرَتَيْنِ كَمَا قُلْتَ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَبَايَعْتُهُ؛ فَوَ الله مَا عَصَيْتُهُ وَلَا غَشَشْتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ الله ﷺ، ثُمَّ أَبُوبَكْرٍ مِثْلُهُ، ثُمَّ عُمَرُ مِثْلُهُ، ثُمَّ اسْتُخْلِفْتُ؛ أَفَلَيْسَ لِي مِنَ الحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَمَا هَذِهِ الأَحَادِيثُ الَّتِي تَبْلُغُنِي عَنْكُمْ، أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَأْنِ الوَلِيدِ؛ فَسَنَأْخُذُ فِيهِ بِالحَقِّ إِنْ شَاءَ الله، ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا؛ فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِدَهُ فَجَلَدَهُ ثَمَانِينَ».

وأخرج رقم (٣٦٩٨): عن عُثْمَانُ ابْنُ مَوْهَبٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ البَيْتَ؛ فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ القَوْمُ؟ فَقَالُوا: هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُالله بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ؛ فَحَدِّثْنِي: هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟

قَالَ نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغيَّبَ عَنْ بَدْرٍ، وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ؛ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ؛ أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ**»، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ؛ فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُثْمَانَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ اليُمْنَى: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**»؛ فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «**هَذِهِ لِعُثْمَانَ**» فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ.

وأخرج مسلم (٢٢٠١): عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُوبَكْرٍ؛ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ؛ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُول اللهِ ﷺ وَسَوَّى ثِيَابَهُ، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ؛ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ دَخَلَ أَبُوبَكْرٍ، فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ، فَقَالَ: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلَائِكَةُ**».

ومن فضائل رابعهم وهو: علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

ما أخرجه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦): عن سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ

يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**» فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ؛ فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ؛ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ؛ فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**».

وقال عنه رسول الله ﷺ : «**أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي**» رواه البخاري برقم (٤٤١٦)، ومسلم برقم (٢٤٠٤).

وفي مسلم (٧٨) عنه رضي الله عنه أنه قَالَ: «**وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ؛ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ إِلَيَّ: أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ**».

وعن بريدة عند أحمد (٥/ ٣٤٧) وغيره مرفوعًا: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ؛ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**».

ثم بقية العشرة و هم المذكورون في حديث عبد الرحمن بن عوف عند الترمذي (٣٧٤٧) قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ**».

وجاء الحديث عن سعيد بن زيد أيضًا عند الترمذي (٣٧٤٨)، والحديث حسن.

وقد مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ كما في البخاري (٣٧٠٠) عن عمر

ﷺ، وذكر عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وسعيدًا.

هذه إشارات إلى فضائل هؤلاء القوم الذين نصر الله بهم الدين، وأعز بهم المسلمين.

ومن الواجبات تجاههم: أن نترحم عليهم ونذكر فضائلهم ونكف عن مساويهم لقول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها **في مسلم**: قالت: «**يا ابن أخي، أمروا أن يستغفروا لهم؛ فسبوهم**».

وقلت في "المنظومة الزعكري":

وَحُبُّ صَحْبٍ لِلرَّسُولِ وَاجِبُ ... يُبْغِضُهُمْ مُنَافِقٌ مُجَانِبُ
قَدْ عَايَشُوا التَّنْزِيلَ وَالْقُرْآنَا ... وَفَضْلُهُمْ وَخَيْرُهُمْ قَدْ بَانَا
فَضَّلَهُمْ رَبِّي عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ ... وَهُمْ حَقِيقٌ حَيْثُ أَبْلَوْا جُهْدَهُمْ
فَأَخْلَصُوا قَوْلًا وَفِعْلًا مَعْ عَمَلْ ... وَتَوْبَةٍ صَادِقَةٍ مِنَ الزَّلَلْ
أَعْلَاهُمُ فَضْلًا هُوَ الصِّدِّيقُ ... صَاحِبُهُ فِي الْغَارِ وَالْعَتِيقُ
يَلِيهِ فِي الْفَضْلِ أَبُوحَفْصٍ عُمَرْ ... لَهُ مَنَاقِبٌ لَنَا فِيهَا عِبَرْ
قَدْ وَافَقَ الْقُرْآنَ وَالتَّنْزِيلَا ... أَبْلَى بَلَاءً لَنْ تَرَى مَثِيلَا
ثَالِثُهُمْ عُثْمَانُ فِي الْفَضِيلَهْ ... صِهْرُ الرَّسُولِ سَالِكٌ سَبِيلَهْ
مِنَ النَّبِيْ زُوِّجَ بِابْنَتَيْنِ ... كَرِيمُ طَبْعٍ كَانَ ذَا النُّورَيْنِ

رَابِعُهُـــمْ خَـــيْرًا وَفَضْـــلًا طُـــرَّا أَبُــوتُرَابٍ يَــا لَهَــا مِــنْ بُشْــرَى
ابْنَـــاهُ سَـــيِّدَا شَـــبَابِ الْجَنَّـــةِ قَـدْ صَـحَّ هَـذَا عَـنْ طَرِيـقِ السُّـنَّةِ
تَمَــامُهُمْ فِي الْفَضْـلِ أَعْـنِي الْعَشَــرَهْ خَــيْرُ الصِّــحَابِ وَالثِّقَــاتِ الْــبَرَرَهْ
سَـــعْدٌ سَـــعِيدٌ وَأَبُوعُبَيْـــدَهْ وَطَلْحَـــةٌ أَفْعَـــالُهُ رَشِـــيدَهْ
ثُــمَّ الــزُّبَيْرُ وَابْــنُ عَــوْفٍ بُشِّــرُوا بِجَنَّـــةٍ جَمِـــيعُهُمْ قَـــدْ ظَفِـــرُوا
عَائِشَـــةٌ فِي الْفَضْـــلِ مَـــعْ خَدِيجَـــةِ وَقَـــذْفُهَا كُفْـــرٌ بِغَـــيْرِ رِيبَـــةِ
بَقِيَّـــةُ الصَّـــحَابَةِ الْأَخْيَـــارِ مُهَـــاجِرِينَ ثُـــمَّ مِـــنْ أَنْصَـــارِ
وَمِثْلُـــهُ حَـــقٌّ لِآلِ الْمُصْـــطَفَى أَخُــصُّ مِــنْهُمْ صَــالِحًا قَــدِ اقْــتَفَى
سَـــيِّدَةُ النِّسَـــاءِ أَعْـــنِي فَاطِمَـــهْ وَحَـــقٌّ كُلِّ صَـــاحِبٍ فِي تَرْجَمَـــهْ
لَا يُـــذْكَرُونَ بِســـوَى الْجَمِيـــلِ فَضْـــلُهُمُ فِي مُحْكَـــمِ التَّنْزِيـــلِ
وَحُـــبُّهُمْ فَـــرْضٌ عَلَيْنَـــا وَاجِـــبُ مَــنْهَجُهُمْ هُــوَ الطَّرِيــقُ الصَّــائِبُ
أَزْكَى الْـــوَرَى شَـــهَادَةُ الْمُخْتَـــارِ مُسَـــــطَّرٌ بِأَجْمَـــلِ الْآثَـــارِ
يُبْغِضُـــهُمْ رُوَيْفِـــضٌ مُنَـــافِقُ فَاحْــذَرْ هُــدِيتَ ذَا سَــبِيلٌ مَــاحِقُ
وَاحْــذَرْ مِــنَ الْغُلُــوِّ فِي الْأَفَاضِــلِ طَرِيـــقُ صُـــوفِيٍّ قَبِـــيحٍ عَاطِـــلِ

وقال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ في "منظومته":

ولـــيس في الأمـــة كالصـــحابة في الفضـــل والمعـــروف والإصـــابة
لأنهـــم قـــد شـــاهدوا المختـــار وعاينـــوا الأسرار والأنـــوار
وجاهـــدوا في الله حـــتى بانـــا ديـــن الهـــدى وقـــد سـما الأديانـا
وقـــد أتى في محكـــم التنزيـــل مـــن فضـــلهم مـــا يشـــفى الغليـــل

وفي الأحاديـــــث وفي الآثـــار وفي كلام القـــوم والأشـــعار
مـا قـد ربـا مـن أن يحـيط نظـمي عن بعضه فـاقنع وخـذ مـن علـمي
واحـذر مـن الخـوض الذي قـد بفضـلهم ممـا جـرى لـو تـدري
فإنـه عـن اجتهـاد قـد صـدر فاسـلم أذل الله مـن لهـم هجـر
وبعـــدهم فالتـــابعون أحـــرى بالفضـــل ثـــم تـــابعوهم طـــرا

-وبالله التوفيق -

❁❁❁

أركان الإيمان

﴿٢٨﴾ فَإِذَا قِيلَ: **كَمْ أَرْكَانُ الإِيمَانِ؟** فَقُلْ: سِتَّةُ أَرْكَانٍ، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ فِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ" أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام عَنِ الإِيمَانِ فَقَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ. وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ[(١)].

بعد أن ذكر حفظه الله ما يتعلق بمسائل الإيمان ناسب أن يذكر أركان الإيمان وهي الأصول العظام التي نزل بها القرآن، وجاءت بها سنة النبي ﷺ وهي ستة أركان مبناها على اعتقاد القلب ومؤداها إلى صلاح الظاهر والباطن.

والدليل على هذه الأركان من القرآن: قول الله عز وجل: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ﴾ [البقرة:١٧٧].

ودليل القدر: قوله الله عز وجل: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر:٤٩]، وقال عز وجل: ﴿**وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا**﴾ [الأحزاب:٣٨].

والدليل من السنة: حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فقال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**».

---

(١)أخرجه مسلم عن عمر رضي الله عنه رقم (٨) وأخرجه البخاري (٥٠) ومسلم (٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قولهُ (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ): أن تقر بالله ﷻ ربًا، وبدأ به لأن حق الله ﷻ هو المقدم رتبة ولفظًا والإيمان بالله ﷻ يتضمن أربعة أركان الإيمان بوجوده وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته والأدلة على وجوده عقلية وحسية وفطرية ونقلية. وقد أحسن من قال:

وفي كل شيء له آيـــــــــــــــــــــة تــــــدل على أنـــــــه واحـــــــد

قال الله ﷻ: ﴿ **وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾ [فصلت:٣٧].

وقال تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴿١٧﴾ **وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ** ﴿١٨﴾ **وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ** ﴿١٩﴾ **وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** ﴾.

والإيمان بالله أفضل الأعمال: فقد سئل النبي ﷺ : «**أي العمل أفضل قال: إيمانٌ بالله وجهاد في سبيله**» أخرجه البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه .

وهو سبيل المؤمنين: قال الله ﷻ: ﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ** ﴾ [البقرة:٢٨٥].

قولهُ (وملائكة): ملائكة الله هم جنوده وخلقه خلقهم الله ﷻ من نور.

كما في حديث عائشة رضي الله عنها: «**خُلق الجن من نار وخُلق الملائكة من نور وخلق الإنسان مما ذُكر لكم**» أخرجه مسلم[١].

(١)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٩٦).

وهم خلق كثير قال الله ﷻ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٣١].

ولا يجوز التفريق بينهم: فمن أبغضهم أو كفَّر أو كذَّب بواحد منهم كان من الكافرين قال الله ﷻ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨].

وقد ذكر الله ﷻ كثيرًا من أوصافهم في كتابه:

فحالهم كما قال الله ﷻ: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

وهم مخلوقات عظيمة: قال النبي ﷺ: «**لقد رأيت جبريل له ستمائة جناح ساد عظم خلقه ما بين السماء والأرض**»[1] متفق عليه، عن عائشة رضي الله عنها.

وقال النبي ﷺ: «**أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام قد مرقت رجلاه في الأرض السفلى**»[2]، أخرجه أبو داود عن جابر رضي الله عنه.

فمنهم: ملك الوحي وهو جبريل عليه السلام.

ومنهم: الملك الموكل بالنفخ في الصور، والإجماع على أنه إسرافيل عليه السلام.

ومنهم: مالك خازن النار: قال الله ﷻ: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٢٣٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٧٤).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٧٢٧)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٢٤٨).

ومنهم: خازن الجنة: ولا يثبت أن اسمه رضوان.

ومنهم: ملك الموت: ولا يثبت أن اسمه عزرائيل.

ومنهم: الملك الموكل بالقطر، وهو ميكائيل -عليه السلام-.

ومنهم: سبعون ألف ملك يطوفون بالبيت المعمور كل يوم أخر ما عليهم.

ومنهم: الملائكة الموكلة بالأرحام.

ومنهم: ملك الجبال.

وما من حركة ولا سكنة في هذا العالم إلا وكل بها ملائكة يقومون بها.

قال الله ﷻ: ﴿ **لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ** ﴾ [الرعد:١١].

وقال ﷻ: ﴿ **مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق:١٨].

قال ابن أبي العز رحمه الله: منهم الصافات والمسبحات والتأنيث للجماعات لا الأفراد فإنهم رجال كما جاء في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه: «**من هذا الرجل الذي يحش النار**»[(١)] أخرجه البخاري.

وإنما وصفهم بالإناث الكفار؛ قال الله ﷻ: ﴿ **وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ** ﴾ [الزخرف:١٩].

وأما الملائكة: فهم الموكلون بالسماوات والأرض، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: ﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴾ [النازعات:٥]. ﴿ **فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا** ﴾ [الذاريات:٤].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٠٤٧).

وهم الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل، وأما المكذبون بالرسل المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم.

وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها.

ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكل بالجنة وعمارتها وغرسها وعمل آلاتها ملائكة، فالملائكة أعظم جنود الله، ومنهم: المرسلات عرفا والناشرات نشرا والفارقات فرقا والملقيات ذكرا.

ومنهم: النازعات غرقا، والناشطات نشطا، والسابحات سبحا، فالسابقات سبقا.

ومنهم: الصافات صفا، فالزاجرات زجرا، فالتاليات ذكرا.

ومعنى جمع التأنيث في ذلك كله: الفرق والطوائف والجماعات، التي مفردها: (فرقة) و(طائفة) و(جماعة).

ومنهم: ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقديس، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله.

ولفظ (الملك) يشعر بأنه رسول منفذ لأمر مرسله، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله الواحد القهار، وهم ينفذون أمره:

﴿ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٧]، ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ ﴾ [الأنبياء:٢٨]، ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٨]، ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨]، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩﴾ [النحل:٥٠].

فهم عباد مكرمون، منهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا له مقام معلوم، ولا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به. لا يقصر عنه ولا يتعداه، وأعلاهم الذين عنده: ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴾ [الأنبياء:١٩]. ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٠].

ومنهم الأملاك الثلاثة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، الموكلون بالحياة، فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم.

فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، ينزلون الأمر من عنده في أقطار العالم، ويصعدون إليه بالأمر، قد أطت السماوات بهم، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد لله، ويدخل البيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم.

والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارة يقرن الله تعالى اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف، وتارة يذكر

حفهم بالعرش وحملهم له، وبراءتهم من الدنو، وتارة يصفهم بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص.

قال تعالى: ﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٨٥] .

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران:١٨]. ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [الأحزاب:٤٣]. ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [غافر:٧]. انتهى من شرح الطحاوية.

قوله (وكتبه): المنزلة على رسله وهي كتب كثيرة قال الله ﷻ: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [الحديد:٢٥].

لكن علمنا منها: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم، وصحف موسى، **وقيل:** هي التوراة.

ونؤمن بأنها قد غيرت وبدلت إلا القرآن فهو كتاب مهيمن، ومحفوظ قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

وقال تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾ [المائدة:٤٨].

فيجب علينا: أن نؤمن به وبما جاء فيه وأنه كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وأن نعمل بمحكمه ونؤمن بمُتشابهه ونتعبد بقراءته آناء الليل وأطراف النهار.

فعن ابن عمر رضي الله عنه عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ**»[(١)].

قوله (ورسله): أي والإيمان برسل الله عز وجل فيؤمن بمن أخبر الله عز وجل منهم، وقد تقدم .

ونؤمن بأن محمدًا آخرهم، فيجب علينا أن نطيعه فيما أمر ونصدقه فيما أخبره وأن ننتهي عما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله عز وجل إلا بما شرع ونؤمن أن كل رسول كان يرسل إلى قومه خاصة إلا النبي ﷺ فإنه أرسل إلى الناس عامة.

قوله (واليوم الآخر): والمراد به القبر وما بعده فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه فيما يرويه عن النبي ﷺ : «**القبر أول منازل الآخرة فمن سلم منه فما بعده أيسر**»[(٢)] أخرجه أحمد.

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالبعث والنشور وتطاير الصحف ومجيء الله عز وجل للفصل بين العباد، قال الله عز وجل: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ**﴾ [الأنعام:١٥٨].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٥٢٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٨١٥).

(٢) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٤٢٦٧)، وحسنه في صحيح سنن ابن ماجه، وفي المشكاة (١٣٢)، تخريج المختارة (٣٦٦ - ٣٦٧).

وقال الله ﷻ: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ [الفجر:٢٢].

وقال الله ﷻ: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧-١٢]،فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره.

ويدخل فيه الإيمان بالصراط والميزان والشفاعة وغير ذلك مما قصه الله ﷻ وأخبر عنه رسول الله ﷺ وسيذكر شيء من ذلك مفرقًا إن شاء الله.

قوله: (وتؤمن بالقدر خيره وشره): أي أن الخير والشر من الله قال الله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الزمر:٦٢].

ويدخل في معنى هذه الآية الشر، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦]، ومما يعمله العباد الشر.

وفي الحديث: «الله خالق كل صانع وصنعته»، أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد.

فلا يتحقق الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بأن الله ﷻ خالق كل شيء.

خلق الخير وهو يحبه ويرضاه، وخلق الشر وهو يبغضه ويأباه؛ لحكمة.

ورأس الشر إبليس وخالقه الله سبحانه وتعالى.

قال الله ﷻ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ ﴾ [القصص:٦٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير:٢٩].

ولا يتم الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بأربع مراتب:

الأولى: الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء، ومن أنكر علم الله ﷻ **كفر**، قال ابن عمر رضي الله عنه: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»[1].

قال: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٢]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:١٢٠].

فلا يعزب عنه شيء في الأزل ولا في الأبد ولا تخفي عليه خافية.

الثانية: الإيمان بكتابة الله ﷯ **لمقادير المخلوقات.**

وأنه لما خلق القلم قال: «**اكتب ما كان وما يكون إلى قيام الساعة**»[2]، أخرجه أبو داود عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

فما من حركة ولا سكنة ولا نفس ولا أكل ولا شرب ولا دخول ولا خروج ولا كلام ولا شيء في هذا العالم إلا وهو مكتوب في اللوح المحفوظ.

قال الله ﷯: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢].

وقال: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٣٩]، والمراد به اللوح المحفوظ.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٧٠٠)، والإمام الترمذي (٢١٥٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في السنن.

الثالثة: الإيمان بمشيئة الله وأنه لا يكون شيءٌ إلا بمشيئة الله ﷻ **النافذة**، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

الرابعة: الإيمان بأن الله خلق العباد، وخلق أفعالهم، وقد تقدمت أدلة ذلك، وفي "**منظومة الزعكرية**":

سادسها الإيمان بالأقدار ... ما كان في الأبرار والفجار

جميعها مخلوقة لربي ... فحقق الحق وقل لي حسبي

مراتب الأقدار فيها الأربع ... قد حققوها قبل ذا فلتسمعوا

علم كتابة له تعالى ... مشيئة خلق بذا قد قالا

وقال تعالى: ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد:٣١].

فالكفر والطاعة بمشيئة الله، إلا أنه يحب الطاعة ويُثيب عليها ويبغض الكفر والمعصية ويعاقب عليها.

ومن المعلوم أن العبد هو الفاعل وليس بمجبور على شيء من الأعمال بل أنه يفعل باختياره، ولذلك يجازيه الله على فعل الطاعات وقد يعاقبه على فعل المنكرات، ولا اعتراض على قدر الله، لما خلق أو فعل فإن هذا السؤال سببٌ لحيرةِ كثيرٍ من الأمم، بل نؤمن أن ما من شيء خلقه الله إلا على مقتضى حكمته.

فخلق إبليس له حكمة وخلق جبريل له حكمة وبوجود إبليس تحققت مصالح عظيمة للمؤمنين حيث أنزل الله الكتب وأرسل الرسل وشرع الجهاد والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك فيجاهد المؤمنون ويتحصلون على الدرجات العظيمة يجاهدون أنفسهم على طاعة الله وصبرًا عن

معصية الله ويجاهدون المنافقين والكافرين والشيطان قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة:٧٣].

وأما معنى حديث علي رضي الله عنه: «**والشر ليس إليك**»[١] أخرجه مسلم.

فالمراد به ما قاله النووي رحمه الله (٦/ ٥٩): قوله (وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ): فَمِمَّا يَجِبُ تَأْوِيلُهُ لِأَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ كُلَّ الْمُحْدَثَاتِ فِعْلُ الله تَعَالَى وَخَلْقُهُ سَوَاءٌ خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، وَحِينَئِذٍ يَجِبُ تَأْوِيلُهُ وَفِيهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: مَعْنَاهُ لَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْكَ قَالَهُ الخليل بن أحمد والنضر بن شميل واسحق بْنُ رَاهَوَيْهِ وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ خُزَيْمَةَ وَالْأَزْهَرِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

وَالثَّانِي: حَكَاهُ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ عَنِ الْمُزَنِيِّ وَقَالَهُ غَيْرُهُ أَيْضًا مَعْنَاهُ لَا يُضَافُ إِلَيْكَ عَلَى انْفِرَادِهِ.

لَا يُقَالُ: يَا خَالِقَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَيَا رَبَّ الشَّرِّ وَنَحْوُ هَذَا وَإِنْ كَانَ خَالِقَ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَحِينَئِذٍ يَدْخُلُ الشَّرُّ فِي الْعُمُومِ.

وَالثَّالِثُ: مَعْنَاهُ وَالشَّرُّ لَا يَصْعَدُ إِلَيْكَ إِنَّمَا يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ.

وَالرَّابِعُ: مَعْنَاهُ: وَالشَّرُّ لَيْسَ شَرًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْكَ، فَإِنَّكَ خَلَقْتَهُ بِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ، وَإِنَّمَا هُوَ شَرٌّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٧٧١).

وَالْخَامِسُ: حَكَاهُ الْخَطَّابِيُّ: أَنَّهُ كقولك فلان إلى بني فلان إِذَا كَانَ عِدَادُهُ فِيهِمْ أَوْ صَفُّوهُ إِلَيْهِمْ. اهـ وبالله التوفيق.

والقدر سر الله ﷻ، لم يطلع عليه ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلًا، ولا يتحقق الإيمان به إلا على وجه التسليم، قال الطحاوي في عقيدته:

ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق التكذيب، والإقرار والإنكار. اهـ

والواجب على العبد أن يلتزم شرع الله ﷻ فعلًا وتركًا بعيدًا عن البحث عن القدر، فإن علم الكتاب والسنة موجود، وعلم القدر مفقود، ونحن مطالبون بالعمل بالعلم الموجود، والله الموفق.

بيان أنواع التقدير:

الأول: التقدير العام الشامل: وهو شامل لجميع الكائنات وهو المكتوب في اللوح المحفوظ وقد تقدم دليله.

الثاني: التقدير المفصَّل للتقدير العام، وينقسم إلى نوعيين.

النوع الأول: التقدير العمري؛ كما في حديث عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعٍ: بِرِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَاللهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ أَوْ الرَّجُلَ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ**

فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا»، **قَالَ آدَمُ**: «**إِلَّا ذِرَاعٌ**»[١]، متفق عليه.

النوع الثاني: التقدير الحولي، وهو ما يقدر في ليلة القدر من وقائع العام؛ كما قال تعالى: ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾ [الدخان:٤].

النوع الثالث: التقدير اليومي، وهو ما يقدر من حوادث اليوم من حياة وموت وعز وذل... إلى غير ذلك؛ كما في قوله تعالى: ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ [الرحمن:٢٩].

ولا بد للمسلم من الإيمان بالقدر العام وتفاصيله؛ فمن جحد شيئا منهما؛ لم يكن مؤمنا بالقدر، ومن لم يؤمن بالقدر؛ فقد جحد ركنا من أركان الإيمان[٢].

وبعضهم يضيف نوعًا رابعًا وهو التقدير البشري وهو المنصوص عليه في قول الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ** ﴾ [الأعراف:١٧٢].

مسألة الإرادة الربانية: وتنقسم إرادة الله ﷻ إلى إرادة كونية، وإرادة شرعية:

١- **فالإرادة الكونية**: هي المعبر عنها بمشيئة الله تعالى، وهذه الإرادة لا يخرج عنها شيء، فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواء، فالطاعات،

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٢٠٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٤٣).

(٢) «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد» للفوزان (٣٠٧-٣٠٨).

والمعاصي كلها بمشيئة الرب وإرادته، ومن أمثلتها قوله: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾ [الرعد:١١].

٢- **والإرادة الشرعية**: تتضمن محبة الله ﷻ ورضاه.

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة:١٨٥]. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء:٢٧].

وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾ [المائدة:٦].

الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية:

١- **الإرادة الكونية**: تكون فيما يحبه الله تعالى وما لا يحبه.

- **الإرادة الشرعية**: لا تكون إلا فيما يحبه الله ﷻ.

٢- **الإرادة الكونية**: لا بد أن تقع.

- **الإرادة الشرعية**: قد تقع وقد لا تقع.

٣- **الإرادة الكونية**: مرادفة للمشيئة.

- **الإرادة الشرعية**: مرادفة للمحبة والرضا.

٤- **الإرادة الكونية**: مقصودة لغيرها كخلق إبليس، فإنه رأس الشر لكن خلقه الله ﷻ لحكمة، فتحقق بسبب وجوده الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك.

- **الإرادة الشرعية**: مقصودة لذاتها.

٥- **الإرادة الكونية**: متعلقة بربوبية الله وخلقه.

- **الإرادة الشرعية**: متعلقة بألوهية الله وشرعه.

٦- الإرادتان تجتمعان في حق المطيع، وتفترقان في حق العاصي.

مثاله: إيمان أبي بكر أراده الله ﷻ كونًا وشرعًا، إما كونه أراده كونًا فوقوعه دليل عليه، وأما أنه أراده شرعًا، فالإيمان محبوب إلى الله ﷻ، بينما إيمان أبي جهل أراده الله ﷻ شرعًا ولم يرده كونًا، ولو أراده كونًا لوقع[1].

مذاهب الناس في الإيمان بالقدر:

والناس في هذا الباب ينقسمون إلى طرفين ووسط:

أما الوسط: فهم أهل السنة والجماعة الطائفة المنصورة الفرقة الناجية أهل الحديث السلفيون.

قال شيخ الإسلام رحمه الله "المجموع" (٨/ ٤٤٩-٤٥٠): مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان: وهو أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه؛ بل هو قادر على كل شيء ولا يشاء شيئا إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد

---

(١) انظر «منهاج السنة» (٣/ ١٨٠-١٨٣)، «الطحاوية» (١١٤)، «الإيمان بالقضاء والقدر» (٩٧-٩٩).

وغيرها وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم: قدر آجالهم، وأرزاقهم، وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة، وشقاوة فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(٨/ ٤٥٢)**: وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضًا على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به، منهيون عما نهاهم الله عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة، ومتفقون أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه، ولا محرم فعله بل لله الحجة البالغة. اهـ

وأما الطرفان المخالفان في هذا الباب فهما:

الأول: الجبرية: وأصل قولهم من جهم بن صفوان، وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه، وغَلَوْ في إثبات القدر حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة، بل هو في زعمهم لا حرية له، ولا فعل كالريشة في مهب الريح، وإنما تُسند إليه الأفعال مجازًا فيقال: صلى وصام، وقتل وسرق كما يقال طلعت الشمس وجرت الريح، ونزل المطر، ومؤدى قولهم إلى اتهام الله بالظالم، وتكليف العباد ما لا قدرة لهم عليه، ومجازاتهم على ما ليس من أفعالهم واتهموه بالعبث في تكليف العباد وأبطلوا الحكمة والأمر والنهي، ألا ساء ما يحكمون.

وهؤلاء في الحقيقة يزعمون: أن الله هو الفاعل الحقيقي لأفعالهم بخلاف ما عليه أهل السنة الذين يقولون إن الله هو الخالق والعبد هو الفاعل، ولذا ترتب على فعله الثواب والعقاب.

ومن أسماء الجبرية: القدرية المشركة؛ لأنهم شابهوا المشركين في قولهم: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام:١٤٨] (١) .

---

(١) «الإيمان بالقضاء والقدر» (١٧٥).

وبلغ الجبر لدى غلاتهم حتى قال بعضهم:

أصبحت منفعلًا لما يختاره مني ففعلي كله طاعات

وهؤلاء يرون كل ما يصدر من العبد من ظلم وكفر، وفسوق هو طاعة محضة؛ لأنها إنما تجري وفق ما قضاه الله وقدره، فهو محبوب لديه مرضي عنده، فإذا كان قد خالف أمر الشرع بارتكاب هذه المحظورات، فقد أطاع بإرادة الله ونفَّذ مشيئته فمن أطاع الله في قضاءه وقدره هو كمن أطاعه في أمره ونهيه كلاهما قد قام بحق العبودية لله[(١)].

وعلى هذا القول فالكل مطيع، قوم نوح الذين أهلكهم الله ﷻ وقوم فرعون وقوم لوط وقوم هود وقوم صالح، ولازمه أن يكون الله ﷻ ظالمًا لهم، تعالى الله عما افتراه الظالمون علوًا كبيرًا.

الثاني: القدرية المعتزلة: وهم نفاة القدر وينقسمون إلى قسمين:

الأول: نفاة العلم: وهم الذين يقولون بأن الله لا يعلم الشيء إلا عند وقوعه، وكان أول ظهورهم في أواخر عهد الصحابة قال يحيى بن يعمر: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلًا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم -وذكر من شأنهم-، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف،

(١) «شرح النونية» للهراس (١/ ٣٧٢).

قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا، فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر. الحديث في "**صحيح مسلم**" رقم (٨)، وهذه الطائفة قد كفّرها العلماء، وقد حكى النووي رَحِمَهُ اللَّهُ، وكذا شيخ الإسلام انقراضهم[1].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر، قال أصحاب المقالات من المتكلمين: وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه، وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، ولكن يقولون: الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم.

وهذه القدرية تسمى: مجوس هذه الأمة. قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد قال رسول الله ﷺ: «**الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ**»، شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الإرادة، كما قسمت المجوس، فصرفت الخير إلى يزدان، والشر إلى أهرمن.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما جعلهم ﷺ مجوسًا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة، فصاروا ثنوية، وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله تعالى والشر إلى غيره، والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر جميعًا لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته، فهما مضافان إليه سبحانه وتعالى خلقًا، وإيجادًا، وإلى الفاعلين لهما من عبادة فعلًا واكتسابًا. اهـ

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١/ ١٥٣).

ومما يدل على أن الله ﷻ **خالق الخير والشر**: قوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ** ﴾ [الزمر:٦٢]. وقوله تعالى: ﴿ **وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ** ﴾ [الصافات:٩٦].

وقول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ**»(١).

والعجب أن هؤلاء يخرجون أفعال العباد المخلوقة المربوبة من عموم قوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ** ﴾ [الزمر:٦٢].

ويدخلون في عموم هذه الآية القرآن الذي هو صفة الله ﷻ.

وملخص القول أن سبب ضلال من ضل من هذه الفرق عدم جمعه بين الأدلة من القرآن والسنة، فعلى هذا كل دليل صحيح يستدل به الجبري فيه رد على القدرية النفاة، وكل دليل صحيح يستدل به القدري فيه رد على الجبرية، ولشيخنا الوادعي رحمه الله كتاب قيم بعنوان "**الجامع الصحيح في القدر**" ألفه للرّد على الشيعة القدرية النفاة. انتهى من كتابي "**سلامة الخلف في عقيدة السلف**".

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري في " خلق أفعال العباد " (ص ٧٣) وابن أبي عاصم في " السنة " (٣٥٧ و ٣٥٨) وابن منده في " التوحيد " (ق ٣٩ / ٢) وابن عدي (٢٦٣ / ٢)، والحاكم (١ / ٣١) والبيهقي في " الأسماء والصفات " (ص ٢٦ و ٣٨٨)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٢٩٥).

ما تعريف الإحسان بين العبد وربه

﴿٢٩﴾ فَإذَا قِيلَ لَكَ: مَا تَعْرِيفُ الإِحْسَانِ بَينَ العَبدِ وَرَبِّه؟ فَقُلْ: هُوَ «أَنْ تَعبُدَ اللّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيث عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ فِي مُسْلِمٍ رَقْمُ (٨).

ساق المصنف حفظه الله الفقرة لتتمة الكلام على مراتب الدين تفصيلًا.

قوله (مَا تَعْرِيفُ الإِحْسَانِ بَينَ العَبدِ وَرَبِّهِ): خرج به الإحسان مع المخلوقين، **فالإحسان ينقسمُ إلى قسمين:**

١- **الإحسان فيما بين العبد وبين ربه:** ويكون بتوحيد الله عز وجل وطاعته والانتهاء عن معصيته.

٢- **الإحسان بين العباد قال الله عز وجل:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، وهذا لفظٌ عام يدخل فيه الإحسان فيما بين العبد وربه، والإحسان إلى المربوبين: بكف الأذى وبذل الندى وطلاقة الوجه.

والإحسان مع الله: هو تمام المراقبة في الليل والنهار والسر والجهار بحيث تعبد الله كأنك تراه وبهذا يكون العبد على أكمل الحالات.

فإن لم تكن تراه وهذا هو الواقع لأن الله عز وجل لا يُرى إلا في الآخرة كما في الحديث: «**إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**»[1] أخرجه مسلم عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٦٩)(٢٩٣١).

قوله (فإنه يراك): يراك بعينين حقيقيتين لا يخفى عليه شيءٌ.

قال الله ﷻ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء: ٢١٧ – ٢٢٠].

فلو تخلق العباد بمراقبة الله ﷻ لما عُصوا الله ﷻ ولزاد إيمانهم وارتفعت درجاتهم لكن الله المستعان قال حنظلة رضي الله عنه: «**يَا رَسُول الله نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِك، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**»[(١)].

وعن ابن عمر رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «**بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَالله يَا هَؤُلَاءِ، لاَ يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللهم إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ فَسُقْهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الفَرَقِ فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ الآخَرُ: اللهم إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ**

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٥٠).

وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الجُوعِ، فَكُنْتُ لاَ أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا، فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ الآخَرُ: اللهم إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ، إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ المِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا»[١] متفق عليه.

قال ابن رجب رحمه الله في "جامع العلوم والحكم" (٤/ ٤٧):

وأمَّا الإحسّانُ فقد جاءَ ذكرُه في القُرآنِ في مواضعَ:

تارةً مقرونًا بالإيمانِ، وتارةً مقرونًا بالإسلامِ، وتارةً مقرونًا بالتَّقوى، أو بالعمل.

فالمقرونُ بالإيمان: كقولِه تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة:٩٣]. وكقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف:٣٠].

والمقرونُ بالإسلام: كقوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [البقرة:١١٢].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٩٧٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٤٣).

وكقوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان:٢٢].

والمقرون بالتقوى: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨].

وقد يذكر مفردًا كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

وقد ثبت في صحيح مسلم : عنِ النبي ﷺ تفسيرُ الزِّيادةِ بالنّظرِ إلى وجهِ الله ﷻ في الجنة، وهذا مناسبٌ لجعلِه جزاءً لأهلِ الإحسّانِ؛ لأنَّ الإحسانَ هو أنْ يَعبُدَ المؤمنُ ربّه في الدُّنيا على وجهِ الحُضورِ والمُراقبةِ، كأنّه يراهُ بقلبِهِ وينظرُ إليه في حال عبادتِهِ، فكانَ جزاءُ ذلك النَّظرَ إلى الله عيانًا في الآخرة.

وعكس هذا ما أخبرَ الله تعالى به عَنْ جَزاءِ الكُفَّار في الآخرةِ: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

وجعلَ ذلك جزاءً لحالهم في الدُّنيا، وهو تراكُم الرَّانِ على قُلوبِهم، حتّى حُجِبَتْ عن معرفتِهِ ومُراقبته في الدُّنيا، فكان جزاؤُهم على ذلك أنْ حُجِبوا عن رُؤيته في الآخرة.

فقوله ﷺ في تفسير الإحسّان: «**أنْ تعبدَ الله كأنّك تراهُ ...**» إلخ.

يشير إلى أنَّ العبدَ يعبُدُ الله تعالى على هذه الصِّفة، وهو استحضارُ قُربِهِ، وأنَّه بينَ يديه كأنَّه يراهُ، وذلك يُوجبُ الخشيةَ والخوفَ والهيبةَ والتَّعظيمَ، كما جاء في رواية أبي هريرة رضي الله عنه : «**أنْ تخشى الله كأنَّكَ تراهُ**»[1].

(١)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٠).

ويُوجِبُ أيضًا النُّصحَ في العبادة، وبذل الجُهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها. اهـ

فمراقبة الله عَزَّوَجَلَّ أمرها عظيم تحلى بها الأنبياء، وتعنى بها الأصفياء فأكرمهم الله عَزَّوَجَلَّ وجزاهم الجزاء الأوفى قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ**﴾ [البقرة:١٢٤]، والله المستعان.

❁❁❁

حكم سب الله وسب رسوله ﷺ وسب دينه ﷺ أو الاستهزاء

﴿٣٠﴾ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا حُكْمُ سَبِّ الله، وَسَبِّ رَسُوله، وَسَبِّ دينه، أو الاسْتِهْزَاء بذلكَ؟ فَقُلْ: هَذَا كُفْرٌ أَكْبَرُ، مَنْ تَعَمَّدَهُ خَرَجَ مِنْ مِلَّة الإِسْلَام، وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

ولا فرق في الحكم بين من سبّ نبينا محمّدًا ﷺ أو سبّ غيره من الأنبياء والمرسلين، أو سبّ ملكًا من الملائكة، أو عاداهم، أو عادى أحدًا منهم، والدَّليل قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٥]. وقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥]. وقوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ -إلى قوله- وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:١٣٦]. وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨].

[ح١] ولا فرق في الحكم بين من سبّ نبينا محمّدًا ن أو سبّ غيره من الأنبياء والمرسلين، أو سبّ ملكًا من الملائكة، أو عاداهم، أو عادى أحدًا منهم، والدَّليل قول الله تعالى: (ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ) [الحج:٧٥]. وقوله تعالى: (لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ) [البقرة:٢٨٥]. وقوله تعالى: (قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ -إلى قوله- وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ) [البقرة:١٣٦]. وقوله تعالى: (مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ) [البقرة:٩٨].

ذكر المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان مسألة مهمة وهي أن الردة قد تقع من المسلم، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة:٥٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾ [آل عمران:١٤٤].

وقال ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٠٠].

وقد تقع الردة بالقول والفعل والاعتقاد، بمجموعهما أو بأحدها.

ومن أنواع الردة: سب الله ورسوله ﷺ ودينه، فمن سب الله ﷻ، أو سب رسوله أو سب دين الإسلام أو تنقص الله أو تنقص رسوله ﷺ أو تنقص دين الإسلام أو استهزئ بحملة الإسلام لحملهم للإسلام كان من الكافرين الخارجين من الملة لأن هذا الفعل لا يصدر إلا عن رجل ضعف في قلبه حب الله ورسوله ﷺ وكان قلبه بعيدا عن التوقير والتعظيم ومخالفا لله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج:٣٢].

قال شيخ الإسلام رحمه الله في "**الصارم المسلول**" (ص ٣): **قال الإمام إسحاق بن راهويه** أحد الأئمة الأعلام: "أجمع المسلمون على أن من سب الله ﷻ، أو سب رسوله ﷺ أو دفع شيئا مما أنزل الله ﷻ، أو قتل نبيا من أنبياء الله ﷻ: "أنه كافر بذلك وان كان مقرا بكل ما أنزل الله. اهـ

وقد نهى الله ﷻ عن سب آلهة المشركين حتى لا يسب المشركون الله فكيف بمن سبه قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام:١٠٨].

قال شيخ الإسلام رحمه الله في "الاستغاثة" (ص ٣٧٦): لا ريب أن الاستخفاف بالنبي ﷺ كفر، والاحتجاج بهذه الآية يدل على أن الاستهزاء بالله

كفر؛ وبآيات الله كفر، وبرسوله كفر، من جهة أن الاستهزاء كفر وحده بالضرورة، فلم يكن ذكر الاستهزاء بآياته وبرسوله شرطًا في ذلك.

فعلم أن الاستهزاء بالرَّسُول ﷺ أيضًا كفر وإلا لم يكن في ذكره فائدة، وكذلك الاستهزاء بالآيات، فإن الاستهزاء بهذه الأمور متلازم، فإن من استهزأ بآيات الله التي جاء بها الرَّسُول فهو مستهزئ بالرَّسُول ضرورة، ومن استهزأ بالرَّسُول فهو مستهزئ برسالته حقيقة، ومن استهزأ بآيات الله ورسوله ﷺ فهو مستهزئ به، ومن استهزأ بالله فإنه مستهزئ بآياته ورسوله ﷺ بطريق الأولي، وأما الذين نزلت فيهم هذه الآية فقد نزلت في المنافقين في غزوة تبوك.

لكن هؤلاء الضالون أولى بالدخول في الاستهزاء بالله وبآياته ورسوله ﷺ من منازعيهم، فإن كانت الآية تتناول المتأولين من أهل القبلة كانوا أحق بالدخول، وإن لم تتناول المتأولين كان منازعوهم أحق بالخروج منها لو كانوا مخطئين، وأما مع كونهم مصيبين فلا وجه لتناول الآية لهم، وذلك أن هؤلاء الضالون مستخفون بتوحيد الله، يعظمون دعاء غيره من الأموات، وإذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا به، كما أخبر تعالى عن المشركين بقوله ﴿ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۝٤١ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤١ – ٤٢]. فاستهزءوا بالرَّسُول لما نهاهم عن الشرك.اهـ

وحكم من سب الله ﷻ وسب رسوله ﷺ وسب دينه أن يقتل ردةً إن لم يتب لله ﷻ فإن تاب إلى الله ﷻ قتل حدًا في سب الرَّسُول ﷺ .

قال الخطابي رحمه الله: لا يعلم في ذلك خلافًا. اهـ

وأما سب الله ﷻ وسب **الدين** فيكفي منه التوبة قال الله ﷻ: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ**﴾ [الأنفال:٣٨].

وسبب **التفريق** أن النبي ﷺ قد قُبض ولا يجوز لأحد أن يتنازل عن حقه، بينما حق الله ﷻ مبني على المسامحة.

والدليل على قتل من سب رَسُول الله ﷺ: حديث ابن عباس رضي الله عنه: «**أَنَّ أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتُمُ النبي** ﷺ **، وَتَقَعُ فِيهِ، فَيَنْهَاهَا، فَلَا تَنْتَهِي، وَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النبي** ﷺ **، وَتَشْتُمُهُ، فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا، فَوَقَعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ، فَلَطَّخَتْ مَا هُنَاكَ بِالدَّمِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُول الله** ﷺ **، فَجَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ:** «**أَنْشُدُ الله رَجُلًا فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ**»، فَقَامَ الْأَعْمَى يَتَخَطَّى النَّاسَ وَهُوَ يَتَزَلْزَلُ حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَي النبي ﷺ ، فَقَالَ: يَا رسول الله ﷺ ، أَنَا صَاحِبُهَا، كَانَتْ تَشْتُمُكَ، وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، وَأَزْجُرُهَا، فَلَا تَنْزَجِرُ، وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتُمُكَ، وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَخَذْتُ الْمِغْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا، فَقَالَ النبي ﷺ : «**أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ**»[(١)].

وقد انتشر سب الله ورسوله ﷺ في البلدان التي انتشرت فيها الاشتراكية إلا ما رحم الله ﷻ، وهذا بسبب البعد عن الاستقامة وعدم إقامة الشريعة.

فلو علم الإنسان أنه إذا سب الله وسب رسوله ﷺ وسب دين الإسلام أقيم

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٣٦١)، والإمام النسائي في سننه (٤٠٧٠)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٦٠٥).

عليه الشرع لانزجر حتى ولو كان منافقًا لأخفي النفاق في قلبه ولما أبداه وأظهره ولا يمكن أن يظهر سب الله وسب رسوله إلا ممن هذا حاله.

قولهُ(فقل هذا كفرٌ أكبر): لأن الكفر ينقسم إلى قسمين:

كفر أكبر مخرج من الملة، وكفر أصغر غير مخرج من الملة.

فالكفر الأكبر يخلد في النار والأصغر لا يخلد في النار.

والكفر الأكبر يبيح الدم والمال والعرض والأصغر لا يبيح ذلك.

والكفر الأكبر يحبط جميع العمل، والأصغر لا يحبط جميع العمل.

قولهُ (من تعمده خرج من ملة الإسلام): خرج به المخطئ والمكره، قال الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

وعن أنس رضي الله عنه قال رَسُول الله ﷺ في الرجل الذي ضاع راحلته: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح**»[(١)]، ولم يؤاخذ.

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦].

بيان موانع التكفير:

فلابد في التكفير من توفر الشروط وانتفاء الموانع، ومن موانع التكفير: الجهل، والخطأ، والنسيان، والإكراه، والتأويل الذي له حظ من النظر.

وقد ذهب جمهور العلماء إلى وجوب استتابة المرتد حتى ترفع عنه الشبه التي أوقعته فيما وقع فيه.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٤٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

قولهُ (خرج من ملة الإسلام): خروجًا كليًا وبهذا تعلم على أن المكفرات تكون بالقول والفعل والاعتقاد فمن سب الله بلسانه ولو لم يعتقد بقلبه كان كافرًا ومن تنقص الله بقلبه ولو لم يتلفظ بلسانه كان كافرًا ومن طاف بقبرٍ أو عبده أو نذر له كان كافرًا وهذا رد على من زعم أن الكفر لا يكون إلا بالجحود.

وقد خطَّئ العلماء الطحاوي لما قال: "وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ ما أدخله فيه".

قال ابن باز رحمه الله كما في "مجموع فتاواه" (٢/ ٨٣): هذا الحصر فيه نظر فإن الكافر يدخل في الإسلام بالشهادتين إذا كان لا ينطق بهما، فإن كان ينطق بهما دخل الإسلام بالتوبة مما أوجب كفره، وقد يخرج من الإسلام بغير الجحود لأسباب كثيرة بينها أهل العلم في باب حكم المرتد، من ذلك طعنه في الإسلام أو في النبي ﷺ أو استهزاؤه بالله ورسوله ﷺ أو بكتابه أو بشيء من شرعه سبحانه لقوله سبحانه: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

ومن ذلك عبادته للأصنام أو الأوثان أو دعوته الأموات والاستغاثة بهم وطلبه منهم المدد والعون ونحو ذلك؛ لأن هذا يناقض قول لا إله إلا الله لأنها تدل على أن العبادة حق لله وحده، ومنها الدعاء والاستغاثة والركوع والسجود والذبح والنذر ونحو ذلك، فمن صرف منها شيئا لغير الله من الأصنام والأوثان والملائكة والجن وأصحاب القبور وغيرهم من المخلوقين فقد أشرك بالله ولم يحقق قول: لا إله إلا الله، وهذه المسائل كلها تخرجه من الإسلام بإجماع أهل العلم، وهي ليست من مسائل الجحود وأدلتها معلومة من الكتاب والسنة،

وهناك مسائل أخرى كثيرة يكفر بها المسلم وهي لا تسمى جحودا وقد ذكرها العلماء في باب حكم المرتد فراجعها إن شئت. وبالله التوفيق. اهـ

قوله (والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]):

ذكر ابن جرير رحمه الله في "تفسيره": عن زيد بن أسلم أن رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك رضي الله عنه في غزوة تبوك: ما لقرائنا هؤلاء أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء فقال له عوف رضي الله عنه كذبت ولكنك منافق لأخبرن رَسُول الله فذهب عوف إلى رَسُول الله ليخبره فوجد القرآن قد سبقه. فقال زيد: قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: فنظرت إليه متعلقا بحقب ناقة رَسُول الله ﷺ تنكبه الحجارة يقول إنما كنا نخوض ونلعب فيقول له النبي ﷺ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]. ما يزيده[1]. اهـ

فجعل الله عز وجل ذلك ردة وطعنا فيه وطعنًا في رسوله ﷺ وطعنا في كتابه؛ لأن الطعن في حملة الدين بسبب الدين الذي يحملونه، طعن في المُرسِل والمُرسَل المبلغ له.

وقد قال الله عز وجل: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

فعن ابنِ عمرَ رضي الله عنه قالَ: رأيتُ عبدَالله بنَ أُبيٍّ يَشْتدُّ قدَّامَ النبي ﷺ والحجارةُ تنكبُهُ وهو يقولُ: يا محمدُ، إنَّما كُنا نَخوضُ ونلعبُ، والنبي ﷺ يقولُ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

(١) أخرجه الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦٩١١) (١٤/ ٣٣٣).

قوله(يقال ولا فرق في الحكم بين من سب نبينا محمدًا أو سب غيره من الأنبياء والمرسلين): سواء كان الرَّسُول من بني آدم أو الملائكة قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٩٨].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ **في "الصارم المسلول" (ص ٥٦٥)**: والحكم في سب سائر الأنبياء كالحكم في سب نبينا، فمن سب نبيا مسمى باسمه من الأنبياء المعروفين كالمذكورين في القرآن أو موصوفا بالنبوة مثل ما يذكر حديثا؛ أن نبيا فعل كذا، أو قال كذا، فيسب ذلك القائل أو الفاعل مع العلم بأنه نبي، وإن لم يعلم من هو أو يسب نوع الأنبياء على الإطلاق فالحكم في هذا كما تقدم؛ لأن الإيمان بهم واجب عموما، وواجب الإيمان خصوصا بمن قصه الله علينا في كتابه، وسبهم كفر وردة إن كان من مسلم، ومحاربة إن كان من ذمي.

قد تقدم في الأدلة الماضية ما يدل على ذلك بعمومه لفظا أو معنى، وما أعلم أحدا فرق بينهما، وإن كان أكثر كلام الفقهاء إنما فيه ذكر من سب نبيا فإنما ذلك لمسيس الحاجة إليه وأنه وجب التصديق له والطاعة له جملة وتفصلا ولا ريب أن جرم سابه أعظم من جرم ساب غيره كما أن حرمته أعظم من حرمة غيره وإن شاركه سائر إخوانه من النبيين والمرسلين في أن سابهم كافر محارب حلال الدم. اهـ

قوله (والدليل قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحج:٧٥]):

أي أن الأنبياء من عباد الله المصطفين قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ

وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٣٣].

وفيه: دليل على تفاضل البشر والملائكة.

وساق المصنف حَفِظَهُ اللهُ الآية لبيان أن الله ﷻ اصطفي الأنبياء لعلمه بعلو منزلتهم وشرفهم وكرمهم، فتنقصهم طعن في الله تعالى، وهو كفر وردة.

قوله (وقوله تعالى: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٨٥]):

ممن ذكر في القرآن أو ممن لم يُذكر فكلهم أنبياء الله ورسله يقابلون بالتصديق والتوقير والتعزير وأما التعبد فلا يكون إلا بما جاء به محمد ﷺ.

قوله (وقوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٦]):

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [البقرة:١٣٦]، يَعْنِي الْقُرْآنَ، ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ [البقرة:١٣٦]، عَشْرُ صُحُفٍ، ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ [البقرة:١٣٦]،، يَعْنِي أَوْلَادَ يَعْقُوبَ وَهُمُ اثْنَا عَشَرَ سِبْطًا، وَاحِدُهُمْ سِبْطٌ، سُمُّوا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ وَسِبْطُ الرَّجُلِ حَافِدُهُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سِبْطَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْأَسْبَاطُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَالْقَبَائِلِ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَالشُّعُوبِ مِنَ الْعَجَمِ، وَكَانَ فِي الْأَسْبَاطِ أَنْبِيَاءٌ وَلِذَلِكَ قَالَ: وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ وَقِيلَ هُمْ بَنُو يَعْقُوبَ مِنْ صُلْبِهِ صَارُوا كُلُّهُمْ أَنْبِيَاءَ.

﴿ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ ﴾ [البقرة:١٣٦]، يَعْنِي التَّوْرَاةَ، ﴿ وَعِيسَىٰ ﴾ [البقرة:١٣٦]، يَعْنِي الْإِنْجِيلَ، ﴿ وَمَآ أُوتِىَ ﴾ [البقرة:١٣٦]، أُعْطِيَ، ﴿ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة:١٣٦]،، أَيْ نُؤْمِنُ بِالْكُلِّ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَنُؤْمِنُ بِبَعْضٍ

وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ كَمَا فَعَلَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٦]. أفاده البغوي في تفسيره: (١/ ١٥٦).

أي أنهم كلهم رسل الله فلا يجوز التفريق بينهم ومن فرق بين المتماثلات أو جمع بين المتفرقات كان من المخطئين.

قولهُ (وقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٩٨].

وفي "الصحيح المسند من أسباب النزول" للشيخ مقبل رحمه الله:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قالوا الله على ما نقول وكيل، قال: «هاتوا» قالوا: أخبرنا عن علامة النبي، قال: «**تنام عيناه ولا ينام قلبه**» ، قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر قال: «**يلتقي الماءان فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت**» ، قالوا: أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه قال: «**كان يشتكي عرق النسا فلم يجد شيئا يلائمه إلا ألبان كذا وكذا**» .

قال عبد الله قال أبي، قال بعضهم: يعني الإبل فحرم لحومها قالوا: صدقت؛ أخبرنا ما هذا الرعد قال: «**ملك من ملائكة الله** عز وجل **موكل بالسحاب بيده أو في يده مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمر الله**»، قالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع. قال: «**صوته**» ، قالوا: صدقت، إنما بقيت واحدة وهي التي نبايعك إن أخبرتنا بها فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر فأخبرنا من صاحبك. قال:«**جبريل** عليه السلام» . قالوا: جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال

والعذاب عدونا، لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان. فأنزل الله ﷻ ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [البقرة:٩٧] الآية أخرجه أحمد.

وقد سماهم الله ﷻ كافرين بغض النظر إن كانت عداوته لمحمد أو كانت عداوته لجبريل، أو كانت عداوته لنوح أو لإبراهيم وبهذا تعلم خطر هذا الفعل القبيح من الاستهزاء بالدين وما يقوم به كثيرٌ من الممثلين، نسأل الله السلامة والعافية.

جزاء المؤمنين والكافرين يوم القيامة

﴿٣١﴾ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا جَزَاءُ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا جَزَاءُ الْكَافِرِينَ يَومَ الْقِيَامَةِ؟ فَقُلْ: جَزَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الجَنَّةُ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧-٨].

وَجَزَاءُ الكَافِرِينَ النَّارُ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦].

وَالدَّلِيلُ أَنَّ الجَنَّةَ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣-١٥].

وَالدَّلِيلُ أَنَّ النَّارَ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ حَدِيثُ البَرَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ: «اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي سِجِّينٍ، فِي الأَرْضِ السُّفْلَى». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي "المُسْنَدِ" وهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَلَا نَشْهَدُ بِالجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ لَهُ الدَّلِيلُ؛ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ساق المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان حال المؤمنين والكافرين في الدارين.

وقد تضمنت هذه الفقرة عدة فوائد أولاها أن الله عز وجل أكرم المؤمنين بكرامات عظيمة فأكرمهم في الدنيا بطمأنينة القلب وانشراح الصدر قال الله عز وجل: ﴿**أَفَمَن**

شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزمر:٢٢].

وقال الله ﷻ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨].

وأكرمهم بالرزق الحسن قال الله ﷻ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧]. إلى غير ذلك من الوعد العظيم الذي امتن الله به على المؤمنين ثم إن المؤمن هو الحي حياة الإيمان بينما الكافر يعتبر من الأموات. قال الله ﷻ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنعام:١٢٢].

وكما قيل:

ليس من مات فاستراح بميْتٍ ... إنما الميْتُ ميّتُ الأحياء

فجزاء المؤمنين في الدنيا: جنة انشراح الصدر وطمأنينة القلب وهدوء البال وطيب الرزق ورضا الله والحياة بالطاعة إلى غير ذلك.

وقد قيل: إن في الدنيا لجنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

وجزاءه في الآخرة: جنة في أعلى عليين قال الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾ [المطففين:١٨].وقد فسر النبي ﷺ عليين بأنها أعلى الجنة: «**اكتبوا كتاب عبدي في عليين في السماء السابعة**»[(١)] أخرجه أحمد عن البراء، وقد تقدم .

وقال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا

---

(١)أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٨٥٣٤)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٤١)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٥٥٨).

مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ
وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ
إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾
مُدۡهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ
خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ
ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن: ٤٦ – ٧٨].

والدليل قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ [البينة:٧]. هذا إخبار من الله ﷻ أن خير الناس هم أهل الإيمان والعمل الصالح وهذه الخيرية في الدنيا والآخرة .

قال الله ﷻ: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠].

وفي الحديث: «أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً. أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ»(١)، أخرجه أحمد.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٠٠١)، والإمام ابن ماجه في سننه (٤٢٨٨)، من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١١١٣)، وقال هذا حديث حسن.

وأما في الآخرة فقال تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [البينة:٨]. وفي الآية دليل على أبدية الجنة والنار.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**ومن يدخل الجنة ينعم لا يبأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه**»[(١)] أخرجه مسلم.

وفي الباب حديث: «**يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا**»[(٢)]، أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله (رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ): فيه إثبات صفة الرضا لله عز وجل وما رضي الله عنهم إلا لرضاه عن أعمالهم.

قوله (ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ): أي هذا الوعد لمن خشي ربه، وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء:٩٠-٩١].

﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٣-٣٥].

والخشية للعلماء، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

ويلتحق بهم من سار على سيرهم فنسأل الله عز وجل أن يرزقنا الخشية والإخلاص له وأن يجعلنا من أهل الإيمان والعمل الصالح.

قوله (وَجزَاءُ الكَافِرِينَ النَّارُ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ): هذا في الآخرة وفي القبر

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٣٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٣٧).

حياتهم ضنكة، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه:١٢٤]. وقال الله ﷻ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الزمر:٢٢]. فهم في الدنيا معذبون بقسوة قلوبهم وضيق صدورهم وسوء أحوالهم وإن تنعموا بأكلهم وشربهم فما هو إلا تنعم جسدي.

قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد:١٢]. فالأنعام تأكل وتشرب وتتبعل لكنها أنعام سائمة .

قوله (فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ)؛ أي في النار، قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ [المطففين:٧]. «**وسجين في الأرض السفلى**»[1]، أخرجه أحمد عن البراء رضي الله عنه.

قوله (والدليل قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ [فاطر:٣٦]).

هذا خبر من الله ﷻ بحال المشركين يوم القيامة.

وساق الشيخ هذه الآية؛ ليدلل على أبدية النار وان من دخلها من الكفار لا يخرج منها قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:١٦٧].

وهذا رد على المعتزلة الضلال ومن إليهم ممن يقول بفناء الجنة والنار.

قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾ [فاطر:٣٦] وأسماءها كثيرة، منها النار، وسقر، وجهنم، وغير ذلك. قوله ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ ﴾ [فاطر:٣٦].

كما قال الله ﷻ: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ ﴾

---

(١)أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٨٥٣٤)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٤١)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٥٥٨).

[النساء:٥٦]. وقال الله ﷻ: ﴿مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧]، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧].

قوله ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَا﴾ [فاطر:٣٦] كقوله ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ [البقرة:٨٦]، ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨]، وهذه مصيبة أخرى أنهم لا يلحقهم الموت فيستريحون ولا يخفف عنهم العذاب فيهدئون بل هم فيها يعذبون على جميع أحوالهم.

قال تعالى: ﴿۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الحج: ١٩ – ٢٢].

قوله ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ [فاطر:٣٦]: أي هذا جزاء الكافرين بما كانوا يعملون لأن الله ليس بظلامٍ للعبيد، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف:٤٩].

وفيها دليل: أن دخول الجنة والنار بسبب العمل وقد قال تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣].

وأما قول النبي ﷺ: «**لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ**» **قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ**: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ**»[(١)]، متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، فالمنفي باء العوض والمثبت باء السبب.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٦٧٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨١٦).

قوله (والدليل أن الجنة في أعلى عليين قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم:١٣-١٥].

حيث رأى جبريل وذهب بعضهم إلى أنه رأى ربه وهذا قول ضعيف اعتمد على رواية شريك بن عبد الله أبي نمر ويدل على ضعفه ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾: أي رأى جبريل عليه السلام مرة أخرى، الأولى حين بعثه الله رآه على كرسي بين السماء والأرض والأخرى ليلة المعراج رآه وله ستمائة جناح ساد عظم خلقه ما بين السماء والأرض، فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «**مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الأُفُقِ**»[(١)].

قوله (عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى): وهي سدرة عظيمة كأن أوراقها آذان الفيلة وكأن ثمرها القلال.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: وفيه: «**فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صلى الله عليه وسلم مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى**»[(٢)] أخرجه مسلم.

وعَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: «**لَمَّا أُسْرِيَ بِرسول الله صلى الله عليه وسلم، انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ**

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٧٧).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٦٢).

فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا»، قَالَ: ﴿إِذْ يَغْشَى [النجم:١٦] **السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى** ، قَالَ: «فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ»، قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُول الله ﷺ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِالله مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا، الْمُقْحِمَاتُ»[١]، فكان الجمع أن أصولها في السماء السادسة وفروعها السماء السابعة.

قوله: ﴿**إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ**﴾ [النجم:١٦] من الحسن لا يقدر قدره إلا الله ، كما تقدم في الحديث.

قوله: ﴿ **عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ** ﴾ [النجم:١٥].**سميت جنة المأوى**؛ لأن المؤمنين يؤن إليها، وسقفها عرش الرحمن وقد قال النبي ﷺ : «**إذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أعلى وأوسط الجنة وسقفها عرش الرحمن**»[٢]، أخرجه البخاري.

قوله (والدليل أن النار في أسفل سافلين، حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: فيما يروي عن ربه عز وجل).

قوله (في الحديث القدسي في الأرض السفلى): هذا هو الشاهد.

قوله (أخرجه أحمد): أي في مسنده وهو حديث صحيح وأخرجه ابن أبي الشيبة، وهو في "**الصحيح المسند**" لشيخ مقبل رحمه الله، ولفظه: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُول الله إِلَى جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ رَسُول الله عَلَى الْقَبْرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ وَهُوَ يُلْحَدُ لَهُ، فَقَالَ: «**أَعُوذُ بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» ثَلَاثَ مِرَارٍ ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، وَانْقِطَاعٍ مِنَ**

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٩٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٨٠٩).

الدُّنْيَا، تَنَزَّلَتْ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ كَأَنَّ عَلَى وُجُوهِهِمُ الشَّمْسَ، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَفَنٌ وَحَنُوطٌ، فَجَلَسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ رُوحُهُ، صَلَّى عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ الله : أَنْ يُعْرَجَ بِرُوحِهِ مِنْ قِبَلِهِمْ، فَإِذَا عُرِجَ بِرُوحِهِ قَالُوا: رَبِّ عَبْدُكَ فُلَانٌ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُوهُ، فَإِنِّي عَهِدْتُ إِلَيْهِمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى».

قَالَ: «فَإِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَال أصحابه ﷺ، إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ، فَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ الله، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ، فَيَنْتَهِرُهُ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ،

فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ الله ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧] فَيَقُولُ: رَبِّيَ الله، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ لَهُ: صَدَقْتَ، ثُمَّ يَأْتِيهِ آتٍ حَسَنُ الْوَجْهِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِكَرَامَةٍ مِنَ الله وَنَعِيمٍ مُقِيمٍ، فَيَقُولُ: وَأَنْتَ فَبَشَّرَكَ الله بِخَيْرٍ، مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، كُنْتَ وَالله سَرِيعًا فِي طَاعَةِ الله، بَطِيئًا عَنْ مَعْصِيَةِ الله، فَجَزَاكَ الله خَيْرًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ، وَبَابٌ مِنَ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا كَانَ مَنْزِلَكَ لَوْ عَصَيْتَ الله، أَبْدَلَكَ الله بِهِ هَذَا، فَإِذَا رَأَى مَا فِي الْجَنَّةِ قَالَ: رَبِّ عَجِّلْ قِيَامَ السَّاعَةِ كَيْمَا أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي.

فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ. وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ، فَانْتَزَعُوا رُوحَهُ، كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ الْكَثِيرُ الشِّعْبِ مِنَ الصُّوفِ الْمُبْتَلِّ، وَتُنْزَعُ نَفْسُهُ مَعَ الْعُرُوقِ، فَيَلْعَنُهُ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ،

إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ الله : أَنْ لَا تَعْرُجَ رُوحُهُ مِنْ قِبَلِهِمْ، فَإِذَا عُرِجَ بِرُوحِهِ، قَالُوا: رَبِّ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ عَبْدُكَ، قَالَ: أَرْجِعُوهُ، فَإِنِّي عَهِدْتُ إِلَيْهِمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ: فَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِأصحابه ﷺ، إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟

فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيَقُولُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَوْتَ، وَيَأْتِيهِ آتٍ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِهَوَانٍ مِنَ الله، وَعَذَابٍ مُقِيمٍ، فَيَقُولُ: وَأَنْتَ، فَبَشَّرَكَ الله بِالشَّرِّ مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، كُنْتَ بَطِيئًا عَنْ طَاعَةِ الله، سَرِيعًا فِي مَعْصِيَةِ الله، فَجَزَاكَ الله شَرًّا، ثُمَّ يُقَيِّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مِرْزَبَةٌ، لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً حَتَّى يَصِيرَ تُرَابًا، ثُمَّ يُعِيدُهُ الله كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ». قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ وَيُمَهَّدُ مِنْ فُرُشِ النَّارِ[١].

حكم الشهادة لمعين بالجنة أو بالنار:

قوله(ولا نشهد بالجنة أو النار إلا لمن شهد له الدليل): هذه فقرة أخرى يذكرها أهل السنة والجماعة وهي من صميم عقيدتهم أنهم لا يشهدون لأحد من المكلفين بجنة ولا نار إلا لمن شهد له الله ﷻ ورَسُول الله ﷺ لأن هذه أمور غيب لا يعلمها إلا الله.

وقد شهد رَسُول الله لجمع من الصحابة رضي الله عنهم :

منهم: خديجة بنت خويلد وبلال والرميصاء أو الغميصاء، رضي الله عنه .

والعشرة كما في حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه : «**أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة**

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٨٦١٤)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٤١).

وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة وعبدالرحمن ابن عوف في الجنة والزبير في الجنة وسعد ابن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة في الجنة»(١) أخرجه الترمذي وغيره.

وشهد لثابت بن قيس بن شماس ولعبدالله بن سلام والحسن والحسين رضوان الله عليهم وشهد لغيرهم.

وكذلك النار من شهد له رَسُول الله شهدنا له ومن مات على الكفر يقينًا يشهد له بالنار، قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ**﴾ [البينة:٦].

قوله: (لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾ [الإسراء:٣٦]): لأن الجنة والنار شأنها غيبي والجمع بين ما تقدم، وبين حديث النبي ﷺ: مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ نَبِيُّ الله: «**وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ**»، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ الله: «**وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ**»، قَالَ عُمَرُ: فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ، فَقُلْتَ: «**وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ**»، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ، فَقُلْتَ: «**وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ**»؟

فَقَالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله فِي الْأَرْضِ**»(٢) أخرجه مسلم عن أنس رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٧٤٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٣٦٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٩٤٩).

وهذا عائدٌ إلى شهادة النبي ﷺ ثم نحن على الرجاء؛ لأن الأدلة تدل على ذلك، نرجو للمحسنين ونخاف على المسيئين.

وقد جاء عَنْ أُمِّ العَلاَءِ رضي الله عنها، وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِهِمْ، بَايَعَتْ رَسُول الله ﷺ قَالَتْ: «طَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فِي السُّكْنَى، حِينَ اقْتَرَعَتْ الأَنْصَارُ عَلَى سُكْنَى المُهَاجِرِينَ، فَاشْتَكَى فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى تُوُفِّيَ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ فِي أَثْوَابِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا رسول الله ﷺ ، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ الله عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ الله، قَالَ: «**وَمَا يُدْرِيكِ**» قُلْتُ: لاَ أَدْرِي وَالله، قَالَ: «**أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ اليَقِينُ، إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ مِنَ الله، وَالله مَا أَدْرِي - وَأَنَا رَسُول الله - مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ**» قَالَتْ أُمُّ العَلاَءِ: فَوَالله لاَ أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ، قَالَتْ: وَرَأَيْتُ لِعُثْمَانَ فِي النَّوْمِ عَيْنًا تَجْرِي، فَجِئْتُ رَسُول الله فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «**ذَاكِ عَمَلُهُ يَجْرِي لَهُ**» (١)، أخرجه البخاري، وهذا قبل أن يوحى إليه أن أمره على أحسن المحامد.

وفي مسلم: عن عمرو بن العاص رضي الله عنه : «**وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، يَبْكِي طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُول الله بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُول الله بِكَذَا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ،** فَقَالَ: **إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول الله ﷺ ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ** ثَلَاثٍ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُول الله مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ، فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ الله الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النبي ﷺ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «**مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟**» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٠٠٣).

أَشْتَرِطَ، قَالَ: «**تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟**» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟**» **وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»[(١)]، أخرجه مسلم.

وذهب بعض أهل العلماء إلى الشهادة لبعضهم: كعمر بن عبد العزيز، والإمام أحمد، ومن إليهم؛ لكثرة خيرهم والإجماع على الشهادة لهم بالخير.

لكن الأولى أن نبقى على الدليل مع أننا نعتقد أن الصحابة رضي الله عنهم كلهم في الجنة، وأن كل مسلم في الجنة؛ لأن الله عز وجل حرم الخلود في النار على المسلمين، كما حرم دخول الجنة على الكافرين، وبالله التوفيق.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٢١).

عدد الدور

(٣٢) فَإِذَا قِيلَ لَكَ: **كَمْ عَدَدُ الدُّورِ**؟ فَقُلْ: ثَلَاثَةٌ:

١- دَارُ الدُّنْيَا الفَانيَةُ، وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

٢- دَارُ البَرْزَخِ، وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

٣- دَارُ القَرَارِ، وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعَالَى مُخْبِراً عَنْ مُؤْمِنِ آل فرْعَوْنَ: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْأَخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

ساق المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان بعض ما يتعلق بالإيمان بالغيب، ومنه الحياة البرزخية، وما فيها من النعيم أو العذاب والحياة الأخروية، وما يتعلق بها.

والمراد بالدور المراحل التي يمر بها الإنسان من دنياه إلى أُخراه، وسميت دور لأنه يسكن كل واحدة منها فترة من الزمن فتصير كداره.

١ ـ دار الدنيا: سميت دنيا؛ لدناءتها أو لدنوها، وهو قربها.

فالحياة فيها قليلة، والنعيم فيها زائل، والفرح فيها ذاهب، والحزن فيها حاصل، قال الشاعر:

ثمانيــة لابــد منهــا على الفتــى ... ولابـد أن تجـري عليـه الثمـانية
سرور وهـــمٌّ واجتمـــاع وفرقـــة ... ويُســر وعــسر ثـم سـقم وعافيـة

وهي دار الموت: قال الله ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنبياء:٣٥].

وقال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦- ٢٧]. وقال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ ﴾ [النساء:٧٨]. وقال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ ﴾ [آل عمران:١٥٤].

وهي دار الحاجة والفقر والقلة والذلة إلا من رحم الله عَزَّ وَجَلَّ ودار الأمراض والأسقام وقد مرض فيها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأوذي ومات مع أنه أكرم خلق الله عَزَّ وَجَلَّ على الله، فليست بدار سرور فنعيمها زائل وشرها إن لم يتقه الإنسان باقي عليه نسأل الله السلامة.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ مخبرا عن دناءتها ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران:١٨٥]، أي متاع المغرورين الذين غرر بهم الشيطان.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ﴾ [الحديد:٢٠].

فلا يفرح بما فيها فحلالها حساب وحرامها عذاب: ﴿ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد:٢٠] مغفرة للمؤمنين وعذاب شديد على الكافرين.

وفي الحديث: «**الدنيا ملعونة ملعون فيها إلا ذكر الله وما والاها أو عالم أو متعلم**»(١) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٣٢٢)، وابن ماجه في سننه (٤١١٢)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح الترمذي.

وفي الحديث: **«لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»** [(١)]أخرجه الترمذي عن سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وقد ذمها رسول الله ﷺ ذمًا بليغا: فعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أَنَّ رَسُولَ الله مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: **«أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَالله لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «فَوَالله لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»**[(٢)] أخرجه مسلم.

ولكن الإنسان بسبب الغفلة يفرح بالقريب وينسى البعيد حتى وإن كان في القريب العطب وفي البعيد السلامة.

وهي سجن المؤمن: كما قال رسول الله ﷺ: **«الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»**[(٣)]، أخرجه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وقد أحسن من قال:

نَصَبَتْ لَنَا الدُّنيا زَخَارِفَ حُسْنِهَا ... مَكْرا بِنَا وَخَدِيعَةً مَا قَصَّرَتْ
لَمْ تحْلُ قَطُّ لِذَائِقٍ قَدْ ذَاقَهَا ... إِلاَّ تَغَيَّرَ طَعْمُهَا وَتَمَرَّرَتْ
خَدَّاعَةٌ بجَمَالِهَا إِن أَقْبَلَتْ ... فَجَّاعَةٌ بِزَوَالِهَا إِن أَدْبَرَتْ

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٣٢٠)، والإمام ابن ماجه في سننه (٤١١٠)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح الترمذي.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٥٧).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٥٦).

وَهَّابَـــــةٌ سَلاَّبَـــــةٌ لِهِبَاتِهَــــا خَرَّابَةٌ لجَدِيدِ مَـــا قَــدْ عَمَّـــرَتْ
كَــمْ ذَا مِــنَ الأُمَــمِ السَّــوَالِفِ لَوْ أَنَّهَـا نَطَقَـتْ بِـذَاكَ لأَخْــبَرَتْ
يَا رَبِّ فِيكَ وَإِن عَصَيْتُكَ مَطْمَـعِي فَاسْـتُرْ عَـلَيَّ إِذَا الذُّنُـوبُ تَكَـاثَرَتْ

٢ـ **(دار البرزخ):** وهي حياة ما بعد الموت إلى النفخ في الصور.

والقبر أول منازل الآخرة، وهو إما روضة من رياض الجنة للمؤمنين الموحدين، وإما حفرة من حفر النار للكافرين المنافقين، يعذبون فيها، ومن شاء الله من عصاة المؤمنين كما سيأتي.

قال الله ﷻ: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٠].

وسُمي برزخ لأنه فاصل بين الدنيا والآخرة وهي حياة طويلة إلا أنها دون الآخرة.

٣- **دار الآخرة:** وهي الدار الطويلة التي تكون من البعث إلى الأبد.

قوله (دار القرار): سميت بدار القرار لقرار الناس فيها إما في جنة خالدًا فيها أبدًا وإما في النار خالدين فيها أبدًا.

كما قال الله ﷻ: ﴿ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى:٧]، نسأل الله السلامة.

وتسمى بدار الحيوان؛ لأن الحياة فيها أبدية وحياتها لا تنقطع، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٤].

إما خلود في الجنة مع النعيم، وأما خلود في النار مع العذاب الأليم.

ففي حديث أبي سعيد رضي الله عنه: قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ – زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ: فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَاتَّفَقَا فِي بَاقِي الْحَدِيثِ – فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ " قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩] وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا»(١)، أخرجه مسلم.

وقال الله عز وجل: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦].

وقد تقدم قول الله عز وجل: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧]، وقال الله عز وجل: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]. وقال الله عز وجل: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨].

وقال الله عز وجل: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:٥٠].

وقال الله عز وجل: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ [الصافات:٢٧-٣١].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧٣٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨٤٩).

ويقول الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٣ – ١٠٨].

وأما المؤمن هو في نعيم مقيم يُرفع الدرجات العلى، قال الله ﷻ: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا ﴾ [البقرة: ٢٥].

ويقال له: «اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»، أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

قوله (والدليل قول الله تعالى مخبرا عن مؤمن آل فرعون): سمي بذلك لشهرة المناظرة بينه وبينهم، ولتسمية الله ﷻ له بذلك حيث قال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ ﴾ [غافر: ٣٠].

وقصته في سورة غافر: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا

تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر: ٣٨ – ٤٦].

قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [غافر:٣٩]، أي أن الحياة الدنيا متاع زائل فاني وإن الآخرة هي دار القرار، لا تحول منها إلى غيرها، ولا فناء لمدتها، ولا نقصان فيما هو من شأنها.

قال تعالى عن حال الجنة: ﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ [الواقعة: ٣٢ – ٣٣]، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ [القصص:٥٤]. وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ [ق:٣٥].

وقال: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:٢٤].

وقال تعالى: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد:٣٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٥٤﴾ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥١ – ٥٧]، إلى غير ذلك.

وعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ.

قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ "، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عز وجل: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة:١٧] الْآيَةَ[1]، أخرجه مسلم، وبالله التوفيق.

❁❁❁

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٩).

أول منازل الآخرة

﴿٣٣﴾ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: **مَا أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ؟** فَقُلْ: أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ القَبْرُ، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وابْنُ مَاجَه، وَأَحْمَدُ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

لما بين حفظه الله أقسام الدور ناسب أن يذكر ما يتعلق بالحياة البرزخية، وهي القبر وما فيه.

قوله (فقل القبر أول منازل الآخرة): وذلك أن الإنسان ينتقل من الحياة الدنيا دار التكليف إلى حياة الجزاء، وأولها القبر، فيفتن في قبره، ويسأل عن أعماله على ما يأتي.

قوله (والدليل حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه): ذو النورين زوج بنتي النبي ﷺ رقية وأم كلثوم، ولا يعلم عن رجل تزوج بنتي نبي غيره، وهو ثالث الأمة فضلًا بعد رسول الله ﷺ ، وثالث الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين، قتل شهيدًا، وقد جاوز الثمانين، قتله الخوارج عليهم لعائن الله ، وكان قتله ثلمة في الإسلام لم تسد بعد ذلك، والله المستعان.

قوله (إن القبر أول منازل الآخرة): أي بداية الآخرة للميت وفي المثل السائر من مات قامت قيامته.

قوله (فإن نجا منه فما بعده أيسر منه): أي سلم منه فما بعده من الأهوال أيسر وسهل لأنه نجا من شر عريض وحاله كما قال الله عز وجل: ﴿ فَأَمَّآ إِن

كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾[الواقعة:٨٨-٩٤].

قوله **(وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه)**: أي من لم يسلم من عذاب القبر فما بعده أشد، وهو عذاب الآخرة، وهذا في حق الكافر.

قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه:١٢٧].

وقد تقدم في حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه يقول: «**رب لا تقم الساعة**»، مع شدة حاله، والله المستعان. **ومن الأدلة على طول المقام فيه**: قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[المؤمنون:٩٩-١٠٠].

عقيدة المسلم في عذاب القبر ونعيمه

﴿٣٤﴾ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَاذَا تَعتَقِدُ فِي عَذَابِ القَبْرِ وَنَعيمه؟ فَقُلْ: أَعْتَقِدُ أَنَّهُ حَقٌّ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ القَبْرِ فَقَالَ: «عَذَابُ القَبْرِ حَقٌّ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، وَهَذَا لَفْظُ البُخَارِيِّ.

وَعَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ وَعَذَابِ القَبَرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَالِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِيهِ: إِثْبَاتُ عَذَابِ القَبْرِ، وَفِتْنَةِ القَبْرِ، وَفِتْنَةِ الدَّجَالِ الأَكْبَرِ.

وَمِنَ الأَدِلَّة عَلَى نَعِيمه حَدِيثُ البَرَاءِ، وَفِيه: «وَأَمَّا المُؤْمِنُ فَيُقَالُ: أَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّة، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الجَنَّة، فَيَأْتيه مِنْ طِيبِهَا وَرَوْحِهَا، وَيُفْسَحُ لَه فِي قَبْرِه مَدَّ بَصَرِهِ» أَخْرَجَهُ أَحمَدُ فِي "المُسنَدِ" وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

ساق حَفِظَهُ اللهُ هذه الفقرة استطرادًا لما يتعلق بالقبر وما فيه، وقد تضمنت أمورًا:

الأول: إثبات عذاب القبر ويكون للكفار ولمن شاء الله من عصاة المسلمين، أسأل الله السلامة.

الثاني: إثبات نعيم القبر: ويكون للمؤمنين الموحدين الممتثلين دين رب العالمين.

الثالث: فتنة القبر وهي السؤال: من ربك، وما دينك، وما نبيك، وتكون لعامة الأموات من المؤمنين والكافرين والصغار والكبار، على الصحيح من أقوال أهل العلم، **ولا ينجوا منها إلا أربعة أصناف:**

الأول: الأنبياء؛ لقول النبي ﷺ: «**فبي تفتنون وعني تسألون**»[(١)]، أخرجه أحمد عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٥٠٨٩)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ (١٣١٥).

الثاني: الشهداء؛ لقول النبي ﷺ كما في حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ: «**كفي ببارقة السيوف على رؤوسهم فتنة**»[(١)] أخرجه النسائي.

الثالث: المرابطون؛ كما قال النبي ﷺ: «**كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتان القبر**»[(٢)] رواه أبو داود عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه، وأخرجه مسلم عن سلمان رضي الله عنه.

الرابع: الصديقون؛ على قول لأهل الله لأن الصديقين أفضل من الشهداء.

وفي القبر ضمة: وهي شاملة لكل أحد، ويسلم منها الأنبياء على القول الصحيح؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في شأن سعد بن معاذ رضي الله عنه: «**هذا الذي اهتز له العرش: لقد ضم ضمة ثم فرج عنه**»[(٣)] أخرجه النسائي.

وقال النبي ﷺ: «**أن في القبر لضمة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ**[(٤)]**، الذي اهتز له عرش الرحمن**»، أخرجه النسائي.

ولو كانت الضمة شاملة للأنبياء؛ لقال النبي ﷺ: «**لنجوت منها أنا**» والله أعلم.

---

(١) أخرجه الإمام النسائي في سننه (٢٠٥٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٤٨٣)، وفي صحيح النسائي.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٩١٣) من حديث سلمان رضي الله عنه، والإمام أبو داود في سننه (٢٥٠٠) من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام النسائي في سننه (٢٠٥٥)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٧٦٦)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

(٤) أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٣١١٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في التعليقات الحسان (٣١٠٢)، وفي الصحيحة (١٦٩٥).

ثم بعد الضمة: إما نعيمٌ وإما عذابٌ على ما تقدم بيانه.

وفي كتابي: "**عذاب القبر ونعيمه ذكر بعض أدلة عذاب القبر**" حيث قلت: **عذاب القبر ونعيمه ثابت بالكتاب والسنة، والإجماع.**

أما الكتاب: فأدلته متنوعة وإليك بعضها:

قال الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[غافر: ٤٥-٤٦].

قال ابن كثير ﵀ **في تفسير هذه الآية:** ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾[غافر: ٤٥-٤٦]: وهو الغرق في اليم، ثم النقلة منه إلى الجحيم، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحًا ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، ولهذا قال: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[غافر: ٤٦].، وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور.اهـ

قال الحافظ ﵀ **في "الفتح" (٣/ ٢٩٩):** قال القرطبي: الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ، وهو حجة في تثبيت عذاب القبر.

وقال غيره: وقع ذكر عذاب القبر في هذه الآية مفسرًا؛ لكنه حجة على من أنكر عذاب القبر.اهـ

وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الطور: ٤٥-٤٧].

قال رَحِمَهُ اللهُ في شرح الطحاوية: وهذا يحتمل أن يراد به القتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به عذابهم في البرزخ وهو أظهر؛ لأن كثير منهم مات ولم يعذب في الدنيا، أو أن المراد أعم من ذلك.اهـ

وقد بوب البخاري في صحيحة: باب ما جاء في عذاب القبر.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣].

وقوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة:١٠١].

وقال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في شرح الآية الأولى (٣/ ٢٩٩): وهذا وإن كان قبل الدفن، فهو من جملة العذاب الواقع قبل يوم القيامة، وإنما أضيف العذاب إلى القبر لكون معظمه يقع فيه، ولكون الغالب على الموتى أن يقبروا، وإلا فالكافر ومن شاء الله تعذيبه من العصاة، يعذب بعد موته، ولو لم يدفن، ولكن ذلك محجوب عن الخلق إلا من شاء الله.

وفي تفسير الآية الأخرى قال: روي عن الحسن من طريق محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة:١٠١]: عذاب الدنيا، وعذاب القبر.

وقال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ: وقال الطبراني بعد أن ذكر اختلافًا: والأغلب أن إحدى المرتين عذاب القبر، والأخرى تحتمل أحد ما تقدم ذكره من الجوع، أو السبي، أو الإذلال أو غير ذلك. اهـ

وقول الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم:٢٧].

قال الإمام البخاري رحمه الله (٤٦٩٩): حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن سعد بن عبيدة، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم:٢٧] نزلت في عذاب القبر.

وقال ابن رجب رحمه الله كما في "أهوال القبور" (٥٨): وأما نعيم القبر فقد دل عليه قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴾[الواقعة: ٨٨-٩١].

وأقول: عذاب القبر يدل عليه في هذه الآية أيضًا: ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ٩٣ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾[الواقعة: ٩٢-٩٤].

واستدل كذلك ابن القيم رحمه الله في كتابه "**الروح**" بهذه الآية على النعيم والعذاب في القبر. **قال ابن القيم رحمه الله في كتابة "الروح" ومنها**: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [السجدة:٢١].

وقد أحتج بهذه الآية جماعة منهم: عبد الله بن عباس رضي الله عنه على عذاب القبر.اهـ

وقال ومنها: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴾[الفجر: ٢٧-٢٩].

قال: وقد أختلف السلف متى يقال لها ذلك فقال طائفة: يقال لها عند الموت، وظاهر اللفظ مع هؤلاء فإنه خطاب للنفس التي تجردت عن البدن، وخرجت منه، وقد فسر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في حديث البراء وغيره: «فيقال

لها: أخرجي راضية مرضيًا عنك» ﴿ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴾ [الفجر:٢٩]، مطابق لقوله ﷺ: «اللهم الرفيق الأعلى».اهـ

وقد استدل بعضهم بقوله تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴾[التكاثر: ١-٢].

لكن من باب الفائدة: الحديث الذي أخرجه الترمذي برقم **(٣٣٥٢)** من طريق حجاج بن أرطأة، عن المنهال، عن زر بن حبيش، عن علي رضي الله عنه قال: «ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴾[التكاثر: ١-٢]. »، وهو حديث ضعيف؛ حجاج ابن أرطأة: الراجح ضعفه. والمنهال بن عمرو: لم يسمع من زر كما في "**التهذيب**".

قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾ [طه:١٢٤]، استدل بها على عذاب القبر.وقوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٠].

قال ابن كثير رحمه الله بعد ذكر الآية: تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ.اهـ

وقول الله عز وجل: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦]. وهذه من أصرح الأدلة على أن في القبر نعيم وعذاب؛ لقوله: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ﴾ [غافر:٤٦]، أي قبل البعث.

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦]، أي البعث، وهذا ظاهر لمن تأمله.

واستدل بقول الله عز وجل: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [طه:١٢٤].

قالوا: المعيشة الضنكة في القبر، والعمى في الآخرة، وقد جاء مرفوعًا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الحاكم. وقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:٢٧].

قال البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيما يرويه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزلت في عذاب القبر[١]، متفق عليه.

وأما الأدلة من السنة فمتواترة:

منها: حديث أبي هريرة وابن عباس وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: **«إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِالله مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»**[٢]، أخرجها مسلم.

وكم هي الأدلة الدالة على أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستعيذ من عذاب القبر.

قوله: (أنها سألت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عذاب القبر فقال «عذاب القبر حق»):

متفق عليه، وهذا لفظ البخاري. والحديث فيه قصة وهي: **«أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ القَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ الله مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَقَالَ: «نَعَمْ، عَذَابُ القَبْرِ» قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَمَا رَأَيْتُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ صَلَّى صَلاَةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»**.

زَادَ غُنْدَرٌ: **«عَذَابُ القَبْرِ حَقٌّ»**[٣].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٣٦٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨٧١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٨٨).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٣٧٢).

قولهُ (وعنها أن النبي ﷺ كان يتعوذ من فتنة القبر): وقد تقدم أن الفتنة هي السؤال: (من ربك وما دينك وما نبيك).

وفي الصحيحين: عن أسماء رضي الله عنها قالت: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا، حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَإِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا، أَوْ مِثْلَ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيُؤْتَى أَحَدُكُمْ، فَيُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، أَوِ الْمُوقِنُ - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ، هُوَ رَسُولُ اللهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَأَطَعْنَا، ثَلَاثَ مِرَارٍ، فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ، قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ إِنَّكَ لَتُؤْمِنُ بِهِ، فَنَمْ صَالِحًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ، أَوِ الْمُرْتَابُ - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ: شَيْئًا، فَقُلْتُ**».

الإيمان بالمسيح الدجال:

قولهُ (و فتنة المسيح الدجال): والمسيح الدجال رجل من بني آدم من اليهود يدعي النبوة ثم الألوهية ويفتن الله عز وجل به العباد.

وسمي بالدجال؛ لكذبه وتلبيسه وفتنته عظيمة على ما بيناه في كتابنا: "**تحذير العقال من فتنة المسيح الدجال**".

وهو موجود الآن؛ لحديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها وفيه: «**فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي، مُنَادِي رَسُول اللهِ ﷺ، يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُول اللهِ ﷺ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ فَلَمَّا قَضَى رَسُول اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَضْحَكُ،**

فَقَالَ: «لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟»

قَالُوا: الله ورسوله أَعْلَمُ، قَالَ: «إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمِ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟

فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟

قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا - مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا».

قَالَتْ: قَالَ رَسُول الله ﷺ ، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ» - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُول الله ﷺ »[١]، أخرجه مسلم.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٤٢).

وقد بينت ثبوت الحديث في كتابي المذكور، وقد دافع عنه الحافظ ابن حجر في "**رسالة الأجوبة المصرية**".

وقد أخرج مسلم في صحيحه قصة الدجال: عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه، قَالَ: ذَكَرَ رَسُول الله ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «**مَا شَأْنُكُمْ؟**» قُلْنَا: يَا رَسُول الله ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «**غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَالله خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ الله فَاثْبُتُوا**».

قُلْنَا: يَا رَسُول الله وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ**» **قُلْنَا**: يَا رَسُول الله فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «**لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ**» **قُلْنَا**: يَا رَسُول الله وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟

قَالَ: «**كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ**

الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ.

ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ.

وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَ أصحابه رضي الله عنهم، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَ أصحابه رضي الله عنهم، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَ أصحابه رضي الله عنهم إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَ أصحابه رضي الله عنهم إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ

آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[١].

وينجوا من هذه الفتنة من شاء الله أن يسلم، فهو لا يضر المسلمين، كما قال رسول الله ﷺ : **«وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ مُسْلِمًا»**[٢]، أخرجه ابن حبان عن حذيفة رضي الله عنه .

ولا يدخل مكة والمدينة: كما قال النبي ﷺ: **«لا يدخل مكة ولا المدينة»** متفق عليه عن أنس رضي الله عنه .

ومن أسباب السلامة منه: الاستعاذة منه كما في حديث الباب.

وقال النبي ﷺ كما في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه : **«مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»**[٣] أخرجه مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وغير ذلك.

وأما حديث: «لا يدخل الدجال اليمن» فهو حديثٌ موضوع.

ويقتله المسيح عيسى ابن مريم كما تقدم في حديث النواس رضي الله عنه، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : **«ينزل عيسى ابن مريم حكمًا مقسطًا فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير»**[٤] متفق عليه.

ويكون في زمنه ظهور المهدي عليه السلام : فعَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه عَنِ النبي ﷺ قَالَ: **«لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ»** - قَالَ زَائِدَةُ فِي حَدِيثِهِ: **«لَطَوَّلَ الله ذَلِكَ**

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٣٧).

(٢) أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٦٨٠٧- الإحسان)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٣٠٦).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨٠٩).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٢٢٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٥٥).

الْيَوْمَ»، ثُمَّ اتَّفَقُوا - «حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي» - أَوْ «مِنْ أَهْلِ بَيْتِي - يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي».

زَادَ فِي حَدِيثِ فِطْرٍ: «يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا» وَقَالَ: فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ: «لَا تَذْهَبُ، أَوْ لَا تَنْقَضِي، الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي»[(١)] أخرجه أبو داود.

قوله(متفقٌ عليه): وجاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه إثبات عذاب القبر وفتنة القبر وفتنة الدجال الأكبر وسمي بالدجال الأكبر لكثرة الدجاجلة سواه كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**يكون قبل الساعة ثلاثون دجالًا كذابًا كلهم يزعم أنه نبي**»[(٢)]، أخرجه مسلم في مقدمته.

قوله(ومن الأدلة على نعيمه حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وأما المؤمن فيقال: وألْبِسُوهُ من الجنةِ، وافْتَحُوا له بابًا إلى الجنةِ، فيَأتِيهِ من طِيبِها ورَوْحِها، ويُفسحُ له في قَبرِهِ مَدَّ بَصرِهِ):

أخرجه أحمد في المسند وهو حديث صحيح، وقد تقدم الحديث بطوله، ومنها قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨- ٨٩]، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٢٨٢)، وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح أبي داود: حسن صحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥٩٨٥) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ برقم (١٦٨٣)، الحديث بمجموع الطريقين حسن، وهو صحيح بشواهده الكثيرة: من حديث أبي هريرة وجابر بن سمرة وثوبان مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

عقيدة المسلم في البعث والوقوف والحساب وأخذ الكتاب

﴿٣٥﴾ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَاذَا تَعْتَقِدُ فِي الْبَعْثِ وَالْوُقُوفِ وَالْحِسَابِ وَأَخْذِ الْكِتَابِ؟

فَقُلْ: أَعْتَقِدُ أَنَّهُ حَقٌّ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ٦ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ٧ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ﴾ [القمر:٦-٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٦-١٢].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۢ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا ٧١ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء:٧١-٧٢].

ذكر المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان ما يتعلق ببقية الإيمان باليوم الآخر وقد علمنا أن القبر أول منازل الآخرة والإيمان بالقبر وما فيه من النعيم والعذاب يدخل في الإيمان بالغيب الذي قال الله عز وجل عنه: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة:٣].

والغيب: كل ما غاب عن الإنسان ويدخل فيه الإيمان باليوم الآخر وسمي باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده وهو يوم القيامة حيث يقوم الناس لرب العالمين.

وله أسماء منها: يوم البعث؛ لخروج الناس من قبورهم.

ويوم الحشر: لأنهم يحشرون ويجمعون إلى ربهم حفاة عراة غرلا بهما كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في مسلم.

ويوم الجمع؛ لاجتماع الجن والإنس بل وتبعث الحيوانات حتى يقضى بينها.

قال رسول الله ﷺ : «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»(١)، أخرجه مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه.

ويجيء الرب سبحانه وتعالى قال الله عز وجل:﴿ **وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾ [الفجر:٢٢].

وقال الله عز وجل: ﴿ **وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا** ﴾[الفرقان:٢٥-٢٨].

وتنقطع فيه الصداقات والمودات إلا ما كان لله عز وجل.

قال الله عز وجل:﴿ **ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ [الزخرف:٦٧].

ويوم التغابن؛ لكثرة ما يقع فيه من الغبن، حيث يظهر التفاوت بين الخلائق، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ** ﴾ [التغابن:٩].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٨٢).

ويوم التلاق؛ لتلاقي الناس فيه والقضاء بينهم.

ويوم الفصل؛ لأنه يفصل بين العباد فيه قال الله ﷿: ﴿**فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**﴾ [الشورى:٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ:١٧].

ومن أسماء القيامة القارعة والحاقة والواقعة والطامة الكبرى والساعة وغير ذلك من الأسماء التي جاءت في القرآن والسنة الصحيحة.

وكثرة المسميات: تدل على عظم شأن المسمى بها لاسيما إذا كانت التسميات مشتقة من المعاني.

فسميت بالقارعة؛ لأنها تقرع آذان العباد وتسبب لهم الفزع والخوف.

ومن أسمائه يوم الفزع الأكبر إلى غير ذلك حيث يغضب الله فيه غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله.

قوله (فإذا قيل لك: مَاذَا تَعْتَقِدُ فِي البَعْثِ): وهو خروج الناس من قبورهم. قال الله ﷿: ﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون:١٦].

وقال تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾ [الزمر:٦٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٣-١٨]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١].

ويكون النفخ في الصور مرتين: قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨].

قال ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣١].

قوله (والوقوف): أي بين يدي الله ﷻ قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦]، وعن المقداد رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ: «**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**» - قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ - قَالَ: «**فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا**» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ**»(١)

أخرجه مسلم.

قوله (والحساب):

والحساب على قسمين:

حساب عرضٍ: في شأن المؤمنين، وهو الذي قال الله عنه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق:٧-٨].

وقد فسره النبي ﷺ بالعرض: كما في حديث عائشة رضي الله عنها، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عُذِّبَ**» **فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ** ﷻ : ﴿**فَسَوْفَ**

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٦٤).

يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق:٨]؟ **فَقَالَ: لَيْسَ ذَاكِ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَاكِ الْعَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ»** [(١)] متفق عليه.

ويكون العرض لإظهار نعمة الله ومنته على العبد، ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم : «**إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا»** فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ[(٢)]. أخرجه مسلم.

الثاني: حساب المقاصة، وهو حساب الله عز وجل لمن يريد فضيحته ومعاقبته.

إثبات الميزان:

ويقدم الناس على الله عز وجل فيحاسبهم على مثاقيل الذر، قال الله عز وجل: ﴿ **وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ** ﴾ [الأنبياء:٤٧].

والميزان له كفتان ولسان على ما هو مقرر في عقيدة أهل السنة والجماعة،

وتوزن يوم القيامة ثلاثة أشياء على الصحيح من أقوال أهل العلم:

الأول العامل: كما في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : «**أنه كان يجتني سواكا من**

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٠٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨٧٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٩٠).

الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه فقال رَسُول الله ﷺ مم تضحكون قالوا يا نبي الله من دقة ساقيه فقال والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد» [(١)]، أخرجه أحمد.

الثاني العمل: كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **«كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ»**[(٢)] متفق عليه.

وفي حديث أبي سلمى رضي الله عنه راعي النبي ﷺ: **«بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والولد الصالح يموت للعبد فيحتسبه»** أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٣).

الثالث الصحف: كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما المعروف بحديث البطاقة: **«إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»**[(٣)]، أخرجه الترمذي.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٩٩١)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٨٣٧)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٠٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٤).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٦٣٩)، وابن ماجه في سننه (٤٣٠٠)، وهو في الصحيح المسند

مسألة: وزن أعمال الكفار؟ للعلماء في هذه المسألة قولان:

الأول: أنها توزن لعموم قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ** ﴾ [الأعراف:٩].

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾[المؤمنون:١٠٣-١٠٥].

وفي **البخاري** و**مسلم** من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة واقرؤا إن شئتم: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾** [الكهف:١٠٥]»[(١)]. والحديث ليس نص أنه لا يوزن وإنما فيه أن وزنه لا مقدار له إذ لا حسنات له.

وقد رجح هذا القول القرطبي رحمه الله في "التذكرة" (٢٧٢-٢٧٣) قال: فإن قيل أما وزن أعمال المؤمنين فظاهر وجهه فتقابل الحسنات بالسيئات فتوجد حقيقة الوزن والكافر لا يكون له حسنات فما الذي يقابل بكفره وسيئاته وأنى يتحقق في أعماله الوزن؟

فالجواب أن ذلك من وجهين:

أحدهما: أن الكافر يُحضر له ميزان فيوضع كفره وسيئاته في إحدى كفتيه ثم يقال له هل لك من طاعة تضعها في الكفة الأخرى فلا يجد فيشال الميزان فترفع الكفة الفارغة وتقع المشغولة، فهذه خفت موازينه وهذا ظاهر الآية.

للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٧٨٧)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧٢٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٨٥).

الثاني: أن الكافر يكون منه صلة الأرحام ومواساة الناس وعتق مملوك وغيرها مما لو كانت للمسلم لكانت طاعة فمن كانت له مثل هذه الخيرات من الكفار فإنها تجمع وتوضع في ميزانه غير أن الكفر إذا قابلها رجح بها. انتهى

وقد قال الله ﷻ: ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧] يحاسبك وهو مطلع على ظواهرك وبواطنك، قال الله ﷻ: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف:٨٠].

قال تعالى ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٩] نسأل الله السلامة.

قال الله ﷻ: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾[القارعة:٦-١١].

قال الله ﷻ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[الزلزلة:٧-٨].

الإيمان بالكتاب:

قوله(وأخذ الكتاب): والناس في الكتاب على حالين:

الأول: من يأخذ كتابه بيمينه وهم المؤمنون قال الله ﷻ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ [الحاقة:١٩-٢٠].

وقال الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[الانشقاق:٧-٨]. وقال: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء:٧١].

الثاني: من يأخذ كتابه بشماله وراء ظهره وهم الكفار قال الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٥-٢٦]، قال الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾[الانشقاق:١٠-١٢].

وهذا الكتاب هو الكتاب الذي تكتب فيه أعمال العبد من خيرٍ وشر قال الله ﷻ: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ:٣].

وكله مسطورٌ على العبد قال الله ﷻ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]. وقال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٤].

وتشهد الجوارح على الإنسان، قال الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[فصلت: ١٩- ٢٣].

وفي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «**كُنَّا عِنْدَ رَسُول الله فَضَحِكَ فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ قَالَ قُلْنَا الله ورسوله أَعْلَمُ قَالَ مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنْ الظُّلْمِ قَالَ يَقُولُ بَلَى قَالَ فَيَقُولُ فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا**

شَاهِدًا مِنِّي قَالَ فَيَقُولُ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا قَالَ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ انْطِقِي قَالَ فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ قَالَ ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ قَالَ فَيَقُولُ بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»[(١)] أخرجه مسلم.

وقوله (اعتقد أنه حقٌ): أي أعتقد أن الإيمان باليوم الآخر وما فيه حق لأن الله ﷻ أخبر عنه وأخبر عنه رَسُول الله ﷺ وما أخبر الله ﷻ به وأخبر عنه رسوله ﷺ وصح عنه فهو حقٌّ.

قوله (والدليل): أي على إثبات البعث من القرآن قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ ﴾ [التغابن:٧]: أي أنهم كذبوا بالبعث والزعم في الغالب يأتي على الأمر الذي يكون مبني على الظن والشك زعموا أن لن يبعثوا أي من قبورهم بعد موتهم.

ومثله: ما جاء عن خباب رضي الله عنه قَالَ: «**كُنْتُ قَيْنًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَى العَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، قَالَ: لاَ أُعْطِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ** ﷺ، **فَقُلْتُ**: «**لاَ أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ الله، ثُمَّ تُبْعَثَ**»، **قَالَ: دَعْنِي حَتَّى أَمُوتَ وَأُبْعَثَ، فَسَأُوتَى مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيكَ، فَنَزَلَتْ**: ﴿ **أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ٧٧ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا** ﴾[(٢)] متفق عليه.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قُلْتُ: يَا رسول الله ﷺ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «**لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**»[(٣)].

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٦٩).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٠٩١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٩٥).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢١٤).

فالشاهد: أن الكفار لا يؤمنون بالبعث والنشور وإنما يضيفون ذلك إلى الدهر، قال الله ﷻ مخبرًا عن تعجبهم من الإعادة: ﴿**وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ**﴾ [الجاثية:٢٤].

وقال الله ﷻ: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا﴾ [الإسراء:٤٩]، حيث كانوا يستبعدون البعث ولهذا تجد أن السور المكية تتكلم عن البعث والنشور ويقرره الله ﷻ لهم بأدلة لا تبقى معها شبهة لمعرض.

قال الله ﷻ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يس:٧٨-٨١].

وقال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧ - ٢٢].

ويقول الله ﷻ: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾[القيامة:٣٦-٤٠] .

وهذا إخبار بأن إعادة النشأة ليست بأصعب من ابتدأها فإذا كان الذي أوجدهم من العدم لم يعجزه ذلك فمن باب أولى إحياؤهم بعد الموت ويُركَّب الناس من عجب الذنب كما قال رسول الله ﷺ : «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ، خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ**»[1] أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٩٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٩٥٥).

قوله ﴿ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ ﴾ [التغابن:٧]: أمره الله أن يقسم على أمرين: **الأول:** أنهم سيبعثون من قبورهم وأكده بالقسم ولام القسم والنون.

والثاني: «**ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ**»: أي تخبرون وتحاسبون على ما عملتم.

«**وَذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ**»: أي أن البعث والحساب يسير على الله فلا يعجزه شيء.

وقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ على أن يقسم على ثلاثة أمور في القرآن:

الأول: قول الله ﷻ: ﴿ **وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ** ﴾ [يونس:٥٣].

الثاني: ﴿ **زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ** ﴾ [التغابن:٧].

الثالث: قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ** ﴾ [سبأ:٣].

قوله(وقوله تعالى: ﴿ **فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ** ﴾ [القمر:٦]): أي فأعرض عنهم وانتظر بهم يومًا عظيمًا وهولًا جسيمًا.

قوله: ﴿ **يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ** ﴾ [القمر:٦]: إسرافيل -عليه السلام- حين ينفخ في الصور، لقوله ﷻ: ﴿ **يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ** ﴾ [طه:١٠٨].

قوله: ﴿ **إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ** ﴾ [القمر:٦]: وهذا يكون يوم القيامة حيث يدعون إلى أمرٍ يستنكرونه ويتخوفونه.

قوله: ﴿ **خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ** ﴾ [القمر:٧]: تنظر إلى الأعلى ولا تغمض، وهكذا أصواتهم كما قال تعالى: ﴿ **وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا** ﴾ [طه:١٠٨]

ولا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء من شدة تخوفهم مما يقدمون عليه من شدة الخوف كما أخبر الله ﷻ بقوله :﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾[إبراهيم:٤٢- ٤٣].

وقد سئل النبي ﷺ أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض قال: «**في ظلمة دون الجسر**»(١)، أخرجه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه، وتكون حين تبدل مستوية، قال الله ﷻ:﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ [طه:١٠٧].قوله: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ [القمر:٧]، يخرجون من القبور حيث ينبتون كما تنبت البقلة: ففي حديث عَبْدَ الله بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنه : «**ثُمَّ يُرْسِلُ الله – أَوْ قَالَ يُنْزِلُ الله – مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ – نُعْمَانُ الشَّاكُّ – فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**»(٢).

ويسرعون حال خروجهم إلى أرض المحشر:

﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ [القمر:٧]: أي لكثرتهم حيث يحشر الأولون والآخرون.

﴿ مُّهْطِعِينَ ﴾ [القمر:٨]: أي مسرعين لإجابة النداء ﴿ إِلَى ٱلدَّاعِ ﴾ [القمر:٨]: الذي يأمرهم بالحضور للموقف العظيم. ﴿ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [القمر:٨]: حين يحضر

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣١٥).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٤٠).

عذابهم ﴿ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ﴾ [القمر:٨]]: شديد، كما قال الله ﷻ: ﴿ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾ [المدثر:١٠].وفعلا أنه يوم شديد لاسيما على الكفار لما فيه من الأهوال:

قال الله ﷻ:﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ [الأعراف:٥٣].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴾ [الحج:١].

قوله(**وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾** [الانشقاق:٧]): هذا في حق المؤمن، (**﴿ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴾** [الانشقاق:٨]): وهو العرض كما تقدم.

(**﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴾** [الانشقاق:٩]): مستبشرًا بما رأى ووعد به.

(**﴿ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴾** [الانشقاق:١٠]): وهذا في حق الكافر والمنافق.

(**﴿ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴾** [الانشقاق:١١]): يدعو على نفسه بالويل والثبور، لما يرى من الخزي والفضيحة.

قال الله ﷻ:﴿ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ﴾ [الفرقان:١٤].

(**﴿ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴾** [الانشقاق:١٢]): أي تحيط به النار من كل جانب، وهذا جزاء ما قدموا.

قال الله ﷻ: ﴿ جَزَآءٗ وِفَاقًا ٢٦ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ٢٧ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ٢٨ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ٢٩ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴾ [النبأ:٢٦-٣٠].

وهو يوم عظيم تبداه أهوال عظيمة من تشقق السماء:

﴿ **يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ** ﴾ [القارعة:٤-٥].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٧ - ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾[التكوير:١-١٤].

وقال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾[الانفطار:١-٥]

قوله (وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ [الإسراء:٧١]): أي يحشر كل أناس مع إمامهم الذي كانوا يعبدونه.

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين: «**يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا،**

فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ الله تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ»، وفي لفظ: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا» متفق عليه، قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم:٤٢]» (١)، متفق عليه.

﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الإسراء:٧١]: وهم أهل الإيمان.

قوله (﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ﴾ [الإسراء:٧١]): يقرؤونه مستبشرين لأنهم يرون الأعمال الصالحة، كما قال تعالى: ﴿لسعيها راضية﴾،(﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء:٧١]): مما عملوه من الحسنات بل يجدون أعمالهم كاملة،

والفتيل: هو الخيط الرقيق الذي يكون في وسط نواة التمرة.

وفي النواة ثلاثة أشياء ذكرت في القرآن:

النقير ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء:١٢٤]، والفتيل ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء:٧١]، والقطمير ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣]، **أما النقير**: فهي نقطة صغيرة تكون في مؤخرة النواة، **وأما الفتيل**: فهو خيط صغير يوجد في شق النواة، **وأما القطمير**: فهو اللفافة البيضاء التي تحيط بالنواة وتفصلها عن التمرة.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٤٣٧)، والإمام مسلم في صحيحه (١٨٢).

قوله تعالى(﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾): أي الدنيا، **(أَعۡمَىٰ)**: عن الإيمان فالمراد عمى القلب والبصيرة، قال الله ﷻ: ﴿**وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ**﴾ [طه:١٢٤].

قوله تعالى (﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [الإسراء:٧٢]): أعمى البصر والبصيرة، كما قال: ﴿**رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا**﴾ [طه:١٢٥].

قوله تعالى (﴿وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء:٧٢]): والجزاء من جنس العمل عموا عن طريق الإسلام فعموا عن طريق الجنان، والله المستعان.

والكلام في وصف هذا اليوم يطول؛ لكثرة ما فيه من وعد ووعيد.

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالصراط والميزان والحوض وغير ذلك مما أخبر الله عنه وأخبر عنه رسوله.

قال شيخ الإسلام ؒ في "الواسطية" (ص: ٨):

وَمِنْ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النبي ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ: فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَبِنَعِيمِهِ فَأَمَّا الْفِتْنَةُ: فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ. فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: «مَنْ رَبُّك وَمَا دِينُك وَمَنْ نَبِيُّك؟ فَيُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: الله رَبِّي وَالْإِسْلَامُ دِينِي وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي وَأَمَّا الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ: هاه هاه لَا أَدْرِي سَمِعْت النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْته فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إلَّا الْإِنْسَانُ وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ».

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ: إمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ إلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى فَتُعَادُ الْأَرْوَاحُ إلَى الْأَجْسَادِ وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ الله بِهَا فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ

رسوله وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا وَتَدْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ وَيُلْجِمُهُمْ الْعَرَقُ.

وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ فَتُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٢]، ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٣].

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ - وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ - فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشَمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء:١٣].

﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء:١٤].

وَيُحَاسِبُ الله الْخَلَائِقَ وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَمَّا الْكُفَّارُ: فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتِ لَهُمْ وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ وَتُحْصَى فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا وَيُجْزَوْنَ بِهَا. وَفِي عَرْصَةِ الْقِيَامَةِ: الْحَوْضُ الْمَوْرُودُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ آنِيَتُهُ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ طُولُهُ شَهْرٌ وَعَرْضُهُ شَهْرٌ مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ - وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ - يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرُكَّابِ الْإِبِلِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمَنْ

مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ دَخَلَ الْجَنَّةَ. فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ الْأُمَمِ: أُمَّتُهُ. **اهـ**

❁❁❁

إثبات رؤية الله يوم القيامة

﴿٣٦﴾ فَإِذَا قيلَ لَكَ: هَل المُؤْمنُونَ يَرَونَ رَبَّهُمْ يَوْمَ القِيَامَة؟ فَقُلْ: نَعَمْ يَرَوْنَهُ فِي عَرَصَات القيَامَة وَفِي الجنَّة، وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وَفِي الصَّحيحَينِ منْ حَديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يومَ القِيَامَةِ».

وَأَخْرَجَ مُسْلمٌ منْ طَريق حَمَّاد بْن سَلَمَة، عَنْ ثَابت، عَنْ عَبْدالرَّحْمَن بْن أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أُدْخلَ أَهْلُ الجَنَّة الجَنَّةَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا منَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشفُ الحجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ منَ النَّظَر إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»[ح١].

وَالكُفَّارُ لَا يَرَوْنَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَة وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

[ح١] والحديث صحيحٌ عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا أرى الانتقاد يتم فيه، فقد نقل الإمام مسلم في «التمييز» الإجماع على أن حماد بن سلمة أثبت النَّاس في ثابت. وقال ابن معين: من خالف حماد بن سلمة في ثابت، فالقول قول حماد.، وفيه أيضًا: بيان لقول الله عزوجل: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [الآيتان من سورة آل عمران: ١٠٦-١٠٧].

ساق المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان عقيدة أهل السنة والجماعة في إثبات رؤية الله عز وجل يوم القيامة.

وهذه مسألة من مسائل العقيدة خالف فيها المبتدعة من الخوارج والمعتزلة ومن إليهم، ويذكرها الناس في باب الصفات وليست من بابه بل إنها من باب الإيمان باليوم الآخر، وإنما تذكر في باب الصفات لأن الرؤية متعلقة بالنظر إلى وجه الله ﷻ، ووجه الله ﷻ ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع قال الله ﷻ: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص:٨٨]، وقال الله ﷻ: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

وكان من دعاء النبي ﷺ: «**وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ**»[(١)]، أخرجه النسائي عن عمار رضي الله عنه، وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه قال، قال ﷺ: «**حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه منتهى إليه بصره من خلقه**»[(٢)].

والوجه من صفات الذات: وفسره المبتدعة بالثواب، وهذا تفسير باطل، لأن النبي ﷺ قد استعاذ بالوجه ففي حديث جابر رضي الله عنه حين أنزل الله ﷻ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ [الأنعام:٦٥] **قال: أعوذ بوجهك، قال «أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ» قال أعوذ بوجهك، قال «أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا» قال هذه أيسر**»[(٣)]، أخرجه البخاري، فلو كان الوجه مخلوقا ما جاز الحلف أو الاستعاذة به.

قولهُ (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: هَلِ الْمُؤْمِنُونَ يَرَونَ رَبَّهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟):

فقل: نعم لأن هذا مبني على أدلة من كتاب الله، وسنة رَسُول الله ﷺ، وأقوال السلف رضي الله عنهم.

---

(١) أخرجه الإمام النسائي في سننه (١٣٠٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح سنن النسائي.
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٧٩)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٦٢٨).

وزد على ذلك: أن العقل يدل على الرؤية فإن كل موجود يمكن أن يُرى.

وقولهُ (هَلِ المُؤْمِنُونَ يَرَونَ رَبَّهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ): كأنه يشير إلى مسألة خلافية، وهي هل يرى الله ﷻ كل من في الموقف أم أنها خاصة بالمؤمنين.

وقولهُ(يَوْمَ القِيَامَةِ): أراد به الرد على من يزعم أن الله ﷻ يُرى في الدنيا.

لأن الناس في الرؤية ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الجهمية والمعتزلة ومن اليهم يقولون: لا يرى في الدنيا ولا في الأخرة وهؤلاء يردون دلالة الكتاب والسنة والأجماع.

والقسم الثاني: غلاة الصوفية: الذين يزعمون أنه يرى في الدنيا والآخرة، وهؤلاء يردون دلالة الكتاب والسنة والإجماع.

فمن زعم أن الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة: فهو كافر كفر أكبر مخرج من الملة؛ لرده أدلة الكتاب والسنة.

ومن زعم أنه يرى في الدنيا والآخرة: فهو كافر كفر أكبر مخرج من الملة؛ لأنه جوز ما يخالف الدليل، على ما يأتي إن شاء الله.

القسم الثالث: أهل السنة والجماعة: حيث قالوا بأن الله ﷻ يرى في الآخرة.

والدليل والإجماع يدلان على ذلك: قال الله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

وقول الله ﷻ:﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٢٣]، وقول الله ﷻ:﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ [البقرة:٢٢٣].

وقوله ﷺ: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ ﷻ حَتَّى يَمُوتَ»(١): أخرجه مسلم عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، وأخرجه البزار عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

وقد سأل موسى عليه السلام ربه أن يريه نفسه فقال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ ﴾ [الأعراف:١٤٣].

واستدل المبتدعة بهذه الآية: على أن الله لا يُرى مطلقًا وهذا استدلال باطل فإنه لم يقل إني لا أُرى زد على ذلك أنه قيدها بممكن وهو ثبوت الجبل فلو ثبت الجبل لرآه، ثم إن الجبل مخلوق، وقد تجلى الله له، وأما قولهم بأن لن تفيد التأكيد فهو قول ضعيف جدا لم يقل به أحد ممن يعتد به، فإنك تقول لن أقوم ثم تقوم بعدها، وهكذا .

قال الله ﷻ: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وبهذا تعلم أنه ما من دليل يستدل به المبتدعة على نفي الرؤية إلا كان فيه رد عليهم.

ومما يستدل به المبتدعة على نفي الرؤية: قوله ﷻ: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣]، قالوا لا تراه، وهذا تفسير غير صحيح، فإن الإدراك رؤية وزيادة.

ففي الآية رد عليهم فإن الله ﷻ يُرى ولا يحاط به لأنه الكبير العظيم الواسع المجيد.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بعد رقم (١٦٩) (٤/ ٢٢٤٥).

ودليل هذا المعنى قول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء:٦١-٦٢].

فنفي موسى عليه السلام الإدراك، وهو الإحاطة ولم ينف الرؤية.

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله ﷻ يُرى يوم القيامة في موطنين:

الأول: في عرصات القيامة: وهذا قبل دخول الجنة قال الله ﷻ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٢٣].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: «أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُول الله ﷺ قَالُوا: يَا رسول الله ﷺ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُول الله ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رسول الله ﷺ، قَالَ: «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ الله سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الله مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟

قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ الله، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ الله مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ.

ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ، كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟

فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟

تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا ... » الحديث بطوله [(١)] أخرجه البخاري ومسلم.

الثاني: في الجنة: قال الله ﷻ: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٢٣] وسيأتي تفسيرها، وقول الله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

والزيادة: هي النظر إلى وجه الله ﷻ، فسرها بذلك رَسُول الله وأبو بكر وغير واحد من الأئمة، وفي قوله ﷻ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥].

أن المزيد هو النظر إلى وجه الله ﷻ.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٤٣٩)، والإمام مسلم في صحيحه (١٨٣).

قوله (قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]): ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢]: من النضارةِ بالضاد وهي الحسن.

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣]: أي نظر العين وهذا هو التفسير الصحيح، حيث عدي النظر بإلى، فإن النظر إن عدي بنفسه دل على الانتظار، كما قال تعالى: ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]، وإن عديت بفي دل على التفكر، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وإذا عديت بإلى دلت على نظر العين

قوله (وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِاللَّه ﵁ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ»[١]): وتتمت الحديث: **«كما ترون القمر ليلة البدر»**،وفي هذا تشبيه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، وهذا خبر ثابت عن النبي ﷺ لا يرده إلا جهمي.

كما قال وكيع: "من رد حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير فهو جهمي".

قوله (وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ): أي الإمام مسلم **(مِنْ طَرِيقِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ)** وهو إمام في السنة ومن الأثبات في ثابت، **(عَنْ ثَابِتٍ)** وهو أبو محمد البناني وهو من الأثبات في أنس بن مالك **(عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ)** الرومي ﵁ **(أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِذَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟»)** فيه إثبات الكلام لله ﷻ وأنه يتكلم بحرف

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٥٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٣٣).

وصوت يسمع وفيه كرامة الله عَزَّوَجَلَّ لأهل الجنة حيث يكلمهم ويسمعونه ويردون عليه (**فَيَقُولُونَ: «أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا»**[١])، لأن المؤمن وجهه أبيض.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٦-١٠٧].

قوله (**أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟**): لأن الفوز بالجنة والنجاة من النار من أعظم النعيم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

قوله (**فَيَكْشِفُ الحِجَابَ**): وحجابه النور ففي حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُول الله بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[٢] متفق عليه، والمراد بالنار في الحديث، المشرقة لا المحترقة.

قوله (**فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ**): فهو أعلى نعيم الجنة، وكان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأسألك لذة النظر إلى وجهك**» أخرجه أحمد.

قوله (**والحديث صحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا أرى الانتقاد يتم فيه. فقد نقل الإمام مسلم في "التمييز": الإجماع على أن حماد بن سلمة أثبت**

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٧٩).

الناس في ثابت. وقال ابن معين: من خالف حماد بن سلمة في ثابت، فالقول قول حماد): يشير ﷺ إلى إعلال الدارقطني للحديث، حيث قال في "التتبع" برقم (٧٨): ورواه حماد بن زيد عن ثابت عن ابن أبي ليلى قوله.اهـ

رؤية الكفار لله ﷻ يوم القيامة:

قوله (والكفار لا يرون الله ﷻ يوم القيامة والدليل قول الله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥]):

وهذه مسألة خلافية بين أهل السنة ولهم فيها ثلاثة أقوال:

الأول: لا يراه إلا المؤمنون: ويستدلون بقول الله ﷻ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥].

الثاني: يراه جميع من في الموقف، ومنهم الكفار ثم يحتجب عنهم، ويستدلون بقول الله ﷻ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥]، والحجب إنما يكون بعد نظر.

الثالث: يراه المؤمنون والمنافقون وبعض أهل الكتاب، لما تقدم في حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

والصحيح: أن جميع من في الموقف يرى الله ﷻ ثم يحتجب عن الكافرين، والحجب لا يكون إلا بعد رؤية.

ويستدل أصحاب هذا القول بعموم قول ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ**»[1] متفق عليه، وبقوله ﷺ: «**فَيَقُولُ أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ**

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٥١٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠١٦).

مُلَاقِيَّ» **أخرجه مسلم عن أبي هريرة** ﵁ : فقالوا كل أدلة اللقاء تدل على الرؤية إلا أنه لا يلزم من رؤية الكفار لله ﷻ أنهم يتنعمون بها تنعم المؤمنين.

قال شيخ الإسلام ﵀ **كما في "مجموع الفتاوى" (٦/ ٤٨٨-٤٨٩):**

وَهَذَا مُقْتَضَى قَوْلِ مَنْ فَسَّرَ (اللِّقَاءَ) فِي كِتَابِ اللَّهِ بِالرُّؤْيَةِ؛ إذْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَطَّةَ الْإِمَامُ قَالُوا فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ﴾ [الكهف:١٠٥] وَفِي قَوْلِهِ: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ﴾ [العنكبوت:٥] .

وَفِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥] ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ [البقرة:٤٦] وَفِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩] وَفِي قَوْلِهِ: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ﴾ [الأنعام:٣١] إنَّ اللِّقَاءَ يَدُلُّ عَلَى الرُّؤْيَةِ وَالْمُعَايَنَةِ. وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى فَقَدْ اسْتَدَلَّ الْمُثْبِتُونَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق:٦] . وَمِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مَنْ قَالَ (اللِّقَاءُ) إذَا قُرِنَ بِالتَّحِيَّةِ فَهُوَ مِنْ الرُّؤْيَةِ وَقَالَ ابْنُ بَطَّةَ: سَمِعْت أَبَا عُمَرَ الزَّاهِدَ اللُّغَوِيَّ يَقُولُ: سَمِعْت أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَد بْنَ يَحْيَى ثَعْلَبًا يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب:٤٣] ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ﴾ [الأحزاب:٤٤] أَجْمَعَ أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّ اللِّقَاءَ هَاهُنَا لَا يَكُونُ إلَّا مُعَايَنَةً وَنَظْرَةً بِالْأَبْصَارِ.اهـ

قال الشافعي ﵀: "فلما حجب الكفار في الغضب دل على أن المؤمنين يرونه في الرضى". وللدارقطني كتاب في الرؤية، ولي بحمد الله رسالة ذكرت فيها أدلة أهل السنة والجماعة، والرد على شُبه أهل البدعة والشناعة، والحمد لله.

﴿٣٧﴾ فَإذَا قيلَ لَكَ: مَاذَا تَعْتَقدُ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ ؟ فَقُلْ: أعْتَقدُ أنَّهُ كَلَامُ الله عَزَّ وَجَلَّ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

ساق المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن، وأنه كلام الله عز وجل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، والكلام في هذه المسألة ينقسم إلى قسمين:

الأول: إثبات صفة الكلام لله عز وجل. **الثاني:** إثبات أن القرآن كلام الله عز وجل.

وإجماع أهل السنة قائم على أن الله عز وجل متكلمٌ بحرفٍ وصوتٍ متى شاء وكيف شاء بما شاء والأدلة على ذلك من القرآن والسنة الصحيحة متواترة.

منها: قول الله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]. وقال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]. وقال الله عز وجل: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٥٣]. وقال الله عز وجل: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ﴾ [المائدة:١١٠].

وقال الله عز وجل: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم:٥٢]. وقال الله عز وجل: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص:٦٥].

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه عند البخاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ»(١) متفق عليه.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٣٤٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٢).

وأما الأدلة على أن القرآن كلام الله عز وجل:

فمنها: قول الله عز وجل: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

ومنها: قول الله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:١٥].

ومنها: قول النبي ﷺ: «مَنْ يُؤْوِينِي مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي»[(١)]، أخرجه أحمد، وفي رواية: «كلام ربي».

ومنها: قول عائشة رضي الله عنها: «ما كنت أظن أن يتكلم الله فيَّ بوحي»[(٢)].

وقال عمرو بن دينار: «أدركت سبعين من أصحاب رَسُول الله كلهم يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود».

ومن أدلة إثبات صفة الكلام أن الكلام صفة كمال ومعطي الكمال أولى به، وقد ذم الله عز وجل الأصنام التي لا تسمع ولا تنطق.

قال الله عز وجل مخبرًا عن إبراهيم: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣ – ٦٧].

وقال الله عز وجل: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٤٤٥٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٢١٥).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٦٦١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٧٠).

ويقول الله ﷿: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

فالخلق بقوله كن ويقول في عيسى: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران:٤٥]، سماه كلمة لأنه كان بالكلمة، وليس هو الكلمة.

وفي الحديث: «**وأشهد أن عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه**»[١] متفق عليه.

ويجوز الحلف بكلام الله ﷿ والقرآن لأنه صفة الله سبحانه وتعالى غير مخلوق، وأفتى العلماء قديما وحديثا بكفر من قال بخلق القرآن حتى قال ابن القيم في "**نونيته**":

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنهم ... بل حكاه قبله الطبراني

فإجماع أهل السنة قائم على القول بتكفير من يقول بخلق القرآن.

وللقائلين بهذا القول شُبه: أخذوها من مثل قول الله ﷿: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف:٣].

فقالوا: جعل بمعنى خلق؛ وهذا كلام فاسد. فإنَّ جَعَلَ تأتي بمعنى صير وهذا إذا عديت إلى مفعولين وتأتي بمعنى خلق إذا نصبت مفعولا واحد وفي هذه الآية نصبت مفعولين: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف:٣]، أي صيرناه قرآنًا عربيًا.

ومثل قول الله ﷿: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:٦٢].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٤٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨).

قالوا: والقرآن شيء، يقال لهم المراد خالق كل شيء مخلوق وإلا فإن الله عَزَّ وَجَلَّ شيء وليس بمخلوق.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ [الأنعام:١٩].

والمعتقد الصحيح: أن الله عَزَّ وَجَلَّ تكلم بكلامٍ حقيقي سمعه منه جبريل عليه السلام، وبلغ جبريل محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ومما يدل على أن المتكلم هو الله عَزَّ وَجَلَّ حقيقةً:

قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ [طه:١٤].

فمن زعم أنه مخلوق فقد جوَّز قول هذا الكلام لغير الله عَزَّ وَجَلَّ، وكيف يجوز لمخلوق أن يقول: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه:١٤]. **والأدلة على إثبات كلام الله**: أكثر من ألف دليل: من القرآن والسنة والإجماع والآثار الواردة، فيما ذكره بعض أهل العلم.

قولهُ(فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَاذَا تَعْتَقِدُ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ):

القرآن كلام الله، منه بدأ قولًا: قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [فصلت:٢]. وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الجاثية:٢]، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الواقعة:٨٠].

وإليه يعود أي في آخر الزمان: حيث يرفع من الصدور، كما في حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ**»(١)

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٤٠٤٩)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ برقم (٣٩٣)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح ابن ماجه.

أخرجه ابن ماجه.

قوله (فَقُلْ: أَعْتَقِدُ أَنَّهُ كَلامُ اللهِ ﷻ): والمراد بكلام الله صفته، فإن الإضافة إضافة صفة إلى موصوف: كقولهم وجه الله ويد الله وسمع الله.

وليست إضافة تشريف، كما يقول المبتدعة ويكون حكمها كقولهم: بيت الله، وناقة الله، وروح الله، فإن الكلام معنى يقوم بغيرة فأضافته إلى الله إضافة صفة إلى موصوف، بينما البيت والناقة تقوم بنفسها، وإضافتها إلى الله إضافة تشريف أو خلق وإيجاد أو ملك.

وهذه القاعدة من مهمات القواعد، وتسمى بقاعدة الإضافة.

قوله (لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ): لابد أن يؤتى بهذا القيد، وقد يقول قائل: كيف تقول القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ولا تقول وجه الله ليس بمخلوق، وسمع الله ليس بمخلوق، وقدرة الله ليست بمخلوقة؟

أقول: نأتي بهذا اللفظ؛ لأنه قد وجد أناس من المبتدعة يقولون القرآن كلام الله ويريدون به أنه مخلوق فلابد من البيان.

قوله (وَالدَّلِيلُ): أي على أنه صفته.

(قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة:٦]): أي: إذا أتى إلى النبي ﷺ من المشركين من يستجير من القتل أو الأسر فأمره الله أن يجيره، ولا يتعرض له بسوء، بل تقام الحجة عليه، ولو أجار أضعف المسلم تعين قبول إيجارتهم.

ففي مسلم: عن أُمَّ هَانِئٍ بِنْتَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنها، تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ زَعَمَ ابْنُ أُمِّي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلًا أَجَرْتُهُ، فُلَانُ ابْنُ هُبَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ: وَذَلِكَ ضُحًى**»[١].

قوله (﴿ **حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ** ﴾ [التوبة:٦]): أي القرآن، فإن سمع كلام الله ودخل في الإسلام عصم دمه وماله وعرضه، وإن لم يدخل في الإسلام كان مؤاخذًا بما هو عليه من الكفر والطغيان، ومن أراد الزيادة في بيان هذه المسألة فليرجع إلى كتابي: "**سلامة الخلف في طريقة السلف**"، فقد ذكرت كثيرًا من شبه أهل البدع، والرد عليها، ولله الحمد والمنة.

❁❁❁

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٥٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٣٦).

القرآن بكلام عربي مبين

﴿٣٨﴾ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: هَل القُرْآنُ عَرَبِيٌّ أَمْ أَعْجَمِيٌّ؟ فَقُلْ: هُوَ عَرَبِيٌّ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥].

لما بين المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ أن القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ ناسب أن يبين أنه بلسان عربي مبين، وهذا مما لا خلاف فيه قال عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عندما أمرهم بجمع القرآن: «**إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ، فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا ذَلِكَ**»[(١)] أخرجه البخاري.

وإذا أراد أحد أن يترجم القرآن، فلا يجوز له أن يترجمه الترجمة اللفظية، وإنما يترجم معانيه، فإن الترجمة الحرفية تفسد التركيب والمعاني التي أرادها الله، وقد يفهم منه غير المراد.

فمثلا قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، يترجم المعنى على أن الله عَزَّوَجَلَّ في السماء، وقد ذهب العلماء إلى منع كتابة القرآن بغير لغة العرب.

قال الزرقاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مناهل العرفان" (٢/ ٩٦):

ونسترعي نظرك إلى أمور مهمة: أولها: أن علماءنا حظروا كتابه القرآن بحروف غير عربية، وعلى هذا يجب عند ترجمة القرآن بهذا المعنى إلى أية لغة أن تكتب الآيات القرآنية إذ كتبت بالحروف العربية كيلا يقع إخلال وتحريف في لفظه،

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٥٠٦).

فيتبعهما تغير وفساد في معناه.

ولا شك أن الحروف اللاتينية المعروفة خالية من عدة حروف توافق العربية فلا تؤدي جميع ما تؤديه الحروف العربية فلو كتب القرآن الكريم بها على طريقة النظم العربي لوقع الإخلال والتحريف في لفظه ويتبعهما تغير المعنى وفساده وقد قضت نصوص الشريعة بأن يصان القرآن الكريم من كل ما يعرضه للتبديل والتحريف وأجمع علماء الإسلام سلفا وخلفا على أن كل تصرف في القرآن يؤدي إلى تحريف في لفظه أو تغيير في معناه ممنوع منعا باتا ومحرم تحريما قاطعا وقد التزم الصحابة -رضوان الله عليهم- ومن بعدهم إلى يومنا هذا كتابة القرآن بالحروف العربية. اهـ

قوله تعالى (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا): أي صيرناه على ما تقدم.

قوله تعالى (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ): دليل على أهمية تدبر وتعقل القرآن.

قال الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]. وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤].

قوله (وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ﴾ [الشعراء:١٩٣]): أي القرآن من الله ﷻ، ﴿ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء:١٩٣]: أي جبريل عليه السلام.

وقد قال ﷻ: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ – ٢١].

قوله (﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء:١٩٤]): لأن النبي ﷺ كان إذا جاءه جبريل بالوحي يقرأ معه فيشتد ذلك عليه.

فأنزل الله ﷻ: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة:١٦– ١٩]، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين.

فقوله (﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾): أي مبيَّن واضح فإذا قلت للعربي يسمع، يبصر، وله وجه ويد وقدرة وإرادة، وأنه تعالى يقبض ويبسط ويطوي كل هذه معاني معلومة عند العرب.

وهذه فضيلة للغة العرب أن الله اصطفاها واختارها لغة للقرآن الذي هو الكتاب الخالد الناسخ والمهيمن على غيره من الكتب.

وكون القرآن نزل بلسان عربي مبين فيه رد على أصحاب التفويض الذين يقولون بأن الله أَنزل القرآن ولم يبين ما فيه من المعاني لاسيما باب الأسماء والصفات.

وتتميز لغة العرب على غيرها من اللغات بأمور:

الأول: كثرة تراكيبها فالكلمة الواحدة لها تراكيب عدة وتختلف معانيها باختلاف السياقة واختلاف السابق واللاحق.

مثل كلمة: (استوى) قال الله ﷻ:﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ [القصص:١٤] أي كمل، وقوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:٥] أي علا، وقوله: ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ [الزخرف:١٣] أي تعلوا. ومنه: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة:٢٩].

نقل ابن القيم رحمه الله الإجماع على أنها بمعنى الارتفاع والصعود.

واستوى الطعام أي نضج، واستوى الماء والخشبة أي تساويا.

فإذا سبقتها (على) دل على العلو والارتفاع، وإذا سبقها (الواو) دل على المساواة، وإذا (عديت بنفسها) دلت على الكمال.

الثاني: أنها تزيد في العقل كما قال بعض أهل العلم.

الثالث: أنها مختصرة عن غيرها، ففيها الضمائر، وغير ذلك، والله الموفق.

إثبات الأسماء والصفات

﴿٣٩﴾ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: هَلْ لله أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ؟ فَقُلْ: نَعَمْ لَهُ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ تَلِيقُ بِجَلَالِه، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤]، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ من حَدِيث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ: (لأَنَّها صِفَةُ الرَّحْمَنِ)، فَأَقَرَّهُ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى ذَلِكَ[١].

وَأَسْمَاءُ الله عَزَّ وَجَلَّ غَيْرُ مَحْصُورَة بِعَدَد مَعْلُومٍ لَنَا؛ لقَوْل النَّبِيِّ ﷺ: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ...»(١) أخرجه مُسْلِمٌ من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا[٢].

[ح١] وَفيه فَضْلُ هَذه السُّورَة العَظِيمَة الَّتي تَعْدلُ ثُلُثَ القُرْآن، كَمَا فِي البُخَارِيِّ من حَديث أَبِي سَعيد الخُدرِيِّ، ومُسلِمٍ من حَديث أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

[ح٢] وقد ذكرنا من أسماء الله الحسنى ما فتح الله به بأدلتها من القرآن وصحيح السنة في آخر الكتاب.

ساق المصنف حَفِظَهُ اللهُ هذه الفقرة لبيان عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، والقول فيها من أهم المهمات، إذ هي متعلقة بمعرفة الله عَزَّ وَجَلَّ، وشرف العلم بشرف المعلوم، والعلم بها أحد أقسام التوحيد الثلاثة، على ما تقدم. **وهذه الفقرة من أهم الفقرات**: إذ أن المخالفين لأهل السنة والجماعة في هذا الباب كثر لا كثرهم الله:

منهم المعطلة: الذين عطلوا الله عَزَّ وَجَلَّ من أسمائه وصفاته أو من بعض معنيها

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٨٦).

كالجهمية والمعتزلة والخوارج والروافض والأشاعرة وما تفرع منهم.

فكلهم يخالفون في هذا الباب فبعضهم لا يثبت الأسماء ولا الصفات كالجهمية. وبعضهم يثبت الأسماء مجردة عن الصفات كالمعتزلة. وبعضهم يثبت بعض الأسماء وبعض الصفات كالأشاعرة. **ومنهم الممثلة:** الذين يمثلون صفات الله بصفات خلقه.

فهؤلاء عطلوا الله ﷻ من كماله المقدس مع أنه القائل: ﴿ **وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ** ﴾ [الإخلاص:٤]. و ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى:١١]، أي ليس له مثيل ولا نظير ولا ند على ما يأتي إن شاء الله.

والقول بأن صفات الله كصفات المخلوقات: تمثيل الكامل بالناقص، ولا يقول هذا أو يعتقده، إلا كافر جاهل برب العالمين.

قال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ الإمام البخاري رحمه الله: من عطل الله من صفاته كفر، ومن مثله بخلقه كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسول ﷺ تمثيل، ولا تعطيل.

تنقسم الصفات من حيث هي إلى ثلاثة أقسام:

١ - **صفات كمال لا نقص فيها:** كالسمع والبصر والعلم والإرادة والقوة فهذه تثبت لله ﷻ.

٢- **صفة نقص لا كمال فيها:** كالمرض والصمم والنوم والسِّنة فهذه تنفي عن الله ﷻ.

٣- **صفات كمال من وجه ونقص من وجه:** فتثبت لله ﷻ في حال كمالها، كالمكر والكيد ونحوه فهذه تكون كمالًا من وجه ونقص من وجه.

قوله (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: هَلْ لِلهِ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ؟): إذ أن ما من موجود إلا وله صفات والله ﷻ هو الكامل من كل وجه فيعرف بأسمائه وصفاته، وأسمائه منها ما هو مختص به كاسم الجلالة الله والرحمن والظاهر والقاهر والمتكبر ومنها يكون غير مختصٍ كالمؤمن والرحيم والعالم والعليم لكن لله ﷻ من كل اسم الكمال المطلق.

قوله(فَقُلْ: نَعَمْ لَهُ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ): بهذا القيد، فقوله له أسماء وصفات رد على المعطلة **(تَلِيقُ بِجَلالِهِ)** رد على الممثلة، والجمع بين النفي والإثبات طريق القرآن .

قوله (وَالدَّلِيلُ: قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]**):** أي: أن لله الأسماء الحسنى، أي المبالغة في الحسن كماله، فمن حسنها أنها في القرآن والسنة، وأنها أسماء مدح وكمال، وأنها تتضمن صفات، فإذا دعوت الله ﷻ تدعوه بأسمائه، كقوله يالله يا رحمن يا رزاق، ونحو ذلك، ولا يجوز أن تدعوا بصفاته، فلا تقول: يا رحمة الله، أو يا وجه الله، أو يا يد الله.

بل إن بعض أهل العلم ذهب إلى تكفير من فعل ذلك.

ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته العلى كأن تقول: «**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على كل شيء وبرحمتك التي وسعت كل شيء أسالك كذا وكذا كما في الحديث:** «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخط وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[(١)]، أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٨٦).

قوله (وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]): أي: ومن الأدلة على إثبات الصفات قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]،أي: الوصف الأعلى، وقيل: هو كلمة لا إله إلا الله، وقيل: الإخلاص، وكلها معاني صحيحه.

قوله (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ): أي ذو العزة والحكمة، وسيأتي مزيد بيان لمعاني الأسماء في آخر الكتاب، والله الموفق.

قوله (وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾): أي: ومن الأدلة سورة الإخلاص، أي: قل يا محمد الله ﷻ واحدٌ، (اللَّهُ الصَّمَدُ): **قيل**: الذي تصمد اليه الخلائق، **وقيل**: الذي لا جوف له وقيل السيد الذي كمل في سؤدده، **وقيل**: هو الذي لم يلد ولم يولد، فيكون من تفسير القرآن بالقرآن ولابأس أن يدل على جميع المعاني.

قوله (وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ): أي ليس له مثيل ولا نظير ولا ند.

وهذا كقوله ﷻ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل:٧٤]، وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:٢٢]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]: أي لا تعلم له مثيلًا ونظيرًا، وقد فسرت هذه السورة بما أرجوا نفعه في: "**النبراس في تفسير سورتي الإخلاص**".

قوله (وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِن حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَجُلًا قَالَ: لأَنَّها صِفَةُ الرَّحْمَنِ): أي: ومما يدل على باب الصفات، ما في الصحيحين: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ**

شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟»، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ»[١]، متفق عليه. وإقرار النبي ﷺ شرع.

وصفات الله مشتقة من أسمائه وأفعاله:

والقاعدة: (أن كل اسم يتضمن صفة وكل فعل تؤخذ منه صفة لله ﷻ).

فيغضب ويرضى ويسخط وينزل وكل ذلك على ما يليق بوجهه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فليس كمثله شيء في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله.

وفي الآية رد على النفاة والممثلة الغلاة:

فقوله (ليس كمثله شيء): رد على الممثلة إذ أن الله ليس كمثله شيء في ذاته ولا صفاته، ولا أفعاله، وقوله (وهو السميع البصير): رد على المعطلة.

وفيها دليل: لأهل السنة والجماعة في الجمع بين النفي والإثبات في هذا الباب، وبالله التوفيق.

قولهُ (وَفِيهِ فَضْلُ هَذِهِ السُّورَةِ العَظِيمَةِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ): وهذا يدل على أن القرآن يتفاضل، ومن هذا أخذ العلماء أن أسماء الله ﷻ تتفاضل.

ومنها: القول بالاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.

وقد اختلف فيه العلماء اختلافًا كثيرًا ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري والصحيح أن الاسم الأعظم هو لفظ الجلالة: (الله).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٣٧٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٨١٣).

ومما يدل على أن هذه السورة ثلث القرآن: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**احْشُدُوا، فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»، فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ الله ﷺ، فَقَرَأَ: قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ، ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أُرَى هَذَا خَبَرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ الله ﷺ، فَقَالَ: «**إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»[1] متفق عليه.

وحديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ النبي ﷺ لِأصحابه ﷺ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟**» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: **أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا** رسول الله ﷺ؟ فَقَالَ: «**اللهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ القُرْآنِ**»[2] متفق عليه.

قولهُ (وَأَسْمَاءُ اللّهِ ﷻ غَيْرُ مَحْصُورَةٍ بِعَدَدٍ مَعْلُومٍ لَنَا): هذه مسألة أجمع عليها أهل السنة والجماعة ونُقل الخلاف عن ابن حزم ولا يعتد بخلافه في هذا الباب، وقد رددت هذه المسألة برسالة مستقلة بعنوان: "**التبيين لخطأ من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين**".

حَيث قُلْتُ: أسماء الله ﷻ الحسنى، لا تدخل تحت حصر، ولا تحد بعدد فإن لله ﷻ أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب له.

أدلة القائلين بعدم الحصر:

ومما يستدل به على عدم حصر أسماء الله في تسعة وتسعين اسمًا:

١- ما أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٩١): عَنْ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨١٢).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٠١٥).

ﷺ : «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ، هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ؛ فَقَالَ: اللهم إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي؛ إِلَّا أَذْهَبَ الله هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا»، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رسول الله ﷺ ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا». (١)

٢- مما استدل به العلماء على أن أسماء الله غير محصورة بعدد معين.

ما أخرجه الإمام مسلم رقم (٤٨٦): عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنْ الْفِرَاشِ؛ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللهمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

والشاهد من الحديث قوله: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ».

قال شيخ الإسلام رحمه الله في "درء تعارض العقل والنقل" (٣/ ٣٣٢-٣٣٣):

فأخبر ﷺ أنه لا يحصي ثناءً عليه، ولو أحصى أسمائه، لأحصى صفاته كلها، فكان يحصي الثناء عليه؛ لأن صفاته إنما يعبر عنها بأسمائه.اهـ

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٥٣)، وأبو يعلى (٥٢٩٧)، وابن حبان كما في "الإحسان" (٩٧٢)، كلهم من طريق يزيد بن هارون به. وأخرجه الطبراني في "الكبير" (١٠٣٥٢)، وفي الدعاء (١٠٣٥)، والحاكم في "المستدرك" رقم (١٩٢٩).

٣- أخرجه البخاري (٦٥٦٥)، ومسلم (١٩٣): من حديث أنس ﵁ في الشفاعة الطويل، قال: «فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي».

٤- قول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠][1].

قال شيخ الإسلام ﵀ (٢٢/ ٤٨١-٤٨٦):

فأمر أن يدعوا بأسمائه الحسنى مطلقًا، ولم يقل ليست أسماؤه الحسنى، إلا تسعة وتسعين أسمًا، والحديث قد سلم معناه، والله أعلم. اهـ

٥- بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة:٢٥٥] .

قال ابن كثير ﵀: أي لا يطلعون على شيء من علم ذاته، وصفاته، إلا بما أطلعهم الله عليه، كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠] .

٦- ومما استدل به العلماء على أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين: أن الأسماء الواردة في الكتاب والسنة، أكثر من تسعة وتسعين.

قال ابن الوزير ﵀ في "إيثار الحق على الخلق" (ص١٥٨):

وقد ثبت أن أسماء الله تعالى أكثر من ذلك المروي بالضرورة، والنص: أما الضرورة، فإن في كتاب الله أكثر من ذلك، كما سيأتي بيان ذلك، وأما النص فحديث عبد الله بن مسعود ﵁، عن النبي ﷺ: ما قال عبدٌ أصابه هم أو حزن. اللهم إني عبدك... الحديث. اهـ

وقال ابن تيمية ﵀ (٢٢/ ٤٨٢): وإن قيل لا تدعوا إلا باسم له ذكر في الكتاب والسنة، قيل: هذا أكثر من تسعة وتسعين. اهـ

---

(١) ﴿سورة لأعراف، آية:١٨٠﴾.

٧- ومما يدل على أن أسماء الله تعالى غير محصورة في تسع وتسعين، دخول كثير من الأسماء المضافة في اسمائه الحسنى.

فقد قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٢٢/ ٤٨٥):

وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة، وثبت في الدعاء بها بإجماع المسلمين. **اهـ**

وقال رحمه الله في "درء تعارض العقل والنقل" (٣/ ٢٣١): ولما كانت حاجة النفوس إلى معرفة ربها أعظم الحاجات، كانت طرق معرفتهم له أعظم من طرق معرفة ما سواه، وكان ذكرهم لأسمائه أعظم من ذكرهم لأسماء ما سواه، وله سبحانه في كل لغة أسماء وله في اللغة العربية أسماءً كثيرة.اهـ مختصرًا

قال ابن القيم رحمه الله في "شفاء العليل" (٢٧٧): قوله (إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة)، لا ينفي أن يكون له غيرها، والكلام جملة واحدة، أي له أسماء موصوفة بهذه الصفة، كما يقال لفلان، مائة عبد أعدهم للتجارة، وله مائة فرس أعدهم للجهاد، وهذا قول الجمهور، وخالفهم ابن حزم، فزعم أن أسماءه تنحصر في هذا العدد. اهـ

قوله: (وقد ذكرنا من أسماء الله الحسنى ما فتح الله به بأدلتها من القرآن وصحيح السنة في آخر الكتاب): أي كالرد على القول بحصرها بتسعة وتسعين اسمًا، على ما يأتي إن شاء الله عز وجل.

❁❁❁

لا يعلم الغيب المطلق غير الله

(٤٠) فَإِذَا قِيلَ لَكَ: هَلْ أَحَدٌ غَيْرُ الله يَعْلَمُ الغَيْبَ؟ فَقُلْ: لَا أَحَدَ يَعْلَمُ الغَيْبَ إِلَّا اللهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

ساق المصنف حَفِظَهُ اللهُ هذه الفقرة لبيان اختصاص الله عَزَّ وَجَلَّ بعلم الغيب المطلق.

وفيه: رد على الصوفية ومن إليهم، حيث يزعمون أن أولياءهم يعلمون الغيب، بل وما في الضمائر والسرائر يعرف ذلك من قرأ في بعض كتبهم، كإحياء علوم الدين، وكرامات الأولياء للنبهاني، وغيرها.

والغيب ينقسم إلى قسمين:

الأول الغيب المطلق: وهذا الذي يختص الله عَزَّ وَجَلَّ بعلمه قال الله عَزَّ وَجَلَّ:[﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان:٣٤].

فمن ادعى علم الغيب المطلق كفر، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[الجن: ٢٦-٢٧].

الثاني: الغيب النسبي: وهو ما غاب عن زيد وظهر لعمرو، وهذا غير داخل في المذموم.

وقد سمى الله عَزَّ وَجَلَّ نفسه ووصفها في كثير من الآيات أنه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ

﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [التغابن:١٨]، والغيب ما غابَ عن العيان، والشهادة ما ظهرَ وبان، فلا يخفي عليه شيء.

وكفر العلماء الساحر والكاهن والعراف لادَّعائهم للغيب المطلق مع أن الله ﷻ يقول: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥].

قولهُ (فقل: لا أحد يعلم الغيب إلا الله): أي الغيب المطلق الذي اختص الله ﷻ به ولم يطلع عليه أحدًا من خلقه مثل قيام الساعة، ومتى يكون المطر، وما يكون في الأرحام أو ما في الغد على ما يأتي.

وليس من الغيب المطلق معرفة نوع جنين المرأة بعد أن يتخلق فإنما يعرف نوعه بجهاز وهذا ليس من الغيب وإنما أخبر الطبيب بما رأى حيث أظهر الجهاز نوع الجنين، ثم إن علم الجنين قد خرج من علم الله إلى علم الملك فيكتب رزقه وأجله وذكر أو أنثى وشقي أو سعيد.

قولهُ (والدليل: قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]): لأن مسألة الغيب تتعلق بالقدر والله ﷻ جعل القدر سرًا مكتومًا ولو أن الناس علموا الغيب لحصل فساد عريض وفي ذلك مطعن في حكمة الله، فقد غيَّب الله ﷻ ما يكون عن الناس وأمر بالطاعة ونهى عن المعصية للاختبار والابتلاء.

فالمؤمن يطيع الله ﷻ، ويكون له ما في علم الله ﷻ من الغيب والكافر يعصي الله ﷻ ويكون له ما في علم الله ﷻ.

ثم إن عدم معرفة الغيب من أسباب الرهبةِ والخوف من الله ﷻ ومن

الأسباب الداعية إلى ملازمة السلامة والثبات والدعاء لأن الإنسان إذا علم ما سيكون سيحصل منه تفريط وتضييع واعتماد على ما في علمه فلله ﷻ الحكمة البالغة والحجة الدامغة وفي حديث أبي هريرة في الملائكة الذين يحضرون مجالس الذكر يقول الله : «قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لاَ وَالله مَا رَأَوْكَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَالله يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟

قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَالله يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً»[١] أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ويقول النبي ﷺ : «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ الله أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَا أَسْمَعَنِي»[٢]، متفق عليه عن أنس رضي الله عنهما.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٩].

فيخبر رسوله بما أراد كما حصل من النبي ﷺ في غزوة بدر من قوله هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان، ولما قالت المرأة: «وفينا رَسُول الله يعلم ما في

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٠٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٨٩).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٦٧).

غد»، قال: «لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ الله، ورسوله ﷺ»(١).

فكان لا يعلم إلا ما علمه الله ﷻ وهكذا حاله بعد موته من باب الأولى.

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ يقول: «أَصْحَابِي، أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»(٢).

قولهُ (وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس:٢٠]): أي الغيب المطلق وهذا حصرٌ فلا يكون الاطلاع عليه والعلم بها إلا من الله ﷻ فإنه لا تخفي عليه خافية والغيب عنده شهادة.

قولهُ(وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾)تتمة الآية: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

ومفاتيح الغيب خمس: قد فسرها النبي ﷺ كما في حديث عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما كما في البخاري: «مفاتح الغيب خمسة ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان:٣٤]»(٣).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٠٠١)، من حديث الربيع بنت معوذ رضي الله عنها، وقوله الأخير في صحيح البخاري برقم (٣٤٤٥)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٣٤٩) من حديث ابن عباس م، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٢٩٧) من حديث ابن مسعود ا، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣٠٤)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٦٢٧).

ولما سئل النبي ﷺ متى الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل.

وفي هذه الآية دليل: على علم الله الأزلي وأنه محيط بكل شيء.

وفيها: رد على غلاة المعتزلة الذين يزعمون أن الله لا يعلم، وقد كفرهم العلماء. قال ابن عمر رضي الله عنهما: «**إذا لقيتَهم فأخبرهم أنِي مِنهم بريءٌ، وَهُم منِّي بُرآء، والذي نفْسُ ابنِ عُمرَ بيده لوْ أنَّ أحَدَهم أنفقَ مثلَ أحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَه الله منه حَتى يُؤمِن بالقَدَرِ**»(١) أخرجه مسلم.

وفي قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «ناظروهم بالعلم فإن أنكروه كفروا، وإن أقروا به خصموا».

ثم جاءوا بقول جديد قالوا: يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات، وهذا قول مستحدث، فما من شيء موجود إلا وهو جزئي على القاعدة المنطقية، لأن الكليات إنما تكون بالذهن، والله الموفق.

۞۞۞

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨).

متى تقوم الساعة

(٤١) فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ فَقُلْ: أَمْرُ السَّاعَةِ مِنْ أُمُورِ الغَيْبِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]. وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ﴾ [فصلت: ٤٧].

وَقَوْلُ النَّبِي ﷺ: «لَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ». أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما.

لما تكلم حفظه الله على مسألة الغيب ناسب أن يذكر ما يتعلق بعلم الساعة.

قوله: (فَقُلْ: أَمْرُ السَّاعَةِ مِنْ أُمُورِ الغَيْبِ)؛ أي المطلق؛ **(التي لا يعلمها إلا الله)**، فلم يطلع عليها ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا، **(وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان:٣٤])** أي أن علمها مختصٌ به، **(وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ﴾ [فصلت: ٤٧])**: أي لا إلى غيره.

قال الله عز وجل: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ٤٤ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٢-٤٥]، وقال الله عز وجل: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب:٦٣].

وقال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٧].

وقد تقدم وهو حديث: «**خمس لا يعلمهن إلا الله**»، إلا أن الله عز وجل قد جعل لها علامات كبرى وصغرى كما تقدم، والله الموفق.

شروط قبول العمل

﴿٤٢﴾ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: كَمْ شُرُوطُ قَبُولِ العَمَلِ؟ فَقُلْ: ثَلَاثَةٌ:

١- الإِسْلَامُ، فَالكَافِرُ لَا يَقْبَلُ اللهُ عَمَلَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

٢- الإِخْلَاصُ، وَالدَّلِيلُ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وَفِي حَديث أَبِي هُرَيْرَةَ القُدْسِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ. مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣- المُتَابَعَةُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عَلَيهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان شروط قبول العمل، إذ أن كثيرًا من الناس يعملون ولا تقبل أعمالهم، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣- ١٠٤]

قوله (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: كَمْ شُرُوطُ قَبُولِ العَمَلِ): أي العمل الصالح فإن العمل السيء غير متعبد به أصلًا وأعمال الدنيا غير منظور لها في هذا الباب إلا من عمل منها ما يقربه إلى الآخرة والمراد بالقبول أن الله يقبله ويأجر عليه وترتفع عن المكلف المطالبة به وتبرئ به الذمة، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧].

قوله (١- الإِسْلامُ، فَالكَافِرُ لا يَقْبَلُ اللّٰهُ عَمَلَهُ): فلو عمل الكافر أي عمل فهو غير مقبول مهما كان صلاحه، فلو أن رجلا من الكافرين تصدق، أو أعتق، أو بنى مسجدا، فلا يقبل منه لأن الله ﷻ لا يقبل العمل إلا من مسلم موحد.

فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قُلْتُ: «يَا رسول الله ﷺ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «**لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**»[١] أخرجه مسلم.

ومع ذلك فإن الكافر مخاطب بفروع الشريعة:

كما قال الله ﷻ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝٤٦ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾[المدثر:٤٢-٤٧]، ويحاسب على كفره وعلى ما ترك من الطاعات وما ارتكب من المعاصي والسيئات.

قوله (وَالدَّلِيلُ): أي على رد عمله (قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ**﴾ [الفرقان:٢٣]).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٦/ ١٠٣): وَهَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حِينَ يُحَاسِبُ الله الْعِبَادَ عَلَى مَا عَمِلُوهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَتَحَصَّلُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأَعْمَالِ -الَّتِي ظَنُّوا أَنَّهَا مَنْجَاةٌ لَهُمْ -شَيْءٌ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا فَقَدَتِ الشَّرْطَ الشَّرْعِيَّ، إِمَّا الْإِخْلَاصُ فِيهَا، وَإِمَّا الْمُتَابَعَةُ لِشَرْعِ اللَّهِ. فَكُلُّ عَمَلٍ لَا يَكُونُ خَالِصًا وَعَلَى الشَّرِيعَةِ الْمَرْضِيَّةِ، فَهُوَ بَاطِلٌ. فَأَعْمَالُ الْكُفَّارِ لَا تَخْلُو مِنْ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ، وَقَدْ تَجْمَعُهُمَا مَعًا، فَتَكُونُ أَبْعَدَ مِنَ الْقَبُولِ حِينَئِذٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا**

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢١٤).

عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣]، قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالثَّوْرِيُّ: ﴿ وَقَدِمْنَا ﴾ [الفرقان:٢٣]أَيْ: عَمَدْنَا، وَقَالَ السُّدِّيُّ: (قَدِمْنَا) : عَمَدنا. وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: أَتَيْنَا عَلَيْهِ.

وقوله (﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣]): قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَلِيٍّ، رضي الله عنه، فِي قوله: ﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنثُورًا ﴾ ، قَالَ: شُعَاعُ الشَّمْسِ إِذَا دَخَلَ فِي الكوَّة. وَكَذَا رُوِيَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ عَنْ عَلِيٍّ.

ورُوي مِثْلُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيرٍ، والسُّدِّي، وَالضَّحَّاكِ، وَغَيْرِهِمْ. وَكَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: هُوَ الشُّعَاعُ فِي كُوَّةِ أَحَدِهِمْ ، وَلَوْ ذَهَبَ يَقْبِضُ عَلَيْهِ لَمْ يَسْتَطِعْ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿ هَبَاءً مَنثُورًا ﴾ قال: هُوَ الْمَاءُ الْمِهْرَاقُ. وَقَالَ أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَلِيٍّ: ﴿ هَبَاءً مَنثُورًا ﴾ قَالَ: "الْهَبَاءُ رَهْج الدَّوَابِّ". ورُوي مِثْلُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا، وَالضَّحَّاكِ، وَقَالَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ.

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قوله: ﴿ هَبَاءً مَنثُورًا ﴾ قَالَ: أَمَا رَأَيْتَ يَبِيس الشَّجَرِ إِذَا ذَرَتْهُ الرِّيحُ؟ فَهُوَ ذَلِكَ الْوَرَقُ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ: أَخْبَرَنِي عَاصِمُ بْنُ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي سَرِيعٍ الطَّائِيِّ، عَنْ يَعْلَى بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: وَإِنَّ الْهَبَاءَ الرَّمَادُ.

وَحَاصِلُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ: التنبيهُ عَلَى مَضْمُونِ الْآيَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَمِلُوا أَعْمَالًا اعْتَقَدُوا أَنَّهَا شَيْءٌ، فَلَمَّا عُرِضَتْ عَلَى الْمَلِكِ الْحَكِيمِ الْعَدْلِ الَّذِي لَا يَجُورُ وَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا، إِذَا إِنَّهَا لَا شَيْءَ بِالْكُلِّيَّةِ. وَشُبِّهَتْ فِي ذَلِكَ بِالشَّيْءِ التَّافِهِ الْحَقِيرِ الْمُتَفَرِّقِ، الَّذِي لَا يَقْدِرُ مِنْهُ صَاحِبُهُ عَلَى شَيْءٍ بِالْكُلِّيَّةِ، كَمَا قال الله تَعَالَى:

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم:١٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًاۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ﴾ [البقرة:٢٦٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النور:٣٩]، وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى تَفْسِيرِ ذَلِكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.اهـ

وهذا كما قال الله ﷻ: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ [الغاشية:١-٤].

والشاهد أنها عاملة ناصبة: أي ذات عمل، ولكنه لا يقبل منها على قول لأهل العلم، ومع ذلك تصلى نار حامية تسقى من عينٍ آنية لأن الله ﷻ لم يتقبل منهم.

قوله (وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:٢٧]): دليل على أن العمل لا يقبل من غير المسلم، والمراد بالمتقين أهل الإسلام لأن الكافر ليس بمتقي قال الله ﷻ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

قوله (٢- الإِخْلَاصُ): أي الثاني من شروط قبول العمل الإخلاص، وهو تخليص النية من كل إرادة لغير الله ﷻ.

والإخلاص عملٌ قلبي قال الله ﷻ: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر:٢-٣]، وسميت سورة الإخلاص بهذا الاسم؛ لخلوصها في

الكلام على التوحيد، فالشيء الخالص: هو الذي لا يشوبه شيء، ولذلك يقال ذهبٌ خالص وفضةٌ خالصة.

فالإخلاص لله ﷻ: أن لا يشوب العمل شيء من الشوائب؛ من رياء، أو عجب، أو غير ذلك، نسأل الله السلامة.

قوله (وَالدَّلِيلُ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥]):

قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾: والآمِر هو الله ﷻ: ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [البينة:٥]، أي: يوحدوه ﷻ، ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥]: أي حال كونهم مخلصين لله ﷻ فلا يشرك معه غيره لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا.

وقال الله ﷻ بعدها: ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥]، فالدين القويم: هو الإخلاص لله ﷻ بالتوحيد، والتقرب إليه بما فرض وشرع.

قوله (وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ القُدْسِيِّ): القدسي لأنه مضاف إلى الله ﷻ القدوس فيثبت أن الله متكلم بمثل هذه الأحاديث لكن لا يتعبد بقراءتها في الصلاة.

قال ابن العثيمين رحمه الله في "القول المفيد على كتاب التوحيد" (١/ ٨١): وقد اختلف العلماء رحمهم الله في لفظ الحديث القدسي هل هو كلام الله تعالى، أو أن الله تعالى أوحى إلى رسوله ﷺ معناه واللفظ لفظ رسول الله ﷺ على قولين:

القول الأول: أن الحديث القدسي من عند الله لفظه ومعناه؛ لأن النبي ﷺ أضافه إلى الله تعالى، ومن المعلوم أن الأصل في القول المضاف أن يكون بلفظ قائله لا ناقله، لا سيما والنبي ﷺ أقوى الناس أمانة وأوثقهم رواية.

القول الثاني: أن الحديث القدسي معناه من عند الله ولفظه لفظ النبي ﷺ وذلك لوجهين:

الوجه الأول: لو كان الحديث القدسي من عند الله لفظا ومعنى، لكان أعلى سندا من القرآن، لأن النبي ﷺ يرويه عن ربه تعالى بدون واسطة، كما هو ظاهر السياق، أما القرآن، فنزل على النبي ﷺ بواسطة جبريل كما قال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [النحل:١٠٢]، وقال: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[الشعراء: ١٩٣- ١٩٥].

الوجه الثاني: أنه لو كان لفظ الحديث القدسي من عند الله، لم يكن بينه وبين القرآن فرق، لأن كليهما على هذا التقدير كلام الله تعالى، والحكمة تقتضي تساويهما في الحكم حين اتفقا في الأصل، ومن المعلوم أن بين القرآن والحديث القدسي فروقًا كثيرة، منها: أن الحديث القدسي لا يتعبد بتلاوته، بمعنى أن الإنسان لا يتعبد لله تعالى بمجرد قراءته، فلا يثاب على كل حرف منه عشر حسنات، والقرآن يتعبد بتلاوته بكل حرف منه عشر حسنات.

ومنها: أن الله تعالى تحدى أن يأتي الناس بمثل القرآن أو آية منه، ولم يرد مثل ذلك في الأحاديث القدسية.

ومنها: أن القرآن محفوظ من عند الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

والأحاديث القدسية بخلاف ذلك، ففيها الصحيح والحسن، بل أضيف إليها ما كان ضعيفا أو موضوعا، وهذا وإن لم يكن منها لكن نسب إليها وفيها التقديم والتأخير والزيادة والنقص.

ومنها: أن القرآن لا تجوز قراءته بالمعنى بإجماع المسلمين، وأما الأحاديث القدسية فعلى الخلاف في جواز نقل الحديث النبوي بالمعنى والأكثرون على جوازه.

ومنها: أن القرآن تشرع قراءته في الصلاة ومنه ما لا تصح الصلاة بدون قراءته، بخلاف الأحاديث القدسية.

ومنها: أن القرآن لا يمسه إلا طاهر على الأصح، بخلاف الأحاديث القدسية.

ومنها: أن القرآن لا يقرؤه الجنب حتى يغتسل على القول الراجح، بخلاف الأحاديث القدسية.

ومنها: أن القرآن ثبت بالتواتر القطعي المفيد للعلم اليقيني، فلو أنكر منه حرفا أجمع القراء عليه، لكان كافرا، بخلاف الأحاديث القدسية، فإنه لو أنكر شيئا منها مدعيا أنه لم يثبت، لم يكفر، أما لو أنكره مع علما أن النبي ﷺ قاله، لكان كافرا لتكذيبه النبي ﷺ

وأجاب هؤلاء عن كون النبي ﷺ أضافه إلى الله، والأصل في القول المضاف أن يكون لفظ قائله بالتسليم أن هذا هو الأصل، لكن قد يضاف إلى قائله معنى لا لفظا، كما في القرآن الكريم، فإن الله تعالى يضيف أقوالا إلى قائليها، ونحن نعلم أنها أضيفت معنى لا لفظا، كما في "**قصص الأنبياء**" وغيرهم، وكلام الهدهد والنملة؛ فإنه بغير هذا اللفظ قطعا.

وبهذا يتبين رجحان هذا القول، وليس الخلاف في هذا كالخلاف بين الأشاعرة وأهل السنة في كلام الله تعالى، لأن الخلاف بين هؤلاء في أصل كلام الله تعالى، فأهل السنة يقولون: كلام الله تعالى كلام حقيقي مسموع يتكلم

سبحانه بصوت وحرف، والأشاعرة لا يثبتون ذلك، وإنما يقولون: كلام الله تعالى هو المعنى القائم بنفسه، وليس بحرف وصوت، ولكن الله تعالى يخلق صوتا يعبر به عن المعنى القائم بنفسه، ولا شك في بطلان قولهم، وهو في الحقيقة قول المعتزلة، لأن المعتزلة يقولون: القرآن مخلوق، وهو كلام الله، وهؤلاء يقولون: القرآن مخلوق، وهو عبارة عن كلام الله، فقد اتفق الجميع على أن ما بين دفتي المصحف مخلوق.

ثم لو قيل في مسألتنا- الكلام في الحديث القدسي-: إن الأولى ترك الخوض في هذا، خوفا من أن يكون من التنطع الهالك فاعله، والاقتصار على القول بأن الحديث القدسي ما رواه النبي ﷺ عن ربه وكفي، لكان ذلك كافيا، ولعله أسلم والله أعلم. اهـ

قولہ (قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى): فيه إثبات أن الله ﷻ متكلم بحرف وصوت على ما تقدم.

قولہ (أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ): قوله الشركاء ليس لأن له شريك لكن على الحال الذي عليه الناس إذ جعلوا لله شركاء قال الله ﷻ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الأنعام:١٣٦].

فيقول: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك**»، أي: أن الله ﷻ غني عن ذلك ويبطل أي عمل يدخله مشاركة أو تنديد وغير ذلك فالله ﷻ يعبد لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

قوله **(مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي)**: وإن كان المشارك ملكًا مقربًا أو نبيًا مرسلًا، **(تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)**: أي لم يقبل الله ﷻ منه عمله.

قال النووي ؒ: والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به. اهـ

وفي هذا الحديث: وعيد عظيم للمشركين الذين يندون إما بالشرك الأكبر أو الأصغر.

وفي مسلم عن أبي هريرة ﭬ سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ الله عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ**» [(١)] أخرجه مسلم.

قوله **(٣- الْمُتَابَعَةُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ)**: أي الشرط الثالث من شروط قبول العمل المتابعة لرسول الله ﷺ؛ لأن الله ﷻ جعله واسطه بيننا وبينه فلا نعلم

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٩٠٥).

كيف نعبد الله ﷻ إلا بالطريقة التي بينها رسول الله ﷺ .

فقد أمر الله ﷻ العباد بقوله: (أقيموا الصلاة)، وبين ذلك النبي ﷺ فنصلي كصلاته، قال رسول الله ﷺ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»[1] أخرجه البخاري عن مالك بن حويرث رضي الله عنه.

وأمر بالزكاة والصيام فنصوم ونزكي كما فعل النبي ﷺ ، وأمر بالحج فنحج كما حج النبي ﷺ، وهو القائل: «**خُذُوا عَنِي مَنَاسِكَكُم**»[2].

فدين الإسلام مبني على الإخلاص لله ﷻ والمتابعة للنبي فإن الله ﷻ إنما أرسله لذلك قال الله ﷻ:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل:٤٤]، وقال الله ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة:٦٧].

والواجب علينا التأسي: بالنبي ﷺ قال الله ﷻ:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴾ [آل عمران:٣١].

وقال الله ﷻ:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

وقال الله ﷻ:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ ﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقال رسول الله ﷺ : «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها**

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٣١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٢٩٧).

بالنواجذ»[١]. وكم هي الأحاديث والآيات الدالة على وجوب متابعة النبي ﷺ قال الله ﷻ:﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣] الآية.

قال سفيان ابن عيينة: وجدنا الأمر كله بالاتباع. أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه.

قال رجل لسعيد بن المسيب: ما يضرني إذا أحرمت من مسجد النبي ﷺ قال أخشى عليك الفتنة قال وأي فتنة في أميال أزيدها، فتلى عليه قول الله ﷻ:﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣]. وقال بعضهم: أيعذبني الله على الصلاة بعد العصر فرد عليه: يعذبك على مخالفة السنة.

والمتابعة منها الواجب: كالمتابعة في الواجب، ومنها المستحب كالمتابعة: في المستحبات، فالشرب قائما جائز، والشرب قاعدًا أفضل؛ لأن النبي ﷺ أمر به، ولا تكون المتابعة لغير رَسُول الله إذ أن كل الناس قد أُمروا بمتابعة النبي ﷺ من أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فمن دونه.

وفي هذه الفقرة رد على بعض أصحاب المذاهب الذين يقولون لا يصح التعبد لله ﷻ إلا بالتمذهب.

فالمذهبية ليست من ديننا، قال الله ﷻ:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران:١٩]، فلم يقل الحنبلية ولا الشافعية ولا المالكية ولا الحنفية.

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٦٠٧)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ برقم (٩٢١)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

ثم إن هؤلاء لم يؤسسوا مذاهب ويدعوا إليها، إنما تعصب لهم أناس بعد ذلك. **حتى قال قائلهم:**

أنا حنبلي ما حييت وإن أمت فوصيتي للناس أن يتحنبلوا

وكان الواجب أن يوصي الناس أن يتبعوا الكتاب والسنة.

ويقول آخر: لولا مالك لكان الدين هالك، وأما الأحناف: فعندهم من الغلو المفرط ما يتعجب منه، فأبو حنيفة عندهم سراج الأمة.

مع أن الشافعي رحمه الله **يقول:** "إذا صح الحديث فهو مذهبي"، وأقوالهم مشهورة في نبذ التقليد، ولمراجعة ذلك مقدمة صفة صلاة النبي ﷺ للشيخ الألباني رحمه الله.

قوله «وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ أُمِّ المُؤمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها**»:** أي الدليل: على المتابعة وكونها من المتعينات حديث عائشة وقوله أم المؤمنين رد على الرافضة الملحدين الذين يطعنون فيها، وقد برأها الله.

مما أجحه أهل النفاق، وبراءتها في سورة النور من قوله: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ**﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النور:١١-٢٠]، وقال تعالى: ﴿**وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ**﴾ [الأحزاب:٦].

قوله («مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيسَ عَلَيهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»): هذا لفظ مسلم، وقد اتفق عليه الشيخان بلفظ: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»**.

وساق المصنف حفظه الله الحديث لبيان شرطية المتابعة لرسول الله ﷺ .

قال النووي رحمه الله (١٢/ ١٦): قَوْلُهُ ﷺ : **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا ماليس مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» وَفِي الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»**.

قَالَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ: الرَّدُّ هُنَا بِمَعْنَى الْمَرْدُودِ وَمَعْنَاهُ فَهُوَ بَاطِلٌ غَيْرُ مُعْتَدٍّ بِهِ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ ﷺ ، فَإِنَّهُ صَرِيحٌ فِي رَدِّ كُلِّ الْبِدَعِ وَالْمُخْتَرَعَاتِ.

وَفِي الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ زِيَادَةٌ؛ وَهِيَ أَنَّهُ قَدْ يُعَانِدُ بَعْضُ الْفَاعِلِينَ فِي بِدْعَةٍ سَبَقَ إِلَيْهَا، فَإِذَا احْتُجَّ عَلَيْهِ بِالرِّوَايَةِ الْأُولَى، يَقُولُ: أَنَا مَا أَحْدَثْتُ شَيْئًا.

فَيُحْتَجُّ عَلَيْهِ بِالثَّانِيَةِ الَّتِي فِيهَا التَّصْرِيحُ بِرَدِّ كُلِّ الْمُحْدَثَاتِ سَوَاءٌ أَحْدَثَهَا الْفَاعِلُ أَوْ سُبِقَ بِإِحْدَاثِهَا.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ لِمَنْ يَقُولُ مِنَ الْأُصُولِيِّينَ إِنَّ النَّهْيَ يَقْتَضِي الْفَسَادَ.اهـ

تنبيه: هذه الثلاثة الشروط التي ذكرها المصنف شروط جميع الأعمال، إلا ما كان من أخذ الزكاة على مانعها، فإنها تجزئ عنه بغير نية، وبقيت شروط لكل عمل يذكرها أهل العلم تعرف في مواطنها، والله الموفق.

❁❁❁

أنواع التوسل المشروع

٤٣ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: كَمْ أَنْوَاعُ التَّوَسُّلِ المَشْرُوعِ؟ فَقُلْ: ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

١- التَّوَسُّلُ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

٢- تَوَسُّلُ العَبْدِ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِعَمَلِهِ الصَّالِحِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦]. وَقَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

وَمِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ انْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَتَوَسَّلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِخَالِصِ عَمَلِهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِن حَدِيثِ عَبْدِاللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما.

٣- التَّوَسُّلُ بِدُعَاءِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَحطَ المَطَرُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَسْقِيَنَا، فَدَعَا فَمُطِرْنَا[١].

[ح١] فهذا الحديث فيه أنهم توسلوا إلى الله عز وجل بدعاء أفضل الخلق، ولم يجلسوا في بيوتهم ويقولوا: نسألك بجاه نبيك، أو بحق نبيك، ولو كان ذلك مشروعًا لفعلوه، ولكن لم يفعل هذا منهم أحد في حياته، ولا بعد موته ﷺ، فقد استسقى عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه بعد موت النَّبي ﷺ، وطلب من العبّاسِ أن يدعو الله لهم؛ لأنه شيخ كبير صالح، كما هو مبين في "فتح الباري" (١٥٠/٣) أن العبّاس دعا الله عز وجل، ولو توسلوا بجاهه لتوسلوا بجاه النَّبي ﷺ وهو حي، فهو أعظم، ولم يفعلوا. واستسقى معاوية رضي الله عنه ثمَّ قال: اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا، اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بيزيد بن الأسود الجرشي. يايزيد ارفع يديك إلى الله، فرفع يديه ورفع النَّاس أيديهم فسقاهم الله، حتَّى كاد النَّاس أن لا يبلغوا منازلهم. رواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق"

(١١٢/٦٥، ١١٣) بإسناد صحيح. وانظر "التوسل" للعلامة الألباني رحمه الله (ص٤٥).

ساق المصنف حفظه الله هذه المسألة وتوسع فيها لأنها من أهم المسائل التي ينبغي أن يحققها المسلم على الوجه الشرعي، والتوسل في اللغة: هو طلب الوسيلة والقربة، ومنه قول الشاعر:

إن الرجال لهم إليك وسيلة أن يأخذوكِ تكحّلي وتخضبي

والناس في التوسل ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أناس سلكوا مسلك النبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه رضي الله عنهم في استخدام الوسائل المشروعة الموصلة إلى الله عز وجل.

القسم الثاني: أناس جعلوا بينهم وبين الله عز وجل وسائط في مسائلهم.

وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين:

الأول: مشركون منددون وهم من دعوا وسألوا غير الله أن يقضي حوائجهم أو يفرج كربهم أو يزيل همومهم أو غير ذلك.

الثاني: أصحاب توسل بدعي لم يشرعه الله عز وجل وهم الذين يتوسلون بذات النبي صلى الله عليه وسلم كقولهم بحق أو جاه أو منزلة محمد أو حق القرآن أو حق الفاتحة أو حق عيسى أو حق فلان وفلان.

القسم الثالث: من لم ينظر إلى الوسائل من أصلها ولم يطلب القرب من الله عز وجل.

ثم إن التوسل من حيث هو، ينقسم إلى قسمين:

الأول: مشروع، **والثاني:** ممنوع.

قوله (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: كَمْ أَنْوَاعُ التَّوَسُّلِ المَشْرُوعِ): قوله المشروع خرج به التوسل الممنوع.

قوله (فَقُلْ: ثَلاثَةُ أَنْوَاعٍ: ١- التَّوَسُّلُ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٩]):

الآية الأولى: تدل على أن من أسباب الوسيلة والقرب من الله ﷻ دعاء الله ﷻ بأسمائه وصفاته إما على الإجمال أو التفصيل؛ لك أن تقول: اللهم إني أسالك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تغفر ذنبي وأن تستر عيبي وأن تصلح شأني وأن تصلح ذريتي إلى غير ذلك.

ولك أن تقول: اللهم إني أسالك بانك أنت الرزاق ذو القوة المتين أن توسع لي في رزقي وأن ترزقني العلم والعمل إلى غير ذلك، ولك أن تقول: اللهم اغفر لي ذنبي إنك أنت الغفور الرحيم.

وربما يكون التوسل بصفة بعينها: كقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٩].

وقد كان النبي ﷺ يتوسل بالصفات كثيرا، فكان يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»(١).

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢١٤٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي (٣٥٢٢)، من حديث أم سلمة رضي الله عنها، وكلا الحديثين يصححهما الإمام الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي. وجاء من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه في مسند أحمد، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١١٨٠)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

وكان يقول: «**يا مصرف القلوب؛ صرف قلبي على طاعتك**»[1]، وكان يقول: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا احصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»[2]، وكان يقول: «**أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم**»[3]، ويقول: «**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على كل شيء أحيني اذا كانت الحياة خير لي، وامتني اذا كان الموت خير لي**»[4].

وفي حديث الاستخارة: «**اللهم إني أستخيرُك بعِلمِك، وأستقدِرُك بقدرتِك، وأسألُك من فضلِك العظيم، فإنك تقدِرُ ولا أقدِرُ، وتَعْلَمُ ولا أَعْلَمُ، وأنت علَّامُ الغُيوبِ، اللهم إنْ كنتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمرَ خيرٌ لي في دِيني ودنياي وعاقبةِ أمري وآخره فيسره لي ويسرني له**»[5] أخرجه البخاري عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ويكون الاسم المتوسل به أو الصفة مناسبٌ للسؤال الذي يطلب من الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله (٢- تَوَسُّلُ العَبْدِ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِعَمَلِهِ الصَّالِحِ): أي بالعمل الذي أخلص فيه لله كقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ** ﴾ [آل عمران:٥٣]، هذا عمل صالح من المتوسل فلا تقول اللهم إني أسالك بعمل زيد أو عمل عمرو.

لأن السلف رضوان الله عليهم أحرص الناس على الخير وما قالوا نسألك

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٥٤)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٨٦)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٦٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (٨٠٥)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

(٤) أخرجه الإمام النسائي في سننه (١٣٠٥)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح سنن النسائي.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٣٨٢).

بجاه محمد ولا بجاه أبي بكر ولا فاطمة ولا الحسين ولا الحسن ولا خديجة ولا عمر ولا عثمان ولا طلحة، إلى غير ذلك.

قوله « وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٦]»:

يثني الله ﷻ على المؤمنين الذين يتوسلون بإيمانهم إلى الله في مغفرة ذنوبهم، وأن ينجيهم من عذا النار.

قوله (وَقَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ [آل عمران: ٥٣]): أقررنا وأنقدنا، ﴿بِمَآ أَنزَلْتَ﴾: أي القرآن، ﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾: أي تابعناه في ما دق وجل من الشرع والدين، ﴿فَٱكْتُبْنَا﴾: عندك. ﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ لك بالوحدانية، ولنبيك بالرسالة، ولدينك بالحق والصدق.

قوله (وَمِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ انْطَبَقَتْ عَلَيهِمْ صَخْرَةٌ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ): وهو حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين قال: قال رسول الله ﷺ : «**بَيْنَمَا ثَلاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللهِ يَا هَؤُلاَءِ، لاَ يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللهم إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ فَسُقْهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الفَرَقِ فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ**

الآخَرُ: اللهم إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الجُوعِ، فَكُنْتُ لاَ أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا، فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ الآخَرُ: اللهم إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ، إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ المِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا»(١) متفق عليه.

قوله(فَتَوَسَّلَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِخَالِصِ عَمَلِهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِن حَدِيثِ عَبْدِاللّهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)**:** فتوسلوا إلى الله بخالص أعمالهم.

قوله(٣- التَّوَسُّلُ بِدُعَاءِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ)**:** بحيث تقول يا فلان أدع الله لي وأدلته كثيرة فقد كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يأتون إلى النبي ﷺ ويدعو لهم فتُفرج كربهم وتقضى حوائجهم.

عن عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النبي ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٢٧٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٤٣).

دَعَوْتُ الله أَنْ يُعَافِيَكِ» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ الله لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا»[١] أخرجه البخاري.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنهما أنه ذْكُرُ: «أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وِجَاهَ المِنْبَرِ، وَرَسُول الله ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُول الله ﷺ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رسول الله ﷺ : هَلَكَتِ المَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ الله يُغِيثُنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُول الله ﷺ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «اللهم اسْقِنَا، اللهم اسْقِنَا، اللهم اسْقِنَا» قَالَ أَنَسُ: وَلاَ وَالله مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلاَ قَزَعَةً وَلاَ شَيْئًا وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ، وَلاَ دَارٍ قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ، انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ، قَالَ: وَالله مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ المُقْبِلَةِ، وَرَسُول الله ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رسول الله ﷺ : هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ الله يُمْسِكْهَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُول الله ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللهم حَوَالَيْنَا، وَلاَ عَلَيْنَا، اللهم عَلَى الآكَامِ وَالجِبَالِ وَالآجَامِ وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» قَالَ: فَانْقَطَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ»[٢] متفق عليه.

وهذا نوع من أنواع الاستسقاء.

لأن الاستسقاء ثلاثة أنواع:

الأول: الدعاء المجرد: كأن تقول على أي حال أو مكان اللهم أسقنا الغيث ودليله حديث عمير مولى أبي اللحم رضي الله عنه : «أَن رَسُول الله ﷺ استسقى عِنْدَ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٦٥٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٠١٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٨٩٧).

أَحْجَارِ الزَّيْتِ قَرِيبًا مِنَ الزَّوْرَاءِ قَائِمًا يَدْعُو يستسقى رَافعا يَدَيْهِ لَا يُجَاوز بهما رَأسه مُقبلا بباطن كفيه إِلَى وَجْهِهِ»[١]، أخرجه أبو داود.

الثاني: الدعاء في الخطبة: ودليله حديث أنس المذكور حيث قال النبي ﷺ : «**اللهم أغثنا ثلاثًا**».

الثالث: صلاة الاستسقاء: وهو الخروج إلى المصلى والصلاة بالناس، فعن عائشة عند أبي داود: قَالَتْ: "**شَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُول الله ﷺ قُحُوطَ الْمَطَرِ، فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ، فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّى، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَخَرَجَ رَسُول الله ﷺ ، حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَكَبَّرَ ﷺ ، وَحَمِدَ الله ﷻ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ، وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ الله ﷻ أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله، يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللهم أَنْتَ الله، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ»، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إِبِطَيْهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ، وَقَلَبَ، أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ، وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَنَزَلَ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ الله سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ الله، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَالَتِ السُّيُولُ، فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكِنِّ ضَحِكَ ﷺ ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَقَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنِّي عَبْدُ الله ورسوله ﷺ »**[٢].

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١١٦٨)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٠٢٨)، وقال فيه: هذا حديث صحيح. ورجاله رجال الشيخين إلا محمد بن سلمة المرادي فمن رجال مسلم.

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١١٧٣)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود .

قوله: (فهذا الحديث فيه أنهم توسلوا إلى الله لأ بدعاء أفضل الخلق): ولم يتوسلوا بذاته أو بجاهه، فهذه من البدع.

أما إذا قالوا نسألك يا محمد أن تسقينا؛ فهذا شرك أكبر مخرج من الملة، ولو كان ذلك مشروعا لفعله الصحابة رضي الله عنهم، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه.

قوله: (وقد استسقى عمر بن الخطاب): رضي الله عنهما وهو أمير المؤمنين بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم بالعباس بن عبدالمطلب أي طلب منه الدعاء.

والأثر أخرجه البخاري برقم: (١٠١٠): «عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه، كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ: «**اللهم إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا**»، **قَالَ: فَيُسْقَوْنَ**»

ولو كان التوسل بالذات لكن توسلهم بذات النبي صلى الله عليه وسلم أنفع لهم لأن ذات النبي صلى الله عليه وسلم لا تأكلها الأرض لكن إنما كان التوسل بدعاء الرجل الصالح ويشترط أن يكون حيًا حاضرًا قادرًا.

ومثله: توسل معاوية رضي الله عنهما: فعَنْ سُلَيْم بْنِ عَامِرٍ الْخَبَائِرِيِّ، أَنَّ السَّمَاءَ قُحِطَتْ، فَخَرَجَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنهما وَأَهْلُ دِمَشْقَ يَسْتَسْقُونَ فَلَمَّا قَعَدَ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ: **أَيْنَ يَزِيدُ بْنُ الأَسْوَدِ الْجُرَشِيُّ؟، فَنَادَاهُ النَّاسُ، فَأَقْبَلَ يَتَخَطَّى النَّاسَ، فَأَمَرَهُ مُعَاوِيَةُ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَعَدَ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: اللهم إِنَّا نَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ بِخَيْرِنَا وَأَفْضَلِنَا، اللهم أَنَّا نَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ بِيَزِيدَ بْنِ الأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ، يَا يَزِيدُ، ارْفَعْ يَدَيْكَ إِلَى اللهِ، فَرَفَعَ يَزِيدُ يَدَيْهِ، وَرَفَعَ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ، فَمَا كَانَ أَوْشَكَ أَنْ ثَارَتْ سَحَابَةٌ فِي الْغَرْبِ، كَأَنَّهَا تُرْسٌ، وَهَبَّتْ لَهَا رِيحٌ، فَسُقِينَا، حَتَّى كَادَ**

النَّاسُ أَنْ لا يَبْلُغُوا مَنَازِلَهُمْ. أخرجه ابن أبي عاصم في "**الآحاد والمثاني**" (٨٥٦).

قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "التوسل" (ص٤٦): ومن الغريب حقًا أنك ترى هؤلاء يعرضون عن أنواع التوسل المشروعة السابقة، فلا يكادون يستعلمون شيئًا منها في دعائهم أو تعليمهم الناس مع ثبوتها في الكتاب والسنة وأجماع الأمة عليها، وتراهم بدلًا من ذلك يعمدون إلى أدعية اخترعوها، وتوسلات ابتدعوها لم يشرعها الله عَزَّ وَجَلَّ، ولم يستعملها رسوله المصطفي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولم ينقل عن سلف هذه الأمة من أصحاب القرون الثلاثة الفاضلة، وأقل ما يقال فيها: إنها مختلف فيها، فما أجدرهم بقوله تبارك وتعالى: ﴿**أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ**﴾ [البقرة:٦١].

وهل هذه إلا أحد الشواهد العلمية: التي تؤكد صدق التابعي الجليل؟

حسان بن عطية المحاربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: "**ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سننهم مثلها، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة**".

هذا ولم ننفرد نحن بإنكار تلك التوسلات المبتدعة، بل سبقنا إلى إنكارها كبار الأئمة والعلماء، وتقرر ذلك في بعض المذاهب المتبعة.

ألا وهو مذهب أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد جاء في "**الدر المختار**" (٢/ ٦٣٠) وهو من أشهر كتب الحنفية - ما نصه:

عن أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه، المأمور به ما استفيد من قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف:١٨٠].اهـ

بيان البدعة الحسنة من السيئة

(٤٤) فَإِذَا قِيلَ لَكَ: هَلْ فِي الدِّينِ بِدعَةٌ حَسَنَةٌ؟ فَقُلْ: كُلُّ بِدْعَة ضَلَالَةٌ، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ العِرْبَاضِ المَذْكُورِ بِرَقْمِ (١٩)، وَفِيهِ: «كُلُّ بِدْعَةِ ضَلَالَةٌ».

وَحَدِيثُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَطَبَ... يَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيث كِتَابُ الله، وَخَيْرَ الهُدَى هُدَى مُحَمَّد، وَشَرَّ الأُمُور مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةِ ضَلَالَةٌ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا، لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ، وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، قَالَ: إِنَّهُمْ مِنِّي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

ساق المصنف حَفِظَهُ اللهُ هذه الفقرة للرد على من زعم أن في الدين بدعة حسنة، وهذا القول يخالف قول رسول الله ﷺ: «**فإن كل مُحْدَثَة بِدعَة، وكلَّ بدعة ضلالة**»، فأتى بلفظ: (كل) الدال على العموم.

ومعرفة البدعة من السنة من المسائل المهمة: فالبدع والمحدثات ليست من الدين، وإنما هي دين قام على الرأي والهوى والقياس الفاسد والاستحسان والغلو والجفاء والجهل والطعن في دين الله عَزَّ وَجَلَّ من قبل الزنادقة ونحوهم والتقليد للكفار ومن إليهم من علماء السوء، وغير ذلك، والله المستعان.

والبدعة: هي الدين الذي لم يشرعه الله عَزَّ وَجَلَّ.

فقولهم: (الدين): خرج الأفعال الدنيوية مثل لبس الساعة وركوب السيارة، ونحوها لكن لو قال أنا سأذكر الله ﷻ بين ظهر وعصر كل يوم اثنين بكذا وكذا من الأذكار لأنه يوم مبارك ولد فيه النبي ﷺ فتخصيص يوم الاثنين بمثل هذه العبادة بدعة لأنه أراد أن يتقرب إلى الله بشيء لم يشرعه الله.

وهنا قاعدة مهمة: (الأصل في العبادات التوقيف والمنع حتى يأتي الدليل، والأصل في العادات الإباحة):

فليس للعبد أن يتعبد الله جل وعلا إلا بما شرع رَسُول الله ﷺ .

قال جل وعلا: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾ [الشورى:٢١].

وفي الصحيحين: أن النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام قال: «**كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد**» [(١)].

قال ابن العثيمين رحمه الله في شرح "الأربعين النووية" (ص: ٩٧):

«مَنْ أَحْدَثَ فِيْ أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»:

(من): شرطية، و(أحدث): فعل الشرط، وجواب الشرط: (فهو رد).

واقترن الجواب بالفاء لأنه جملة اسمية، وكلما كان جواب الشرط جملة اسمية وجب اقترانه بالفاء، وعلى هذا قول الناظم فيما يجب اقترانه بالفاء:

اســـمية طلبيـــــة وبجامــــــد وبمـــا وقـــد وبلـــن وبـــالتنفيس

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٧١٨)، وجاء الحديث عند الإمام البخاري في صحيحه (٢٦٩٧)، وعند الإمام مسلم في صحيحه (١٧١٨)، بلفظ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ».

وقوله (فَهُوَ رَدٌّ): أي مردود، فـ: رَدٌّ مصدر بمعنى مفعول، والمصدر يأتي بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول، ومن إتيانه بمعنى المفعول قول الله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ﴾ [الطلاق:٦] أي محمول.

وقوله (مَنْ أَحْدَثَ): أي أوجد شيئًا لم يكن، (فِيْ أَمْرِنَا): أي في ديننا وشريعتنا، (مَا لَيْسَ مِنْهُ): أي مالم يشرعه الله ورسوله، (فَهُوَ رَدٌّ): فإنه مردود عليه حتى وإن صدر عن إخلاص.

وذلك لقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥].

ولقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

وهذا الحديث أصل من أصول الإسلام، دل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وكذلك الآيات التي سقناها دالة على هذا الأصل العظيم.

وقد اتفق العلماء رحمهم الله أن العبادة لا تصح إلا إذا جمعت أمرين:

أولهما: الإخلاص.

والثاني: المتابعة للرسول ﷺ، والمتابعة أخذت من هذا الحديث ومن الآية التي سقناها. اهـ

قوله (وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ): بيان أن البدع كلها ضلالة مخالفة للكتاب والسنة، ومن قسم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة فتقسيمه مردود عليه لأنه يخالف الدليل، وما خالف الدليل فهو باطل.

وأما قول عمر رضي الله عنه عن صلاة التراويح: نِعمَ البدعة، فيراد به البدعة اللغوية، وإلا فإن أصل صلاة التراويح وقيام رمضان موجود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه.

وأما حديث جرير رضي الله عنه عند مسلم: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»(١).

فالمراد بالسنة الحسنة: إحياء أمر قد دعا إليه القرآن والسنة، وليس معناه أنهم أحدثوا ما لم يأذن به الله.

فكل بدعة ضلالة، وكل محدثة في دين الله فهي بدعة، وجاء في رواية: «**وكل ضلالة في النار**»؛ لأنها ليست من الدين، ولو كان من البدع ما هو حسن لسبقنا إليه الصحابة رضي الله عنهم لحرصهم على الخير والواقع خلاف ذلك.

قال ابن وضاح رحمه الله في "كتاب البدع والنهي عنها" (ص: ١٥):

عن حارثة بن مضرب: "أن الناس نودي فيهم بعد نومة أنه من صلى في المسجد الأعظم دخل الجنة، فأنطلق النساء والرجال حتى امتلأ المسجد قيامًا يصلون قال أبو أسحق أن أمي وجدتي فيهم. فأتى بن مسعود فقيل له أدرك الناس. فقال ما لهم؟ قيل نودي فيهم بعد نومة أنه من صلى في المسجد الأعظم دخل الجنة، فخرج أبن مسعود يشير بثوبه ويلكم أخرجوا لا تعذبوا، إنما هي نفخة من الشيطان أنه لم ينزل كتابًا بعد نبيكم ولا ينزل بعد نبيكم فخرجوا

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٠١٧)، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

وجلسنا إلى عبد الله فقال إن الشيطان إذا أراد أن يوقع الكذب انطلق فتمثل رجلًا فيلقى آخر فيقول له أما بلغك الخبر فيقول الرجل وما ذاك فيقول كان من الأمر كذا وكذا فأنطلق وحدث أصحابك قال فينطلق الآخر فيقول لقد لقينا رجلًا إني لأتوهمه أعرف وجهه زعم أنه كان من الأمر كذا وكذا وما هو إلا الشيطان.اهـ

وعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السلمي قَالَ: قَالَ عَبْدُ الله بن مسعود رضي الله عنهما: «**اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، فَقَدْ كُفِيتُمْ**» أخرجه الدارمي.

وعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلاَلًا بَعِيدًا**»[(١)] أخرجه البخاري.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**من أحدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، وعند العلماء أن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها.

بمعنى لا يوفق للتوبة كما هو معنى حديث أنس -رضي الله عنهما-: «**إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته**»[(٢)] أخرجه ابن أبي عاصم في السنة.

ولذلك يُهجر أهل البدع مطلقًا، بخلاف أهل المعاصي، إلا إذا علم أن الهجر سبب لصلاحه.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٢٨٢).

(٢) أخرجه الإمام الطبراني في " الأوسط "(رقم ٤٣٦٠)، والبيهقي في " شعب الإيمان " (٢ / ٣٨٠ / ٢) وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله برقم (١٦٢٠)، وقال فيه: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير هارون بن موسى وهو الفروي، قال النسائي وتبعه الحافظ في " التقريب ": " لا بأس به " وقال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (١٠ / ١٨٩): " رواه الطبراني في " الأوسط " ورجاله رجال " الصحيح " غير هارون بن موسى الفروي وهو ثقة ".

وأما المبتدع فإنه يهجر حتى يتوب من بدعته، أو يموت على حاله.

ومن قول السلف رضوان الله عليهم: لا تشهد جنائزهم ولا يعاد مرضاهم ولا تحضر ولائمهم، وربما استدلوا بحديث يحسنه بعض أهل العلم: «**القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشيعهم**»[(١)]، أخرجه أبو داود.

وقد هجر النبي ﷺ كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضي الله عنهم لما وقع منهم ما وقع من التخلف عن غزوة تبوك وهم من الصحابة رضي الله عنهم.

واستدل العلماء بهذا الحديث على هجر أهل البدع، وهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا من أهل بدعة، لكن لما حصل منهم التخلف، خشي النبي ﷺ أن يكون قد أصابهم ما أصاب غيرهم من النفاق، فهجرهم حتى أظهر الله عز وجل توبتهم، وهجر أهل البدع: إجماع بين العلماء، كما نقله غير واحد.

والبدعة ضررها عظيم: وكان من شروط التوبة منها؛ أن يكون مع بقية الشروط الإصلاح والبيان.

قال الله عز وجل: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٠].

بيان شروط التوبة:

١- **الإخلاص**، لأن التوبة عبادة، والعبادة لا تصح إلا بالنية.

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٦٩١)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في المشكاة (١٠٧ -٢٩)، وفي صحيح أبي داود.

٢- وأن تكون في زمن تقبل فيه التوبة أي قبل الغرغرة، لحديث: «إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»[١]، أخرجه أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وقبل طلوع الشمس من مغربها؛ لحديث: «لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[٢] أخرجه الترمذي عن صفوان بن عسال رضي الله عنهما.

٣- الإقلاع عن الذنب. ٤- الندم على فعله. ٥- العزم على عدم العودة إليه.

فيشترط في توبة المبتدع: هذه الشروط الخمسة، ويُزاد إليها الإصلاح، أي إصلاح ما أفسد إن كان قد كتب كتبًا ينصر بها البدع، فعليه أن يكتب ما ينصر به السنة والبراءة من تلك البدعة.

ويضاف إلى هذه الشروط: البيان من أنه كان على ضلال حتى لا يغتر الناس ببدعته.

وانظر إلى الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله: لما تاب من بدعته الأشعرية، وقبل ذلك من الاعتزال، ففي "سير أعلام النبلاء" (١١/ ٣٩٤): **قال**: وَبَلَغَنَا أَنَّ أَبَا الحَسَنِ تَابَ وَصَعِدَ مِنْبَرَ البَصْرَة، وَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ أَقُول: بِخَلْقِ القُرْآنِ، وَأَنَّ الله لاَ يُرَى بِالأَبصَار، وَأَنَّ الشَّرَّ فِعْلِي لَيْسَ بقدرٍ، وَإِنِّي تَائِبٌ مُعتقدٌ الرّدَّ عَلَى المُعْتَزِلَة.اهـ

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٥٣٧)، وابن ماجه في سننه (٤٢٥٣)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي.

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٢٤٧٩)، من حديث معاوية م ، وجاء عند النسائي (٤١٧٢)، من حديث عبد الله بن وقدان السعدي رضي الله عنه، وكلا الحديثين يصححهما الإمام الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود.

قوله (وحديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما): وهو أبو عبدالله جابر بن عبدالله ابن حرام رضي الله عنهما قتل أبوه يوم أحد.

قوله (أن النبي ﷺ كان إذا خطب): أي في كل خطبة له سواء خطبة الجمعة أو العيد أو غيرها، وهذا التحذير من البدعة يدل على عظيم شرها.

قوله (يقولُ): أي بعد أن يحمد الله ويثني عليه **(أَمَّا بَعْدُ)**: كلمة يؤتى بها للفصل بين الحمد والثناء وبين ما بعدها.

قوله (فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللّهِ): أي القرآن، قال الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر:٢٣]. **(وَخَيْرَ الهُدَى)**: وفي بعضها الهدي، لكن الهُدى أبلغ. **(هُدَى مُحَمَّدٍ)**: سواء الهدي القولي أو الفعلي أو الاعتقادي. **(وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا)**: أي وشر ما يحذر ويتقى البدع المحدثة على غير مثال سابق، وكما قيل:

وخير الأمور السالفات على الهدى وشر الأمــور المحــدثات البــدائع

قوله (وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ): أي كل إحداث في الدين فهو ضلالة وليست من الهُدى في شيء بل من طريق الضالين المبتدعين.

قوله (عن أبي سعيد الخدري): هو سعد بن مالك أن النبي ﷺ .

قوله (أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ): أي متقدمكم الذي يصلحه لكم، وفيه إثبات الحوض، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:١-٢] .

وقال رسول الله ﷺ : «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ**

أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا»[(١)]، أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

قوله: (فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ): ولا يرده إلا المسلمون وأما غير المسلمين فإنهم يُطردون عن الحوض: **ويطرد عن الحوض طائفتين من أهل الملة:**

الأولى: أهل البدع: لما جاء في الصحيحين: عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي»[(٢)].

الثانية: بعض العصاة: فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: «أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ»، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟، قَالَ: «أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي.

يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَالصَّلَاةُ قُرْبَانٌ - أَوْ قَالَ: بُرْهَانٌ - يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ النَّارُ، أَوْلَى بِهِ. يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، النَّاسُ غَادِيَانِ: فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا»[(٣)] أخرجه أحمد.

قوله: (لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا): وهذا من عظيم نعيمه، سقانا الله منه.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٧٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٩٢).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٨٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٩٠، ٢٢٩٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٤٤٤١)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ برقم (٢٤٥).

قال النووي رحمه الله في "شرح مسلم" (١٥/ ٥٤): **وَالظَّمَأُ**: مَهْمُوزٌ مَقْصُورٌ كَمَا وَرَدَ بِهِ الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ، وَهُوَ الْعَطَشُ، يُقَالُ ظَمِئَ يَظْمَأُ ظَمَأً فَهُوَ ظَمْآنٌ، وَهُمْ ظِمَاءٌ بِالْمَدِّ كَعَطِشَ يَعْطَشُ عَطَشًا فَهُوَ عَطْشَانٌ، وَهُمْ عِطَاشٌ.

قَالَ الْقَاضِي: ظَاهِرُ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الشُّرْبَ مِنْهُ يَكُونُ بَعْدَ الْحِسَابِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ فَهَذَا هُوَ الَّذِي لَا يُظْمَأُ بَعْدَهُ. **قَالَ**: وَقِيلَ لَا يَشْرَبُ مِنْهُ إِلَّا مَنْ قُدِّرَ لَهُ السَّلَامَةُ مِنَ النَّارِ. **قَالَ**: وَيَحْتَمِلُ أَنَّ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَقُدِّرَ عَلَيْهِ دُخُولُ النَّارِ لَا يُعَذَّبُ فِيهَا بِالظَّمَأِ، بَلْ يَكُونُ عَذَابُهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ ظَاهِرَ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ جَمِيعَ الْأُمَّةِ يَشْرَبُ مِنْهُ إِلَّا مَنِ ارْتَدَّ وَصَارَ كَافِرًا.اهـ

قوله (إِنَّهُمْ مِنِّي): أي على ما ظهر له وفيه حرص النبي ﷺ على أمته.

قوله (فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ): أي يقال له إنك لا تعلم ما وقعوا فيه من البدع بعد موتك، وفيه أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب قال الله عز وجل: ﴿**قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**﴾ [النمل:٦٥]. وهذا رد على الصوفية الذين يدعونه ويرجونه من دون الله عز وجل.

قوله (فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا) أي بعدًا بعدًا، وقولهم: في مكان سحيق، أي: بعيد. **(لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي)**: أي ابتدع في دين الله عز وجل بتركٍ أو فعلا.

والشاهد أن هذه الفقرة فيها: التحذير من البدع بأنواعها سواء البدع المكفرة، والتحذير منها أشد، أو البدع المفسقة والتحذير منها حاصل.

والإنسان عليه أن يلازم سنة النبي ﷺ القولية والفعلية والاعتقادية؛ لقول النبي ﷺ : «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور**»[1] أخرجه الترمذي وأبو داود، والله الموفق.

---

(١)أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٦٠٧)، والإمام الترمذي في سننه (٢٦٧٦)، والإمام ابن ماجه في سننه

شر البرية الذين يجب علينا بغضهم

٤٥ فَإِذَا قيلَ لَكَ: مَنْ شَرُّ البَرِيَّةِ الَّذينَ يَجِبُ عَلَيْنَا بُغْضُهُمْ؟ فَقُلْ: هُمُ اليَهُودُ، وَالنَّصَارَى، وَالمُشْرِكُونَ، وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ذكر المصنف حفظه الله هذه الفقرة للتحذير من الاغترار بالكفار ودينهم، لأن كثيرًا من الناس بسبب جهلهم تأثروا بأخلاق الكفار المزيفة وعقائدهم، ولو كانوا من ذوي الأخلاق لآمنوا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا.

وقد قال الله ﷻ في شأنهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

ووصفهم بالأنعام في جميع شأنهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد:١٢]. ووصفهم بأنهم: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٧١].

قوله (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ شَرُّ البَرِيَّةِ): أي شر المخلوقات، اشتق من البري وهو الخلق.

قوله (الَّذِينَ يَجِبُ عَلَيْنَا بُغْضُهُمْ): لأن الكفار من اليهود والنصارى ومن

---

(٤٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٩٢١)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

إليهم لا تجوز محبتهم، قال الله ﷻ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ [الممتحنة:٤].

فهذا دليل: على أنهم لا يحبون وأن حبهم لما هم عليه من الدين يعتبر من الكفر الأكبر المخرج من الملة ويجب على المسلمين أن يتبرؤوا من طريقهم وأن لا تكون بينهم وبينهم الموالاة، إلا كما قال الله ﷻ: ﴿**إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً**﴾ [آل عمران:٢٨].

وقال الله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ**﴾ [الممتحنة:١].

فاليهود والنصارى ومن إليهم: حادوا الله ﷻ ورسوله ﷺ وحاربوا الله ورسوله ﷺ وكذَّبوا الله ورسوله ﷺ والمحبة لما هم عليه من الدين تناقض دين الإسلام.

وهم أشر من الخنازير والكلاب: قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

لأن الأنعام غير مكلفة وليست بذوات عقل وإنما هي بهيمةٌ عجماء وأما هؤلاء فآتاهم الله سمعًا وأبصارًا وأفئدة، لكن لم يستفيدوا منها كما قال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف:٢٦]. وبغضهم ليس من المستحبات أو المباحات بل من الواجبات،

قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [التوبة:٢٣] .

وليعلم من يسارع إليهم أنهم لن يرضوا عنه حتى يكفر بمحمد ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ ﴾ [البقرة:١٢٠].

وقال الله تعالى مبينًا حسدهم للمؤمنين: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [البقرة:١٠٥].

وقال الله ﷻ مبينًا شدة عداوتهم للمؤمنين: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ [المائدة:٨٢].

والآية نزلت في النجاشي: وإلا فإن النصارى يبغضون أهل الإسلام، كما هو معلوم في تاريخهم الماضي والحاضر، فكم قاموا به من المذابح، والظلم، والاستغلال، والفتك بأهل الإسلام، وما أدخل اليهود إلى فلسطين إلا النصارى بما يسمى بوعد بلفور لعنة الله عليهم تترى.

فمن يتولهم ظاهرًا باطنًا فهو كافر كفر أكبر مخرج من الملة: قال الله ﷻ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١] وأما من اتقى شرهم، كما قال الله ﷻ: ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ ﴾ [آل عمران:٢٨] أو كانت بينه وبينهم عهود

ومواثيق فإن ذلك لا يؤثر فقد صالح النبي ﷺ الكفار في غزوة الحديبية، وكانت بينه وبين اليهود عهود ومواثيق، كما هو معلوم في السيرة.

قوله (فَقُلْ: هُمُ اليَهُودُ): المنسوبون إلى دين موسى -عليه السلام- ذكرهم لشهرتهم وشهرة فسادهم وإعراضهم.

قوله (وَالنَّصَارَى): المنسوب إلى دين عيسى -عليه السلام-، وقد نصبوا العداء للإسلام وأهله، ولو كانوا أتباعًا لأنبيائهم لآمنوا بمحمد ﷺ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١) أخرجه مسلم.

قوله (والمشركون): يدخل فيهم اليهود والنصارى وهذا من الإجمال بعد التفصيل ويدخل فيهم المجوس وعباد الأوثان والقبور والجن والشياطين وغير ذلك فكل من عبد مع الله عز وجل غيره فهو مشرك.

قوله (والدليل): أي على أنهم شر البرية قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ**﴾ [البينة:٦]، وقال تعالى: ﴿وماهم بخارجين من النار﴾. وقال الله عز وجل:﴿**لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ**﴾ [فاطر:٣٦].

وقال تعالى: ﴿**كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ**﴾ [النساء:٥٦].

(١)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٥٣).

قوله (أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ): أولئك اسم إشارة لما تقدم من اليهود والنصارى والمشركين فهم شر البرية والأشرار لا يجوز أن يتأسى بهم، لأن التأسي بهم يؤدي إلى غضب الله ﷻ والخسران المبين في الدنيا والآخرة.

والعجب أن كثيرًا من الناس يميل إلى اليهود والنصارى غافلا أو متغافلا عن مثل هذه الآية التي تصفهم بشر البرية، وربما تأثر بحياتهم المادية ولا عبرة بها، إذ أن العبرة بموافقة الكتاب والسنة.

فعَنْ سَهْلٍ رضي الله عنه ، قَالَ: **مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُول الله ﷺ** ، **فَقَالَ**: «**مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟**» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ المُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «**مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟**» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ : «**هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**»[1].

وقد قال الله ﷻ في بيان حال المشركين يوم القيامة: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥].

وفي الحديث: «**يؤتى بالرجل العظيم السمين لا يزن عند الله جناح بعوضه**»[2] أخرجه الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنهما.

قوله (﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة:٢٢]).وتتمة الآية: ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾ .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٠٩١).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧٢٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٨٥).

فلما كتب الله في قلوبهم الإيمان تنكروا للكافرين برب العالمين وأبغضوهم وعادوهم وقاتلوهم بأمر الله عَزَّوَجَلَّ.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٣-٢٤].

فكيف تقع مودة في قلب المؤمن لرجل جعل عيسى ربه وعبده من دون الله عَزَّوَجَلَّ وآخر جعل عزيرًا ربه وعبده من دون الله عَزَّوَجَلَّ، وعبد الأوثان والأصنام والحجارة والصماء العمياء التي لا تنفع ولا تضره، وكيف يقع الحب والولاء لهم، وهم يكذبون محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويطعنون في ما جاء به من الحق، فإذا لم يكن حبك وبغضك لدين الله عَزَّوَجَلَّ وما إليه فلا خير فيك قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ الله ورسوله أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»(١) متفق عليه. وبالله التوفيق.

❁❁❁

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٣).

تعريف الديمقراطية

(٤٦) فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا هِيَ الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ؟ فَقُلْ: هِيَ حُكْمُ الشَّعْبِ نَفْسَهُ بِنَفْسِه، بِغَيْرِ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ.

ذكر المصنف حَفِظَهُ اللهُ هذه الفقرة لبيان فتنة عظيمة راجت على كثير من الناس بسبب الجهل والبعد عن الكتاب والسنة، وهي طريقة مأخوذة من الكفار أعداء دين رب العالمين، وطريقة سيد المرسلين ﷺ.

والديمقراطية: (١) كلمة يونانية، تتكون من مقطعين:

١ – **ديمو**: (DEMO) ومعناها: الشعب.

٢ – **قرطس**: (KRATS) ومعناها السلطة.

والكلمة مجملة، تعني: (سلطة الشعب)، وبتعبير آخر: (حكم الشعب نفسه بنفسه). وقد عرّفها الرئيس الأمريكي «لنكولن» بأنها: حكم الشعب بالشعب وللشعب.

والديمقراطية، هي المذهب الذي يرجع أهل السلطة السياسية إلى الإرادة العامة للأمة.

وقال أحمد بن عبد الكريم: يشير مفهوم الديمقراطية إلى نسق سياسي قائم على مبدأ ممارسة الحكم من خلال موافقة المحكومين وتقبلهم له.

ومن هذه الموافقة تستمد الحكومة شرعيتها، وبالتالي تصبح الديمقراطية

---

(١) شرح هذه الفقرة منسوخ من كتابي الأدلة الرضية في بيان حكم الديمقراطية.

مذهبًا فلسفيًا، ونظامًا تطبيقيًا للحكم، في الوقت نفسه فهي كنظام فلسفي تعني: أن الأمة هي مصدر السلطة والقوة، وإرادتها منبع السيادة ومصدرها في الدولة، ولا تكون هذه السيادة شرعية إلا إذا انبعثت من إرادة الأمة، واستندت إليها.

وهي كنظام حكم تكفل الحقوق والحريات الفردية، وبالتالي يصبح الشكل الديمقراطي للحكم طريقة حياة، وطريقة للنظر إلى الأشياء والشعور تجاه الإنسانية والمجتمع والسلوك الإنساني. اهـ[(١)].

فانظر أخي المسلم: هل تجد في تعريف الديمقراطية إشارة إلى العمل بدين الإسلام، والتعبد لله ﷻ أم نظرتها إلى إرادة الأمة والحرية الفردية، ولو كانت في الشرك والزنا، ونحو ذلك.

بيان نشأتها:

فكرت الديمقراطية ظهرت قبل الميلاد من أناس ملحدين وفلاسفة تائهين، حيث شهدت مدينتي أثينا وإسبراط اليونانيتين تطبيق هذه الفكرة.

وقد عبر عنها أفلاطون بقوله: إن مصدر السيادة هو الإرادة المتحدة للمدينة، أي الشعب. في حين وضع أرسطو أنواع الحكومات فقال: إنها ثلاث:

❋ ملكية، ❋ وأرستقراطية، ❋ وجمهورية. أي، يتولى الشعب زمام أموره بنفسه.

ثم اندثرت بعد ذلك الديمقراطية، وعاشت أوروبا تحت نظام الإقطاع لقرون طويلة، ثم ظهرت من جديد حيثُ لعبت الأيدي اليهودية بجد على ظهورها

(١) من «الديمقراطية في اليمن» ص(٦٥).

تحت شعار ما يسمى (بالماسونية).

والماسونية: معناها البناؤون الأحرار.

وهي في الاصطلاح: منظمة يهودية سرية هدامة إرهابية غامضة، محكمة التنظيم، تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد.

وتتستر تحت شعارات خداعة: (**حرية – إخاء – مساواة– إنسانية**)، جُلّ أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم، من يوثقهم عهدًا بحفظ الأسرار.

ويقيمون ما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام، تمهيدًا لتأسيس جمهورية ديمقراطية عالمية، كما يدَّعون، وتتخذ الموصولية والنفعية أساسًا لتحقيق أغراضها في تكوين حكومة لا دينية عالمية.

بيان أهداف الماسونية:

١– القضاء على جميع الأديان تحت شعار (الدين لله، والوطن للجميع).

٢– تكوين جمهورية ديمقراطية لا دينية عالمية فوضوية.

٣– جعل الماسونية سيدة الأحزاب.

٤– القضاء على الأخلاق.

٥– نشر الإباحية والانحلال.

٦– إسقاط الحكومات الشرعية.

٧– تسليح الشعوب المتصارعة لإشعال نار الفتنة.

وكان للمفكر الإنجليزي (جون لوك) دور كبير في الدعوة إلى مبادئ الديمقراطية في القرن السابع عشر ضد السلطان المطلق للملوك، وتأثيره الكبير في المفكرين عامة، خلال القرن الثامن عشر خاصة، (فولتير) و(منتسيكر) و(روسو) من المفكرين الفرنسيين أدى ظهور هؤلاء المفكرين إلى قيام الثورة الإمريكية، وإعلان الاستقلال عام ١٧٧٦م، وتقرير مبدأ الحقوق والحريات للأفراد.

وقامت قبل ذلك الثورة الإنجليزية: عام ١٦٤٩م وعام ١٦٨٨م، وأعلنت وثيقة الحقوق سنة ١٦٨٩م التي أرست النظام البرلماني.

وكان لتعاليم دعاة الديمقراطية خاصة (روسو) وقيام الثورة الإنجليزية وبعدها الأمريكية وبداية المناداة بها في الثورة الفرنسية، تحت شعار الحرية، الإخاء، المساوة. ثم بلورت ذلك في إطار قانوني ملزم، وكان ذلك في إعلان الحقوق الفرنسي الصادر عام (١٧٨٩م)، حيث جاء في المادة الثالثة (الأمة مصدر السيادة ومستودعها وكل شخص يتولى الحكم إنما يستمد سلطته منها).

ثم بثّ في الدستور الفرنسي الصادر عام (١٧٩١م)، (فنص على أن السيادة ملك للأمة، ولا تقبل التجزئة ولا التنازل عنها ولا التملك بالتقادم.

فتلخص من هذا: أن الثورة الفرنسية، ومن قبلها الأمريكية والإنجليزية نقلت المبدأ الديمقراطي الذي نادى به المفكرون إلى مبدأ وضعي مطبق بالفعل، ومنصوص عليه في دساتير الحكم المختلفة.

ثم انتشرت فكرة الديمقراطية بين الدول العالمية، وجميعهم استقوها من فرنسا.

بل قد أنخرط في هذه الاستجابة كثير من الدول الإسلامية، والله المستعان.

فتأمل وفقك الله: مما تقدم تجد أن الديمقراطية طريق وضعه الكفار من اليهود والنصارى والملاحدة وجعلوا الحكم والسلطة للشعب، وتناسوا لبعدهم عن الدين أن الحكم لله جل وعز، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى:١٠]. وقال سبحانه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام:٥٧].

وقال أيضًا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤].

وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة:٤٥].

وقال:﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٧].

فنحن عبيد الله، والكون ملك الله يسيره كيف يشاء، فينبغي أن نسير على ما يحبه ويرضاه، ونجتنب ما يبغضه ويأباه.

بيان مبادئ الديمقراطية: وللديمقراطية مبادئ وأسس تسير عليها:

١- **سيادة الأمة**، فمن المعلوم أن السيادة المطلقة لله ﷻ، فعند أن قالوا لرَسُول الله ﷺ: يا سيدنا، قال: «السيد الله» فهو الذي حقه أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، وهو السيد الكامل له الحمد، ونحن عبيده، والكون ملكه.

٢- **الحكومة النيابية**.

ومعناها: أن الحكومات يشكلها ويوافق عليها المجالس النيابية المنتخبة من قبل الشعب.

٣- فصل السلطات.

تشريعية: وهي التي تسن القوانين.

تنفيذية: وهي التي تعمل على تنفيذ هذه القوانين الوضعية.

قضائية: وهي التي تفصل بين المتخاصمين بهذه القوانين الوضعية.

٤- علو الدستور الوضعي.

ومعنى هذا: أن لا صوت يعلو فوق الدستور، ولو كان كتاب الله وسنة رَسُول الله ﷺ.

٥- الحقوق الفردية، أو الحريات العامة.

بمعنى أن كل فرد له حرية الدين والفعل والقول ما لم يتعارض مع حق غيره.

٦- تعدد الأحزاب، والطوائف.

مخالفين أمر الله ﷻ قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم: ٣١-٣٢].

وكلها مبادئ تتعارض مع الكتاب والسنة.

وتعرّف السيادة عند أصحاب الديمقراطية: أنها تلك السلطة العليا التي تملك حق التشريع ولا تعرف بجانبها أو فوقها تنظيم، فهي سلطة تسموا فوق الجميع، وتفرض نفسها على الجميع بما تملك من سلطة الأمر والنهي العليا.

ومن تصور معنا: هذه الجملة، السلطة للشعب، لا يشك بأن النظام الديمقراطي، نظام إلحادي جاهلي، لا يصلح للبلدان الإسلامية، التي تؤمن

بالوحي المنزل من الله ﷻ، قال تعالى: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النمل:٦٣].

ونظرية السيادة: جاءت من اليهود والنصارى في أوروبا عند أن أرهقهم حكامهم الذين يحكمون بدينهم المحرف المبدل، فجعل الملوك السيادة لهم، وجعل الناقمون عليهم السيادة، للشعب.

أما الشريعة الإسلامية فقد بين الله سبحانه وتعالى الحقوق التي على الحكام والمحكومين.

فالسيادة المطلقة في ديننا لله تعالى، فلا ينازع جل وعز في سلطانه، إذ له الخلق والأمر، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران:٢٦].

الفروق بين دين الله ﷻ ودين الديمقراطيين:

الديمقراطية دينٌ يسير عليه أصحابه يحل لهم ويحرم، ويأمر وينهي، وهم يحاولون العمل به والدعوة إليه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا.

وإليك الفروق الجلية بين دين الله ﷻ ودين الديمقراطيين:

ولبيان فساد الديمقراطية أذكر هنا فروقًا بين دين الإسلام وبينها:

١- دين الله ﷻ يدعو الناس إلى إفراد الله ﷻ بالعبادة.

ودين الديمقراطيين يدعو الناس إلى حرية الاعتقاد، فلا فرق عندهم بين عبادة الله ﷻ وبين عبادة الوثن والصنم.

٢- دين الله ﷻ يدعو إلى تحكيم الكتاب والسنة.

بينما دين الديمقراطيين يدعو إلى الحكم بالأحكام التي وضعها البشر، وإن كانت فيها المحادة لله ولرسوله ﷺ.

٣- دين الله ﷻ من عند الله سبحانه وتعالى محفوظ يحفظه.

بينما دين الديمقراطيين نتاج لأفكار الفلاسفة والملاحدة ومنكري البعث، من الشيوعيين واللادينين وغيرهم.

٤- دين الله ﷻ يدعو إلى مكارم الأخلاق والبعد عن سفاسفها.

بينما دين الديمقراطيين يدعو إلى سفاسف الأخلاق والخنا والفجور.

٥- دين الله ﷻ حد للناس حدودًا وأوجب عليهم عدم مخالفتها، وفيها صلاح دينهم ودنياهم وآخرتهم.

بينما دين الديمقراطيين جعل للفرد الحرية المطلقة مما جعل الناس كالبهائم، لا يتورعون عن باطل فعلوه، وكأنهم غير مكلفين.

٦- دين الله ﷻ كرَّم المرأة، وأمرها بالحشمة والعفة.

بينما دين الديمقراطيين أهان المرأة، ودعاها إلى الخنا والفجور والتحلل والسفور.

٧- دين الله ﷻ العزة فيه لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين.

بينما دين الديمقراطيين العزة فيه للعلمانيين والاشتراكيين والعصاة، ومن كان عن شرعة الله من المتمردين.

٨- دين الله ﷻ جعل القوامة للرجال على النساء في الولايات العامة والخاصة والبيت، إلى غير ذلك.

بينما دين الديمقراطيين رفع المرأة فوق قدرها، ودعا إلى قوامتها على الرجال، وتوليتها الولايات العامة والخاصة، وقد قال رسول الله ﷺ: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة». أخرجه البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه.

٩- دين الله عز وجل هو الإسلام الذي فيه كل خير.

بينما دين الديمقراطيين حرب على الإسلام وأهله، وهذا هو الهدف الذي من أجله أسسها الماسونيون اليهود، ودعوا إليها، وعظموا شأنها، وزينوها بالشعارات الجوفاء.

فيا أمة الإسلام اتقوا الله وعودوا إلى كتاب ربكم وسنة نبيكم، إن أردتم العزة والسؤدد في الدنيا والآخرة.

وأسأل الله عز وجل بمنّه وكرمه أن يبصر المسلمين بدينهم، ويردهم إلى سنة نبيهم، وأن يذل الكافرين ويخذلهم، إنه على كل شيء قدير.

وقد تكلمت عن هذا الطاغوت بأوسع مما ذكر في كتابي "**الأدلة الرضية في حكم الديمقراطية**".

❁❁❁

حكم الديموقراطية

(٤٧) فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا حُكْمُهَا؟ فَقُلْ: هِيَ شِرْكٌ أَكْبَرُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

ساق المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان خطر اعتقاد الديمقراطية، وقد بوب الشيخ مقبل رحمه الله في بعض كتبه: (الديمقراطية كفر)، لما تقدم من جعل السيادة المطلقة للشعب وغير ذلك.

ونذكر هنا بعض المفاسد التي تصدر عن المجالس النيابية التي هي أسس النظام الديمقراطي فمنها:

١- هذه المجالس لها صفة الاستقلالية المطلقة في التشريع، فلها أن تشرع، بدون الرجوع إلى الكتاب والسنة، وبما أن لها هذه الاستقلالية فقد تشرع ما حرم الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم.

٢- المجالس النيابية بما أن لها الاستقلالية الكاملة والمطلقة في التشريع، فقد يقدم لها حكم الله عز وجل، كتحريم الخمر، فتناقشه كرأي، وربما أقرته، وربما أوقفته، وربما ردته، فهل بعد هذا من ضلال، اللهم سلم.

٣- المجالس النيابية الديمقراطية تحارب شرع الله، وتصوت ضده، فربما جوزت الشرك والفساد، إلى غير ذلك.

٤- المجالس النيابية مرجعيتها الدساتير الوضعية، لا الكتاب والسنة.

فبهذا تعلم خطر ما عليه الديمقراطيون من محاربة لشرع الله ﷻ، وتحاكم إلى غير الله ﷻ، وتشريع لم يشرعه الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [المائدة:٥٠].

وقال: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى:٢١].

وقال: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ [الفتح:١٥].

وقال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

بينما تجد أن الدين الإسلامي يقرر أن التشريع حق لله ﷻ، فهو الواحد الأحد العالم بما يصلح للخلق أجمع، ولقد أرسل الرسل وأنزل الكتب وشرع الشرائع، ليكون الدين كله لله ﷻ.

وأمر رسوله ﷺ أن يحكم بين الناس بشرعه يقول: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء:١٠٥]. وقال: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة:٤٩].

بينما النظام الديمقراطي الظالم يدعو الشعب إلى اختيار ممثلين لهم، ثم يشرع الممثلون القوانين الوضعية، فيسير الناس عليها، ويعملون بها، ويطبقونها.

وقد ذم الله ﷻ أهل الكتاب حيت اتخذوا علمائهم أربابًا من دون الله، قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله. اهـ

والديمقراطيون جعلوا التشريع للشعب كما جعل اليهود والنصارى التشريع لأحبارهم ورهبانهم.

بيان المخالفات التي ترتكب من قبل النيابيين في التوحيد:

وقد أخبر النبي ﷺ أن من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ الحسنى: (**الحكم**):

كما في حديث أبي شريح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند أحمد: «**إن الله هو الحكم إليه الحكم**»(١).

ويقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ﴾ [الرعد:٤١].

ومن صفاته العلي أنه يحكم بين عباده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ﴾ [الزمر:٣].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ منكرًا على كفار قريش عند أن طلبوا من نبيه التحاكم إلى غير شرع الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا﴾ [الأنعام:١١٤].

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ **في تفسير هذه الآية**: قل لهم يا محمد كيف أضل وأبتغي غير الله حكمًا، والحَكَم أبلغ من الحاكم، كما تقرر في مثل هذه الصفة المشتقة. أمره سبحانه وتعالى أن ينكر عليهم ما طلبوه منه من أن يجعل بينه وبينهم حكمًا فيما اختلفوا فيه. اهـ

قوله (فقل: هي شرك أكبر): أي مخرج من الملة، وشركها في

---

(١)أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٩٥٥)، والإمام النسائي في سننه (٥٣٨٧)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ برقم (١١٨١)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

توحيد الأسماء والصفات وفي الألوهية على ما تقدم فهي تضاد حكم الله قال الله ﷻ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [التين:٨].

وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ»(١)، أخرجه أبو داود عن أبي شريح رضي الله عنه .

قوله (والدليل: قول الله تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [يوسف:٤٠]):

أي الحكم الشرعي الموافق لمصالح العباد ظاهرًا وباطنًا دنيويًا وأخرويًا هو حكم الله فيجب أن يأخذ العباد به، كما أن الحكم الكوني له تعالى في تصريف الحال وفق مشيئته. وقد قال الله ﷻ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة:٤٥]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٧]، على تفصيل معلوم عند أهل العلم بأن الأصل في الحكم بغير ما أنزل الله ﷻ أنه كفر دون كفر إلا في حالات:

الأول: إذا كان يعتقد أن حكم الله لا يصلح لهذا الزمن.

الثاني: إذا كان يعتقد أن حكم غير الله كحكم الله أو أحسن.

قوله (وقوله: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٢٦]):

أي حكمه القدري والشرعي وقد أنزل أحكامه في القرآن وأوحاها إلى النبي ﷺ كما في صحيح السنة.

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٩٥٥)، والإمام النسائي في سننه (٥٣٨٧)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١١٨١)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

فلا يجوز أن يحكم بغير الكتاب والسنة فمن حكم بالهوى أو الراي الباطل فإنه على ضلال.

قال الله ﷻ: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص:٢٦].

تنبيه: بقي أن يعلم أن حكمنا على الديمقراطية بالكفر لا يعني أننا نكفر المجتمعات المسلمة ولا حكامهم المسلمين، وإنما هذا الحكم هو على الفكرة من حيث هي، أما الحكم على المعين فإنه يختلف من شخص إلى شخص فمن توفرت فيه الشروط وانتفت الموانع كان كافرًا ومن لا فلا.

وأهل السنة والجماعة من أبعد الناس عن فكر الخوارج والمعتزلة، ومن سار على سيرهم من الإخوان المسلمين والسروريين القطبيين، وحجتهم على ذلك.

حديث أن رسول الله ﷺ قال: «**أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**»(١).

وقال أيضًا: «**إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما**».

ومع ذلك لا يسعهم السكوت عن منكر، وإن كثر من يدعو إليه؛ لقول رسول الله ﷺ كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: **قَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «**لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ فِي حَقٍّ إِذَا رَآهُ، أَوْ شَهِدَهُ أَوْ سَمِعَهُ** »(٢).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري (٦١٠٤)، والإمام مسلم في صحيحهما (٦٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في سننه (١١٠١٧)، وهو في "**الصحيح المسند**" للإمام الوادعي رحمه الله (٤١٤).

ولحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ اللَّهَ لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَقُولَ: مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَهُ؟ فَإِذَا لَقَّنَ اللهُ عَبْدًا حُجَّتَهُ، قَالَ: يَا رَبِّ رَجَوْتُكَ، وَفَرِقْتُ مِنَ النَّاسِ**»[1]، والله المستعان.

❁❁❁

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٤٠١٧)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٣٩٧).

حقيقة الانتخابات

(٤٨) فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا حَقِيقَةُ الانْتِخَابَاتِ؟ فَقُلْ: هِيَ مِنَ النِّظَامِ الدِّيمُقْرَاطِيِّ المُنَابِذ لِشَرْعِ اللهِ الحَقِّ، وَهِيَ تَشَبُّهٌ بِالكُفَّارِ، وَالتَّشَبُّهُ بِهِمْ لَا يَجُوزُ، وَفِيهَا ضَرَرٌ كَثِيرٌ، وَلَيْسَ فِيهَا أَيُّ نَفْعٍ وَلَا أَيُّ فَائِدَةٍ لِلمُسْلِمِينَ.

وَمِنْ أَهَمِّ أَضْرَارِهَا: مُسَاوَاةُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ وَالمُحِقِّ بِالمُبْطِلِ حَسبَ الأَكْثَرِيَّةِ، وَتَضْيِيعُ الوَلَاءِ وَالبَرَاءِ، وَتَمْزِيقُ شَمْلِ المُسْلِمِينَ، وَإِلْقَاءُ العَدَاوَةِ وَالبَغْضَاءِ وَالتَّحَزُّبِ وَالتَّعَصُّبِ بَيْنَهُمْ، وَالغِشِّ، وَالخِدَاعِ، وَالاحْتِيَالِ، وَالزُّورِ، وَضَيَاعُ الأَوْقَاتِ وَالأَمْوَالِ، وَإِهْدَارُ حِشْمَةِ النِّسَاءِ، وَزَعْزَعَةُ الثِّقَةِ فِي عُلُومِ الشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَأَهْلِهَا.

ذكر المصنف حفظه الله هذه الفقرة للتحذير من شر مستطير وفتنة عظيمة، وهي نتاج من نتائج الديمقراطية، حيث أن الانتخابات عندهم هي الطريق لاختيار الحاكم وأعضاء المجالس النيابة، وغير ذلك.

أسباب تحريم الانتخابات:

وقولنا في الانتخابات أنها محرمة لأمور أجملها في الآتي:

١- الانتخابات تقليد للكافرين، والله عز وجل يقول: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾[الروم: ٣١-٣٢].

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(١).

---

(١)من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٠٣١)، وقال الإمام الألباني رحمه الله فيه: حسن صحيح، وصححه في الإرواء برقم (١٢٦٩).

٢- الانتخابات فيها مساواة الرّجل بالمرأة، والحرّ بالعبد، والعاصي الفاسق بالمتّقي الطائع، والعالم بالجاهل، والله ﷻ يقول: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ [المائدة:١٠٠].

ويقول: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦]. ويقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦].

ويقول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].

٣- الانتخابات فيها تصوير ذوات الأرواح، ورسول الله ﷺ لعن المصوّر كما في حديث أبي جحيفة رضي الله عنه عند البخاري، وقال: «**من صوّر صورة كلّف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ**»[١].

ويقول ﷺ: «**يخرج من النّار عنقٌ يقول: وكّلت بثلاثة**»[٢].

٤- هذه الانتخابات فيها قول الزّور والكذب، ورسول الله ﷺ يقول: «**الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقول الزّور**»[٣].

وقد امتدح الله المؤمنين بأنّهم لا يشهدون الزّور: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان:٧٢].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٢٢٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١١٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٥٧٤)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٤٠٦)، وقال فيه: هذا حديث صحيح ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٦٥٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٨٧)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

٥- الانتخابات يقع فيها إزهاق الأنفس؛ عصبية لحزب، أو مرشح.

وقد قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٣].

ورسول الله ﷺ يقول: «**لا يزال المؤمن في فسحة من دينه مالم يصب دمًا حرامًا**»(١).

تحريم الخروج على الحكام:

٦- الانتخابات فيها الخروج على الحاكم المسلم، ومنازعته ملكه.

وقد أوجب الله تعالى السمع والطاعة لأمراء المسلمين في غير معصية الله تعالى. ومن الأدلة قول الله ﷻ: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [النساء:٥٩].

ويقول النبي ﷺ: «**فَإِنَّ مِنْ طَاعَةِ اللهِ أَنْ تُطِيعُونِي، وَإِنَّ مِنْ طَاعَتِي أَنْ تُطِيعُوا أَئِمَّتَكُمْ**»؛ أخرجه أحمد (٥٦٧٩)، عن ابن عمر رضي الله عنه.

وفي الصحيحين: البخاري (٧١٢٧) ومسلم (١٨٣٩): عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي**».

وكانت من البيعة التي يأخذها رسول الله ﷺ على أصحابه السمع والطاعة، والأمر الذي أمر به تجاه الأئمة السمع والطاعة.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٨٦٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ففي حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ في مسلم (١٨٣٦): «**عَلَيْكَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ**».

ففي الحديث وجوب السمع والطاعة في جميع الحالات واللحظات إلا أن يأمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

ففي حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «**عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**»؛ أخرجه البخاري (٢٩٥٥)، ومسلم (١٨٣٩).

وفي حديث علي رَضِيَٱللَّهُعَنهُ : «**لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**»؛ أخرجه البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (١٨٤٠).

ومن تمت له البيعة واستتب له الأمر من المسلمين: فلا يجوز الخروج عليه، ولا منازعته، ومن خرج عليه، أو نازعه كان من المشاقين المخالفين لكتاب رب العالمين وسنة سيد المرسلين، ففي حديث أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنهُ : «**إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا**»؛ أخرجه مسلم (١٨٥٣).

وعن عرفجة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ**»؛ أخرجه مسلم (١٨٥٢). وإن جار وظلم، فالجور والظلم عليه، ولا يجوز الخروج عليه.

ففي حديث حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ : «**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**»، أخرجه مسلم (١٨٤٧)؛ وهذا الحديث وإن كان قد طعن فيه لعدم سماع أبي سلام ممطور من حذيفة إلا أنه في الباب، وذلك أن ضربه لك بالظلم إثمه عليه وضرره عليك، لكن الخروج إثمه عليك وضرره متعدي

يقع به فساد البلاد والعباد، والإمام جنة يحفظ به الأمن، وتستتب به الأمور، وتقام به الحدود وتحفظ به الأموال والأعراض.

ففي مسلم (١٨٤١): من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ عز وجل وَعَدَلَ كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ**».

والخروج ضرره عظيم، ففي حديث أبي هريرة عند مسلم (١٨٤٨) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ خَرَجَ مِنْ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**».

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا، فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ النَّاسِ خَرَجَ مِنْ السُّلْطَانِ شِبْرًا، فَمَاتَ عَلَيْهِ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»؛ أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩).

وهب أن الأمراء لم يقوموا بما أوجب الله عز وجل عليهم: «**فَنِعْمَتِ الْمُرْضِعَةُ، وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ**»، «**وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا**»(١).

في مسلم (١٨٢٥) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمُ الَّذِي جَعَلَ اللهُ لَهُمْ، فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ**».

و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»؛ متفق عليه عن ابن عمر البخاري (٢٥٥٤)، ومسلم (١٨٢٩).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٢٥)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

و قال رسول الله ﷺ: «اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»؛ أخرجه مسلم (١٨٢٨) عن عائشة رضي الله عنها.

والعدل فضيلته عظيمة: ففي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عند مسلم (١٨٢٧) وفيه: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷺ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا».

ولا يجوز الخروج على الحاكم المسلم بحال:

قال رسول الله ﷺ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللهَ فِيهِ بُرْهَانٌ»؛ أخرجاه من حديث عبادة، البخاري (٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩).

وفي حديث عوف بن مالك عند مسلم (١٨٥٥): «أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قال رسول الله ﷺ: «لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ». وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها عند مسلم (١٨٥٤): «ألا نقاتلهم؟ قال: «لَا، مَا صَلَّوا»؛ البخاري (٧٢٠٠)، ومسلم (١٧٠٩).

شروط الخروج على الحاكم:

ولا يخرج على الحاكم إلا إذا ظهر كفره.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في "الشرح الممتع" (١/ ٣٢٣-٣٢٤):

والأئمة لا يجوز الخروج عليهم إلا بشروط مغلظة؛ لأن أضرار الخروج عليهم أضعافُ أضعافُ ما يريد هؤلاء من الإصلاح، وهذه الشروط هي:

الأول: أن نعلم علم اليقين أنهم أتوا كفرًا.

الثاني: أن نعلم أن هذا الكفر صريح ليس فيه تأويل، ولا يحتمل التأويل، صريح ظاهر واضح؛ لأن الصريح كما جاء في الحديث هو الشيء الظاهر البين العالي، كما قال الله تعالى عن فرعون أنه قال لهامان: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾[غافر: ٣٦-٣٧].

فلا بد أن يكون صريحًا، أما ما يحتمل التأويل، فإنه لا يسوِّغ الخروج عن الإيمان.

الثالث: أن يكون عندنا فيه من الله برهان ودليل قاطع مثل الشمس أن هذا كفر، فلا بد إذن أن نعلم أنه كفر، وأن نعلم أن مرتكبه كافر لعدم التأويل، كما قال النبي ﷺ: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»(١)، وقالوا: أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ**»(٢)، أي: ما داموا يصلون.

الرابع: القدرة على إزالته، أما إذا علمنا أننا لا نزيله إلا بقتال، تُراقُ فيه الدماء وتستباح فيه الحرمات، فلا يجوز أن نتكلم أبدًا، ولكن نسأل الله أن يهديه أو يزيله؛ لأننا لو فعلنا وليس عندنا قدرة، فهل يمكن أن يتزحزح هذا الوالي الكافر عما هو عليه؟ لا، بل لا يزداد إلا تمسكًا بما هو عليه، وما أكثر الذين يناصرونه، إذًا يكون سعينا بالخروج عليه مفسدة عظيمة، لا يزول بها الباطل بل يقوى بها الباطل، ويكون الإثم علينا، فنحن الذين وضعنا رقابنا تحت سيوفه،

---

(١) أخرجه البخاري في الفتن- باب قول النبي ﷺ سترون بعدي أمورًا تنكرونها (٧٠٥٦)، ومسلم في المغازي، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٧٠٩) (٤٢) عن عبادة بن الصامت.

(٢) أخرجه مسلم في المغازي، باب خيار الأئمة وشرارهم (١٨٥٥) عن عوف بن مالك.

ولا أحد أحكم من الله، ولم يفرض القتال على النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم إلا حين كان لهم دولة مستقلة، وإلا فإنهم كانوا يهانون في مكة، الذي يحبس، والذي يقتل، والذي توضع عليه الحجارة المحماة على بطنه، ومحمد رسول الله ﷺ يرجع من الطائف، يرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبه، ولم يؤمر بالقتال؛ لأن الله حكيم؛ ولذلك مع الأسف الشديد لا تجد أحدًا عصى الرسول وخرج على الإمام بما للإمام فيه شبهة، إلا ندم وكان ضررًا على شعبه، ولم يزل الإمام، ولا أريد بالإمام الإمام الأعظم؛ لأن الإمام الأعظم ذهب من زمان، لكن إمام كل قوم من له سلطة عليهم. اهـ

وذكر شيخنا الوادعي رحمه الله من الشروط أيضًا زيادة على ما تقدم : أن لا يستعان بالكفار، وأن يبدل بخير منه، وأن لا تقع فتنة في المسلمين.

٧- الانتخابات محادة لله عزّو جلّ، لأنّ من دخل فيها يساهم في صعود من يستبعد الشّريعة الإسلاميّة بالقوانين الوضعيّة.

قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى:٢١].

٨- الانتخابات تعتمد على الأكثرية، والله عز وجل يقول: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف:١٠٣]. ويقول: ﴿ **وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ** ﴾ [سبأ:١٣].

٩- الانتخابات لا تقدم على نصرة الرّجل المناسب كما يزعمون، ولكن كلّ أبناء حزبٍ أو طائفة يحاولون نصر مرشّحهم، حتّى وإن كان من أفسق خلق الله،

وصدق الله إذ يقول: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣].

١٠-المرشّحون يزكّون أنفسهم، ويكذبون الكذبة التي تبلغ الآفاق، وقد نهى الله ﷻ عن تزكية النّفس بقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢].

١١- المرشّحون همّهم إرضاء مرشِّحِيهم بصورة أو بأخرى، ولا يهمهّم رضى الله ﷿.

والدليل على ذلك: تقرّبهم عندنا في اليمن للروّافض والحزبيين والصوفية والعصاة، وغير ذلك من دون نكير عليهم.

ونخشى عليهم من حديث عائشة رضي الله عنها: «**من أرضى النّاس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه النّاس**»[1].

هذه بعض المفاسد وكل واحدة منها كفيلة بتحريم الانتخابات، وكلّ ما ذكر وغيره من مفاسدها يعتبر من كبائر الذّنوب، ولا تكفّرها الصلاة والقيام، بل ولا الصّيام والصّدقة، ولا بدّ لها من توبة، ناهيك عن تضييع الأموال والتخوّض فيها بغير حقّ، وتضييع الأوقات وأذيّة المسلمين بتعليق صور المرشّحين في الشوارع والحارات والطّرقات.

كيفية إختيار الإمام:

وقد يسأل بعضهم: كيف نختار إمام المسلمين؟! أو رئيس الجمهوريّة؟!

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٤١٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي.

قلنا لهم: افعلوا ما فعله أسلافكم من الصّحابة والتّابعين رضي الله عنهم.

فإمام المسلمين ينصّب بثلاث طرق:

الأولى: عهد الإمام أو الرّئيس السّابق له كما عهد أبو بكر رضي الله عنه إلى عمر رضي الله عنه وأقره الصحابة فكان إجماعًا.

الثانية: أن يجتمع أهل الحلّ والعقد، من العلماء والأعيان والعقلاء، ويختارون رئيسا لهم كما صنع الستة رضي الله عنهم حين البيعة لعثمان بن عفان رضي الله عنه.

الثالثة: أن يأخذها قهرا فلا يخرج عليه، إذا استتب له الأمر وكان من المسلمين.

شبهة أن الانتخابات هي الشّورى؟!!

قلنا لهم: كذبتم وأيم الله، فإنّ بين الشّورى والانتخابات بون شاسع وفرق واسع.

١- الشورى من الله عز وجل، والانتخابات من عند أعداء الله.

٢- الشورى غير ملزمة، والانتخابات ملزمة.

٣- الشورى فيما لا يخالف الكتاب والسّنة، والانتخابات لا يهمهم خالفوا الكتاب والسّنة أو لا.

٤- الشورى في أمور الدّولة تختصّ بالرجال الأكفاء، من علماء وعقلاء، والانتخابات يشترك فيها البرّ والفاجر، والرّجال والنّساء جميعًا، والله المستعان.

حكم الحزبية

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

﴿٤٩﴾ فَإذا قيلَ: مَا حُكْمُ الحِزْبِيَّة؟ فَقُل: الحِزْبِيَّةُ حَرَامٌ، إلَّا حزْبُ الله.
وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١-٣٢]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]. وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [ح١] [المجادلة: ٢٢].

عَنْ عَبْدالله بْنِ عَمْرو بْنِ العَاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَتَفْتَرِقُ أُمَّتي عَلَى ثَلَاث وَسَبْعينَ ملَّةً »كُلُّهُمْ فِي النَّار إلَّا ملَّةً (أَيْ فرقَةً) وَاحدَةً». قَالُوا: وَمَنْ هيَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْه وَأَصْحَابِي». أَخْرَجَهُ التِّرْمذيُّ (٢٦/٥). وَلَهُ شَاهدٌ منْ حَديث مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَخْرَجَهُ أَبُودَاوُدَ (٤٥٩٧)، وَأَحْمَدُ (١٠٢/٤)، وَلَهُ شَوَاهدُ أُخْرَى، فَالحَديثُ حَسَنٌ.

وَقَوْلُهُ: «كُلُّهَا فِي النَّارِ»، فِيهِ بَيَانُ حَالِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ وَجَرْحُهُمْ.

[ح١] قال الشوكاني رحمه الله في "تفسيره": حزب الله جنده الذين يمتثلون أوامره.

قلت: فتبين بذلك أن حزب الله هم الممتثلون أوامره بالتمسك بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

ساق المصنف حَفِظَهُ اللهُ هذه الفقرة لبيان مسألة من مهمات العقيدة في عصرنا وهي الحزبية فقد ظهرت وتجلت في صورٍ عدة، وحدث من وراءها الشر العريض.

والأحزاب المعترف بها في الدولة منقسمة إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أحزاب يكون اتجاهها إسلامي: وغالبا ما يمثله الإخوان المسلمون ومن إليهم من أصحاب الجمعيات، وربما تسموا في بعض البلدان بالحزب السلفي مثل حزب النور السلفي في مصر، وحزب الرشاد السلفي في اليمن، وليسوا من السلفية في شيء بل هي من الأحزاب المبتدعة.

الثاني: حزبيات دنيوية: جمعتهم الدنيا وتكتلوا من أجل الوصول إلى مناصب ووزارات ومسؤوليات.

الثالث: أحزاب أصولها كفرية طاغوتيه قائمة على نظريات باطلة مثل الاشتراكية والعلمانية والشيوعية.

والذي يهمنا أن الحزبية حرام: إلا التحزب لدين الله ﷻ فإن المتحزبين لدين الله ﷻ يسمون بحزب الله، كما سماهم الله ﷻ بذلك في آخر سورة المجادلة قال الله ﷻ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]. وليس المراد بحزب الله مجرد التسمي، كما يسمي حسن نصر الله حزبه الطاغوتي، وكما يسمي الحوثيون أنفسهم بأنصار الله.

فالتسميات إن لم تكن مطابقة للواقع فهي عارٌ على من تسمى بها؛ فحزب الله اللبناني هو الوارث لحركة أمل الرافضية اللبنانية التي سفكت دماء المسلمين واستحلت أعراضهم، وفعلت في لبنان والمخيمات الفلسطينية ما لم يفعله اليهود

أيام احتلالهم للبنان، ثم بعد ذلك تحول إلى مسمى حزب الله يظهر العداء لإسرائيل وفي الواقع أنهم أعوان لإسرائيل على ضرب المسلمين، فاتخذوا عداء إسرائيل ستارًا ثم تمددوا في البلاد الإسلامية فعملوا حزبًا لهم في الكويت والسعودية والبحرين واليمن، فيقتلون أهل الإسلام وينشرون الرفض والإجرام، وكم صاح المسلمون للتحذير منهم بينما تجد كثيرًا من الناس يغتر بمظهرهم، والله المستعان.

فالمراد بـ (حزب الله) حقا أهل السنة والجماعة؛ لأنهم تحزبوا لله ولكتابه ولسنة رسوله ﷺ بينما أهل البدع تحزبوا للشيطان، ولما خالف الحق، وربما تحزبوا لأهوائهم، أو لقبائلهم، أو لجنسهم، أو لونهم، فالحزبيات لها طرائق عدة.

وكانت الحزبية في الزمن الماضي تسمى بالفرق: من الافتراق والعجب أن تجد بعض قادة الجماعات المبتدعة يجعلون الحزبية كالمذهبية، وهذا قولٌ باطل لأمور:

الأول: أرادوا به تمرير البدعة الشنعاء التي تفرق الأمة.

الثاني: لا يجوز الاستدلال بالمذهبية لان المذهبية أصلًا غير مُسلَّم بسُنيتها وإن كنا لا نبدع إلا من بدعه الكتاب والسنة لا بمجرد النسبة إلى المذهب الحنفي أو الحنبلي أو المالكي أو الشافعي إلا من قدم أقوال هؤلاء على قول رسول الله ﷺ فلا شك في ابتداعه لأنه تعصب للمذهب وهجر قول الله وقول رسوله ﷺ.

وربما قال بعض رؤساء الجماعات: بأن الحزبيات صمام أمان للمجتمع وهذا قول فيه مغالطة شديدة فإن المجتمع لحقته الشدة والضراء بسبب الحزبيات.

الثالث: الحزبيات تخالف قول الله ﷻ: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [آل عمران:١٠٣]. وقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [الحجرات:١٠].

وقول الله ﷻ: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ [التوبة:٧١].

ولهذا قال الشيخ مقبل رحمه الله: أظهر علامات الحزبية الولاء والبراء الضيق.

أي أن ولائهم وبرائهم في حدود الحزب، ولو كان يهوديًا أو نصرانيًا كما جوّزوا في مصر دخول النصارى في حزب الإخوان المسلمين.

قوله(والدليل: قول الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ** ﴾ [الروم:٣١]): فيه التحذير من التشبه بالكفار، وقد قال ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»[1]، أخرجه أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

قوله(مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ): تفرقوا إلى فرق كثيرة **(وَكَانُوا شِيَعًا)** كانوا متشايعين يشايع بعضهم بعضا، لا لكتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، ولكن لمجرد الرأي والهوى وغير ذلك.

قوله(كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ): أي يفرح بباطله وما هو عليه لاسيما في زمن انتشار الديمقراطية حيث أن من مبادئها التعددية الحزبية.

قوله (-وقوله تعالى-: ﴿ **وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ** ﴾ [آل عمران:١٠٣]): أي وتمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ جميعًا ولا تفرقوا.

ففي هذا ذم للحزبية من حيث ذكر ضدها وهو وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة.

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٠٣١)، قال الألباني رحمه الله: حسن صحيح في صحيح أبي داود رحمه الله.

والاعتصام: يكون باعتقادهما والعمل بهما والدعوة إليهما وتعظيم شأنهما والسير على طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم.

وقد فسر رسول الله ﷺ القرآن بأنه حبل الله، كما في صحيح مسلم من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه .

قوله (وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [الأنبياء:٩٢]):

أي أن الله عز وجل يأمر الأمة أن تكون واحدة في سيرها كما هي واحدة في شأنها، بينما الحزبية جعلت الأمة الواحدة طرائق قددا ولم ولن تكن واحدة إلا اذا كانت على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

قال الله عز وجل: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء:٨٢].

قوله (وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ): أي وحدوا الله عز وجل واجتمعوا على الحق الذي أمركم الله عز وجل به.

قوله (وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]):

معناه أن حزب الشيطان هم الخاسرون.

كما قال الله عز وجل: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ١٩ -٢٠].

وسموا بحزب الشيطان لتحزبهم لأفكاره وآرائه وما يدعوا إليه.

والناس في حزب الشيطان متفاوتون كحالهم من جهة البدعة فمنهم من يتمحض تحزبه للشيطان كتحزب الكفار الذين كفرهم مخرج من الملة ومنهم من يكون تحزبهم دون الكفر.

قوله (عن عبدالله بن عمرو بن العاص): وهو أبو محمد عابد الصحابة رضي الله عنهما. تكلم فيه الزمخشري تنقصًا فرد عليه الإمام الشوكاني رحمه الله قال في "**فتح القدير**" عند قول الله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ [هود:١٠٦]:

وأما الطعن على صاحب رسول الله، وحافظ سنته، وعابد الصحابة، عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، فإلى أين يا محمود، أتدري ما صنعت، وفي أيّ واد وقعت، وعلى أي جنب سقطت؟ ومن أنت حتى تصعد إلى هذا المكان، وتتناول نجوم السماء بيديك القصيرة، ورجلك العرجاء، أما كان لك في مكسري طلبتك من أهل النحو واللغة ما يردك عن الدخول فيما لا تعرف، والتكلم بما لا تدري، فيا لله العجب ما يفعل القصور في علم الرواية، والبعد عن معرفتها إلى أبعد مكان من الفضيحة لمن لم يعرف قدر نفسه، ولا أوقفها حيث أوقفها الله سبحانه. اهـ

قوله (وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة): تقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**افترقت اليهود على واحد وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على تنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**»[(١)]، أخرجه أبو داود، والمراد بالفرقة الطريقة والملة. وهذه الفرق من أمة الإجابة وليست بالفرق

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٥٩٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو في "**الصحيح المسند**" للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٣١٧)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

الكافرة وأما الرافضة والجهمية والباطنية والفلاسفة ومن إليهم فهم في أمة الدعوة وليسوا من أمة الإجابة على ما يأتي.

قولهُ (كلها في النار إلا ملة واحدة): معنى ذلك أنها مستحقة للنار وقد استشكل هذه اللفظة بعض أهل العلم على أنها منكرة من حيث أن النبي ﷺ قد أخبر أن أكثر أهل الجنة من المسلمين فردَّ على هذا الاعتراض من أن المعنى أنها مستحقة للنار ثم يكون الأمر على ما هو معلوم من عقيدة أهل السنة والجماعة في أصحاب الكبائر من أمة محمد ﷺ .

وسمي أهل السنة بالطائفة المنصورة والفرقة الناجية لسلامتهم من الفُرقة ولنجاتهم من الوعيد بالنار، والطائفة المنصورة كل يدعيها، والحال كما قال بعضهم:

وكلُ يـــدّعي وصـــلًا بلـــيلى ... وليـــلى لا تقـــر لهـــم بـــذاكَ

فلو ذهبت إلى الإخوان المسلمين والسرورية والأشاعرة والصوفية تجد أنهم يقولون بأنهم الطائفة المنصورة الفرقة الناجية .

والدعاوى إن لـــم تكـــن عليهـــا ... بينـــات أصـــحابها أدعيـــاء

وضابط الفرقة الناجية: قول رسول ﷺ : «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(١).

أي من كان في الاعتقاد والعبادات والمعاملات على طريقة رسول الله ﷺ وما أجمع عليه أصحابه لأن رسول الله ﷺ وأصحابه هم الذين كانوا على الحق والهدى واجتمعوا عليه فلا حق إلا بأخذ سبيلهم والسير على طريقهم.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٦٤١)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في "**صحيح الترمذي**".

وفي رواية: «**الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ**»(١).

وفي رواية: «**إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»، قَالَ: قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «**النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ**»(٢).

وفي رواية: «**يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**».

وأما حديثُ: «**هم في أكناف بيت المقدس**»، ففيه كلام من حيث أن اللفظة شاذة انفرد بها يحيى بن أبي عمرو السيباني.

ومن هنا نعلم أن الطائفة المنصورة ليست مختصة بأصحاب المساجد فمنهم المزارع والتاجر والصياد والمسؤول والعسكري وغير ذلك.

فمن كان على طريقة النبي ﷺ وأصحابه فهو من الفرقة الناجية الطائفة المنصورة. وقد رد الحديث بدعوى النكارة الشوكاني وابن الوزير ومع ذلك رد عليهم المقبلي رحمه الله، ونقل كلامه الألباني رحمه الله في "**السلسلة الصحيحة**" عند تخريج الحديث المذكور.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٦٦٩٠)، من حديث سعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن سنة، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله برقم (١٢٧٣).

(٢) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٣٩٨٨)، وقال الإمام الألباني رحمه الله في "**الصحيحة**" تحت حديث رقم (١٢٧٣): رواه الدارمي (٢ / ٣١١ - ٣١٢)، وأحمد وابنه عبد الله (١ / ٣٩٨) والبيهقي في "**الزهد الكبير**" (ق ٢٤ / ٢)، والبغوي في "**شرح السنة**" (١ / ١٠ / ٢) عن حفص بن غياث عن الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله مرفوعا. وقال البغوي: " هذا حديث صحيح "، وأقول: هو كما قال لولا أن أبا إسحاق وهو السبيعي عمرو بن عبد الله مدلس وقد عنعن في جميع الطرق عنه مع كونه كان اختلط، فأنا متوقف في صحته بعد أن كنت تابعا في تصحيحه برهة من الزمن غيري، والله أعلم.

أضل الفرق التي تدعي الإسلام

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٥٠ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ أَضَلُّ الفِرَقِ الَّتِى تَدَّعِي الإِسلَامَ؟ فَقُلْ: هُمُ: البَاطِنيَّةُ، وَالرَّافِضَةُ، وَالجَهْمِيَّةُ، وَغُلَاةُ الصُّوفِيَّةِ.

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان ضلال بعض أهل البدع وأنهم قد مرقوا من الدين.

حيث واعلم أن البدعة تنقسم إلى قسمين:

الأول: غير خارجة من الملة، وهم الذين ابتدعوا في دين الله عَزَّوَجَلَّ ما لم يصل بهم إلى الكفر، كالحزبيات وأصحاب الموالد والتصوف اليسير ويسير التشييع .

الثاني: خارجة من الملة: وكفرها كفر أكبر مخرج من الملة وهم زنادقة منافقون يقول الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿ **إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا** ﴾ [النساء:١٤٥].

بيان عقيدة الباطنية: فمن البدع المكفرة الباطنية، الذين قال عنهم الغزالي [١]: "ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض" وقد تكلمت عنهم برسالة بعنوان: "**عقائد الباطنية**" قلت فيها:

١- أسماء القرامطة: لما كانت هذه الفرقة بالخطورة بمكان، فإنهم يغيرون

(١) الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، المتوفي (٥٠٥)، منحرف في عقيدته، ومن أسوأ كتبه "**إحياء علوم الدين**" وإنما نقلنا عنه؛ لأن كتابه عمدة في الرد على الباطنية، والله المستعان..

أسمائهم من بلـد إلى آخـر لأجـل أن يغتـر بهـم الأغمـار الـذين يغـرهم البهـرج والزيوف، والذين هم أتباع كل ناعق.

ففي اليمن يُسمون: المكارمة، **وفي المدينة النبوية**: النخاولة، **وفي الهند**: البهرة، **وفي لبنان**: الدروز، **وفي سوريا**: النصيرية، **وفي بلاد المغرب**: العلويون، **ويسمون في البحرين**: "البحارنة، ويسمون بالدهرية، ومن أسمائهم العبيدية"، ويسمون: بالإسماعيلية إلى غير ذلك من المسميات.

واسمهم العام الباطنية، والقرامطة.

وكانت لهم دولة في اليمن وهي الدولة الصليحية التي أسسها علي بن الفضل الصليحي لعنه الله وأخزاه.

٢- سبب ظهور دعوتهم:

ذكر الغزالي في كتابه "فضائح الباطنية" السبب (ص٢٦، ٢٧):

فقال: تشاور جماعة من المجوس والمزدكية وشرذمة من الثنوية الملحدين وطائفة كبيرة من ملاحدة الفلاسفة المتقدمين، وضربوا سِهام الرأي في استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين، وينفس عنهم كربة ما دهاهم من أمر المسلمين [ثم فكروا وقدروا وخرجوا بقولهم] فسبيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم هم أَرَكَهُم عقولًا وأسخفهم رأيًا، وألينهم عريكة لقبول المحالات، وأطوعهم للتصديق بالأكاذيب المزخرفات، وهم الروافض ونتحصن بالانتساب إليهم، والاعتزاء إلى أهل البيت عن شرهم، ونتودد إليهم بما يلائم طبعهم من ذكر ما تم على سلفهم من الظلم العظيم والذل الهائل، ونتباكى لهم على ما حلَّ بآل محمد ص ونتوصل به إلى تطويل اللسان في أئمة

سلفهم الذين هم أسوتهم، وقدوتهم، حتى إذا قبحنا أحوالهم في أعينهم، وما ينقل إليهم شرعهم بنقلهم وروايتهم اشتد عليهم باب الرجوع إلى الشرع وسهل علينا استدراجهم إلى الانخلاع عن الدين، وإن بقي عندهم معتصم بظواهر القرآن ومتواتر الأخبار أو همنا عندهم، أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن، وأن إمارة الأحمق الانخداع بظواهرها وعلامة الفطنة اعتقاد بواطنها، ثم نبث إليهم عقائدنا ونزعم أنها المراد بظواهر القرآن.اهـ

ومذهبهم كما قال الغزالي وغيره ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض.

أقول: ومعلوم أن الروافض من أشر الفرق المنتسبة إلى الإسلام، وأكذبها وأدجلها، فما بالك إذا كان هذا ظاهر المكارمة، فما باطنهم؟

٣- مذهبهم جملة:

مذهبهم ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض، ومفتتحه حصر مدار العلم في قول الإمام المعصوم، وعزل العقول أن تكون مدركة للحق لما يعتريها من الشبهات ويتطرق إلى النظار من الاختلافات، وإيجاب لطريقة الحق بطريق التعليم والتعلم، وحكم بأن المعلم المعصوم هو المستبصر، وأنه مطلع من جهة الله على جميع أسرار الشرائع، يهدي إلى الحق ويكشف عن المشكلات، وأن لكل زمان لا بد فيه من إمام معصوم يُرجع إليه فيما يستبهم من أمور الدين.

٤- ضررهم على الإسلام وأهله:

قال البغدادي رحمه الله في "الفرق بين الفِرق" (ص٢٥٠):

اعلموا -أسعدكم الله-: أن ضرر الباطنية على فِرَقِ المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف

الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان؛ لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يُضلون بالدجال في وقته ظهوره؛ لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يومًا، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقَطْر.اهـ

ومن عقائدهم:

١- عقيدتهم في الله ﷻ:

يعتقدون أن الله ﷻ لا يسمى باسم، ولا يوصف بوصف، مع أن الله يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

ويقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[الإخلاص: ١-٤].

فيقول أحد دعاتهم: وهو المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي الدعاة الإسماعيلي، حيث قال لعنه الله: "فهو سبحانه لا يدخل تحت اسم ولا صفة، ولا يومأ إليه بالإشارة مكيفة، ولا يقال عليه حيًا ولا قادرًا، ولا عالمًا ولا عاقلًا، ولا كاملًا، ولا تامًا، ولا فاعلًا".

وقد تقدم شيء في باب الأسماء والصفات تعرف به ضلال هؤلاء.

٢- عقيدتهم في النبوات:

قال إحسان إلهي ظهير: فالنبي عندهم شخص يتحلى بالخصال الاثنتي عشرة:

١- أن يكون تام الأعضاء.
٢- أن يكون جيد الفهم.
٣- أن يكون جيد اللفظ.
٤- أن يكون فطنًا ذكيًا.

٥- أن يكون حسن العبارة. ٦- أن يكون محبًا للعلم والإفادة.

٧- أن يكون محبًا للصدق. ٨- أن يكون غير شره في الأكل والشرب والنكاح.

٩- أن يكون كبير النفس. ١٠- أن يكون زاهدًا في الدنيا.

١١- أن يكون محبًا للعدل. ١٢- أن يكون قوي العزيمة.

وقالوا: إذا اجتمعت هذه الخصال في واحد من البشر في دور من أدوار القرانات في وقت من الزمان، فإن ذلك الشخص هو المبعوث، وصاحب الزمان والإمام للناس ما دام حيًا، فإذا بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ودَّون التنزيل ولوَّح التأويل، وأحكم الشريعة وأوضع المنهاج، وأقام السنة، وألف شمل الأمة، ثم توفي ومضى لسبيله بقيت تلك الخصال في أمته وراثة منه، وإن اجتمعت تلك الخصال في واحد من أمته أو جلها فهو الذي يصلح أن يكون خليفة في أمته بعد وفاته. اهـ

إذا فالنبوة عندهم مكتسبة، وهو نفس قول الفلاسفة، ويجوز عندهم أن يكون بعد رسول الله ﷺ رسول إذا تحققت هذه الأوصاف، وزد على ذلك:

٣- عقيدتهم في الوصاية والوصي:

يعتقدون أن مرتبة الوصاية تلي مرتبة النبوة، وليس هناك فرق كبير بين المرتبتين، بل إن أحد من كبارهم وهو زاهد علي مؤلف كتاب: "**تبيين المعاني لديوان ابن هاني**".

إشارة إلى أن المتقدمين كانوا يرون أن الوصي أفضل من النبي ﷺ ، والبعض الآخر كانوا يقولون بالمساواة بينهما بدون تفضيل واحد على آخر.

ونقلوا عن علي رضي الله عنه: حسب ما يروونه عنه وهم يكذبون عليه-: "أنا ومحمد من نور واحد، من نور الله تعالى أمر الله ذلك النور، أن ينشق إلى نصفين، فقال للنصف الأول كن محمدًا وللنصف الثاني كن عليًا"[١].

وانظر إلى ما قاله الصوري في قصيدته:

فأنــــزل الله عـــلى نبيـــه	**أن يظهـــر النـــص على وصيـــه**
فخـــاف مـــن أصـــحابه	**بكيـدهم ومـا نـووا مـن ظلمـه**
وقيـل لا تُشـــرك فـإن أشركـت	**ليحــبطن الله مــا عمــــلت**
فقـم وبلـغ لا تخـــف فـرحمتي	**تنالــك اليــوم وكــن في عمــتي**

فانظر يا هداك الله لطاعته ومرضاته كيف يزعمون أن قول الله عز وجل: ﴿**بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**﴾ [المائدة:٦٧]، نزل من أجل تبليغ الوصية هذه التي قد رد دعواها علي رضي الله عنه، فعند البخاري (١٨٧٠) ومسلم (١٣٧٠): «**من زعم أن عندنا شيئًا نقرأه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة فقد كذب - وصحيفة معلقة فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات**» الحديث.

٤- عقيدتهم في الإمامة:

قال الغزالي: "وقد اتفقوا أنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر، وحل الإشكالات في القرآن والأخبار

(١) انتهى من «الإسماعيلية تاريخها وعقائدها» (ص٣٥٠).

والمعقولات، واتفقوا على أنه المتصدي لهذا الأمر، وان ذلك جارٍ في نسبهم لا ينقطع أبد الدهر ولا يجوز أن ينقطع..." .اهـ

إلى غير ذلك، فإنهم لا يؤمنون بالمعاد والنبوات والرسالات، ولا بالقرآن والسنة كما شرع الله، ويستبيحون الحرام.

حتى قال قائلهم:

خذي العود يا هذه واضربي ... نقيم شرائع هذا النبي
تقضى نبيّ بني هاشم ... وهذا نبيّ بني يعرب
فحط الصلاة وحط الزكاة ... وحط الصيام ولم يتعب
وحل البنات مع الأمهات ... ومن فضله زاد حل الصبي

بيان عقيدة الرافضة:

قوله(٢- والرافضة): وهم سبابة أصحاب النبي ﷺ ولهم غير ذلك من العقائد لكن هذه أظهرها فهم يكفرون أصحاب النبي ﷺ إلا سبعة عشر صحابيا ويغلون في آل البيت ويدعونهم ويرجونهم من دون الله ويجعلون الخلافة والإمامة في اثني عشر إماما منهم، ولذا سموا بالاثني عشرية ودينهم قريب من الباطنية من حيث الغلو والقول بخلق ونقصان القرآن وغير ذلك.

وقيل في سبب تسمية الرافضة بهذا الاسم؛ أن زيد بن علي رحمه الله قالوا له ما تقول في أبي بكر وعمر قال وزيرا جدي قالوا إذن نرفضك قال اذهبوا أنتم الرافضة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في "منهاج السنة" مبينًا التشابه بين الرافضة واليهود (١/ ٢٤): وآية ذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود:

قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود. **وقالت الرافضة**: لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي.

وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال، وينزل سيف من السماء. **وقالت الرافضة**: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي، وينادي مناد من السماء.

واليهود يؤخرون الصلاة إلى اشتباك النجوم. **وكذلك الرافضة** يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم.

والحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ - أَوْ قَالَ: عَلَى الْفِطْرَةِ - مَا لَمْ يُؤَخِّرُوا الْمَغْرِبَ إِلَى أَنْ تَشْتَبِكَ النُّجُومُ**»(١).

واليهود تزول عن القبلة شيئا، وكذلك الرافضة. واليهود تنود في الصلاة، وكذلك الرافضة.

واليهود تسدل أثوابها في الصلاة، وكذلك الرافضة. واليهود لا يرون على النساء عدة، وكذلك الرافضة. واليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن. واليهود قالوا: افترض الله علينا خمسين صلاة، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين إنما يقولون: السام عليكم، والسام الموت، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يأكلون الجري، والمرماهى، والذناب، وكذلك الرافضة. واليهود

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤١٨)، من حديث أبي أيوب رضي الله عنه، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١١٦).

لا يرون المسح على الخفين، وكذلك الرافضة.

واليهود يستحلون أموال الناس كلهم، وكذلك الرافضة.

وقد أخبرنا الله عنهم بذلك في القرآن أنهم: ﴿قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران:٧٥].

واليهود تسجد على قرونها في الصلاة، وكذلك الرافضة. واليهود لا تسجد حتى تخفق برءوسها مرارا شبه الركوع، وكذلك الرافضة.

واليهود تبغض جبريل عليه السلام، ويقولون هو عدونا من الملائكة، وكذلك الرافضة يقولون: غلط جبريل عليه السلام بالوحي على محمد ﷺ.

وكذلك الرافضة وافقوا النصارى في خصلة النصارى: ليس لنسائهم صداق إنما يتمتعون بهن تمتعا، وكذلك الرافضة يتزوجون بالمتعة، ويستحلون المتعة.

وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين:

سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم.؟ قالوا: أصحاب موسى عليه السلام. وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى.

وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد ﷺ.

أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة، ولا تجاب لهم دعوة، دعوتهم مدحوضة، وكلمتهم مختلفة، وجمعهم متفرق كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله. اهـ

قُلْتُ: هذا الكلام بعضه ثابت عن الشعبي رحمه الله كقوله: لو كانت الشيعة من البهائم لكانوا حمرا، ولو كانت من الطير لكانوا رخما. اهـ

فإن هذا ثابت عنه.

وقد سطرت في مقدمة كتابي "عذاب القبر ونعيمه" بعض عقائد الرافضة الحوثيين قلت فيه:

ومن أشر هذه الفرق الرافضة، وهي ليست من فرق الإسلام، كما نص على ذلك غير واحد من العلماء فقد قال ابن حزم: تستدلون علينا بقول الرافضة ما هم بمسلمين، حيث قد بلغ من شرهم وخبثهم أنهم خالفوا في التوحيد، فهم لا يؤمنون بصفات الله سبحانه وتعالى، وهم معطلة في هذا الباب.

وأوائلهم مشبهة، فأول من أظهر التشبيه بيان بن سمعان الشيعي المقتول سنة ١١٩هـ تقريبًا، فقد زعم أن ربه على صورة إنسان، وأن جزءًا إلهيًا حل في علي تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

وأول من أطلق أن الله جسم في ملة المسلمين: هو هشام بن الحكم الرافضي توفي سنة(١٩٩) نقل ذلك شيخ الإسلام كما في "**منهاج السنة النبوية**".

وهم ينكرون رؤية المؤمنين لله يوم القيامة، مع أنها ثابتة بالكتاب والسنة، وإجماع السلف الصالح. وينكرون أن الله في السماء: رادين قول الله تعالى: ﴿ **ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ** ﴾ [الملك:١٧]، وغيرها من الأدلة.

وهم ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»، وهو حديث صحيح، جمع طرقه الإمام الوادعي رحمه الله في كتابه "**الشفاعة**".

وهم أيضًا أول من أحدث الشرك في هذه الأمة، حيث ألَّهوا عليًا ﵁، وهم من الذين اتخذ القبور مساجد، مع أن رسول الله ﷺ حذر من ذلك، كما سترى في الفصل الأخير من هذه الرسالة.

وهم يعتقدون أن القرآن ناقص، ويعتقدون قرآن غير هذا، وهو ما يسمى (بمصحف فاطمة).

وهم يعتقدون أن كلام الله مخلوق، مع العلم أن العلماء قد كفروا من قال بخلق القرآن، كما نقل ذلك اللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة»، بل الله سبحانه وتعالى قال عمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[المدثر: ٢٥-٢٦]. وبالاختصار فمعتقدهم في باب التوحيد هو معتقد المعتزلة.

وهم يكفرون صحابة رسول الله ﷺ، الذين تقدم بعض الثناء عليهم من الله في كتابة العزيز، ومن النبي ﷺ وغيرها من الفضائل التي ليس هذا موضع بسطها.

وهم يتهمون عائشة أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة بالزنا، ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٦].

مع أن الله قد أنزل في براءتها قرآن يتلى إلى يوم القيامة، كما في سورة النور.

وأما مخالفتهم في العبادات والأحكام فإلى مالا نهاية بل ويشابهون اليهود في كثير من الاعتقادات، وعلى أيديهم هدمت كثير من الخلافات الإسلامية، كالخلافة العباسية.

بيان عقيدة الجهمية:

قوله (والجهمية): وهم اتباع الجهم بن صفون المقتول على الزندقة سنة:

(١٢٩) الذي أخذ دينه من الجعد بن درهم المقتول على الزندقة: (١١٨هـ).

وهم يعطلون الله ﷻ من أسمائه وصفاته ويزعمون أن الله لا فوق ولا تحت ولا حي ولا ميت ولا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل.

ويزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله ﷻ لا يرى يوم القيامة ويقولون بفناء الجنة والنار، ويقولون بعدم وجود الجنة والنار الآن، إلى غير ذلك.

وفي "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" : (٣/ ٤٢٣):

قال خَلَفُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْبَلْخِيِّ : كَانَ جَهْمٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَكَانَ فَصِيحًا، لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ، فَلَقِيَهُ نَاسٌ مِنَ السُّمَنِيَّةِ، فَكَلَّمُوهُ، فَقَالُوا لَهُ: صِفْ لَنَا مَنْ تَعْبُدُ.

قَالَ: أَجِّلُونِي، فَأَجَّلُوهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، قَالَ: هُوَ هَذَا الْهَوَاءُ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ " .

وقَالَ: "كَانَ جَهْمٌ عَلَى مَعْبَرِ تِرْمِذٍ، وَكَانَ رَجُلًا كُوفِيَّ الْأَصْلِ، فَصِيحَ اللِّسَانِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ، وَلَا مُجَالَسَةٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ، كَانَ تَكَلَّمَ كَلَامَ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَكَلَّمَهُ السُّمَنِيَّةُ فَقَالُوا لَهُ: صِفْ لَنَا رَبَّكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ، فَدَخَلَ الْبَيْتَ لَا يَخْرُجُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَيَّامٍ، فَقَالَ: هُوَ هَذَا الْهَوَاءُ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يَخْلُو مِنْهُ شَيْءٌ.

قَالَ أَبُو مُعَاذٍ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ عَلَى عَرْشِهِ وَكَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ " وقد أخذ الجهم عقيدته من الجعد بن درهم.

وفي "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" : «٦٤١»:

ذَكَرَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: " أَوَّلُ مَنْ أَتَى بِخَلْقِ

الْقُرْآنِ جَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ وَقَالَهُ: فِي سَنَةِ نَيِّفٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِمَا بِشْرُ بْنُ غِيَاثٍ الْمَرِيسِيُّ، لَعَنَهُ الله، وَكَانَ صَبَّاغًا يَهُودِيًّا ".

وَكَفَّرَهُ: سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، وَعَبَّادُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَعَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، وَوَكِيعٌ، وَأَبُو النَّضْرِ هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، وَشَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، وَيَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، وَبِشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَيُوسُفُ بْنُ الطَّبَّاعِ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ حَسَّانَ الشَّامِيُّ، وَمُحَمَّدٌ وَيَعْلَى ابْنَا عُبَيْدٍ الطَّنَافِسِيَّانِ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ، وَأَبُو قَتَادَةَ الْحَرَّانِيُّ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَاجِشُونُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفِرْيَابِيُّ، وَأَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ الْقَعْنَبِيُّ، وَبِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ الزَّاهِدُ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ وَهْبُ بْنُ وَهْبٍ السُّوَائِيُّ الْمَدَنِيُّ قَاضِي بَغْدَادَ، وَيَحْيَى بْنُ يَحْيَى النَّيْسَابُورِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْحُمَيْدِيُّ، وَعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، وَعَبْدُ السَّلَامِ بْنُ صَالِحٍ الْهَرَوِيُّ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ.

وسبب ضلال الجهم: ما ذكره الإمام أحمد في "**الرد على الجهمية**" من مناظرة الجهم بن صفوان للمشركين السمنية وأن الجهم قال في مناظرته لهم: إن الله لا يرى له وجه ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحة وهو غائب عن الأبصار ولا يكون في مكان دون مكان. قال شيخ الإسلام: فقد شبه الجهم الله بالروح التي في الإنسان من جهة أن كلاهما لا يشبه بشيء من الحواس الخمس مع تدبيره لذلك الجسم .

بيان عقيدة غلاة الصوفية :

قوله (وغلاة الصوفية): خرج به المتصوفة المتزهدة من جهة اللباس

أو حضور الموالد والأذكار المبتدعة أما من بلغ به الحال إلى الشرك الأكبر وهو دعاء المقبورين والنذر والذبح لهم والطواف بقبورهم، والقول بوحدة الوجود، وغير ذلك فهذا هو الكفر الأكبر المخرج من الملة.

ونذكر هنا مجمل عقيدة غلاة الصوفية:

١- **عقيدهم في الله** ﷻ:

يعتقد المتصوفة في الله عقائد شتى منها الحلول كما هو مذهب الحلاج ومنها وحدة الوجود حيث لا انفصال بين الخالق والمخلوق وهذه هي العقيدة الأخيرة التي انتشرت منذ القرن الثالث والى يومنا هذا أطبق عليها أخيرا كل رجال التصوف وأعلام هذه العقيدة هم ابن عربي وابن سبعين، والتلمساني وعبد الكريم الجيلي، وعبد الغني النابلسي وعامة رجال الطرق الصوفية المحدثين.

٢- **عقيدتهم في الرسول** ﷺ:

يعتقد الصوفية في الرسول عقائد شتى فمنهم من يزعم أن الرسول ﷺ لم يصل الى مرتبتهم وحالهم، وأنه جاهل بعلوم رجال التصوف كما قال البسطامي: خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله.

ومنهم من يعتقد أن الرسول محمدﷺ هو قبة الكون وهو الله المستوي على العرش وأن السموات والأرض والعرش والكرسي وكل الكائنات خلقت من نوره وأنه أول موجود وهذه عقيدة ابن عربي ومن جاء بعده.

٣- عقيدتهم في الأولياء:

يعتقد الصوفية في الأولياء عقائد شتى فمنهم من يفضل الولي على النبي وعامتهم يجعل الولي مساويا لله في بعض صفاته فهو يخلق ويرزق ويحي ويميت ويتصرف في الكون ولهم تقسيمات للولاية فهناك الغوث المتحكم في كل شيء في العالم والأقطاب والأربعة الذين يمسكون الأركان الأربعة في العالم بأمر الغوث، والأبدال السبعة الذين يتحكم كل واحد منهم في قارة من القارات السبع بأمر الغوث.

ومنهم النجباء وهم المتحكمون في المدن كل نجيب في مدينة!!.

وهذا خلاف الولاية في الإسلام التي تقوم على الدين والتقوى والعبودية الكاملة لله قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[يونس: ٦٢- ٦٣].

وأن الولي لا يملك من أمر نفسه شيئا فضلا أنه يملك لغيره، قال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن:٢١].

٤- عقيدتهم في الجنة والنار:

وأما الجنة: فإن الصوفية جميعا يعتقدون أن طلبها منقصة عظيمة وأنه لا يجوز للولي أن يسعى إليها ولا أن يطلبها ومن طلبها فهو ناقص، وإنما الطلب عندهم والرغبة في الفناء المزعوم في الله، والاطلاع على الغيب والتصرف في الكون.

وأما النار: فإن الصوفية يعتقدون أيضا أن الفرار منها لا يليق بالصوفي الكامل لأن الخوف منها طبع العبيد وليس الأحرار ومنهم من تبجح أنه لو بصق على

النار لأطفأها كما قال أبو يزيد البسطامي ومن يعتقد بوحدة الوجود منهم يعتقد أن النار بالنسبة لمن يدخلها تكون عذوبة ونعيما لا يقل عن نعيم الجنة بل يزيد وهذا هو مذهب ابن عربي وعقيدته.

٥- **عقيدتهم في إبليس وفرعون:**

وأما إبليس: فيعتقد عامة الصوفية انه أكمل العباد وأفضل الخلق توحيدا لأنه لم يسجد إلا لله بزعمهم وأن الله قد غفر له ذنوبه وأدخله الجنة.

وكذلك فرعون: عندهم أفضل الموحدين لأنه قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤] فعرف الحقيقة؛ لأن كل موجود هو الله، ثم هو قد آمن في زعمهم ودخل الجنة.

٦- **عقيدة غلاة الصوفية في العبادات:**

يعتقد غلاة الصوفية أن الصلاة والصوم والحج والزكاة هي عبادات العوام ويسمون أنفسهم الخاصة، أو خاصة الخاصة ولذلك فلهم عبادات مخصوصة.

وقد شرع كل قوم منهم شرائع خاصة بهم كالذكر المخصوص بهيئات مخصوصة، والخلوة والأطعمة، والملابس المخصوصة والحفلات.

ولا يهم في التصوف أن يخالف الشريعة الصوفية ظاهر الشريعة المحمدية الإسلامية فالحشيش والخمر واختلاط النساء بالرجال في الموالد وحلقات الذكر ذلك لا يهم لأن للولي شريعته التي تلقاها من الله مباشرة، ويقول بعضهم: حدثني قلبي عن ربي.

٧- عقيدة غلاة الصوفية في الحلال والحرام:

فأهل وحدة الوجود لا شيء يحرم عندها لأن العين واحدة.. ومنهم من اعتقد أن الله قد أسقط عنه التكاليف وأحل له كل ما حرم على غيره.

٨- طريقة غلاة الصوفية في التربية:

ومن أخطر ما في الصوفية منهجهم في التربية حيث يستحوذون على عقول الناس، ويلغونها وذلك بإدخالهم في طريق متدرج يبدأ بالتأنيس، ثم بالتهويل والتعظيم لشأن التصوف ورجاله ثم بالتلبيس على الشخص ثم بالرزق لعلوم التصوف شيئا فشيئا ثم بالربط بالطريقة وسد جميع الطرق بعد ذلك للخروج [(١)].

والفرق الخارجة من الملة كثيرة هذه أصولها قال يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ يَقُولُ: "أُصُولُ الْبِدَعِ أَرْبَعٌ: الرَّوَافِضُ، وَالْخَوَارِجُ، وَالْقَدَرِيَّةُ ، وَالْمُرْجِئَةُ، ثُمَّ تَتَشَعَّبُ كُلُّ فِرْقَةٍ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ طَائِفَةً، فَتِلْكَ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِرْقَةً، وَالثَّالِثَةُ وَالسَّبْعُونَ الْجَمَاعَةُ الَّتِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**إِنَّهَا النَّاجِيَةُ**» أخرجه الآجري في الشريعة(٢٠).

فمن أراد معرفة التفاصيل يجد ذلك في كتب الملل والنحل والديانات، وبالله التوفيق.

بهذا نكون قد انتهيت من شرح: "**المبادئ المفيدة في التوحيد والعقيدة**"، هذا الباب الذي دعا إليه رسول الله ﷺ منذ بعثه الله، وحتى توفاه، وهو لب الدعوة الرسالية في كل زمن وحين، وأجمع عليه سلف الأمة قديما وحديثًا، فالواجب العناية به تعلما وتعليمًا ودعوة وتعظيمًا والسير على سير السلف في

---

(١) ملخص بتصرف من كتاب: (الخطوط العريضة للعقيدة الصوفية).

باب الولاء والبراء حتى تتميز الطريقة السلفية حالًا وقالًا على الطريقة الخلفية البدعية، فجزى الله خيرًا شيخنا على ما سطره في هذه الوريقات، والحمد لله الذي وفقني لهذا التعليق المتمم للفائدة، وبالله التوفيق.

مبادئ الفقه

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

مبادئ الفقه.

قوله (مبادئ): أي أول ما ينبغي على المكلف تعلمه وذكر المصنف ما فيه على الاختصار مع ذكر **الدليل** لما بينه في المقدمة.

الفقه في اللغة: الفهم، فيقال فَقِهه فلان، أي فهم، قال الله ﷻ: ﴿**فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ**﴾ [الأنبياء:٧٩].

وفي الاصطلاح: هو علم يتعلق بدراسة العبادات والمعاملات، وقد عرفه بعضهم بمعرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بأعمال المكلفين المكتسبة من أدلتها التفصيلية.

وينقسم الفقه إلى قسمين:

الأول: الفقه الأكبر وهو العقيدة وما يلتحق بها، وقد تقدم بيان شيء من ذلك في الجزء الأول، ولله الحمد.

والثاني: فقهٌ أصغر وهو ما يتعلق بتعلم أحكام العبادات، والمعاملات.

والفقه الصحيح هو الفقه المبني على الدليل: من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس الصحيح، على من يجوز الاستدلال بالقياس.

والأحكام الشرعية تنقسم إلى قسمين:

الأول: الأحكام التكليفية: وهي خمسة أنواع:

١- الواجب، وهو ما أمر به الشارع على وجه الإلزام .

٢- المستحب، وهو ما أمر به الشارع لا على وجه الإلزام .

٣- المكروه، هو ما نهى عنه الشارع لا على وجه الإلزام .

٤- المحرم، هو ما نهى عنه الشارع على وجه الإلزام .

٥- المباح، هو ما لا تعلق له بالأمر والنهي لذاته .

الثاني: الأحكام الوضعية وهي الصحة والفساد والقبول والرد، وغير ذلك.

و يرتب المؤلفون الكلام في الفقه على الواجبات فيبدؤون بالطهارة لأنها مفتاح الصلاة، ثم يُثنُّون بأحكام الصلاة، لأنها أهم أركان الإسلام وقواعده العظام بعد الشهادة، ثم أحكام الزكاة ثم الصيام ثم الحج إلا أن البخاري رحمه الله قدم الحج على الصيام اعتمادا على ما جاء عن ابن عمر رحمه الله أنه قال: «**بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان**»[(١)].

وقد صُنفت في هذا الفن المطولات والمختصرات وذلك لحاجة الناس إليه ولكثرة الخلاف فيه.

والواجب أن يتعلم المكلف الحكم بدليله فإن كان من ذوي الأهلية فيتعلم الخلاف ليكون مميزًا بين راجح المسائل من مرجوحها، قال قتادة: من لم يعرف الخلاف لم يشم الفقه بأنفه. أخرجه ابن عبد البر رحمه الله في "**جامع بيان العلم وفضله**"، وبالله التوفيق.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨)، والإمام مسلم في صحيحه (١٦).

بيان أركان الإسلام العظام

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

عنْ أبي أُمَامَةَ الْبَاهلِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ: «اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ، وصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وصُومُوا شَهْرَكمْ، وأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمرِكُمْ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»[1] وهو حديثٌ حسنٌ.

ساق المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ الحديث لبيان أركان الإسلام، ومنها وجوب تعلم الفقه إذ أن النبي ﷺ ذكر الحديث في أكثر جمع للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وكان في عرفة في حجة الوداع التي كانت في السنة العاشرة من الهجرة.

قوله (عن أبي أمامة الباهلي): هو صدي بن عجلان بن الحارث الباهلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مات سنة ست وثمانين وله أحاديث.

قوله (سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوداع): جاء في بعض الروايات أن هذه الخطبة كانت في منى وقد خطب النبي ﷺ في عرفات ومنى وله عدة خطب رواها عنه مجموعة من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تكلم فيها عن مهمات الدين وفيه: أن النبي ﷺ كان يهتم بمجامع الناس فيعلمهم ما يحتاجون إلى تعلمه وسميت حجة الوداع لأنها الحجة التي ودع فيها رسول الله ﷺ الناس وقال: «**لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**»[2].

---

(١)أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٨٨٦)، والنسائي في سننه (٣٠٦٢)، وابن ماجه في سننه (٣٠٢٣)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (١١٠٨)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٨٨٦)، والنسائي في سننه (٣٠٦٢)، وابن ماجه في سننه (٣٠٢٣)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (١١٠٨)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

قولهُ(اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ):

بدأ بها لأنها أساس العبادة، وفي رواية: «**اعبدوا ربكم**»(١).

وتقوى الله ﷻ إذا أفردت هي بمعنى العبادة، ويدخل فيها فعل المأمور وترك المحظور. فمعنى: (اتقوا الله ربكم): أي (اعبدوا الله ربكم) ووحدوه وأفردوه بما يجب له وبدأ به لأن حق الله مقدم على كل حق ولأن الأعمال لا تقبل إلا إذا أُدي حق الله.

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه : «**أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ؟**»، قَالَ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟**»، قَالَ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ**»(٢).

والأمر بتقوى الله من المهمات، فقد جاء في مواطن من كتاب الله ﷻ منها قول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [الحشر:١٨]. وقال الله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [النساء:١]. وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب:١]، مع أنه ﷺ أتقى الناس، وهو القائل: «**أنا أتقاكم لله وأعلمكم بما أتقي**» أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها . وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة:٢١].

وهي وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ [النساء:١٣١].

---

(١) أخرجها أحمد (٢٢١٦١).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٨٥٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٠).

قوله (وصَلُّوا خَمْسكُمْ): ثناها لأن الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام وتركها كفرٌ كما جاء في حديث جابر رضي الله عنه : «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[١] أخرجه مسلم.

وعن بريدة رضي الله عنه قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[٢] أخرجه الترمذي.

والمراد بالخمس: الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ الله عَلَى عِبَادِهِ مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَاتَهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ فَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ**»[٣] أخرجه أحمد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

قوله (وصُومُوا شَهْرَكمْ): أي شهر رمضان قال الله عز وجل: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ** ﴾ [البقرة:١٨٥]. فهو الشهر الذي فرض الله علينا صيامه وشرع لنا قيامه ومن أفطره متعمدًا كان على أثمٍ عظيم وخطرٍ جسيم، وله أحكام مبثوثة في كتب الفقه المطولة والمختصرة.

قوله (وأَدُّوا زكَاةَ أَمْوَالِكُمْ): المراد بها الزكاة المفروضة وتكون في النقدين الذهب والفضة وفي الحبوب الحنطة والشعير وفي الغراس الزبيب والتمر وفي بهيمة الأنعام البقر والغنم والإبل ولها أحكامها.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨٢).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٦٢١)، والنسائي في سننه (٤٦٣)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٧١).

(٣) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٢٥)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٥٣٩).

فتؤدى زكاة الأبل والغنم والبقر والنقدين الذهب والفضة على الحول بشرط بلوغ النصاب.

وأما الأربعة المتبقية: فتؤدى حين الحصاد قال الله ﷻ: ﴿**وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ**﴾ [الأنعام:١٤١].

فإذا بلغ خمسة أوسق: أخرجت زكاته يوم الحصاد؛ لأن النبي ﷺ يقول في حديث أبي سعيد رضي الله عنه: «**ليس فيما دون خمس ذود صدقة ولا فيما دون خمسة أوسق صدقة ولا فيما دون خمسة أواق صدقة**»[(١)]، متفق عليه.

وقد تضمن الحديث بيان نصاب الفضة والإبل ونصاب الغراس والحبوب وأما نصاب البقر والغنم فقد جاءت فيها أحاديث أخرى ولها موطنها.

فمن ترك الزكاة جاحدًا كفر ومن تركها بخلًا لا يكفر على الصحيح، وأما قول الله ﷻ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة:١١].مفهومها أن تارك الصلاة ومانع الزكاة ليس بأخٍ لنا. **فأما تارك الصلاة:** فقد تقدمت الأدلة على كفره.

وأما الزكاة ففي الصحيحين: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٤٤٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٩٧٩).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٩٨٧).

فقوله(يرى منزله إما إلى الجنة أو إلى النار): دليل على أنه لا يكفر لأن الكافر ليس له سبيل إلى الجنة.

قوله (وَأَطِيعُوا ذَا أُمَرِكُمْ): طاعة ولي الأمر المسلم من المتعينات قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء:٥٩].

والآية يدخل فيها العلماء والأمراء .

لقول الله ﷻ : ﴿ **وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ** ﴾ [النساء:٨٣].

وطاعة ولي الأمر المسلم من طاعة الله ﷻ كما في حديث ابن عمر رضي الله عنه : «**فَإِنَّ مِنْ طَاعَةِ اللهِ أَنْ تُطِيعُونِي، وَإِنَّ مِنْ طَاعَتِي أَنْ تُطِيعُوا أَئِمَّتَكُمْ، أَطِيعُوا أَئِمَّتَكُمْ**»(١) أخرجه أحمد.

و أكثر الفساد العريض الواقع في الأمة بسبب الخروج على الأمراء حيث ضعفت الدول وتسلط السفهاء.

فلا يجوز الخروج على الحاكم وإن كان ظالمًا إلا إذا رأى المسلمون كفرًا بواحًا لا تأويل فيه عندهم فيه من الله برهان، وإن وجد البرهان فلا يخرج عليه إلا إذا كان باستطاعة المسلمين أن يبدلوه بخير منه وأن لا تقع فتنة بين أهل الإسلام.

وأما الخروج على الحاكم المسلم: فلا يجوز بحال كان ظالمًا أو صالحًا أو فاسقًا.

قوله (تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ): أي بهذه الأعمال لأن الجنة إنما يصل إليها

(١) أخرجه الإمام أحمد في سننه (٥٦٧٩)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٧٤٩)، وقال فيه: والحديث أخرجه أبو يعلى (ج٩ ص٣٤٠)، والبزار كما في "كشف الأستار" (ج٢ ص٢٥٠).

العبد بسبب العمل الصالح.

قال الله ﷻ: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف:٧٢].

وقال الله ﷻ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:٢٤].

ولا تعارض بين هذا الحديث وبين قول النبي ﷺ «**لن يدخل أحدٌ منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمةٍ منه وفضل**»[١]، أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها.

فالحديث محمول على العوض، والآية وما في بابها محمول على السبب، فدخول الجنة له سبب وهو الإيمان والعمل الصالح؛ لقول النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة**»[٢].

تنبيه: قد يقول قائل لماذا لم يذكر الحج في هذا الحديث والجواب أنه قد ذكر في رواية أحمد، وفيه: «**وحجوا بيتكم**»[٣]، أو أن النبي ﷺ ذكر أشهر العبادات التي تتعين وتتكرر على الجميع ولم يذكر الحج لأن الحج إنما تتعلق أحكامه بالبلد الحرام وفي وقت محدد من العام ويجب في العمر مرة، والله أعلم.

❁❁❁

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٦٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها، وأخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٦٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨١٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٠٦٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١١١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجها أحمد (٢٢٢٦٠)

النية محلها القلب

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

﴿٥١﴾ **كُلُّ عِبَادَةٍ لَابُدَّ لَهَا مِنْ نِيَّةٍ، وَالنِّيَّةُ مَحَلُّهَا الْقَلْبُ، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ عُمَرَ ابْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.**

ذكر المصنف حَفِظَهُ اللهُ هذه الفقرة لبيان منزلة النية من العبادات، فلا صحة لعبادة إلا بالنية، وهي إخلاص العمل لله ﷻ، وإرادة الفعل لهذا العمل، والنية في اللغة القصد.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ **في "جامع العلوم والحكم"** (١/ ٦٥):

وَاعْلَمْ أَنَّ النِّيَّةَ فِي اللُّغَةِ نَوْعٌ مِنَ الْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فُرِّقَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ بِمَا لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ. وَالنِّيَّةُ فِي كَلَامِ الْعُلَمَاءِ تَقَعُ بِمَعْنَيَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: بِمَعْنَى تَمْيِيزِ الْعِبَادَاتِ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ، كَتَمْيِيزِ صَلَاةِ الظُّهْرِ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ مَثَلًا، وَتَمْيِيزِ صِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ صِيَامِ غَيْرِهِ، أَوْ تَمْيِيزِ الْعِبَادَاتِ مِنَ الْعَادَاتِ، كَتَمْيِيزِ الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ مِنْ غُسْلِ التَّبَرُّدِ وَالتَّنَظُّفِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَهَذِهِ النِّيَّةُ هِيَ الَّتِي تُوجَدُ كَثِيرًا فِي كَلَامِ الْفُقَهَاءِ فِي كُتُبِهِمْ، وَالْمَعْنَى.

الثَّانِي: بِمَعْنَى تَمْيِيزِ الْمَقْصُودِ بِالْعَمَلِ، وَهَلْ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَمْ غَيْرُهُ، أَمِ اللهُ وَغَيْرُهُ.اهـ

قوله (كل عبادة لابد لها من نية): كل من ألفاظ العموم فلابد أن يكون العبد قاصدًا بالفعل التقرب إلى الله ﷻ وامتثال أمره ويدخل فيها العبادات القولية والفعلية والاعتقادية.

وقد تقدم أن العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والمعتقدات فكل عبادة لابد لها من نية فطلب العلم والصلاة والصيام والصدقة وبر الوالدين والإحسان إلى الجيران وغير ذلك عبادات فإن فعلها العبد لله أجر عليها، وقبلت منه.

قولهُ (والنية محلها القلب): أجمع العلماء على أن محل النية القلب لأن النية القصد والعزم على فعل شيء، ومصدر ذلك القلب ولم ينازع في ذلك أحد إذ أنه أمر متفق عليه بين العقلاء، ولكن جرى الخلاف في حكم التلفظ بالنية [١].

والتلفظ بها بدعة، فإن النيات في القلوب والله ﷻ مطلع عليها ولم يؤثر عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة أنهم كانوا إذا أرادوا الصلاة أو الصيام أو الحج أو القيام قال أحدهم اللهم نويت أصلي، نويت أزكي، نويت أتصدق فإن الله ﷻ مطلع على أعمال العباد وعلى سرائرهم والتلفظ بالنية بدعة كما سيأتي.

قولهُ (والدليل: حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؓ أَنَّ النبيﷺ قَالَ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ»)؛ وفي لفظ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[٢]. وحديث عمر فرد اتفق عليه البخاري ومسلم.

قال الحافظ ؒ في **"الفتح"** (١/ ١١):

وَقَدْ تَوَاتَرَ النَّقْلُ عَنِ الْأَئِمَّةِ فِي تَعْظِيمِ قَدْرِ هَذَا الْحَدِيثِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لَيْسَ فِي أَخْبَارِ النبي ﷺ شَيْءٌ أَجْمَعَ وَأَغْنَى وَأَكْثَرَ فَائِدَةً مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ.

---

(١) النية وآثارها في الأحكام الشرعية (١/ ٣٠٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١)، والإمام مسلم في صحيحه (١٩٠٧).

وَاتَّفَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ وَالشَّافِعِيُّ فِيمَا نَقَلَهُ الْبُوَيْطِيُّ عَنْهُ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالدَّارَقُطْنِيُّ وَحَمْزَةُ الْكِنَانِيُّ عَلَى أَنَّهُ ثُلُثُ الْإِسْلَامِ. **وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ**: رُبُعُهُ. **وَاخْتلفُوا فِي تعْيين الْبَاقِي**:

وَقَالَ ابن مَهْدِيٍّ أَيْضًا: "يَدْخُلُ فِي ثَلَاثِينَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ". **وَقَالَ الشَّافِعِيُّ**: "يَدْخُلُ فِي سَبْعِينَ بَابًا". **وَيُحْتَمَلُ**: أَنْ يُرِيدَ بِهَذَا الْعَدَدِ الْمُبَالَغَةَ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ أَيْضًا: يَنْبَغِي أَنْ يُجْعَلَ هَذَا الْحَدِيثُ رَأْسَ كُلِّ بَابٍ.

وَوَجَّهَ الْبَيْهَقِيُّ كَوْنَهُ ثُلُثَ الْعِلْمِ: بِأَنَّ كَسْبَ الْعَبْدِ يَقَعُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ، فَالنِّيَّةُ أَحَدُ أَقْسَامِهَا الثَّلَاثَةِ وَأَرْجَحُهَا؛ لِأَنَّهَا قَدْ تَكُونُ عِبَادَةً مُسْتَقِلَّةً، وَغَيْرُهَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا، وَمِنْ ثَمَّ وَرَدَ نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا كَانَتْ خَيْرَ الْأَمْرَيْنِ.

وَكَلَامُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: يَدُلُّ على أَنه أَرَادَ بِكَوْنِهِ ثلث الْعلم أَنه أحد الْقَوَاعِد الثَّلَاث، الَّتِي تُرَدُّ إِلَيْهَا جَمِيعُ الْأَحْكَام عِنْدَهُ، وَهِيَ هَذَا، «**وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»، «**والحلال بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ**» الْحَدِيثَ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ أَخْرَجَهُ الْأَئِمَّةُ الْمَشْهُورُونَ إِلَّا الْمُوَطَّأَ وَوَهِمَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي الْمُوَطَّأِ مُغْتَرًّا بِتَخْرِيجِ الشَّيْخَيْنِ لَهُ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ مَالِكٍ.

قال السعدي رحمه الله:

النيـــة شرط لســـائر العمـــل بهـــا الصـــلاح والفســـاد للعمـــل

وفي الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»[(١)] أخرجه مسلم.

قوله (بِالنِّيَّةِ): جاءت في رواية: (بالنيات).

فقال بعض أهل العلم: (الإفراد): بالنسبة إلى نية الشخص.

و(بالجمع): على كثرة الأعمال، والله أعلم.

❁❁❁

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٨٥).

التلفظ بالنية بدعة

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٥٢ التَّلَفُّظُ بالنِّيَّة بِدْعَةٌ، وَالدَّلِيلُ حَديثُ عَائشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان أن التلفظ بالنية بدعة، وذلك للتحذير من هذه البدعة، حيث انتشرت بين كثير من المسلمين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **"زاد المعاد"** (١/ ١٩٤):

وَلَا تَلَفَّظَ أي النبي ﷺ بِالنِّيَّةِ الْبَتَّةَ، وَلَا قَالَ أُصَلِّي لِلَّهِ صَلَاةَ كَذَا مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ إِمَامًا أَوْ مَأْمُومًا، وَلَا قَالَ أَدَاءً وَلَا قَضَاءً وَلَا فَرْضَ الْوَقْتِ، وَهَذِهِ عَشْرُ بِدَعٍ لَمْ يَنْقُلْ عَنْهُ أَحَدٌ قَطُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ وَلَا ضَعِيفٍ، وَلَا مُسْنَدٍ وَلَا مُرْسَلٍ لَفْظَةً وَاحِدَةً مِنْهَا الْبَتَّةَ، بَلْ وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَلَا اسْتَحْسَنَهُ أَحَدٌ مِنَ التَّابِعِينَ وَلَا الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ.

وَإِنَّمَا غَرَّ بَعْضَ الْمُتَأَخِّرِينَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّلَاةِ: إِنَّهَا لَيْسَتْ كَالصِّيَامِ، وَلَا يَدْخُلُ فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا بِذِكْرٍ، فَظَنَّ أَنَّ الذِّكْرَ تَلَفُّظُ الْمُصَلِّي بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِالذِّكْرِ تَكْبِيرَةَ الْإِحْرَامِ لَيْسَ إِلَّا، وَكَيْفَ يَسْتَحِبُّ الشَّافِعِيُّ أَمْرًا لَمْ يَفْعَلْهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي صَلَاةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ خُلَفَائِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَهَذَا هَدْيُهُمْ وَسِيرَتُهُمْ، فَإِنْ أَوْجَدَنَا أَحَدٌ حَرْفًا وَاحِدًا عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ قَبِلْنَاهُ وَقَابَلْنَاهُ بِالتَّسْلِيمِ وَالْقَبُولِ، وَلَا هَدْيَ أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِمْ، وَلَا سُنَّةَ إِلَّا مَا تَلَقَّوْهُ عَنْ صَاحِبِ الشَّرْعِ ﷺ .اهـ

(١) أخرجه البخاري (٢٦٧٩) ومسلم (١٧١٨).

فالتلفظ بالنية بدعة؛ لأنه لم يأت عن النبي ﷺ وعن الصحابة رضي الله عنهم ولو كان خيرًا لسبقونا اليه.

وأما ما ذكر عن الشافعي من جواز التلفظ بها؛ فإنما فهم على غير القصد.

قال النووي رحمه الله في "**المجموع**" (٣/ ٢٧٧):

إذَا نَوَى حَجًّا أَوْ عمرة أجزأ وَإِنْ لَمْ يَتَلَفَّظْ، وَلَيْسَ كَالصَّلَاةِ لَا تَصِحُّ إلَّا بِالنُّطْقِ.

قَالَ أَصْحَابُنَا: غَلِطَ هَذَا الْقَائِلُ وَلَيْسَ مُرَادُ الشَّافِعِيِّ بِالنُّطْقِ فِي الصَّلَاةِ هَذَا بَلْ مُرَادُهُ التَّكْبِيرُ: وَلَوْ تَلَفَّظَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَنْوِ بِقَلْبِهِ لَمْ تَنْعَقِدْ صَلَاتُهُ بِالْإِجْمَاعِ فيه، وَلَوْ نَوَى بِقَلْبِهِ صَلَاةَ الظُّهْرِ، وَجَرَى عَلَى لِسَانِهِ صَلَاةُ الْعَصْرِ انْعَقَدَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ.اهـ

قوله(والدليل: حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» متفق عليه)؛ وقد تقدم لفظ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**».

وهذا لفظٌ عام يدخل فيه كل محدثة ومنها التلفظ بالنية والزيادات التي لم يشرعها الله، **فلا يقبل من العمل إلا ما توفر فيه شرطان:**

الأول: الإخلاص لله عز وجل. **الثاني: المتابعة لرسول الله ﷺ** .

وقد تقدم الكلام على هذه المسألة، والله المستعان.

تعريف البدعة

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

﴿٥٣﴾ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا هِيَ البِدْعَةُ؟ فَقُلْ: هِيَ مَا أُحْدِثَ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ بِقَصْدِ التَّعَبُّدِ، وَلَيْسَ عَلَيْهَا دَلِيلٌ مِنَ الكِتَابِ، وَلَا مِنَ السُّنَّةِ.

لما بين حَفِظَهُ ٱللَّهُ أن التلفظ بالنية بدعة ناسب أن يعرَّف البدعة.

وقد اختلف العلماء في تعريف البدعة: وأخصر التعاريف بأنها: **الدين الذي لم يشرعه الله.**

وقولنا (الدين): خرج به العادات، فإن العادات ليست من الدين، فمن ركب سيارة جديدة، أو اتخذ مكبر صوت، أو ساعة، أو فعل شيئًا من هذه الأشياء لا ينكر عليه لأنه لم يرد التعبد.

ولكن من صلى في وقت لم يشرعه الله وخصصه بدون دليل أو خصص أيامًا بالصيام بغير دليل أو فعل أفعالًا يتقرب بها إلى الله على غير دليل فهذه هي البدعة.

قال الله ﷻ: ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ** ﴾ [الشورى:٢١]. وقال الله ﷻ: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب:٤٦].

قال العلماء: **قوله**: (داعيًا إلى الله): دليل على الإخلاص. **وقوله (بإذنه)**: دليل على المتابعة. فمن دعا إلى غير الله فقد أشرك ومن دعا إلى الله بغير إذنه فقد ابتدع فأنت مطالب أن تدعوا إلى الله بإذنه وأن تعبد الله بما شرع ﷻ.

ولما جاء النفر الثلاثة إلى زوجات النبي ﷺ قال بعضهم: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى

عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[(١)]، متفق عليه.

فقد أرادوا أن يتعبدوا لله ﷻ بأمور لم يشرعها الله ﷻ ولم يأمر بها رسول الله ﷺ

والبدعة تنقسم إلى قسمين:

١- **بدعة مكفرة يكفر متعاطيها:** كفر أكبر مخرج من الملة كبدعة التجهم والرفض والباطنية وبدعة القول بخلق القرآن وغير ذلك من البدع.

٢- **وبدعة مفسقة:** كبدع التحزب والأشعرية وغير ذلك.

وإن كان لازم القول بالبدعة عظيم لكن جرى العلماء على هذا التقسيم فلازم الابتداع أن الدين ناقص ويحتاج إلى زيادة وتمام وفيه الاعتراض على ما شرع الله والزيادة على ما جاء به رسول الله ﷺ والله ﷻ يقول: ﴿**ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ**﴾ [المائدة:٣].

ولهذا كانت البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها ولأن العاصي يشعر أنه مذنب ويحتاج أن يتوب أما المبتدع فإنه يشعر أنه يتقرب إلى الله بهذه البدع والمخالفات.

فإذا أردت أن تتقرب إلى الله تقرب اليه بما شرع قال الله ﷻ: ﴿**قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ**﴾ [آل عمران:٣١].

فما نحتاج إلى زيادة على ما جاء به رسول الله ﷺ .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٠٦٣)، والإمام مسلم في صحيحه (١٤٠١).

قوله (فقل: هي ما أحدث بعد موت النبي ﷺ): أي ما كان على غير مثالٍ سابق عن النبي ﷺ .

(بقصد التعبد): خرج به العادة.

قوله (وليس عليها دليل من الكتاب ولا من السنة): أي أنها قامت على الرأي والهوى والأقيسة الفاسدة وغير ذلك ولم تكن عائدة إلى أدلة الكتاب والسنة العامة والخاصة .

فالواجب على الناس اتباع الكتاب والسنة والعودة إليهما ففيهما السلامة من البدع والمحدثات والمخالفات والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويشترط لتوبة المبتدع ما قاله الله ﷻ: ﴿ **إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ** ﴾ [البقرة:١٦٠]، على ما تقدم بيانه.

وشروط التوبة: الإقلاع والندم والعزم على عدم العود، وهذه شروط عامة في جميع الذنوب، ويزاد هنا وجوب الإصلاح والبيان تحذيرًا للناس مما كان عليه من الضلالة.

وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : «**إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته**»[١] أخرجه ابن أبي عاصم.

(١) أخرجه الإمام إسحاق بن راهويه كما في مسنده برقم (٣٩٨)، والإمام الطبراني في الأوسط (٤٢٠٢)، والإمام ابن أبي عاصم في السنة برقم (٣٧)، وقال الإمام الألباني رحمه الله في حجة النبي ﷺ (ص١٠١): رواه الطبراني والضياء المقدسي في (الأحاديث المختارة)، وغيرهما، بسند صحيح وحسنه المنذري، وصححه أيضًا الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٥٤).

والمراد بحجب التوبة: أنه لا يوفق لها، وإلا فإن التوبة جائزة من كل ذنب، حتى من الشرك قال الله ﷻ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال:٣٨].

وسبب عدم توفيقه للتوبة؛ أنه يرى أنه على حق زد على ذلك أن الهوى يتجارى بصاحبه حتى يهلك.

وفي الحديث: «**إِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَتَجَارَى بِهِمُ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ**»[١] أخرجه الطبراني عن معاوية رضي الله عنه .

❁❁❁

(١) أخرجه الإمام أحمد في سننه (١٦٩٣٧)، والإمام أبو داود في سننه (٤٥٩٧)، وقال الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب: حسن صحيح برقم (٥١)، وصححه في المشكاة برقم (١٧٢، (٣٣)).

خلق الله الماء طهورًا يطهر النجاسات والأحداث

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

﴿٥٤﴾ خَلَقَ اللهُ الماءَ طَهُورًا يُطهِّرُ النَّجاسَات وَالأحْدَاث، وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعَالَى ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنفال: ١١].

بعد أن ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ بعض ما يتعلق بأحكام البدعة ناسب أن يشرع في المقصود من بيان أحكام الطهارة، وبدأ بأحكام المياه لبيان أن المياه تزيل النجاسات وترفع الأحداث.

والأصل في المياه الطهارة لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفرقان:٤٨].

ولقول النبي ﷺ «**الماء طاهر لا ينجسه شيء**»[(١)] أخرجه الأربعة عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقد أجمع العلماء على معنى أن النجاسة إنما تلحقه إذا تغير طعمه أو ريحه أو لونه بسبب نجاسةٍ وقعت فيه، فلا يدخل ما تغير طعمه بطول مكثه أو لونه لغبارٍ أو كثرة تحريك أو ريحه لشيء خارج عن النجاسات.

وقد امتن الله عَزَّ وَجَلَّ على عباده بالماء، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠].

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود (٦٦)، والنسائي (١٧٤)، والترمذي (٦٦)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإرواء برقم (١٤).

قوله (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا): دليل على أن الماء النازل من السماء طاهر في نفسه مطهرًا لغيره وقد ذهب بعضهم إلى أنه غير طاهر وهذا قول ضعيف لا يحتاج أن يذكر لأن ظاهر القرآن، وفعل النبي ﷺ وأصحابه والعلماء المعتبر بهم على أنه طاهر مطهر.

وقد سماه الله ﷻ مَاءً طَهُورًا وقال: ﴿**لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ**﴾ [الأنفال:١١] فدل على أنه طاهر في نفسه مطهر لغيره.

والنجاسات إنما تزال بالماء عند جمهور العلماء، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه لما بال ذلك الأعرابي في المسجد قال لهم النبي ﷺ: «**صبوا عليه ذنوبًا من ماء**»(١).

وهو المعتبر في رفع الأحداث: كالجنابة، فلو اغتسل بعصير أو مرق أو نحو ذلك من المائعات ما أجزأه لأن اشتراط الماء متعين في هذا الحال ولو توضأ بنوع من العصائر والأشربة لم يجزئه عند جماهير العلماء لقول الله ﷻ: ﴿**فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ**﴾ [النساء:٤٣].

ومن المياه الطاهرة: البحر قال رسول الله ﷺ: «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**»(٢).

وهذا محل إجماع بين الصحابة رضي الله عنهم، إلا ما روي عن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم: كراهية الوضوء بماء البحر، كما أخرجه ابن أبي شيبة

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٢٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٢٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨٤)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أبو داود (٨٣)، والنسائي (١/ ٥٠ و ١٧٦ و ٧٠٧)، والترمذي (٦٩)، وابن ماجه (٣٨٦) وابن أبي شيبة (١٣١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الإرواء برقم (٩).

في "**المصنف**" (١٣٨١)، وقيل بأنهما رجعا عنه لكن الحديث مقدم وقد عمل به العلماء.

قوله (خلق الله): قال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد:١٦].

وقوله (طَهُور): بفتح الطاء اسم الماء وبالضم اسم للفعل.

ومعنى طهور: أنها تطهر به النجاسات كبول الإنسان وغائطه ودم الحيض والنفاس. **ويرفع الأحداث والمراد بها**: نواقض الوضوء من غائطٍ أو بولٍ أو ريحٍ أو جماعٍ أو ردة أو اكل لحم الابل أو مس الفرج على ما يأتي ذكره إن شاء الله.

قال الله ﷻ: ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾ [النساء:٤٣].

وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾.

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ وَضُوءُ لِلْمُسْلِمِ وَإِنْ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ عَشْرَ سِنِينَ، وَإِذَا وَجَدَ الْمَاءَ فَلْيُمِسَّهُ بَشَرَتَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ خَيْرٌ**»[(١)] أخرجه أحمد.

قوله (والدليل: قول الله تعالى ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا﴾ [الفرقان:٤٨]):

والمراد بالسماء: السحاب؛ لأن المطر ينزل منه والسماء في اللغة كل ما علا وارتفع.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (١٢٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الإرواء برقم (١٥٣).

قال الله ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [النور:٤٣].

قوله (وقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنفال:١١]):

أي ترفع به الأحداث وتزال به النجاسات على ما تقدم، والله أعلم.

۞۞۞

دعاء دخول الخلاء

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٥٥ مَاذا يَقُولُ مَنْ أَرَادَ دُخُولَ الخَلَاءِ؟

عَنْ أَنَس بْن مَالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا دَخَلَ الخَلَاءَ قَالَ: «اللهُمَّ إنى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ والخَبَائِثِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان ما يستحب أن يلازمه المسلم من الاستعاذة بالله من الشرور.

والخلاء: هو مكان قضاء الحاجة في الحمام أو الصحراء.

وقوله (كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يدل على اللزوم والاستمرار **(إذا دخل في الخلاء)**: أي مكان قضاء الحاجة سمي بذلك لأنه مكان خالي عن السكان ويتخلى فيه الإنسان.

والحكمة من هذا الدعاء: أن يحال بين الإنسان وبين الشياطين.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنفال:١١].

زد على ذلك أن الأرض فيها كثير من الأدواء والبلاء فيدفع شرها بالدعاء.

قوله (إذا دخل الخلاء): أي أراد أن يدخل الخلاء كقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨]. أي: إذا أردت أن تقرأ، والأخلية تكون في الغالب بيوت الجن، ومساكنهم ومأوى الهوام.

قوله (اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ): أي يا الله إني أستعيذ بك. والعوذ يكون من المرهوب، واللوذ يكون للمطلوب.

فإذا قلت: اللهم إني أسالك رزقًا، هذا يسمى لوذًا. وإذا قلت: اللهم إني أعوذ بك من الشر وأهله، فهذا يسمى عوذًا. **قال بعضهم**:

يا من ألوذُ به فيما أُؤمله ... ومن أعوذ به مما أحاذرهُ
لا يجبرُ الناس عظمًا أنت كاسره ... ولا يهيضون عظماَ أنت جابره

والاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله: لا تجوز، فمن فعل ذلك فقد أشرك.

وأما الاستعاذة بالحي الحاضر القادر فيما يقدر عليه: فهي جائزة.

كأن تقول: يا فلان أعذني من فلان، وهو حاضر ويقدر أن يدفعه ويستطيع أن ينصرك. قال النبي ﷺ: «**فمن وجد ملجًا أو معاذًا فليعذ به**»[(١)].

قوله (من الخبث والخبائث): قيل: الخبث ذكور الجن والخبائث إناثهم.

وفي **"شرح النووي على مسلم" (٤/ ٧١)**: الْخُبُثُ بِضَمِّ الْبَاءِ جَمَاعَةُ الْخَبِيثِ، وَالْخَبَائِثُ جَمْعُ الْخَبِيثَةِ. قَالَ: يُرِيدُ ذُكْرَانَ الشَّيَاطِينِ وَإِنَاثَهُمْ. اهـ

وجاء في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنه إذا خرج قال: «**غفرانك**» أخرجه الترمذي وغيره، وهي رواية ضعيفة، فيها يوسف بن أبي بردة مجهول حال، وجمهور العلماء على تحسينها.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٦٠١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨٨٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

واختلف العلماء في سبب قولها بعد الخروج من الخلاء:

فقيل: لأنه شغل عن ذكر الله عز وجل.

وقيل: غفرانك؛ لأنك أزلت عني الأذى، وقد يتعذر علي أن أشكرك كما يجب علي، وفضائل الله عز وجل على عباده كثيرة.

قال الله عز وجل: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧]، والله المستعان.

من آداب قضاء الحاجة

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٥٦ مِنْ آدَابِ قَضَاء الحَاجَةِ:

عَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قيلَ لَهُ: عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ كُلَّ شَيْء حَتَّى الخرَاءَةَ، قَالَ: أَجَلْ، «لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبلَ القبْلَةَ بغَائط أَوْ بَوْل، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ باليَمين، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١).

ساق المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لأهمية ملازمة الآداب الشرعية في قضاء الحاجة وغيرها.

ومن آداب قضاء الحاجة: الاستنجاء بالماء، والاستنجاء بالماء أفضل من الاستنجاء بالحجارة عند الجمهور، وذلك أن الاستنجاء بالماء يُذهِب العين والأثر، بينما الاستنجاء بالحجارة يُذهِب العين ويبقى الأثر، وكلاهما مجزئ.

فائدة: للاستنجاء ثلاث حالات:

الأولى: الاستنجاء بالماء: فقد ثبت عن النَّبِيُّ ﷺ كما في هذا الحديث.

الثاني: الاستنجاء بالحجارة: وقد ثبت عن النَّبِيُّ ﷺ في حديث أبي هُرَيْرَةَ وابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وكلاهما في صحيح البخاري، أن النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: لأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**ابغِنِ أحجارا أستنفض بها ولا تأتيني بعظم ولا بروثة**». فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي حتى وضعت إلى جنبه ثم انصرفت، حتى إذا فرغ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢).

مشيت فقلت: ما بال العظم والروثة؟ قال: «**هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيبين، ونعم الجن! فسألوني الزاد فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاما**»(١)(٢).

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**ائْتِنِي بِثَلاثَةِ أَحْجَارٍ**»، فَأَتَيْتُهُ بِحَجَرَيْنِ وَرَوْثَةِ حِمَارٍ، فَأَخَذَ الْحَجَرَيْنِ وَأَلْقَى الرَّوْثَةَ، وَقَالَ: «**إِنَّهَا رِكْسٌ**»(٣).

«**وقد نهى النَّبِيُّ ﷺ عن الاستنجاء بأقل من ثلاثة أحجار**»، كما في حديث سَلْمَان رضي الله عنه عند مسلم.

قال الحافظ رحمه الله في "**التلخيص**" (١/ ١٩٥): عَارَضَ الْحَنَفِيَّةُ هَذَا الْحَدِيثَ بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ السَّابِقِ، وفيه: «**فَأَخَذَ الْحَجَرَيْنِ وَأَلْقَى الرَّوْثَةَ**».

قَالَ الطَّحَاوِيُّ: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عَدَدَ الْأَحْجَارِ لَيْسَ بِشَرْطٍ؛ لِأَنَّهُ قَعَدَ لِلْغَائِطِ فِي مَكَان لَيْسَ فِيهِ أَحْجَارٌ، لقوله: «**نَاوِلْنِي**»، فَلَمَّا أَلْقَى الرَّوْثَةَ دَلَّ عَلَى أَنَّ الِاسْتِنْجَاءَ بِالْحَجَرَيْنِ مُجْزِئٌ، إذْ لَوْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ، لَقَالَ: «**ابْغِنِي ثَالِثًا**».اهـ

* وَقَدْ رَوَى أَحْمَدُ فِيهِ هَذِهِ الزِّيَادَةَ بِإِسْنَادٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ، قَالَ: فِي آخِرِهِ: فَأَلْقَى الرَّوْثَةَ وَقَالَ: «**إِنَّهَا رِكْسٌ، ائْتِنِي بِحَجَرٍ**»(٣)، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي مَا ذُكِرَ اسْتِدْلَالٌ لِأَنَّهُ مُجَرَّدُ احْتِمَالٍ، وَحَدِيثُ سَلْمَانَ نَصٌّ فِي عَدَمِ الِاقْتِصَارِ عَلَى مَا دُونَهَا، ثُمَّ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٨٦٠).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٥٦).

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (٢٦٣).

(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده برقم: (٢٤٦٣٩)، والترمذي برقم: (١٩)، والنسائي برقم: (٤٦)، وأبو يعلى في مسنده برقم: (٤٥١٤)، وغيرهم بإسناد صحيح.

حَدِيثُ سَلْمَانَ قَوْلٌ، وَحَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ فِعْلٌ، وَإِذَا تَعَارَضَا قُدِّمَ الْقَوْلُ. وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ

* **ونهى عن الاستنجاء بالعظم والبَعَر**، كما في حديث جابر رضي الله عنه قال: «**نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُتَمَسَّحَ بِعَظْمٍ، أَوْ بِبَعْرٍ**»(١).

* **ونهى عن الاستنجاء بالعظم والروث**: كما في حَدِيثِ اِبْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ : قال: «**أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ**» قَالَ: فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ، وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ: «**لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ**: «**فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ**»(٢).

الثالث: الجمع بين الحجارة والماء: ولم يثبت ذلك عن النَّبِيِّ ﷺ ، مع أن الجماهير على جوازه واستحبابه، من حيث أن الحجر يزيل العين ويخفف النجاسة، والماء يزيله.

وما جاء في قصة أهل قباء، «**أن النَّبِيَّ ﷺ سألهم عن سبب مدح الله لهم في قوله تعالى**: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة:١٠٨]؟» فقالوا: إنا نتبع الحجارة بالماء.

فإنه من طريق محمد بن عبد العزيز وهو ضعيف، كما قال أبو حاتم، والثابت عنهم في غير ما حديث أنهم كانوا يستنجوا بالماء، كما في حديث عائشة رضي الله عنها وغيرها.

(١) أخرج مسلم (٢٦٣).

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (٤٥٠).

وجاء الحث على الاستنجاء بالماء من حَدِيث عائشةَ ﵂، أنَّها قالت لنسوةٍ: «**مُرنَ أزواجَكنَّ أن يستنجوا بالماءِ فأنِّي أستحييهم وَكانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يفعلُه**»[١].

وقد ذهب مالك إلى أنه لم يثبت عن النَّبِيُّ ﷺ أنه استنجى بالماء، وهذا قولٌ ضعيف، فقد ثبت في حديث أنس ﵁، الذي ذكره المصنف: «فيستنجي بالماء»، وفي مسلم: «**ذهب النبي ﷺ لِحَاجَتِه فقرَّب إليه، غلامٌ نحوي، إداوةً من ماءٍ، فخرج وقد استنجى بالماءِ**»[٢].

ومن كان يكره الاستنجاء بالماء حذيفة ﵁، وابن المُسيَّب.

والاستنجاء واجبٌ مستقل وليس من الوضوء وإنما إذا قضى الإنسان حاجته وجب عليه إزالة النَّجس.

والحديث يدل على شمولية الإسلام، وقد جاء عَنْ سَلْمَانَ ﵁، عِنْدَ مُسْلِم قَالَ: «**قِيلَ لَهُ: قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى الْخِرَاءَةَ. قَالَ، فَقَالَ: أَجَلْ. لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوَ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِاليَمِينَ، أَوْ أَنْ نستَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلاثَةِ أَحْجَارٍ. أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ...**»[٣]أخرجه مسلم.

❋ **وفيه: التستر حين قضاء الحاجة**: فإن النَّبِيَّ ﷺ كان يدخل الخلاء، ففي حديث المغيرة ﵁، «**كان إذا أراد الحاجة أبعد المذهب**» أخرجه أبو داود[٤].

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (١٩)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي ﵀ برقم (١٥٦٩)، وقال فيه: هو حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٢)أخرجه البخاري (١٥٠) ومسلم (٢٧٠).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٢).

(٤)أخرجه أبو داود في سننه (١)، والترمذي في سننه (٢٠)، والنسائي في سننه (١٧)، وابن ماجه في سننه (٣٣١) وهو في الصحيح المسند.

وذهب بعض أهل العلم إلى عدم جواز استخدام الماء للاستنجاء لأنه شراب وهذا لا يتأتى لأمور:

الأول: أنه يُستخدم لغير الشراب، كالغسل، وإزالة النجاسة.

الثاني: أنه النَّبِيُّ ﷺ قد استخدمه.

قوله(عن سلمان الفارسي رضي الله عنه): وهو ممن عمر طويلًا قيل مائتين وخمسين سنة وقيل أكثر من ذلك كان مجوسيًا ثم تنصر ثم أسلم وحسن إسلامه.

قوله (أنه قيل له: علمكم نبيكم كل شيء): قيل أن القائل له ذلك من الكافرين أو المنافقين أراد أن يستهزئ بدين الإسلام، وفي الحديث دليل على كمال الإسلام.

قوله(حتى الْخِراءة): بالكسر أي طريقة قضاء الحاجة ومنه قوله ﷺ: «**إذا قتلتم فأحسنوا القِتلة**» أخرجه مسلم[1] أي طريقة القتل.

قوله(أجل): قالها مفتخرًا بها، أي نعم علمنا ذلك وهذا ليس بنقيصة بل هذا من تمام الدين وكماله فإذا كان قد علم أمور قضاء الحاجة فمن باب أولى تعليم التوحيد والصلاة والصيام وتعليم كل ما يكون نافعًا للعبد في دنياه وأخراه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في **"مقدمة الحموية"** (ص: ١٧٧):

فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمر الناس أن يردُّوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بعث به من

(١)أخرجه مسلم (١٩٥٥)

الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة، وقد أخبر أنه أكمل له ولأمته دينهم، وأتم عليهم نعمته ـ محال مع هذا وغيره ـ أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسًا مشتبهًا، فلم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا، وما يجوز عليه وما يمتنع عليه.

فإن معرفة هذا أصل الدين، وأساس الهداية، وأفضل ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول، فكيف يكون ذلك الكتاب، وذلك الرسول.

وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الكتاب اعتقادًا وقولًا؟! ومن المحال أيضًا أن يكون النبي ﷺ قد علَّم أُمَّتَه كل شيء حتى الخراءة، وقال: «**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»، وقال فيما صح عنه أيضًا: «**ما بعث الله من نبي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم**».

وقال أبو ذر رضي الله عنه: «**لقد توفي رسول الله ﷺ وما من طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا**» أخرجه أحمد[(١)].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه**» [(٢)] رواه البخاري.

---

(١)أخرجه الإمام الطبراني في معجمه الكبير (٢/ ١٥٥/ ١٦٤٧)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (١٨٠٣)، وقال فيه: وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات، وفطر وهو ابن خليفة وثقه أحمد وابن معين، وروى له البخاري مقرونا كما قال الذهبي في " الكاشف ".

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣١٩٢) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٩١) من حديث حذيفة رضي الله عنه .

محال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين ـ وإن دقت ـ أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين، الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية، فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مُسكة من إيمان وحكمة، أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول ﷺ على غاية التمام، إذا كان قد وقع ذلك منه، فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب، زائدين فيه أو ناقصين عنه.اهـ

قوله (لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول): وقد جاء في حديث أبي أيوب رضي الله عنه : «**إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة بغائطٍ ولا بول ولكن شرقُوا أو غربُوا**»[(١)] متفق عليه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**إِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ عَلَى حَاجَتِهِ، فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ، وَلَا يَسْتَدْبِرْهَا**»[(٢)] أخرجه مسلم.

قوله (شرقُوا أو غربُوا): في حق المدني واليمني أما من كانت جهته المغرب والمشرق فإنه لا يشرق ولا يغرب وإنما يتجه إلى الشمال أو الجنوب

ومن عجيب بعض المتفقهة أنهم ذكروا في هذا الباب ولا يستقبل النيرين أي الشمس والقمر ونحو ذلك.

وعلق عليه الشوكاني رحمه الله في "السيل الجرار" (١/ ١٩٧) بقوله:
وأما استقبال القمرين فهذا من غرائب أهل الفروع فإنه لم يدل على ذلك دليل

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٩٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٤).
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٥).

لا صحيح ولا حسن ولا ضعيف وما روي في ذلك فهو كذب على رسول الله ﷺ ومن رواية الكذابين وإن كان ذلك بالقياس على القبلة فقد اتسع الخرق على الراقع ويقال لهذا القائس ما هكذا تورد يا سعد الإبل وأعجب من هذا إلحاق النجوم النيرات بالقمرين فإن الأصل باطل فكيف بالفرع وكان ينبغي لهذا القائس أن يلحق السماء فإن لها شرفا عظيما لكونها مستقر الملائكة ثم يلحق الأرض لأنها مكان العبادات والطاعات ومستقر عباد الله الصالحين فحينئذ يضيق على قاضي الحاجة الأرض بما رحبت ويحتاج أن يخرج عن هذا العالم عند قضاء الحاجة. وسبحان الله ما يفعل التساهل في إثبات أحكام الله من الأمور التي يبكي لها تارة ويضحك منها أخرى. اهـ

وقد أشكل على ما تقدم ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنه ودليله: «**رَقِيتُ فَوْقَ بَيْتِ حَفْصَةَ، فَإِذَا أَنَا بِالنَّبِيِّ ﷺ جَالِسًا عَلَى مَقْعَدَتِهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، مُسْتَدْبِرَ الشَّامِ**» متفق عليه[(١)]. وفي حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه : «**نَهَى نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِبَوْلٍ، فَرَأَيْتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ بِعَامٍ يَسْتَقْبِلُهَا**»[(٢)] أخرجه أحمد.

قال الشوكاني في "نيل الأوطار" (١/ ١٠٣): وَالْحَدِيث يَدُلُّ عَلَى الْمَنْعِ مِنْ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ وَاسْتِدْبَارِهَا بِالْبَوْلِ وَالْغَائِطِ، وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ عَلَى أَقْوَالٍ:

الْأَوَّلُ: لَا يَجُوزُ ذَلِكَ لَا فِي الصَّحَارِي وَلَا فِي الْبُنْيَانِ وَهُوَ قَوْل أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ الصَّحَابِيِّ وَمُجَاهِدٍ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيّ وَالثَّوْرِيِّ وَأَبِي ثَوْرٍ وَأَحْمَدَ فِي

---

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٤٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٦).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٣)، والإمام الترمذي في سننه (٩)، وابن ماجه في سننه (٣٢٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في السنن.

رِوَايَة، كَذَا قَالَهُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْح مُسْلِمٍ وَنَسَبَهُ فِي الْبَحْر إِلَى الْأَكْثَر وَرَوَاهُ ابْنُ حَزْم فِي الْمَحْكِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَابْن مَسْعُودٍ وَسُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ وَعَطَاءٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ، وَعَنْ السَّلَفِ مِنْ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ.

الْمَذْهَبُ الثَّانِي: الْجَوَازُ فِي الصَّحَارِي وَالْبُنْيَانِ وَهُوَ مَذْهَبُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَرَبِيعَةَ شَيْخِ مَالِكٍ وَدَاوُد الظَّاهِرِيُّ، كَذَا رَوَاهُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْح مُسْلِمٍ عَنْهُمْ وَهُوَ مَذْهَبُ الْأَمِيرِ الْحُسَيْنِ.

الْمَذْهَب الثَّالِث: أَنَّهُ يَحْرُم فِي الصَّحَارِي لَا فِي الْعُمْرَانِ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَالشَّعْبِيِّ وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهْوَيْهِ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ.

صَرَّحَ بِذَلِكَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْح مُسْلِمٍ أَيْضًا وَزَادَ فِي الْبَحْر عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ وَنَسَبَهُ فِي الْفَتْح إِلَى الْجُمْهُور.

الْمَذْهَبُ الرَّابِعُ: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الِاسْتِقْبَالُ لَا فِي الصَّحَارِي وَلَا فِي الْعُمْرَانِ وَيَجُوزُ الِاسْتِدْبَارُ فِيهِمَا وَهُوَ أَحَدُ الرِّوَايَتَيْنِ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَدَ.

الْمَذْهَبُ الْخَامِسُ: أَنَّ النَّهْيَ لِلتَّنْزِيهِ فَيَكُونُ مَكْرُوهًا وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْإِمَامُ الْقَاسِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَأَشَارَ إِلَيْهِ فِي الْأَحْكَام، وَحَصَّلَهُ الْقَاضِي زَيْدٌ لِمَذْهَبِ الْهَادِي وَنَسَبَهُ فِي الْبَحْر إِلَى الْمُؤَيِّدِ بِاَللَّهِ وَأَبِي طَالِبٍ وَالنَّاصِرِ وَالنَّخَعِيِّ وَإِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَأَبِي ثَوْرٍ وَأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ.

الْمَذْهَبُ السَّادِسُ: جَوَازُ الِاسْتِدْبَارِ فِي الْبُنْيَانِ فَقَطْ وَهُوَ قَوْلُ أَبِي يُوسُفَ ذَكَرَهُ فِي الْفَتْح.

الْمَذْهَبُ السَّابِعُ: التَّحْرِيمُ مُطْلَقًا حَتَّى فِي الْقِبْلَةِ الْمَنْسُوخَةِ وَهِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ

وَهُوَ مَحْكِيٌّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَابْنِ سِيرِينَ ذَكَره أَيْضًا فِي الْفَتْحِ وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى عَدَمِ الْفَرْق بَيْن الْقِبْلَتَيْنِ الْهَادَوِيَّةُ وَلَكِنَّهُمْ صَرَّحُوا بِأَنَّهُ مَكْرُوهٌ فَقَطْ.

الْمَذْهَبُ الثَّامِنُ: أَنَّ التَّحْرِيمَ مُخْتَصٌّ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ كَانَ عَلَى سَمْتِهَا فَأَمَّا مَنْ كَانَتْ قِبْلَتُهُ فِي جِهَةِ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِب فَيَجُوزُ لَهُ الِاسْتِقْبَالُ وَالِاسْتِدْبَارُ مُطْلَقًا قَالَهُ أَبُو عَوَانَة صَاحِبُ الْمُزَنِيّ هَكَذَا فِي الْفَتْح. اهـ

قوله (بغائطٍ): المراد به خروج الأذى من الدبر. **(أو بولٍ):** المراد به سيلان الماء من موضعه المعروف.

قوله (أو أن نستنجي باليمين): لإكرامها فقد: «**كَانَتْ يَدُ رسول الله ﷺ الْيُمْنَى لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتْ يَدُهُ الْيُسْرَى لِخَلَائِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ أَذًى**»(١) أخرجه أبو داود، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وجاء بنحوه عن حفصة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وقد أخرج الشيخان: عن أبي قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يُمْسِكَنَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَبُولُ، وَلَا يَتَمَسَّحْ مِنَ الْخَلَاءِ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ**»(٢) متفق عليه.

قوله (أو نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار): وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند مسلم: «**إِذَا اسْتَجْمَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَجْمِرْ وِتْرًا**»(٣). وفيه عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**إذا اسْتَجْمَرَ أحدكم فليوتر**»(٤).

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٣٣)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في المشكاة برقم (٣٤٨).
(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٥٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٧).
(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٦١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣٧).
(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣٩).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ **في "شرح مسلم" (٣/ ١٢٥)**: **أَمَّا الِاسْتِجْمَارُ**: فَهُوَ مَسْحُ مَحَلِّ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ بِالْجِمَارِ وَهِيَ الْأَحْجَارُ الصِّغَارُ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: يُقَالُ الِاسْتِطَابَةُ وَالِاسْتِجْمَارُ وَالِاسْتِنْجَاءُ لِتَطْهِيرِ مَحَلِّ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ.

فَأَمَّا الِاسْتِجْمَارُ: فَمُخْتَصٌّ بِالْمَسْحِ بِالْأَحْجَارِ.

وَأَمَّا الِاسْتِطَابَةُ وَالِاسْتِنْجَاءُ: فَيَكُونَانِ بِالْمَاءِ وَيَكُونَانِ بِالْأَحْجَارِ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ مَعْنَى الِاسْتِجْمَارِ هُوَ الصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ الَّذِي قَالَهُ الْجَمَاهِيرُ مِنْ طَوَائِفِ الْعُلَمَاءِ مِنَ اللُّغَوِيِّينَ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ.

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: اخْتَلَفَ قَوْلُ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ فِي مَعْنَى الِاسْتِجْمَارِ الْمَذْكُورِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، **فَقِيلَ**: هَذَا، **وَقِيلَ**: الْمُرَادُ بِهِ فِي الْبُخُورِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ ثَلَاثَ قِطَعٍ، أَوْ يَأْخُذَ مِنْهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَسْتَعْمِلُ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى.

قَالَ: وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَالصَّحِيحُ الْمَعْرُوفُ مَا قَدَّمْنَاهُ.

وَالْمُرَادُ بِالْإِيتَارِ: أَنْ يَكُونَ عَدَدُ الْمَسَحَاتِ ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْتَارِ، وَمَذْهَبُنَا أَنَّ الْإِيتَارَ فِيمَا زَادَ عَلَى الثَّلَاثِ مُسْتَحَبٌّ.اهـ

لكن يشكل على ذلك، ما تقدم عن عَبْدَ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**أَتَى النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الغَائِطَ فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِثَلاَثَةِ أَحْجَارٍ، فَوَجَدْتُ حَجَرَيْنِ، وَالتَمَسْتُ الثَّالِثَ فَلَمْ أَجِدْهُ، فَأَخَذْتُ رَوْثَةً فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَأَخَذَ الحَجَرَيْنِ وَأَلْقَى الرَّوْثَةَ**» وَقَالَ: «**هَذَا رِكْسٌ**» [(١)] أخرجه البخاري. فيحمل على أنه مسح بأحد الحجرين مرتين، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٥٦).

لا تصح الصلاة بغير طهارة

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٥٧ **لَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ إِلَّا بِوُضُوءٍ، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ النَّبِيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ**(١)**، وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **أَنَّ النَّبِيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ**(٢).

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان أن الصلاة لا تصح إلا برفع الحدث وذكر الوضوء لأنه الأصل فإن عدم الماء أو عجز عن استخدامه كان التيمم.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ [المائدة:٦].

وينقسم الحدث إلى قسمين:

الأول: الحدث الأكبر، وهو الجنابة وما في بابها.

الثاني: الحدث الأصغر، وهو الفساء والبول وما في بابه.

فالحدث الأصغر يرفع: بالوضوء، أو التيمم: لعادم الماء، أو العاجز عن استخدامه. والحدث الأكبر يرفع: بالغسل، أو التيمم: لعادم الماء، أو العاجز عن استخدامه.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٥).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٢٤).

قوله(والدليل: حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ»[(١)]).

وجاء في لفظ مسلم: «**لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**» وفسر الحدث أبو هريرة رضي الله عنه بأنه الفساء والضراط، وهذا على الأغلب، وإلا فان الأحداث كثيرة كما سيأتي إن شاء الله في نواقض الوضوء.

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «**لا وضوء إلا من صوتٍ أو ريح**»[(٢)].

وهذا محمول على الأغلب مع أن بعضهم قد ذكر أن شعبه قد اختصر الحديث.

كما ذكره الحافظ رحمه الله في "التلخيص الحبير" (١/ ٣٣١)فقال: وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ قَدْ اتَّفَقَ الشَّيْخَانِ عَلَى إخْرَاجِ مَعْنَاهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ سَمِعْتُ أَبِي وَذَكَرَ حَدِيثَ شُعْبَةَ عَنْ سَهْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «**لَا وُضُوءَ إلَّا مِنْ صَوْتٍ أَوْ رِيحٍ**» فَقَالَ أَبِي: هَذَا وَهْمٌ اخْتَصَرَ شُعْبَةُ متن الْحَدِيثِ فَقَالَ: «**لَا وُضُوءَ إلَّا مِنْ صَوْتٍ أَوْ رِيحٍ**» وَرَوَاهُ أَصْحَابُ سُهَيْلٍ بِلَفْظِ: «**إذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَوَجَدَ رِيحًا مِنْ نَفْسِهِ فَلَا يَخْرُجْ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ ريحا**» ورواه أحمد وللطبراني مِنْ حَدِيثِ السَّائِبِ بْنِ خَبَّابٍ بِلَفْظِ: «**لَا وُضُوءَ إلَّا مِنْ رِيحٍ أَوْ سَمَاعٍ**».اهـ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٥).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٧٤)، وابن ماجه في سننه (٥١٥)،وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن.

ومعنى: لا تقبل صلاته: أي لا تصح لأن الوضوء شرط في صحة الصلاة.

و المراد بالصلاة هنا: الصلاة الشرعية المفتتحة بالتكبير المنتهية بالتسليم.

قوله (من أحدث): الحدث يطلق على البدعة، ويطلق على ما دونها كالأحداث التي تنقض الوضوء وهو المراد هنا.

قوله (حتى يتوضأ): أي إلى أن يتوضأ والمراد بالوضوء الوضوء الشرعي الذي توضأه النبي ﷺ ودل عليه القرآن والسنة، على ما يأتي إن شاء الله.

قوله (عن ابن عمر): وهو أبو عبد الرحمن عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما من المكثرين في أحاديث الرسول ﷺ.

قوله (لا تقبل): أي لا تجزي ولا يقبلها الله عز وجل، **(صلاة بغير طهور)**: أي بغير وضوء فالطُّهور بالضَّم يراد به الوضوء والطَّهُور بالفتح يراد به الماء الذي يتوضأ به وهكذا القول في الوُضُوء والوَضُوء، فالوُضُوء بالضم هو الفعل والوَضوء بالفتح الماء الذي يتوضأ به.

ويعتبر الوضوء نعمة من الله عز وجل على هذه الأمة؛ فإنه مكفر للذنوب ورافع للدرجات، قال النبي ﷺ : «**ألا أدلكم على ما يمحوا به الله الخطايا ويرفع الدرجات قالوا بلى يا رسول الله: قال إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط**»[1] أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه . وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»[2].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٠).

أعضاء الوضوء

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٥٨ أعْضَاءُ الوُضُوءِ:

* الوَجْهُ؛ بِمَا فيه المَضْمَضَةُ وَالاسْتِنْشَاقُ. * وَاليَدَانِ؛ تُغْسَلَانِ إِلَى المرْفَقَيْنِ. * وَالرَّأْسُ؛ يُمْسَحُ مَسْحًا. * وَالرِّجْلَانِ؛ تُغْسَلَانِ إِلَى الكَعْبَيْنِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، وَلحَدِيث عَبْدالله بْنِ عَمْرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان أعضاء الوضوء التي لا يتم الوضوء الشرعي إلا باستيعابها إلا لمعذور وهي:

١- **الوجه**: وحده من منابت الشعر إلى الذقن ومن شحمة الأذن إلى الشحمة الأخرى. **ويدخل فيه**: المضمضة والاستنشاق. قال الله ﷻ: ﴿**فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ**﴾ [المائدة:٦]. **وفي السنة**: قال النبي ﷺ: «**إذا توضأت فانتثر**»(٢).

وقال: «**اسْتَنْثِرُوا مَرَّتَيْنِ بَالِغَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا**»(٣)، أخرجه أحمد عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٤١).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٧) من حديث سلمة بن قيس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (٤٤٨).

(٣) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٤١)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (٦٢٠).

والاستنشاق: هو إدخال الماء في الأنف قال النبي ﷺ : «**وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائما**» [(١)] أخرجه أبو داود وغيره من حديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه .

وجاء في بعض طرقه: «**ومضمض**»، والجمهور على أن المضمضة مستحبة.

والصحيح أنها واجبة؛ لمداومة النبي ﷺ عليها، ولأن بابها وباب الاستنشاق واحد. **ويجزئ في المضمضة**: أن يدخل الماء إلى فيه ثم يحركه ويمجه.

والاستنثار: هو إخراج الماء من الأنف.

٢- **اليدان**: أي تغسلان إلى المرفقين لقوله تعالى: ﴿**وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ**﴾ [المائدة:٦].ويدخل المرفق في الغسل لحديث أبي هريرة رضي الله عنه : «**ثم غسل يديه حتى شرع في العضد**» [(٢)] أخرجه مسلم.

٣- **مسح الرأس**: ويمسح جميعه لقول؛ الله عز وجل: ﴿**وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ**﴾ [المائدة:٦]. ولحديث عبدالله بن زيد رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ : «**مسح رأسه فبدأ بمقدم رأسه ثم ردها إلى قفاه ثم ردها إلى مقدم رأسه**» [(٣)] الحديث في الصحيحين.

إلا إذا كان عليه عمامة: فإنه يمسح العمامة ويكتفي بها، لحديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في مسلم: قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَسِيرٍ، فَقَالَ لِي: «**أَمَعَكَ مَاءٌ**» **قُلْتُ**: نَعَمْ، فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَمَشَى حَتَّى تَوَارَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَفْرَغْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، فَلَمْ

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود (١٤٢ و ١٤٣)، والنسائي (١/ ٦٦ و ٦٩)، والترمذي، (٣٨)، وابن ماجه (٤٤٨)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٠٩٦)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٤٦).
(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٨٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣٥).

يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْهَا حَتَّى أَخْرَجَهُمَا مِنْ أَسْفَلِ الْجُبَّةِ فَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ ثُمَّ أَهْوَيْتُ لِأَنْزِعَ خُفَّيْهِ، **فَقَالَ:** «**دَعْهُمَا فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا**» [١] وإن كان عليه عمامة وقد بدت ناصيته فإنه يمسح العمامة والناصية.

ويدخل في مسح الرأس: مسح الأذنين مع أن حديث «**الأذنان من الرأس**»[٢] ضعيف، وقد خرج طرقه الحافظ في التلخيص، لكن قد ثبت أن النبي ﷺ: «**كان يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما**» أخرجه أحمد عن ابن عباس رضي الله عنه[٣].

ومسح الرأس يكون بماء غير فضل اليدين كما في حديث عبد الله بن زيد عند مسلم.

٤- الرجلان تغسلان إلى الكعبين؛ لقوله تعالى: ﴿**وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾ [المائدة:٦]. **والأفضل أن يشرع في الساق:** لما يأتي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**وغسل رجليه حتى شرع في الساق**» [٤].

هذه أركان وواجبات الوضوء، وإلا فمن مستحباته التسمية في أوله مع أن حديث: «**لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله**» [٥]، لا يصح.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٧٩٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٤).

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (٣٤) وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٧) وَابْنُ مَاجَهْ (٤٤٤).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٦)، وابن ماجه في سننه (٤٣٩)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن، وقال فيه: حسن صحيح.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٤٦).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤١٨)، وأبو داود (١٠١)، وابن ماجه (٣٩٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود الأم برقم (٩١) وقال فيه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

ومن مستحباته التثليث؛ فإن النبي ﷺ توضأ ثلاثا ثلاثا كما في حديث عثمان رضي الله عنه في الصحيحين.

وتوضأ مرتين مرتين: كما في حديث عبدالله بن زيد رضي الله عنه، وبوب عليه البخاري. وتوضأ مرة مرة كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه .

ومن مستحباته تقديم اليمين؛ فإن النبي ﷺ يقول: «**إذا لَبِسْتُمْ، وإذَا تَوَضَّأْتُمْ، فَابْدَءوا بأَيَامِنكُمْ**»[(١)] أخرجه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وأما الترتيب بين الأعضاء ولموالاة فمن الأركان فلو بدأ بالرجلين قبل اليدين لم يصح منه الوضوء.

قوله (والدليل): على أن أعضاء الوضوء ما تقدم **(قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة:٦] الآية)**: استدل بها الشافعي في حق من قام من النوم إلى الصلاة. **وليس معنى ذلك**: أن كل صلاة تُحدث لها وضوءًا، إلا إذا كانت على غير طهارة.

وكان النبي ﷺ يتوضأ لكل صلاة وهذا من باب الاستحباب، وإلا فقد صلى الصلوات يوم الفتح بوضوء واحد وقال عمدًا صنعت يا عمر، كما في حديث بريدة رضي الله عنه أخرجه مسلم[(٢)].

(١)رواه أبو داود (٤١٤١)، والترمذي (١٧٦٦)، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٤٨٢)، وابن ماجه (٤٠٢)، وابن خزيمة (١٧٨)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٣٠٣)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط البخاري.

(٢)أخرجه مسلم (٢٧٧)

ويرى الرافضة المسح على الرجلين مخالفين، أمر الله ﷻ بالأمر بالغسل ويستدلون بقراءة الجر: ﴿تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦].

ولا حجة لهم في ذلك، لأن الآية نزلت في السفر فيحمل على مسح الخفاف، وفعل النبي ﷺ مفسر لذلك أو أنه يراد به التمسح وهو الغسل الخفيف، لأن العادة أن المتوضئ يكثر في غسل الرجلين فكأنه أمر بالتمسح حتى يغسلهما غسلا خفيفا.

قوله (ويل للأعقاب من النار): أي عذاب يكون للأعقاب بسبب عدم استيعابهما، وقال بعضهم: ويل وادي في جهنم، ولا يثبت في ذلك شيء.

وجاء في بعض ألفاظه: «**ويل للأعقاب وأخمص القدمين من النار**»، وذلك أن المتوضئ لا ينتبه لهما فلا يصلهما الماء.

والحديث فيه قصة: وهو أن النبي ﷺ كان في سفر فأدركهم وهم يستعجلون الطهارة وأعقابهم تلوح فقال: «**أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار**» أخرجه البخاري ومسلم.

وفيه دليل على وجوب غسل الرجلين لأنه لو كان المسح كافيًا لما توعدهم على عدم الاستحباب.

❁❁❁

التيمن في الوضوء، وإطالة الغرة، والتحجيل

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٥٩ التَّيَمُّنُ فِي الوُضُوء، وَإِطَالَةُ الغُرَّة، وَالتَّحْجِيلُ، وَالدَّليلُ حَديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَسَلَ يَدَهُ اليُمْنَى حَتَّى شَرَعَ فِي العَضُد، وَغَسَلَ اليُسْرى حَتَّى شَرَعَ فِي العَضُد، ثُمَّ مَسَحَ برأسه، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ اليُمنَى حَتَّى شَرَعَ فِي السَّاق، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ اليُسْرَى حَتَّى شَرَعَ فِي السَّاقِ، وَقَالَ: «أَنْتُمُ الغُرُّ المُحَجَّلُونَ يَوْمَ القيَامَة منْ إِسْبَاغِ الوضُوء». أخْرَجَهُ مُسْلمٌ، وَصَحَّ فِي سُنَن أَبِي دَاوُد منْ حَديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا لَبِسْتُمْ، وَإِذَا تَوَضَّأْتُمْ، فَابْدَءُوا بِأَيَامِنِكُمْ».

وصح في سنن أبي داود: من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: «إِذَا لَبِسْتُم، وَإِذَا تَوَضَّأتُم، فَابْدَأوا بِأَيَامِنُكُم».

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان بعض آداب وفضائل الوضوء.

وقد كان التيمُن يعجب النبي ﷺ في شأنه كله لحديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في الصحيحين: «**كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله**»[1]. وفي حديث عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «**كَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْيُمْنَى لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتْ يَدُهُ الْيُسْرَى لِخَلَائِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ أَذًى**»[2] أخرجه أبو داود.

فالأكل والتناول باليمين من أفعال المسلمين قال النبي ﷺ : «**إِذَا أَكَلَ**

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٦٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٨).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٣٣)، وهو في صحيح أبي داود الأم للإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (٢٦)، وقال فيه: إسناده صحيح، وكذا قال النووي، وهو على شرط مسلم.

أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ» [(١)] أخرجه مسلم. والوضوء من أفضل الأعمال فينبغي أن يتيمن فيه.

وقد ذكرت شيئًا من أحكام اليمين في شرح عمدة الأحكام قلت فيه:

* **ومن أخلاقه**: أنه كان يعجبه التَّيَمُّنَ، أي استخدام اليمنى في كثير من شؤونه، لأن اليد اليمين شريفة ومكرمة. ولأنها صفة المؤمنين، وفي حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ، وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِهَا**».

قَالَ: وَكَانَ نَافِعٌ يَزِيدُ فِيهَا: «**وَلَا يَأْخُذُ بِهَا، وَلَا يُعْطِي بِهَا**» [(١)]. وَجاء بلفظ: «**وَكَانَ إِذَا أَعْطَى، أَعْطَى بِيَمِينِهِ**». وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلِيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا أَكَلَ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا أَخَذَ أَخَذَ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا أَعْطَى أَعْطَى بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ، وَيَأْخُذُ بِشِمَالِهِ، وَيُعْطِي بِشِمَالِهِ**»[(٢)]. وأصله في الصحيحين.

* **النوم على اليمين**: وكان النَّبِيُّ ﷺ إذا نام اضطجع على يمينه، كَمَا فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**وَكَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ثُمَّ يَضْطَجِعُ عَلَى يَمِينِهِ، حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمُؤَذِّنُ لِصَلَاةِ الفَجْرِ**»[(٣)].

* **وَفِي نَوْمِ اللَّيْلِ**: جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليأخذ داخلة إزاره فلينفض بها فراشه، وليسم الله؛**

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٢٠).

(٢) أخرجه أحمد برقم: (١٩٤٢٠، ٢٢٦٥٦)، عن عَبْدُ الله بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، وذكره الهيثمي في "المجمع" ٥/ ٢٦، وقال: "رواه أحمد، وهو مرسل، ورجاله رجال الصحيح".

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٦٢٦)، ومسلم في صحيحه برقم: (٧٣٦).

فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه، فإذا أراد أن يضطجع فليضطجع على شقه الأيمن، وليقل: سبحانك اللهم ربي بك وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» [(١)].

* **الحَلْق: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتى مِنًى، فَأَتَى الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا، ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ بِمِنًى وَنَحَرَ، ثُمَّ قَالَ لِلْحَلَّاقِ خُذْ وَأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ الْأَيْسَرِ، ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ»**[(٢)].

* وذكَر العلماء في دخول المسجد أنه يدخل بيمينه، وإذا خرج من المسجد أنه يخرج بشماله، وفي قص الاظفار يقدم اليمين.

* وكان النَّبِيُّ ﷺ إذا انتعل بدأ بيمينه: وإذا خلع بدأ بيساره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيح، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين وإذا نزع فليبدأ بالشمال لتكن اليمنى أولهما تنعل وآخرهما تنزع**»[(٣)].

* وكان النَّبِيُّ ﷺ إِذَا لَبِسَ بَدَأَ بِيَمِينِهِ: لِحَدِيثِ حَفْصَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «**كَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ الْيُمْنَى لِطُهُورِهِ، وَلِطَعَامِهِ، وَلِلَبْسِهِ، وَكَانَتْ يَسَارُهُ لخلائه، وَمَا كَانَ مِنْ أَذَى**» [(٤)].

* **وكان ﷺ يبدأ بالأيمن فالأيمن في المناولة**: لِحَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ الْأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: «**أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ؟**»، **فَقَالَ الغُلَامُ:**

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧١٠).

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (١٣٠٥).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٥٨٥٥) ومسلم : (١٣٠٥).

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في سننه برقم: (٣٣).

لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي يَدِهِ»(١). وَعن أَنَس رضي الله عنه وَجَاء عَنْ غَيْرِهِ، أَنَّ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ عَنْ يَمِينِهِ أعرابي، وَعَنْ يَسَارِهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَر، فَشَرِبَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ نَاوَلَ الأعرابي وَقَالَ: «**الأَيْمَنُ فَالأَيْمَنُ**»(٢). وفي رواية: «**الْأَيْمَنُونَ، الْأَيْمَنُونَ، الْأَيْمَنُونَ**»، قَالَ أَنَسٌ: «فَهِيَ سُنَّةٌ، فَهِيَ سُنَّةٌ، فَهِيَ سُنَّةٌ»(٣).

ومن الأمور التي تتعاطى باليمين السواك: مع أن العلماء اختلفوا في ذلك فمن قال: بأن السواك إزالة أذى، قال: إزالة الأذى تكون باليسار.

ومن قال: بأن السواك تطهُر فيكون باليمين وهذا الذي يظهر. وكلاهما يجوز، إلا أنها تعود إلى الأفضل، والله أعلم .

ومنها: كان ﷺ ، إذا صلى انصرف عن يمينه: قَالَ البِرَاءُ بِنْ عَازِب رضي الله عنه: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا أَحْبَبْنَا أَنْ نكُونَ عَنْ يَمِيْنِ النَّبِيّ ﷺ، وَكَانَ إِذَا انْصَرَفَ يَقُولْ: «**رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ - أَوْ تَجْمَعُ - عِبَادَكَ**»(٤) .

وجاء في الصحيحين عن عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه: «**لَا يَجْعَلْ أَحَدُكُمْ لِلشَّيْطَانِ شَيْئًا مِنْ صَلَاتِهِ، يَرَى أَنَّ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ لَا يَنْصَرِفَ إِلَّا عَنْ يَمِينِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ كَثِيرًا يَنْصَرِفُ عَنْ يَسَارِهِ**»(٥).

---

(١)الحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٢٤٥١)، ومسلم في صحيحه برقم: (٢٠٣٠).

(٢)الحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٢٣٥٢)، ومسلم في صحيحه برقم: (٢٠٢٩).

(٣)الحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٢٥٧١)، ومسلم في صحيحه برقم: (٢٠٢٩).

(٤)الحديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (٧٠٩).

(٥)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٥٢)، والإمام مسلم(٧٠٧).

وعَنِ السُّدِّيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسًا كَيْفَ أَنْصَرِفُ إِذَا صَلَّيْتُ عَنْ يَمِينِي أَوْ عَنْ يَسَارِي؟ قَالَ: «**أَمَّا أَنَا فَأَكْثَرُ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْصَرِفُ عَنْ يَمِينِهِ**».

* **لكن الأفضل أن يكون الانصراف على اليمين أكثر؛** لأنه ثابت عن النَّبِيّ ﷺ والموافق لهذا الأحاديث، فكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنَ، لأنه صفة أصحاب اليمين، حتى يوم القيامة يدخل المؤمنون من الباب الأيمن في الجنة.

* **وَمِمَّا يستحب فيه التَيَمُّن الخاتَم ويقال الخاتِم:** وقد ذهب قومٌ إلى أنه يُلبَس باليسار، ومن حيث الجواز يجوز في اليمين واليسار، لكنه في اليمين أفضل لأنه من الزينة.

* **ومما يُكرَه البصق إلى اليمين لمن كان يصلي:** فعن أنس رضي الله عنه، قال: «**إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلاَ يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ، أَوْ عَنْ يَمِينِهِ**»[1]، الحديث له طُرق كثيرة في الصحيح وغيره.

* **وفي الصلاة إذا لم يكن المأموم إلا واحد، يكون المأموم عن يمين الإمام:** وأما حديث: «**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَامِنِ الصُّفُوفِ**»[2]، فحديث مُعَل والمحفوظ فيه: «**إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ**»[3].

وأحكام اليمين كثيرة تستحق أن تفرد بمُصَنَّف مُستَقِل، والله المستعان.

---

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٥٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٤٧).

(٢)أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٦٧٦)، والإمام ابن ماجه في سننه (١٠٠٥)، من حديث عائشة رضي الله عنها والحديث ضعيف، يضعفه الإمام الألباني رحمه الله في ضعيف السنن.

(٣)أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٩٩٧)، والإمام النسائي في سننه (٦٤٦)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن.

قوله(وإطالة الغرة والتحجيل):

قال النووي في "شرح مسلم" (٣/ ١٣٤):

اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيث مُصَرِّحَةٌ بِاسْتِحْبَاب تَطْوِيلِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيل أَمَّا تَطْوِيلُ الْغُرَّةِ فَقَالَ أَصْحَابُنَا هو غسل شئ مِنْ مُقَدَّمِ الرَّأْسِ وَمَا يُجَاوِزُ الْوَجْهَ زَائِدٌ على الجزء الذي يجب غسله لا ستيقان كَمَالِ الْوَجْهِ.

وَأَمَّا تَطْوِيلُ التَّحْجِيلِ، فَهُوَ غَسْلُ مَا فَوْقَ الْمِرْفَقَيْنِ وَالْكَعْبَيْنِ وَهَذَا مُسْتَحَبٌّ بِلَا خِلَافٍ بَيْنَ أَصْحَابِنَا.

وَاخْتَلَفُوا فِي قَدْرِ الْمُسْتَحَبِّ عَلَى أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ الزِّيَادَةُ فَوْقَ الْمِرْفَقَيْنِ وَالْكَعْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ تَوْقِيتٍ.

وَالثَّانِي: يُسْتَحَبُّ إِلَى نِصْفِ الْعَضُدِ وَالسَّاقِ وَالثَّالِثُ يُسْتَحَبُّ إِلَى الْمَنْكِبَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَأَحَادِيثُ الْبَابِ تَقْتَضِي هَذَا كُلَّهُ.

وَأَمَّا دَعْوَى الْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ بَطَّالٍ الْمَالِكِيِّ، وَالْقَاضِي عِيَاضٌ اتِّفَاقَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ لَا يُسْتَحَبُّ الزِّيَادَةُ فَوْقَ الْمِرْفَقِ وَالْكَعْبِ فَبَاطِلَةٌ.

وكيف تصح دعواهما وقد ثبت فُعِلَ ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه. وَهُوَ مَذْهَبُنَا لَا خِلَافَ فِيهِ عِنْدَنَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ، وَلَوْ خَالَفَ فِيهِ مُخَالِفٌ كَانَ مَحْجُوجًا بِهَذِهِ السُّنَنِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ. **اهـ**

فيعرف النبي ﷺ المسلمين به يوم القيامة، وقد قال النبي ﷺ : «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**» قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا**

الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟**» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا**»[١]، أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله (والدليل): حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «أن النبي صلى الله عليه وسلم غسل يده اليمنى حتى شرع في العضد): أي يغسل اليمنى من أطراف الأصابع إلى المرفق. **والعضد**: هو العظم الذي بين المرفق والكتف وبهذا تعلم أن خلاف العلماء فيها هل يدخل المرفقان في غسل اليدين أم لا، يقضي عليه هذا الحديث.

قوله (وغسل اليسرى حتى شرع في العضد): أي أنه بدأ باليمنى.

قوله (ثم مسح برأسه): على ما تقدم.

قوله (ثم غسل رجله اليمنى حتى شرع في الساق): **والساق**: هو العظم الطويل الذي بين الكعبين والركبة.

قوله (ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق): على ما تقدم.

قوله (أنتم الغر): وهو ما يكون في وجهه بياض، والمراد به الذين يأتون يوم القيامة ووجوههم بياض ونور .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٤٩).

قوله(المحجلون): الذين تبيض منهم مواضع الوضوء .

قوله(يوم القيامة): وهذا من أشرف الكرامات وعظيم الهبات .

قوله(من إسباغ الوضوء): أي بسبب إسباغ الوضوء.

وإسباغ الوضوء: أن تتوضأ كما توضئ النبي ﷺ ، وأكمله أن تتوضأ ثلاثًا، كما قال الزهري. ثم إن أبا هريرة رضي الله عنه أخذ من هذا الحديث استحباب مجاوزة أعضاء الوضوء حتى أنه كان يغسل إلى الإبطين، فقيل له ما هذا يا أبا هريرة قال دعوني منكم يا بني فروخ لقد سمعت النبي ﷺ يقول: «**تبلغ الحلية من المؤمن من حيث يبلغ الوضوء**»[1] أخرجه مسلم.

والمعنى الصحيح: أن الحلية في المؤمن تكون في أماكن الوضوء.

قال النووي في "شرحه على مسلم" (٣/ ١٤٠):

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: أَرَادَ أَبُو هُرَيْرَةَ هُنَا الْمَوَالِيَ وَكَانَ خِطَابُهُ لِأَبِي حَازِمٍ قَالَ الْقَاضِي وَإِنَّمَا أَرَادَ أَبُو هُرَيْرَةَ بِكَلَامِهِ هَذَا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ يُقْتَدَى بِهِ إِذَا تَرَخَّصَ فِي أَمْرٍ لِضَرُورَةٍ أَوْ تَشَدَّدَ فِيهِ لِوَسْوَسَةٍ أَوْ لِاعْتِقَادِهِ فِي ذَلِكَ مَذْهَبًا شَذَّ بِهُ عَنِ النَّاسِ أَنْ يَفْعَلَهُ بِحَضْرَةِ الْعَامَّةِ الْجَهَلَةِ لِئَلَّا يَتَرَخَّصُوا بِرُخْصَتِهِ لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ أَوْ يعتقدوا أن مَا تَشَدَّدَ فِيهِ هُوَ الْفَرْضُ اللَّازِمُ هَذَا كلام القاضي وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ

قوله (فمن استطاع أن يطيل غرته وتحجيله فليفعل): هذه من قول أبي هريرة رضي الله عنه زادها نعيم المجمر مخالفا جمعًا من الحفاظ، كما بين ذلك الحفاظ.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٠).

قولهُ(أخرجه مسلم): أي انفرد به.

قولهُ (وصح في سنن أبي داود): وهو سُلَيْمان بن الأشعث، أبو داود السجستاني، صاحب السنن والمراسيل وسننه من أفضل المصنفات في الأحكام.

قولهُ(إذا لبستم): أي ملابسكم كالقميص والسراويل ونحو ذلك.

(أو توضأتم): أي للصلاة ونحو ذلك.

(فابدءوا بأيامنكم): والبدأة بها للاستحباب، وليست للوجوب على الصحيح، وقد تقدم، والله أعلم.

❁❁❁

أحسن صفة لوضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٦٠ أَحْسَنُ صفَة لوُضُوء رَسُول الله ﷺ: أَنَّهُ غَسَلَ كَفَّيْه ثَلَاثًا، ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ، وَاسْتَنْثَرَ (يَجْمَعُ بَيْنَ المَضْمَضَة وَالاسْتنْشَاقِ منْ غَرْفَة وَاحدَة -فَعَلَ ذَلكَ ثَلَاثًا-) ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَغَسَلَ يَدَيْه إلَى المرْفَقَيْنِ ثَلَاثًا حَتَّى شَرَعَ فِي العَضُد، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ بِماء غَيْرِ فَضْل يَده -مَرَّةً وَاحدَةً، بَدَأَ منْ قُبُل رَأْسه فَأَدْبَرَ بهمَا إلَى قَفَاهُ، ثُمَّ أَعَادَهُمَا إلَى حَيْثُ بَدَأَ- ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْه ثَلَاثًا إلَى الكَعْبَيْنِ حَتَّى شَرَعَ فِي السَّاقِ. ثَبَتَ ذَلكَ منْ حَديث عُثْمَانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْه، وَفيه زَوَائدُ منْ أَحَاديثَ أُخْرَى صَحِيحَة.

وَيُسْتَحَبّ اسْتعْمَالُ السِّوَاك قَبْلَ الصَّلَاة، وَالدَّليلُ حَديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان الوضوء الشرعي.

وقد ذكرت في كتابي: "**أحكام صلاة الجالس**"، ترتيبا مفيدًا له أذكره في هذا الموطن حيث قلت: **فأول ما يجب على المصلى أن يسبغ الوضوء**:

لحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٦٠) ومسلم (٢٤٢): «**أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار**» وأخرجه مسلم (٢٤١) عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وفي حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عند مسلم (٢٢٤): «**لا يقبل الله صلاة بغير طهور**».

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عندهما البخاري (١٣٥) ومسلم (٢٢٥): «**لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**».

وأركان الوضوء هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾ [المائدة:٦].

وهذه الآية مفسرة: بفعل النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل في غسل الوجه: المضمضة والاستنشاق، ويدخل في مسح الرأس مسح الأذنين.

فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه: «**أنه دعا بوضوء فتوضأ فغسل كفيه ثلاثًا ثم مضمض واستنثر**»[١].

وفي حديث عبدالله بن زيد رضي الله عنه: «**فمضمض وأستنشق من كف واحده فعل ذلك ثلاثًا – ثم غسل وجهه ثلاث مرات ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات ثم غسل يده اليسرى مثل ذلك**»[٢].

يغسل اليد اليمنى واليسرى حتى يشرع في العضد: لحديث أبي هريرةرضي الله عنه: «**ثم مسح رأسه ثم ذهب بها إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاثًا ثم غسل اليسرى مثل ذلك**»[٣].

(١)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٢٦).

(٢)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣٥).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٨٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣٥).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ**»[(١)]. **قال ابن شهاب الزهري**: وكان علماؤنا يقولون هذا الوضوء أسبغ ما يتوضأ به أحد للصلاة.

تنبيه: حديث عبدالله بن زيد رضي الله عنه المشار إليه أخرجه البخاري (١٨٥)، ومسلم (٢٣٥)، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه بهذا اللفظ أخرجه مسلم (٢٤٦).

تنبيه آخر: مسح الأذنين يدل عليه حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه: «**فمسح بأذنيه ظاهرهما وباطنهما**» أخرجه الترمذي رحمه الله (١/ ١٤٣)، وهو حديث صحيح.

تنبيه ثالث: يستحب للمتوضأ أن يبالغ في الاستنشاق، إلا عند الصوم، لحديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه عند الترمذي(٣/ ٤٩٩) وأبي داود(٦/ ٤٩٣) والنسائي (١/ ٦٦): «**بالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا**».

وجاء في بعض طرق هذا الحديث: «إذا توضأت فمضمض»، وهي زيادة محتج بها إن شاء الله، وذكرها الشيخ مقبل رحمه الله في الجامع الصحيح (١/ ٥٦٦).

وأما الاستنشاق والاستنثار: فيدل عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «**إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه ماء ثم ليستنثر**» أخرجه البخاري (١٦٢)، ومسلم (٢٣٧).

ويجوز أن يتوضأ مرة مرة، ومرتين مرتين، وثلاثًا ثلاثًا. وقد بوب البخاري على ذلك كله. **واستدل على الثلاث**: بحديث عثمان رضي الله عنه السابق.

وعلى الاثنتين: بحديث عبدالله بن زيد رضي الله عنه : «**أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين**».

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٤٦).

وعلى الواحدة: بحديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**أن النبي ﷺ توضأ مرة مرة**»، أخرجه رقم (١٥٧).

تنبيه آخر: يجوز للمتوضأ أن يمسح على الخفين أو ما يقوم مقامهما من الجوارب – التساخين- بشرط أن يدخلهما وهو على طاهرة.

لحديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: «**فأهويت إلى خفيه لأنزعهما فقال دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين، ومسح عليهما**» أخرجه البخاري (٢٠٦)، ومسلم (٢٧٤).

ويكون المسح على أعلى الخفين أو الجوربين؛ لحديث علي رضي الله عنه: «**لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه وقد رأيت رسول الله ص يمسح على ظاهر خفيه**» أخرجه أبو داود (١/ ٢٧٨). وهذه من أقوى وأبين الأدلة على أن الروافض ليسوا على طريقة علي رضي الله عنه، وإنما هم على دينهم الباطل القائم على الزندقة والهوى، فهم يمسحون على أرجلهم المكشوفة، مع أن المسح إنما يكون على الخفاف وما يقوم مقامها، فتنبه ولا تكن من الضالين.

ومدة المسح للمقيم يومًا وليلة وللمسافر ثلاثة أيام بلياليهنَّ؛ لحديث علي رضي الله عنه عند مسلم (٢٧٦): «**جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهنَّ للمسافر ويومًا وليلة للمقيم**».

فإن اغتسل أجزئه الغسل مع النية؛ لحديث ميمونة رضي الله عنها عند البخاري(٢٧٣) ومسلم (٣١٧). فعَنْ مَيْمُونَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «**وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَضُوءًا لِجَنَابَةٍ فَأَكْفَأَ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ غَسَلَ فَرْجَهُ ثُمَّ ضَرَبَ يَدَهُ بِالْأَرْضِ أَوْ الْحَائِطِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَغَسَلَ وَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ**

ثُمَّ أَفَاضَ عَلَى رَأْسِهِ الْمَاءَ ثُمَّ غَسَلَ جَسَدَهُ ثُمَّ تَنَحَّى فَغَسَلَ رِجْلَيْهِ قَالَتْ فَأَتَيْتُهُ بِخِرْقَةٍ فَلَمْ يُرِدْهَا فَجَعَلَ يَنْفُضُ بِيَدِهِ».

تنبيه: إن عجز المتوضئ عن استخدام الماء لفقده أو ما هو في حكمه كعوز الماء وقلته أو خوف التلف من المرض أو زيادته فإنه يتيمم.

وصفت التيمم: أن يضرب بيديه الأرض ثم يمسح وجهه وكفيه يدل على ذلك حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه : «**إنما كان يكفيك أن تضر بيديك الأرض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفيك**» أخرجه البخاري (٣٣٨)، ومسلم (٣٨٦).

ويجوز تقديم الوجه أو الكفين. هذا مختصر لما تستباح به الصلاة من الطهارة التي شرعها الله عز وجل وبينها رسوله صلى الله عليه وسلم . فالزم هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلم وتغنم.

بعض فضائل الوضوء:

ومع ذلك لها فضائل عظيمة يتحصل عليها المؤمنون. ففي حديث أبي هريرة عند مسلم (٢٥١): «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**». وعنه رضي الله عنه عند مسلم (٢٤٤): «**إذا توضأ العبد المسلم -أو المؤمن - فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليه بعينيه مع الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء حتى يخرج نقيًا من الذنوب**» اهـ

استحباب السواك:

قوله (ويستحب استعمال السواك قبل الصلاة)؛ والدليل: حديث أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم : «**وأَكْثَرْتُ عليكم في السِّوَاك**»[(١)]، أخرجه البخاري.

---

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٨٨).

وكان النبي ﷺ يُعد له سواكه وطهوره فإذا قام من الليل تسوك، وعَنْ ابْنِ عُمَرَ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ لَا يَنَامُ إِلَّا وَالسِّوَاكُ عِنْدَهُ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ بَدَأَ بِالسِّوَاكِ» [(١)]أخرجه أحمد.

وقال حذيفة رضي الله عنه : «**رأيت النبي ﷺ وهو يشوص فاه بالسواك**» [(٢)]، متفق عليه.

وقال أبو موسى رضي الله عنه : «**دخلت على النبي ﷺ وهو يتسوك وطرف السواك على لسانه وهو يقول أع أع**» [(٣)] متفق عليه.

ويستحب السواك في مواطن منها:

عند دخول المنزل؛ لحديث عائشة رضي الله عنها : «**أن النبي ﷺ كان إذا دخل منزله بدأ بالسواك**» أخرجه مسلم.

وإذا تغيرت رائحة الفم، وإذا طال الصمت، وإذا طال الكلام، وعند الصيام.

وأما حديث: «إذا صمتم فاستاكوا بالغداة ولا تستاكوا بالعشى»[(٤)]، فهو حديث منكر وضعيف.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في سننه (ج٢ص١١٧)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٧٦٠)، وقال فيه: هذا حديث حسن، وجد محمد بن مسلم هو مسلم بن المثنى.
والحديث أخرجه أبعلى (ج١٠ ص١٣١).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٥).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٤).

(٤) أخرجه الإمام البيهقي في سننه (٤/ ٢٧٤) من طريق الدارقطني وهذا في سننه (٢٤٩)، من حديث علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وهو في الإرواء للإمام الألباني رحمه الله برقم (٦٧)، وقال فيه: ضعيف، وقال الدارقطني وتبعه البيهقي: " كيسان أبو عمر ليس بالقوى ، ومن بينه وبين علي غير معروف ". وأقرهما ابن الملقن في " خلاصة البدر المنير " (ق ٦٩/ ٢) فقال: " رواه الدارقطني والبيهقي وضعفاه ". وقال الحافظ في "التلخيص " (ص ٢٢) : " وإسناده ضعيف ".

فإن النبي ﷺ يقول: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**» متفق عليه. ومعلوم أن بعد الزوال صلاة العصر.

والسواك من الفطرة، قال رسول الله ﷺ : «**خمس من الفطرة السواك والاستحداد وتقليم الأظفار ونتف الإبط**» [(١)] متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قولهُ (لولا أن أشق على أمتي): فيه رحمة النبي ﷺ بأمته وشفقته عليهم والمراد بالأمة هنا أمة الإجابة لا أمة الدعوة **(لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)**: دليل على أن أمر النبي ﷺ على الوجوب.

وفيه: مشروعية السواك عند الصلاة.

وهل يكون السواك باليمين أو باليسار؟

اختلف أهل العلم في ذلك:

فذهب جمهورهم، بل نقله شيخ الإسلام رحمه الله اتفاقًا إلى أنه يكون باليسار، وذهب بعضهم أنه باليمين.

فمن ذهب إلى أنه إزالة أذى، قال: يكون باليسار. ومن ذهب إلى انه تطهر، قال: باليمين، وهو الصحيح؛ لأنه تطيب وتطهر ولا حرج في الأمرين، إلا أنه باليمين أفضل. وله أن يتسوك بعود الأراك وهو الأفضل.

وله أن يتسوك بغيره من الأعواد التي تنظف الفم، وتطهره، وتذهب عنه الصفرة، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٨٨٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧).

المسح على الخفين

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٦١ مَنْ لَبسَ الخُفَّيْنِ، أو الجَوْرَبَيْنِ عَلَى وُضُوء، يُشْرَعُ لَهُ أَنْ يَمْسَحَ عَلَيْهِمَا، إنْ كَانَ مُقيمًا يَمْسَحُ عَلَيْهِمَا يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَإِنْ كَانَ عَلَى سَفَر يَمْسَحُ عَلَيْهِمَا ثَلَاثَةَ أَيَّام بلَيَاليهنَّ، وَالدَّليلُ حَديثُ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ رَخَّصَ للْمُسَافِرِ إذَا تَوَضَّأ، وَلَبسَ خُفَّيْه، ثُمَّ أَحْدَثَ وُضُوءًا أَنْ يَمْسَحَ ثَلَاثَةَ أَيَّام وَلَيَاليهنَّ، وَللْمُقيم يَوْمًا وَلَيْلَةً. أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَلَهُ شَوَاهِدُ يَصِحُّ بِهَا.

وَالمَسْحُ عَلَى ظَاهِرِ الخُفَّيْنِ، وَالدَّليلُ حَديثُ عَليِّ بْن أَبِي طَالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْه. أَخْرَجَهُ أَبُودَاوُدَ، وَهُوَ صَحِيحٌ.

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان أحكام المسح على الخفين وما في بابها، وهي من المسائل المهمة عقديًا وفقهيًا.

أما عقديًا: فإن أهل البدع يخالفون أهل السنة فيها، فلذلك تعين الاعتقاد لها، والعمل بها.

وأما فقهيًا: فإن النبي ﷺ قد مسح على خفيه حضرًا وسفرًا.

وكان المسح على الخفين بعد نزول آية المائدة، ولذلك كان يفرح المحدثون بسماع هذا الحديث من جرير بن عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

ففي الصحيحين: «**أن النبي ﷺ توضأ ومسح على خفيه**»[(١)]، لأن إسلام جرير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان بعد نزول سورة المائدة، بمعنى أنه لم ينسخ.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٨٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٢).

ويشترط للمسح على الخفين شروطا:

الأول: أن يدخل الخفين على طهارة.

كما في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «**توضأ رسول الله ﷺ ثم أهويت أن أنزع خفيه قال دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين**» [1] متفق عليه.

الثاني: أن لا يخرج التوقيت في المسح.

فيكون التوقيت: يوم وليلة للمقيم، أي أربعة وعشرين ساعة من بداية المسح. وثلاثة أيام بلياليهن للمسافر، كما سيأتي إن شاء الله تعالى، ودليله ما ذكر الشيخ من الأحاديث.

الثالث: أن الطهارة بالمسح عليها تكون من حدثٍ أصغر: كنوم أو غائط أو بول، **أما الجنابة فلا بد من نزعها**؛ لحديث صفون بن عسال رضي الله عنه قال: «**كُنَّا نَكُونُ مَعَ رسول الله ﷺ فَيَأْمُرُنَا أَنْ لَا نَنْزِعَ خِفَافَنَا، ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ، وَلَكِنْ مِنْ غَائِطٍ، وَبَوْلٍ، وَنَوْمٍ**» [2] أخرجه الترمذي.

ويدخل في أحكام الخفين: أحكام المسح على الجوارب، والتي تسمى بالتساخين، وتسمى بالشرابات، فهذه لها أحكام الخفين من حيث المسح إذا أدخلت طاهرتين.

والمسح على الخفين يعتبر رحمه من الله عز وجل لاسيما للمسافر لأمرين:

الأول: أنه قد يتعذر عليه نزع خفيه في كل مرة.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٦٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٤).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٩٦)، والنسائي (١/ ٨٣ - ٨٤)، وابن خزيمة (١٩٦)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٥٠٥).

الثاني: في أيام البرد قد يلبس الإنسان الجوارب وما في بابها من أجل أن يسلم من برودة الجو فيكتفي بالمسح عليهما.

ويكون المسح على ظاهرهما، ففي حديث علي رضي الله عنه قال: «**لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ**»[(١)] أخرجه أبو داود.

وإذا كانت الخفاف والجوارب مخرقة فيجوز المسح عليهما، خلافا لما ذهب إليه بعضهم، بأنها إذا تخرقت لا يجوز المسح عليها.

والصحيح أن الخفاف مخرقة، والجوارب قد تتخرق، فيمسح عليها ما أطلق عليها شرعًا بأنها خفاف، رجح هذا شيخ الإسلام رحمه الله وغيره.

بيان أيهما أفضل: المسح على الخفين، أو الغسل للرجلين؟

اختلف العلماء في ذلك:

فذهب بعضهم إلى أن الأفضل المسح على الخفين لكونه: سنة، ورخصة وتيسير.

وذهب بعضهم إلى أن غسل الرجلين أفضل للمشقة.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة رضي الله عنها: عندما **قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَصْدُرُ النَّاسُ بِنُسُكَيْنِ، وَأَصْدُرُ بِنُسُكٍ؟ فَقِيلَ لَهَا:** «**انْتَظِرِي، فَإِذَا طَهُرْتِ، فَاخْرُجِي إِلَى التَّنْعِيمِ، فَأَهِلِّي ثُمَّ ائْتِينَا بِمَكَانِ كَذَا، وَلَكِنَّهَا عَلَى قَدْرِ نَفَقَتِكِ أَوْ نَصَبِكِ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٦٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٩٦٧).
(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٧٨٧)، والإمام مسلم في صحيحه (١٢١١).

والذي يظهر أن المسح على الخفين لمخالفة أهل البدع أفضل، وإن كنت في غير ذلك فالغسل أفضل؛ لأن الأصل هو الغسل، والمسح إنما هو رخصة وفضل.

قال سفيان الثوري: "يا شعيب بن حرب! لا ينفعك ما كتبت لك حتى ترى المسح على الخفين دون خلعهما أعدل عندك من غسل قدميك".اهـ من أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي.

قال ابن القيم رحمه الله في "زاد المعاد" (١/ ١٩٢):

وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّفُ ضِدَّ حَالِهِ الَّتِي عَلَيْهَا قَدَمَاهُ، بَلْ إِنْ كَانَتَا فِي الْخُفِّ مَسَحَ عَلَيْهِمَا وَلَمْ يَنْزِعْهُمَا، وَإِنْ كَانَتَا مَكْشُوفَتَيْنِ غَسَلَ الْقَدَمَيْنِ وَلَمْ يَلْبَسِ الْخُفَّ لِيَمْسَحَ عَلَيْهِ، وَهَذَا أَعْدَلُ الْأَقْوَالِ فِي مَسْأَلَةِ الْأَفْضَلِ مِنَ الْمَسْحِ وَالْغَسْلِ، قَالَهُ شَيْخُنَا، وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ

فإن كان مقيما يمسح عليهما يوما وليلة ويبدأ توقيت المسح من بداية المسح.

فمثلًا لو أن رجلًا لبس خفيه بعد وضوئه للمغرب، ثم صلى بذلك الوضوء المغرب والعشاء، ثم نام وقام لصلاة الفجر فمسح على خفيه، فإن المسح يحسب من الفجر، وإن كان على سفر فإنه يمسح عليهما ثلاثة أيام بلياليهن.

مسألة: رجل بدأ المسح في الحضر ثم سافر؛ فإنه يمسح عليهما يومًا وليلة، وإذا ابتدأ المسح من السفر فإنه يمسح ثلاثة أيام ولياليهن إذا كان مسافرًا.

والدليل: حديث أبي بكرة رضي الله عنه عند ابن ماجه، وجاء في مسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجاء عن عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم: جرير وجابر

وعبدالله ابن عمر، وعبدالله بن عمرو وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ خرجها الحافظ في "**التلخيص الحبير**".

قوله(عن أبي بكرة): هو نفيع بن الحارث.

قوله(أن النبي ﷺ رخص للمسافر إذا توضأ ولبس خفيه ثم أحدث وضوءًا أن يمسح ثلاثة أيام ولياليهن، وللمقيم يوما وليلة):

دل على أن المسح رخصة وليس بعزيمة.

قوله(أخرجه ابن ماجه): وهو حديث حسن، وله شواهد يصح بها منها حديث علي ا بلفظه عند مسلم وقد تقدم.

قوله(والمسح على ظاهر الخفين): أي على أعلاهما.

قوله (والدليل: حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه): وهو أبو الحسن كناه النبي ﷺ أبي تراب، رابع الأئمة المهتدين والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، قتل ظلمًا، قتله عبد الرحمن بن ملجم في يوم عيد الفطر.

قوله(وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه): فيه أن الحجة في فعل النبي ﷺ وليس إلى الرأي والهوى والذوق.

قوله: (أخرجه أبوداود): سليمان بن الأشعث صاحب السنن والحديث صحيح، وهو مخرج في "**الصحيح المسند**" لشيخ مقبل رحمه الله.

ومما يدل على مشروعية المسح في الحضر: حديث حذيفة رضي الله عنه: «**رأيت النبي ﷺ بال قائما ثم توضأ ومسح على خفيه**» متفق عليه.

وفي لفظ للبخاري: «رَأَيْتُنِي أَنَا وَالنَّبِيُّ ﷺ نَتَمَاشَى، فَأَتَى سُبَاطَةَ قَوْمٍ خَلْفَ حَائِطٍ، فَقَامَ كَمَا يَقُومُ أَحَدُكُمْ، فَبَالَ، فَانْتَبَذْتُ مِنْهُ، فَأَشَارَ إِلَيَّ فَجِئْتُهُ، فَقُمْتُ عِنْدَ عَقِبِهِ حَتَّى فَرَغَ»[(١)].

قال النووي رحمه الله في شرح الحديث (٣/ ١٦٧):

فَفِيهِ: إِثْبَاتُ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ. وَفِيهِ: جَوَازُ الْمَسْحِ فِي الْحَضَرِ. اهـ

وقال ابن عبد البر رحمه الله في "الاستذكار" (١/ ٢١٨):

وَاخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي الْمَسْحِ فِي السَّفَرِ فَرُوِيَ عَنْ مَالِكٍ ثَلَاثُ رِوَايَاتٍ فِي ذَلِكَ:

إِحْدَاهَا: وَفِي أَشَدِّهَا نَكَارَةً - إِنْكَارُهُ الْمَسْحَ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ.

وَالثَّانِيَةُ: كَرَاهِيَةُ الْمَسْحِ فِي الْحَضَرِ وَإِبَاحَتُهُ فِي السَّفَرِ.

وَالثَّالِثَةُ: إِبَاحَةُ الْمَسْحِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ وَعَلَى ذَلِكَ فُقَهَاءُ الْأَمْصَارِ بِالْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.اهـ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٢٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٣).

بعض أحكام التيمم

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٦٢ إذا حَضَرَت الصَّلاةُ ولَمْ تَجِد المَاءَ فَتَيَمَّمْ، وَالدَّليلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦] ، وَالصَّعيدُ هُوَ تُرَابُ الأَرْض، وَالدَّليلُ حَديثُ حُذَيفَةَ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «وَجُعلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّها مَسْجِدًا، وَجُعلَتْ تُرْبَتُها لَنَا طَهُورًا إذَا لَمْ نَجد المَاءَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

لما ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ ما يتعلق بأحكام الوضوء ناسب أن يتمم بأحكام التيمم.

والتيمم شرعه الله ﷻ رحمة بالمسلمين قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ [المائدة:٦]، أي بالماء.

﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾ [المائدة:٦].

ويكون التيمم ضربه واحدة على الأرض ثم يمسح الوجه والكفين.

وإيهما قدم جاز حيث جاءت السنة بمسح الكفين، ثم الوجه، والعكس.

وجاء القرآن بمسح الوجه ثم الكفين.

وجاء أن النبي ﷺ كان ينفخ فيهما، وهذا النفخ ليس بواجب، إنما هو لإزالة التراب، ليدل على أن التيمم إنما هو تعبد ليس المراد به التعفر بالتراب.

وقد أجنب عمار بن ياسر رضي الله عنه كما جاء في الصحيحين قال: بعَثَنِي رسول الله ﷺ فِي حَاجَةٍ، فَأَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدِ المَاءَ، فَتَمَرَّغْتُ فِي الصَّعِيدِ كَمَا تَمَرَّغُ الدَّابَّةُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَصْنَعَ هَكَذَا، فَضَرَبَ بِكَفِّهِ ضَرْبَةً عَلَى الأَرْضِ، ثُمَّ نَفَضَهَا، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا ظَهْرَ كَفِّهِ بِشِمَالِهِ أَوْ ظَهْرَ شِمَالِهِ بِكَفِّهِ، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ**»(١).

والتيمم رافعٌ للحدث: سواء للجنابة أو الحدث الأصغر، ونواقضه وجود الماء مع ما يأتي من نواقض الوضوء.

ويجوز التيمم في حالين:

الأول: العجز عن استخدام الماء لمرض ونحوه.

الثاني: عوز الماء وقلته.

والتيمم ضربة: للوجه والكفين وما جاء غير ذلك فلا يصح.

وحده الكفين، وما جاء أنه مسح إلى المرفقين فلا يثبت.

وقد ذكرت بعض ذلك في كتابي: "**هبة السلام شرح بلوغ المرام**" قلت فيه:

ويكون التيمم للوجه والكفين فقط، وعليه بوب الإمام البخاري في صحيحه، فقال: (بَابُ التَّيَمُّمِ لِلْوَجْهِ وَالكَفَّيْنِ).

واستدل بحديث عمار بن ياسر رضي الله عنه فيه: **بِهَذَا وَضَرَبَ - شُعْبَةُ - بِيَدَيْهِ الأَرْضَ، ثُمَّ أَدْنَاهُمَا مِنْ فِيهِ، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ**.

وهو ظاهر القرآن، حيث يقول اللهِ سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٤٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٦٨).

﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾ [المائدة:٦].

ومنهم من ذهب إلى المسح على المرفقين، استدلالًا بحديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه: «**التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين**»[(١)]، أخرجه الدارقطني، وهو ضعيف لا يثبت مرفوعًا، والراجح فيه الوقف.

وما جاء عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما، خلاف ما في هذه الرواية، وهو أصح منها؛ لأنه في الصحيحين.

وقد ذكره الإمام الترمذي رحمه الله **في سننه حيث قال:** بعد أن ذكر حديث عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رضي الله عنهما: «**أَنَّ النَّبِيَّ** صلى الله عليه وسلم **أَمَرَهُ بِالتَّيَمُّمِ لِلْوَجْهِ وَالكَفَّيْنِ**». **قال** رحمه الله: وَفِي البَابِ عَنْ عَائِشَةَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ.[(٢)]

حَدِيثُ عَمَّارٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَمَّارٍ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ[(٣)].

وَهُوَ قَوْلُ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنْهُمْ: عَلِيٌّ، وَعَمَّارٌ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ التَّابِعِينَ، مِنْهُمْ: الشَّعْبِيُّ، وَعَطَاءٌ، وَمَكْحُولٌ قَالُوا: التَّيَمُّمُ ضَرْبَةٌ لِلْوَجْهِ وَالكَفَّيْنِ. وَبِهِ يَقُولُ أَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ.

---

(١) أخرجه الإمام الدارقطني في سننه (٦٨٥)، وقال عقبه: "كَذَا رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ ظَبْيَانَ مَرْفُوعًا، وَوَقَفَهُ يَحْيَى بْنُ الْقَطَّانِ وَهُشَيْمٌ وَغَيْرُهُمَا وَهُوَ الصَّوَابُ". ورواه الطبراني (١٢/ ٣٦٧/ ١٣٣٦٦)، والحاكم (١/ ١٧٩) وهو في الضعيفة للإمام الألباني رحمه الله برقم (٣٤٢٧)، وقال الإمام الألباني رحمه الله فيه: وهذا إسناد ضعيف جدًا؛ عبد الله بن عمر هو العمري المكبر، ضعيف سيئ الحفظ، ووقع في "المستدرك": "عبيد الله بن عمر" مصغرًا، ولعله خطأ مطبعي. وعلي بن ظبيان ضعيف جدًا. قال ابن معين: "كذاب خبيث". وقال البخاري: "منكر الحديث". وقال النسائي: "متروك الحديث".

(٢) الترمذي (١٤٤).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (١٤٤)، وأخرجه الإمام أبو داود في سننه (٣٢٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن، وصححه أيضًا في الإرواء برقم (١٦١).

ثم قال ﵀: وقَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ مِنْهُمْ: ابْنُ عُمَرَ، وَجَابِرٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَالحَسَنُ قَالُوا: التَّيَمُّمُ ضَرْبَةٌ لِلْوَجْهِ، وَضَرْبَةٌ لِلْيَدَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ.

وَبِهِ يَقُولُ سُفْيَانُ، وَمَالِكٌ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ، وَالشَّافِعِيُّ.

وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الحَدِيثُ عَنْ عَمَّارٍ فِي التَّيَمُّمِ أَنَّهُ قَالَ: «**لِلْوَجْهِ وَالكَفَّيْنِ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ**». وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَمَّارٍ ﵁ أَنَّهُ قَالَ: «**تَيَمَّمْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَنَاكِبِ وَالآبَاطِ**».

فَضَعَّفَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ حَدِيثَ عَمَّارٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي التَّيَمُّمِ لِلْوَجْهِ وَالكَفَّيْنِ لَمَّا رُوِيَ عَنْهُ حَدِيثُ الْمَنَاكِبِ وَالآبَاطِ.

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ﵀: حَدِيثُ عَمَّارٍ فِي التَّيَمُّمِ لِلْوَجْهِ وَالكَفَّيْنِ هُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَحَدِيثُ عَمَّارٍ ﵁: «**تَيَمَّمْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَنَاكِبِ وَالآبَاطِ**»، لَيْسَ هُوَ بِمُخَالِفٍ لِحَدِيثِ الوَجْهِ وَالكَفَّيْنِ، لأَنَّ عَمَّارًا لَمْ يَذْكُرْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا قَالَ: فَعَلْنَا كَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ بِالوَجْهِ وَالكَفَّيْنِ. اهـ

قوله (إذا حضرت الصلاة): أي صلاة كانت **(ولم تجد الماء)**: بعد طلبه والبحث عنه أو كان عاجزًا عنه **(فتيمم)**: **والدليل**: قوله تعالى: ﴿**فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ**﴾ [المائدة:٦]: أي واجبكم الوضوء فإن لم تجدوا الماء فتيمموا على الوصف المذكور.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن صلاة الجنازة لا يشترط لها الوضوء وهذا خلاف قول الجماهير وإن خشي فواتها أن يتيمم، والصحيح أنها صلاة يلزم لها الطهارة كغيرها من الصلوات.

قوله (فَتَيَمَّمُوا): أي أقصدوا الصعيد بمسح الوجه والكفين **(صَعِيدًا طَيِّبًا)**: أي ما صعد على وجه الأرض، وقد اختلف العلماء في الصعيد:

فذهب الشافعي وأحمد: إلى أن الصعيد مقيد بالتراب، ولا يُجزئ التيمم إلا عليه، لحديث حذيفة ﵁ : «**فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: ... ثم قال: وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ**» [(١)] أخرجه مسلم.

وذهب مالك وأبو حنيفة ﵏: إلى أن الصعيد كل ما صعد على الأرض من شجر أو حجر أو تراب أو رمل أو غير ذلك ورجحه الشنقيطي وجمع منهم القرطبي والصنعاني وهو ظاهر القرآن: ﴿**فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا**﴾ [المائدة:٦].

قال القرطبي ﵀ في "تفسيره" (٥/ ٢٣٦): **الصَّعِيدُ**: وَجْهُ الْأَرْضِ كَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ أَوْ لَمْ يَكُنْ، قَالَهُ الْخَلِيلُ وَابْنُ الْأَعْرَابِيِّ وَالزَّجَّاجُ. **قَالَ الزَّجَّاجُ**: لَا أَعْلَمُ فِيهِ خِلَافًا بَيْنَ أَهْلِ اللُّغَةِ. اهـ

أما حديث حذيفة ﵁: «**وتربتها لنا طهور**» فيحمل على الغالب، وإلا فإن النبي ﷺ حين خرج إلى تبوك لم يكن ثمت تراب، وإنما هي الرمال وفقدوا الماء حتى أنهم أتوا النبي ﷺ بالجفنة ودعا الله ﷻ وجاءت البركة ومع ذلك كانوا يتيممون.

ويجوز أن يصلي بالتيمم الواحد عدة صلوات، بل إذا تيمم ولم يقع منه الحدث صلى بذلك التيمم ما شاء من فرضٍ أو نفلٍ، على الصحيح من أقوال أهل العلم.

وذهب بعضهم إلى الجمع بين التيمم والوضوء، وهذا يجوز في حالة واحدة وهي: حالة الجنابة كأن يكون عاجزًا عن استخدام الماء للغسل ولكنه غير عاجز

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٢٢).

عن استخدامه للوضوء فنقول تيمم للجنابة وتوضأ لما استطعت.

وأما إذا كان فيه جراحه أو نحو ذلك فقد ذهب جماهير العلماء إلى أنه يتيمم إلى ما تحت الجبائر والتساخين ويتوضأ لما استطاع

والصحيح: أنه يتوضأ ما استطاع ولا يلزمه التيمم وهذا اختيار الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللهُ وهو قول مكحول من المتقدمين.

قوله (فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ): والترتيب ليس بشرط فإن قدمت اليدين جاز وإن قدمت الوجه جازا وكله قد جاءت به السنة والسنة مفسرة للقرآن، وفي هذا دليل على عدم تعين المرفقين، فإن اليد إذا أطلقت كان المراد بها الكف.

قوله (والصعيد هو تراب الأرض): هذا قول الشافعي وأحمد كما تقدم وقول غيرهم أنه كل ما صعد على الأرض، كما تقدم.

قوله (والدليل): حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا وطهورا**»[1]، أي: صيرت لي الأرض كلها مسجدا وهذا خصيصة بأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلون حيث أدركتهم الصلاة، وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**»[2]، بينما اليهود والنصارى كان عليهم أن يصلوا في البيعَّ والكنائس.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٢١)، من حديث جابر ابن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٩٢)، والإمام الترمذي في سننه (٣١٧)، والإمام ابن ماجه في سننه (٧٤٥)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ برقم (٣٨٠).

قولهُ (وجعلت تربتها لنا طهورا): أي يتطهر به والمراد بالتطهر هنا رفع الحدث إذا لم نجد الماء أو عجز عن استخدامه.

مسألة فاقد الطهورين:

وتتصور على القول أن التيمم لا يجوز إلا على التراب، أو كان مقيدًا أو مشلولًا عاجزًا عن الوضوء والتيمم، فلو حضرت الصلاة مسجونًا أو مريضًا ليس لديه ماء أو تراب صلى بغير طهور، وصلاته صحيحة، كما صلى الصحابة رضي الله عنهم قبل فرض التيمم.

وفي **"العرف الشذي" (١/ ٣٧)**: وأما فاقد الطهورين فرواية عن أبي حنيفة إنه يتشبه بالمصلين، أي يركع ويسجد بلا قراءة، قال مالك: لا يصلي الآن، وقال أحمد بن حنبل: يصلي الآن، ولا يقضي، وللشافعية وجوه أربعة:

أحدها: القضاء فقط.

وثانيها: الأداء فقط.

وثالثها: الأداء في الحال ثم القضاء بعده.

ورابعها: وجوب الأداء واستحباب القضاء.اهـ

والصحيح أنه لا يلزمه القضاء، بل يكتفي بما صلى، لأنه فعل المستطاع، والله عز وجل يقول: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ [التغابن:١٦]، والله الموفق.

❁❁❁

الذكر بعد الفراغ من الوضوء

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

﴿٦٣﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ وُضُوءِكَ تَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ، فَيُسْبِغُ الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان الذكر المشروع بعد الوضوء، وهو ذكر عظيم تضمن الشهادة: (أشهد أن لا إله إلا الله)، وهي أفضل كلمة على أفضل مشهود، أشهد أُقر واعترف وأعلم.

قوله (أنه لا إله): لا معبود بحقٍ إلا الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله (وأن محمدًا): محمد ﷺ الرسول النبي الأمي.

قوله (عبده): عبد الله وهذا رد على الصوفية والغلاة الذين رفعوا رسول الله ﷺ فوق مرتبته، وربما دعوه ورجوه من دون الله عَزَّ وَجَلَّ أو مع الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله (ورسوله): رد على الفلاسفة، الذي يزعمون أن محمدًا رجل عظيم استطاع بعقله أن يجمع الناس على تخيلات ونحوها.

قوله (والدليل: حديث عمر بن الخطاب): هو أبو حفص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله (أخرجه مسلم): وفيه قصة وهي أن عقبة بن عامر جاء فوجد النبي ﷺ يحدث الناس يقول: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ، يُقْبِلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا قَدْ أَوْجَبَ**»، فَقُلْتُ: بَخٍ بَخٍ، مَا

أَجْوَدَ هَذِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ الَّتِي قَبْلَهَا: يَا عُقْبَةُ، أَجْوَدُ مِنْهَا، فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقُلْتُ: مَا هِيَ يَا أَبَا حَفْصٍ؟ قَالَ: إِنَّهُ قَالَ آنِفًا قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ حِينَ يَفْرُغُ مِنْ وُضُوئِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**»[١].

وفيه: إثبات أن أبواب الجنة ثمانية بخلاف النار فأبوابها سبعة قال الله ﷻ: ﴿**لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ**﴾ [الحجر:٤٤].

وقد سمى النبي ﷺ بعض أبواب الجنة: كباب الريان والصلاة والجهاد ويدعى من جميع هذه الأبواب أبو بكر رضي الله عنه.

فقد جاء أنه قال: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: «**نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**»[٢].

تنبيه: عند الترمذي زيادة: «**اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين**» وهي رواية شاذه، شذ بها جعفر بن محمد بن محمد شيخ الترمذي، كما قاله الحافظ رحمه الله في "**نتائج الأفكار**" (١/ ٢٤١)، والله الموفق.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣٤).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٨٩٧)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٢٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

نواقض الوضوء

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٦٤ نَوَاقِضُ الوُضُوءِ:

١- الخَارِجُ منَ القُبُلِ وَالدُّبُرِ، وَالدَّليلُ حَديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

٢و٣- النَّوْمُ المُسْتَغْرِقُ وَالجَنَابَةُ، وَالدَّليلُ حَديثُ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُنَا إِذَا كُنَّا سَفرًا أَنْ لَا نَنْزِعَ خفَافَنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَاليهنَّ إِلَّا منْ جَنَابَةٍ، وَلَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَنَوْمُ الأَنْبِيَاء لَيْسَ بنَاقِضٍ لوُضُوئهمْ، لحَديث أَنَس ابْنِ مَالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ» وَهَذِهِ خُصُوصِيَّةٌ لَهُمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

٤- مَسُّ الذَّكَرِ، وَالدَّليلُ حَديثُ بُسْرَةَ بِنْت صَفْوَانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلَا يُصَلِّ حَتَّى يَتَوَضَّأَ». أَخْرَجَهُ التِّرْمذيُّ، وَهُوَ حَديثٌ حَسَنٌ، وَصَحيحٌ بِشَوَاهِده عنْدَ أَحْمَدَ وَغَيْرِه منْ حَديث عَبْدالله بْن عَمْرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ مَسَّتْ فَرْجَهَا فَلْتَتَوَضَّأْ».

٥- أَكْلُ لَحْمِ الإِبلِ، وَالدَّليلُ حَديثُ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَنَتَوَضَّأُ مِنْ لُحومِ الإِبِلِ؟ قَالَ: «نَعَمْ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[ح١].

٦- الرِّدَّةُ، وَهِيَ نَاقضَةٌ للْوُضُوء وَللإِسْلَامِ، وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة: ٥].

٦- زَوَالُ العَقْلِ بجُنُون أَوْ إِغْمَاء أَوْ سُكْر وَمَا أَشْبَهَهَا منَ الأَدْوِيَة المُزِيلَة للْعَقْل، أَجْمَعَ العُلَمَاءُ أَنَّ الوُضُوءَ يَنْتَقِضُ بِذَلِكَ.

[ح١] قال الإمامان أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه: صح في هذا الباب حديثان، حديث جابر بن سمرة، وحديث البراء بن عازب رضي الله عنهما .

ذكر المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان نواقض الوضوء التي دلت عليها الأدلة.

وقد نظمها بعضهم بقوله:

نـــواقض الوضـــوء يـــا خليـــل — ســبع أتــت يــدعمها الدليــل
الــردة وأكــل لحـــم الإبـــل — وخـــارج مـــن دبـــر أو قبـــل
نـــوم ومـــس الفـــرج والجنابـــة — زوال عقـــل هـــذه الإصـــابة

وقد ذكر العلماء أكثر من هذه النواقض استدلالًا بالقياس ونحوه.

وجعلوا من نواقض الوضوء: مس المرأة أي المس المطلق، والصحيح أن المراد بقول الله ﷻ: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء:٤٣].الجماع كما هو تفسير ابن عباس رضي الله عنه .

وفي حديث عائشة رضي الله عنها: «**قَبَّلَ** (أي النبي ﷺ) **بَعْضَ نِسَائِهِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَلَمْ يَتَوَضَّأْ**» قَالَ عُرْوَةُ: قُلْتُ لَهَا: مَنْ هِيَ إِلَّا أَنْتِ؟ قَالَ: فَضَحِكَتْ(١) .

وجعلوا من نواقض الوضوء القيء.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٨٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي.

لحديث: «**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاءَ، فَتَوَضَّأَ**»، أخرجه الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه، والحديث ليس بصريح في النقض إذ أنه قد يتوضأ للتبرد، أو للتجديد الوضوء.

وجعلوا من نواقضه القهقهة، ولا دليل صحيح يدل في ذلك.

وكان من نواقض الوضوء أكل ما مست النار ثم نسخ؛ لحديث جابر رضي الله عنه: «**فكان أخر الأمرين ترك الوضوء مما مست النار**».

وقد جاء: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَكَلَ كَتِفَ شَاةٍ ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ**»[1] أخرجه البخاري ومسلم.

ونعود لما ذكره المصنف:

الناقض الأول: الخارج من السبيلين.

قولهُ (الخارج من القبل والدبر): وهذا محل إجماع أي أن ما خرج من القبل أو الدبر من بولٍ أو غائط أو ريح فهو ناقض للوضوء.

(وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: (لا تُقْبَلُ صلاةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ)، قالوا يا أبا هريرة ما الحدث؟ قال: فساء أو ضراط[2]، متفق عليه.

وفسر أبو هريرة رضي الله عنه الحدث بالفساء والضراط لأنه أشهر أنواع الأحداث، وإلا فإن هناك أحداث غير هذا الحدث.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٠٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٥٤)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٥).

إلا إذا كان الرجل عنده سلس بول أو ريح فهنا يتغير الحكم لأن هذا من الأمور الغاصبة والإنسان غير مكلف بما يغصبه.

قال الله ﷻ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦]. وقال الله ﷻ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ ﴾ [الطلاق:٧]. ويقول الله ﷻ: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن:١٦].

والأمر عام في الرجال والنساء، فمن نواقض الوضوء مما يخرج من القبل: دم الحيض والنفاس في النساء.

والناقض الثاني: النوم المستغرق.

قولهُ(النوم المستغرق): وهو النوم الذي يذهب معه الإحساس بالكلية ونوم المستلقي. **وغير المستغرق هو النعاس**، وهو النوم الذي لا يذهب معه الإحساس ومنه نوم الجالس.

وقال: النوم المستغرق؛ لأنه قد ثبت من حديث أنس وعائشة وعمر وابن عباس رضي الله عنهم: «**أن النبي ﷺ أخر العشاء ليلة حتى نام النساء والصبيان ثم خرج وصلى بهم ولم يحدثوا وضوءًا**»(١) متفق عليه.

(والدليل): على أن النوم المستغرق ناقض للوضوء حديث صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا كنا سفرا أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن**»(٢) أخرجه الترمذي، وقد تقدم معنا.

---

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٦٦، ٥٦٩، ٨٦٢، ٨٦٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠).

(٢)أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٩٦)، والإمام النسائي في سننه (١٢٦)، والإمام ابن ماجه في سننه

قوله (إلا من جنابة): سميت جنابة من المجانبة، وهي المباعدة، وسيأتي حكمها. **(ولكن من غائطٍ وبولٍ ونوم):** فدل على أن الغائط والبول والنوم المستغرق ينقض الوضوء.

واستدل الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ بقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ**﴾ [المائدة:٦]، أي من النوم، ﴿**فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ**﴾ [المائدة:٦].

وقد تقدم الكلام على الغائط والبول.

وكان بعض السلف لا يرى نقض النوم حتى أن أبا موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ربما نام وعنده بعض أهله فيقوم يقول هل شممتم أو سمعتم شيئًا فإن قالوا لا قام يصلي وإذا قالوا نعم قام يتوضأ[1]، أخرجه ابن المنذر رَحِمَهُ اللَّهُ في الأوسط.

قوله (ونوم الأنبياء ليس بناقض لوضوئهم؛ لحديث: «الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلاَ تَنَامُ قُلُوبُهُمْ»[2]): أخرجه البخاري.

وهذا لبيان ما جاء من حديث ابن عباس وغيره: «**أن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **نام حتى نفخ ثم قام ولم يتوضأ**» نقول هذه خصيصة فقد قال: «**فإن الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم**»[3].

---

(٤٧٨)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (٥٠٥).

(١) أخرجه الإمام ابن المنذر في الأوسط (١/ ١٥٤) برقم (٤٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٥٧٠)، والإمام مسلم في صحيحه (١٦٢)، من حديث أنس ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٣٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٦٣).

قولهُ (وهذه خصوصية لهم عليهم الصلاة والسلام): هذا من أجل أن لا يحتج محتج بهذا الحديث، ويقول قد نام النبي ﷺ وصلى ولم يتوضأ.

فأفعال النبي ﷺ منها الخاصة وهذه لا يجوز أن يتابع فيها، ومنها العام وهي التي أُمرنا أن نتأسى به فيها، كما قال الله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

ومنها الجبلية، فإن فعلها متأسيًا بالنبي ﷺ أجر إن شاء الله تعالى.

الناقض الثالث: الجنابة.

قولهُ (الجنابة): والجنابة تقع بأمور:

الأول: الجماع بدون إنزال، فبمجرد إيلاج الفرج في الفرج تقع الجنابة.

الثاني: الجماع مع الإنزال، وهذا مجمع عليه.

الثالث: إنزال المني بدون جماع: كالاحتلام ونحوه.

فإذا وقعت إحدى هذه الثلاث الحالات، كان الإنسان متلبسا بالجنابة.

والجنابة لابد فيها من الغسل؛ لأن النبي ﷺ كان يغتسل، وأمر بالغسل لها، ولا يجزئ التيمم إلا في حال فقد الماء، أو عوزه، أو المرض والعجز عن استخدام الماء.

والدليل: **على أن الجنابة تقع ولو لم ينزل** حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الأَرْبَعِ، ثُمَّ جَهَدَهَا فَقَدْ وَجَبَ الغَسْلُ**»، وفي رواية لمسلم: «**وإن لم ينزل**»(١).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٩١)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٤٨).

وفي حديث عائشة ﵂ عند مسلم: أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: الرَّجُل يُجَامِعُ أَهْلَهُ ثُمَّ يُكْسِلُ هَلْ عَلَيْهِمَا الْغُسْلُ؟ وَعَائِشَةُ جَالِسَةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَفْعَلُ ذَلِكَ، أَنَا وَهَذِهِ، ثُمَّ نَغْتَسِلُ»[(١)].

وأما حديث أبي سعيد ﵁ في الصحيح: أن رجلا سأل النبي ﷺ فقال: فقيل أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يُعْجَلُ عَنِ امْرَأَتِهِ وَلَمْ يُمْنِ، مَاذَا عَلَيْهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ»[(٢)]، متفق عليه.

فهذا حديث منسوخ فعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﵁ قَالَ: إِنَّمَا كَانَ الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ رُخْصَةً فِي أَوَّلِ الإِسْلاَمِ، ثُمَّ نُهِيَ عَنْهَا» أخرجه الترمذي (١١٠).

الناقض الرابع: مس الذكر.

قوله﵀(مس الذكر): ولك أن تقول مس الفرج مطلقا.

فمن مس ذكره، أو دبره أو مس فرج نفسه، أو فرج غيره، فإنه يتنقض وضوءه، على الصحيح من أقوال أهل العلم.

وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ بُسْرَةَ بِنْتِ صَفْوَانَ﵂ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ فليتوضأ**»[(٣)].

قال الترمذي ﵀ (١٠/ ٣٦): عَنْ بُسْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ، وَهُوَ قَوْلُ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّابِعِينَ، وَبِهِ يَقُولُ الأَوْزَاعِيُّ، وَالشَّافِعِيُّ،

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٥٠).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٤٣)، وهو في البخاري (١٨٠)، بدون لفظ: "الماء من الماء".

(٣) أخرجه الإمام رواه أبو داود (١٨١)، والنسائي (١٠٠)، والترمذي (٨٢)، وابن ماجه (٤٧٩)، وأحمد (٦/ ٤٠٦)، وابن حبان (٢١٢ موارد)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي ﵀ برقم (١٥٣٢)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ، قَالَ مُحَمَّدٌ: "أَصَحُّ شَيْءٍ فِي هَذَا البَابِ حَدِيثُ بُسْرَةَ.اهـ

وقد عارضه حديث طلق بن عليﷺ : «**أنه قال يا رسول أحدنا يمس ذكره قال إنما هو بضعة منك**»[١] أخرجه الترمذي وغيره.

قال بعض العلماء: حديث طلق بن علي منسوخ.

وقال بعضهم: حديث طلق ضعيف.

وجمع بعضهم فقال: المراد بحديث بسرة ﵂ المس بدون حائل، والمراد بحديث طلق بن علي ﵁ ما كان المس بحائل.

وقال بعضهم: حديث بسرة ﵂ في المس مع الشهوة، وفي حديث طلق ﵁ المس بدون شهوة.

لكن الصحيح أن المس المباشر ناقض للوضوء سواء كان بشهوة أو بغيرها؛ لعموم الحديث: «**من مس ذكره فليتوضأ**».

وجاءت زيادة: «**من مس ذكره وأنثويه** - والأنثيين هما الخصيتان- **فليتوضأ**»[٢] لكن هذه الرواية حكم عليها الدارقطني وغيره بالشذوذ.

(١)أخرجه أبو داود (١٨٢، ١٨٣)، والنسائي (١٦٥)، والترمذي (٨٥)، وابن ماجه (٤٨٣)، وأحمد (٤٣)، وابن حبان (٢٠٧ موارد)، وصححه الإمام الألباني ﵀ .

(٢)أخرجه الإمام الدارقطني في سننه (٥٣٦)، من حديث بسرة بنت صفوان ﵂ بلفظ: «مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ أَوْ أُنْثَيَيْهِ أَوْ رَفْغَيْهِ فَلْيَتَوَضَّأْ»، وقال الإمام الدارقطني ﵀ عقبه: "كَذَا رَوَاهُ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ هِشَامٍ، وَوَهِمَ فِي ذِكْرِ الْأُنْثَيَيْنِ وَالرَّفْغِ وَإِدْرَاجِهِ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ بُسْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ . وَالْمَحْفُوظُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ عُرْوَةَ، غَيْرِ مَرْفُوعٍ، كَذَلِكَ رَوَاهُ الثِّقَاتُ عَنْ هِشَامٍ، مِنْهُمْ: "أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ، وَحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُهُمَا".

قوله (أخرجه الترمذي): أي في جامعه وهو حديث حسن أي حسن الإسناد وصحيح بشواهده أي صحيح لغيره عند أحمد وغيره من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أيما رجل مس ذكره فليتوضأ**» (١)، وهذا عامٌ، «**وأيما امرأة مست فرجها فلتتوضأ**»(٢).

وساق الحديث ليبين أن حكم المرأة وحكم الرجل في هذا الباب سواء.

الناقض الخامس: أكل لحم الإبل.

قوله(أكل لحم الإبل):

سواء كان نيئًا أو نضيجًا مشويا أو حنيذًا أو مرقًا فلحم الابل ناقض للوضوء.

وقد اختلف العلماء في سبب ذلك:

قيل: لأنها خلقت من الشيطان. وقيل: لأن فيه حرارة. وقيل: غير ذلك.

وشَاهِدُنَا: أن النبي ﷺ أمر بذلك، فإن علمنا العلة أو لم نعلم، وجب علينا الوضوء.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في سننه (٧٠٧٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الإرواء تحت حديث برقم (١١٧)، وقال فيه: أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٣) ورجاله ثقات لولا عنعنة بقية ، وقد صرح بالتحديث فى رواية أحمد بن الفرج الحمصى عنه: حدثنى الزبيدي به بلفظ: « أيما رجل مس فرجه... » أخرجه الدارقطني. وصححه في صحيح الجامع برقم (٢٧٢٥).

(٢)أخرجه الإمام أحمد في سننه (٧٠٧٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الإرواء تحت حديث برقم (١١٧)، وقال فيه: أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٣) ورجاله ثقات لولا عنعنة بقية ، وقد صرح بالتحديث في رواية أحمد بن الفرج الحمصي عنه: حدثني الزبيدي به بلفظ: " أيما رجل مس فرجه... " أخرجه الدارقطني. وصححه في صحيح الجامع برقم (٢٧٢٥).

وقد صح الوضوء من لحم الإبل عن اثنين من أصحاب النبي ﷺ:

أحدهما: جابر بن سمرة رضي الله عنه عند مسلم، ولفظه: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَأَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْغَنَمِ؟ قَالَ: «**إِنْ شِئْتَ فَتَوَضَّأْ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَوَضَّأْ**» قَالَ أَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ فَتَوَضَّأْ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ**»[(١)].

والثاني: حديث البراء رضي الله عنه عند أحمد وغيره[(٢)].

قال الخطابي رحمه الله في "معالم السنن" (١/ ٦٧): قد ذهب عامة أصحاب الحديث إلى إيجاب الوضوء من أكل لحوم الإبل قولا بظاهر هذا الحديث.

وإليه ذهب أحمد بن حنبل. **وأما عامة الفقهاء:** فمعنى الوضوء عندهم متأول على الوضوء الذي هو النظافة، ونفي الزهومة، كما رُوي: «**توضؤوا من اللبن فان له دسمًا**»[(٣)].

وكما قال: «**صلوا في مرابض الغنم ولا تصلوا في أعطان الإبل**»[(٤)]، وليس ذلك من أجل أن بين الأمرين فرقًا في باب الطهارة والنجاسة.

لأن الناس على أحد قولين:

إما قائل: يرى نجاسة الأبوال كلها. أو قائل: بطهارة بول ما يؤكل لحمه.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٦٠).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٨٤)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٤٢).

(٣)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢١١)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٥٨)، من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما :"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَرِبَ لَبَنًا فَمَضْمَضَ، وَقَالَ: «إِنَّ لَهُ دَسَمًا».

(٤)أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٤٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن، وجاء عند ابن ماجه في سننه برقم (٧٦٩)، من حديث عبد الله ابن مغفل رضي الله عنه وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه. وكلا الحديثين في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٨٨٥، ١٢٥٤)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط البخاري.

والغنم والإبل سواء عند الفريقين في القضيتين معًا.

وإنما نهى عن الصلاة في مبارك الإبل؛ لأن فيها نفارًا وشرادًا لا يؤمن أن تتخبط المصلي إذا صلى بحضرتها، أو تفسد عليه صلاته.

وهذا المعنى مأمون من الغنم لما فيها من السكون وقلة النفار.

ومعلوم: أن في لحوم الإبل من الحرارة وشدة الزهومة ما ليس في لحوم الغنم، فكان معنى الأمر بالوضوء منه منصرفًا إلى غسل اليد لوجود سببه دون الوضوء الذي هو من أجل رفع الحدث لعدم سببه. اهـ

قولهُ(أنتوضأ من لحوم الإبل قال: نعم): بينما لما سئل ﷺ عن لحم الغنم قال: «**إن شئت فتوضأ وإن شئت فلا تتوضأ**».

وقد تقدم بأن أحاديث الوضوء من مست النار قد نسخت، وبقي الحكم في حق لحم الإبل.

الناقض السادس: الردة.

قولهُ(الردة وهي ناقض للوضوء والإسلام): والمراد بالردة: الارتداد عن الإسلام بأحد المكفرات: إما بسب الله أو سب رسوله، وهذا من أنواع المكفرات القولية.

أو بالاعتقاد في غير الله أنه ينفع ويضر من دون الله وهذا من أنواع الردة الاعتقادية.

أو السجود لقبر أو صنم وهذا من أنواع الردة الفعلية.

فمن فعل شيئًا من ذلك انتقض وضوءه؛ لأنه ارتد عن الإسلام، فإذا أسلم وجب عليه الاغتسال على القول الصحيح، ثم الوضوء للصلاة.

(**والدليل**: قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة:٥])، وحبوط العمل يدخل فيه الوضوء.

وفي هذا دليل على أن الردة واقعة في الأمة، خلافًا لما ذهب إليه الجهال من عدم وقوعها، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في البخاري: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»، ويستوي في ذلك الرجال والنساء على الصحيح من أقوال أهل العلم.

الناقض السابع: زوال العقل: بجنون أو إغماء أو سكر.

فجميع أنواع مزيلات العقل: كالتخدير والجنون والإغماء ولو لفترة يسيره، أو سكر بشرب خمر ونحو ذلك، أو بُنِّجَ فإن وضوءه ينتقض.

وما أشبهها من الأدوية المزيلة للعقل، فقد أجمع العلماء على أن الوضوء ينتقض بذلك.

هذه نواقض الوضوء الثابتة بدليلها، ويزاد على ذلك ناقض التيمم، وهي النواقض السبعة مع زيادة وجود الماء لفاقده أو القدرة على استخدام الماء للعاجز عنه، والله المستعان.

عدد الصلوات المفروضة في اليوم والليلة

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٦٥ عَلَى المُسْلِمِ فِي كُلِّ يَومٍ وَلَيلَةٍ خَمْسُ صَلَوَات مَفْرُوضَة، **وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدالله** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ رَسُولَ الله** ﷺ **عَنِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ الله** ﷺ: «**خَمسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ**». **مُتَّفَقٌ عَلَيْه.**

بعد أن ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ ما يتعلق بأحكام الطهارة، شرع في ذكر أحكام الصلاة.

قوله (على المسلم في كل يوم وليلة خمس صلوات): هذا محل إجماع بين المسلمين أن الصلوات المفروضات هي الخمس المعروفة، وهذا معلوم من الدين بالضرورة.

وقد فرضهن الله عَزَّوَجَلَّ ليلة المعراج، قبل الهجرة بثلاث سنوات على قول جمهور العلماء.

ففي الصحيحين: عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: **قَالَ النبي** ﷺ: «**فَفَرَضَ الله** عَزَّوَجَلَّ **عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلاَةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ، حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ الله لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ، فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لاَ يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ:**

رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ؟ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ» [١].

وهذه الصلوات هي: الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء.

قوله(والدليل: حديث طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه): أحد العشرة المبشرين بالجنة أبلى بلاءً حسنًا يوم أحد مع النبي ﷺ .

قوله(أن أعرابيا سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام):

أي سأله عن أعمال أهل الإسلام وأركانه العظام وكان مما أجاب به النبي ﷺ: «**خمس صلوات في اليوم والليلة قال الرجل: هل علي غيرهن قال: لا إلا أن تطوع**» [٢].

بهذا الحديث يستدل جمهور العلماء: على عدم وجوب غير الصلوات الخمس، فلا يوجبون العيد والكسوف وتحية المسجد وركعتي الطواف وغير ذلك من الصلوات.

والذين يخالفونهم يقولون: إنما ذكر النبي ﷺ الصلوات التي تتكرر في كل يوم وليلة، أما هذه الصلوات فإنها لا تتعين إلا بوقوع سببها، وهذا هو الصحيح من أقوال أهل العلم.

وفي الباب حديث: عبادة بن الصامت رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٤٩)، والإمام مسلم في صحيحه (١٦٣)، من حديث أبي ذر ا.
(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٦).

يَقُولُ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يَنْتَقِصْ مِنْهُنَّ شَيْئًا، اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَهْدًا أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ قَدِ انْتَقَصَ مِنْهُنَّ شَيْئًا، اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ، لَمْ يَكُنْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ»[١] أخرجه أحمد وقد تقدم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»[٢] متفق عليه.

والإشارة إليهن في القرآن بقول الله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٧٨]، والله الموفق.

❁❁❁

---

(١)أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٢٥)، والإمام ابن ماجه في سننه (١٤٠١)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (٥٣٩).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٢٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٦٧).

عدد ركعات الصلوات المفروضة

قال المؤلف حفظه الله:

﴿٦٦﴾ فَإِذَا قِيلَ: كَمْ فِي الخَمْسِ الصَّلَوَات رَكْعَةً؟ فَقُلْ: فِيهَا سَبْعَ عَشْرَةَ رَكْعَةً: الظُّهْرُ أَرْبَعُ رَكَعَات، وَالعَصْرُ أَرْبَعُ رَكَعَات، وَالمَغْرِبُ ثَلَاثُ رَكَعَات، وَالعِشَاءُ أَرْبَعُ رَكَعَات، وَالصُّبْحُ رَكْعَتَانِ، وَفِي السَّفَرِ تُقْصَرُ الظُّهْرُ، وَالعَصْرُ، وَالعِشَاءُ إِلَى رَكْعَتَيْنِ، فَتَصِيرُ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً.

ذكر المصنف هذه الفقرة لبيان عدد ركعات الصلوات المكتوبات في الحضر والسفر.

قوله (إذا قيل كم في الخمس الصلوات ركعة): أي الخمس الصلوات المفروضات.

قوله(فيها سبع عشر ركعة): أي في كل يوم وليلة.

الظهر: أربع ركعات يفصل بينهن بتشهدٍ أوسط. **والعصر**: أربع ركعات يفصل بينهن بتشهدٍ أوسط. **والمغرب**: ثلاث ركعات يفصل بين الركعتين والثالثة بتشهد أوسط. **والعشاء**: أربع ركعات يفصل بينهن بتشهد أوسط. **والصبح**: ركعتان.

قيل: في ذلك؛ لأن الصبح أطول الصلوات قراءة.

وقيل: لأن الناس يقومون من النوم فيُخفف عنهم، ونحو ذلك من الأقوال.

وربما قيل: لو كان هذا الأمر فإنهم يقومون من النوم بنشاطٍ، فكان الأولى أنها تطول؛ لكن هذه الأقوال ليست معتمدة على دليل.

إنما هي استنباطات من العلماء، والصحيح الذي لا معدل عنه أن الله فرضها على ما هي عليه، فنصلي كما فرض الله ﷻ.

وصلاة الظهر والعصر تكون القراءة فيهما: سرية.

وصلاة المغرب والعشاء والفجر: تكون فيها القراءة جهرية، إلا في الركعة الأخيرة من المغرب، والركعتين الأخريين من العشاء، فيسر فهما.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «**فِي كُلِّ صَلاَةٍ يُقْرَأُ، فَمَا أَسْمَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَسْمَعْنَاكُمْ، وَمَا أَخْفَى عَنَّا أَخْفَيْنَا عَنْكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَزِدْ عَلَى أُمِّ الْقُرْآنِ أَجْزَأَتْ وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ**»(١). متفق عليه.

قوله: (وفي السفر: تقصر الظهر والعصر والعشاء إلى ركعتين فتصير إحدى عشر ركعة).

والقصر في السفر مشروع عند جماهير العلماء، ثم اختلفوا:

فأوجبه بعضهم، واستحبه الجمهور، والصحيح الوجوب؛ لقول **الله** ﷻ: ﴿ **وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ** ﴾ [النساء:١٠١].

وليس المراد بالجناح أن الأمر على الاستحباب.

فقد قال **النبي** ﷺ : (**هي رخصة رخص الله بها فاقبلوا رخصته**)، فأمر بقبولها.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في سننه (٨٠٧٦)، والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٧٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٩٣).

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**إن الله فرض الصلاة في الحضر والسفر ركعتين ركعتين فزيد في صلاة الحضر وقصرت في صلاة السفر**»[(١)] متفق عليه.

وقد لازم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القصر في جميع أسفاره، وما جاء عن عائشة وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه حصل منهما التمام، فهو تأول ويؤجرون على اجتهادهم.

والحق في خلافه، وراجع هذه المسألة في كتاب "**زاد المعاد في هدي خير العباد**" و"**ضياء السالكين في أحكام وآداب المسافرين**"، لشيخنا يحيى بن علي الحجوري حَفِظَهُ ٱللَّهُ.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٥٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٨٥).

مشروعية الأذان للصلاة المكتوبة

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٦٧ كُلّ صَلاة يُؤذّنُ لَهَا فِي وَقْتِها، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ مَالك بْنِ الحُوَيْرِث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَإذَا حَضَرَت الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»، وَفيه: الأَمْرُ بِأَدَاءِ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ فِي جَمَاعَةٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان مشروعية الأذان في الوقت، وهذه مسألة مهمة فإن الصلاة لا تتعين إلا بدخول الوقت.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا** ﴾ [النساء:١٠٣].

وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا** ﴾ [الإسراء:٧٨].

ففي هذه الآية أوقات الصلوات:

فدلوك الشمس: زوالها، ويكون فيه صلاة الظهر والعصر.

وغسق الليل: يكون فيه صلاة المغرب والعشاء.

وقرآن الفجر: المراد به صلاة الفجر.

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴾[الروم:١٧-١٨].

وقد بين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأوقات على ما علمه بها جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

ففي حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**وَقْتُ صَلَاةِ الْفَجْرِ مَا لَمْ**

يَطْلُعْ قَرْنُ الشَّمْسِ الْأَوَّلُ، وَوَقْتُ صَلَاةِ الظُّهْرِ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسِ عَنْ بَطْنِ السَّمَاءِ، مَا لَمْ يَحْضُرِ الْعَصْرُ، وَوَقْتُ صَلَاةِ الْعَصْرِ مَا لَمْ تَصْفَرَّ الشَّمْسُ، وَيَسْقُطْ قَرْنُهَا الْأَوَّلُ، وَوَقْتُ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ، مَا لَمْ يَسْقُطِ الشَّفَقُ، وَوَقْتُ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ» [(١)]، أخرجه مسلم.

ولكل صلاةٍ وقتان:

فعن أبي موسى وبريدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ سَائِلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا حَتَّى أَمَرَ بِلَالًا فَأَقَامَ الْفَجْرَ حِينَ انْشَقَّ الْفَجْرُ، فَصَلَّى حِينَ كَانَ الرَّجُلُ لَا يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ - أَوْ أَنَّ الرَّجُلَ لَا يَعْرِفُ مَنْ إِلَى جَنْبِهِ - ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَأَقَامَ الظُّهْرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ حَتَّى قَالَ: الْقَائِلُ انْتَصَفَ النَّهَارُ وَهُوَ أَعْلَمُ، ثُمَّ أَمَر بِلَالًا فَأَقَامَ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ مُرْتَفِعَةٌ، وَأَمَر بِلَالًا فَأَقَامَ الْمَغْرِبَ حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ، وَأَمَر بِلَالًا فَأَقَامَ الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ صَلَّى الْفَجْرَ وَانْصَرَفَ، فَقُلْنَا أَطَلَعَتِ الشَّمْسُ، فَأَقَامَ الظُّهْرَ فِي وَقْتِ الْعَصْرِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ وَصَلَّى الْعَصْرَ، وَقَدِ اصْفَرَّتِ الشَّمْسُ - أَوْ قَالَ: أَمْسَى - وَصَلَّى الْمَغْرِبَ قَبْلَ أَنْ يَغِيبَ الشَّفَقُ، وَصَلَّى الْعِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ وَقْتِ الصَّلَاةِ الْوَقْتُ فِيمَا بَيْنَ هَذَيْنِ**» [(٢)] أخرجه مسلم.

والأفضل أن تصلى الصلوات في أول وقتها مبادرة للعمل؛ لحديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سئل النبي ﷺ : «**أي الأعمال أفضل قال الصلاة في وقتها**»[(٣)] متفق عليه.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٦١٢).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٣٩٥)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح أبي داود.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٢٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٨٥).

وجاء في رواية: «**الصلاة على أول وقتها**» [(١)]، وحكم أهل العلم على هذه الرواية بالشذوذ. **وقلنا أفضل**؛ لأن النبي ﷺ كان يفعله وكان يصلي الصلوات في أول وقتها، ولأنه من المبادرة إلى العمل الصالح.

إلا الظهر فقد أخرها لعذر الحر وقد قالﷺ : «**إذا اشتد الحر فأبردوا فإن شدة الحر من فيح جهنم**» [(٢)] متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنه .

وإلا العشاء: فقد أخبر النبي ﷺ أن أفضل وقتها أن تُأخر، وترك ذلك لرفع المشقة عن الناس، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أَعْتَمَ النبي ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ حَتَّى ذَهَبَ عَامَّةُ اللَّيْلِ، وَحَتَّى نَامَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى، فَقَالَ: «**إِنَّهُ لَوَقْتُهَا لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي**». وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ: «**لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي**» [(٣)]، متفق عليه.

وقال بعض أهل العلم: بأن المغرب ليس له إلا وقت واحد، والصحيح أن وقتها مالم يغيب الشفق. **والمراد بالشفق**: الحمرة؛ لأن الشفق شفقان: أحمر وأبيض. **وأطول الصلوات في القراءة**: صلاة الفجر وهكذا الظهر.

وأقصرها: المغرب، فيقرأ فيها بقصار المفصل، وله أن يطيل أحيانًا، فقد صلى رسول الله ﷺ فيها بالطور والأعراف والمرسلات.

وأما العشاء والعصر: فقد جاء عن النبي ﷺ القراءة فيها بوسط المفصل.

وفي هذه الفقرة دليل على وجوب الأذان: وهو واجب مستقل إذ أن الصلاة

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٢٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٣٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٠٩)، وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وجاء في الصحيحين أيضًا من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٦٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٣٨) واللفظ له.

تصح بدونه، لكن إذا اجتمع أهل بلدٍ على تركه، وجب على الحاكم أن يؤدبهم.

فقد كان النبي ﷺ يغير بالفجر فإذا سمع أذان أمسك وإلا أغار كما في حديث أنس رضي الله عنه عند مسلم.

قوله (فإذا حضرت الصلاة): أي جاء وقتها ودخل وتعين: «**فليؤذن لكم أحدكم**»، ممن يجيد الأذان. **ويستحب أن يكون أندى صوتًا**؛ لقول النبي ﷺ لعبدالله بن زيد رضي الله عنه: «**وألقه على بلال فإنه أندى صوتًا منك**».

قوله (وليؤمكم أكبركم): هذا إذا تساووا في العلم. وإلا ففي حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا، وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ**»[(١)] أخرجه مسلم.

قوله (وفيه الأمر بأداء الصلوات الخمس في جماعة): والجماعة واجبة على الصحيح من أقوال أهل العلم، وبالغ الظاهرية فأبطلوا صلاة من لم يصل جماعة. **والصحيح**: أنها صحيحة مع الإثم.

والدليل: على صحتها قول النبي ﷺ: «**صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ، خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ: إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلاَةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً، إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى، لَمْ تَزَلِ المَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ، مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ: اللهمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللهمَّ ارْحَمْهُ، وَلاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي**

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٦٧٣).

صَلاَةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ» (١) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه . فدل على أن الصلاة في البيت والسوق مقبولة إلا أن صاحبها يفقد أجورًا عظيمة.

ومما يدل على وجوبها: قول النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ، فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاَةِ، فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ، أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا، أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ، لَشَهِدَ العِشَاءَ»** (٢) متفق عليه.

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مَنْ سُنَنَ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»** (٣)أخرجه مسلم.

فهذا دليل على اهتمام الصحابة رضي الله عنهم **بها**. وأنها من الواجبات، ولو لم تكن من الواجبات لما وصف المتخلف عنها بالنفاق.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٤٩).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٥١).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٦٥٤).

كما قال النبي ﷺ : «**أَثْقَلَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**» (١) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وقد قال الله عز وجل: ﴿**وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ**﴾ [البقرة:٤٣].وقال عز وجل: ﴿**وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ**﴾ [البقرة:٢٣٨].وقد صلى النبي ﷺ الجماعة في السفر والخوف وهذا مما يدل على علو شأنها والله أعلم.

❁❁❁

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٥١).

متابعة المؤذن

قال المؤلف حفظه الله:

٦٨ مَنْ سَمعَ النِّدَاءَ يَقُولُ مثْلَ مَا قَالَ المُؤَذِّنُ، **وَالدَّليلُ حَديثُ أَبي سَعيد الخُدْرِيِّ** رضي الله عنه **أَنَّ رَسُولَ الله** ﷺ **قَالَ: «إذَا سَمعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا مثْلَ مَا يَقُولُ المُؤَذِّنُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ**(١).

ذكر المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان استحباب متابعة المؤذن ويقول كما يقول سواء، إلا أنه يقول في الحيعلتين: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

كما جاء في مسلم عن عمر رضي الله عنه : «**من قال حين يسمع الأذان: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن محمدا رسول الله قال: أشهد أن محمدا رسول الله، قال: حي على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: حي على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة**» (٢).

وفي حديث عبدالله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ النبي ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**» أخرجه مسلم (٣٨٤).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦١١)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٨٣).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٨٥).

وفي البخاري: عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللهمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(١)].

وفيه **فضيلة المؤذنين وأنهم أطول الناس أعناقا** متفق عليه، من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: «**إذا أذن للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط**»[(٢)] متفق عليه.

والأذان من شعائر المسلمين الظاهرة، وسمي بالأذان مشتقا من الإعلام.

وكان مبدئه: ما أخرجه أبو داود عن عبد الله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اهْتَمَّ النبي ﷺ لِلصَّلَاةِ كَيْفَ يَجْمَعُ النَّاسَ لَهَا، فَقِيلَ لَهُ: انْصِبْ رَايَةً عِنْدَ حُضُورِ الصَّلَاةِ فَإِذَا رَأَوْهَا آذَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ.

قَالَ: فَذُكِرَ لَهُ الْقُنْعُ - يَعْنِي الشَّبُّورَ وَقَالَ زِيَادٌ: شَبُّورُ الْيَهُودِ - فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ.

وَقَالَ: «**هُوَ مِنْ أَمْرِ الْيَهُودِ**» قَالَ: فَذُكِرَ لَهُ النَّاقُوسُ، فَقَالَ: «**هُوَ مِنْ أَمْرِ النَّصَارَى**» فَانْصَرَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ وَهُوَ مُهْتَمٌّ لِهَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأُرِيَ الْأَذَانَ فِي مَنَامِهِ، قَالَ: فَغَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ.

فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَبَيْنَ نَائِمٍ وَيَقْظَانَ، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَأَرَانِي الْأَذَانَ، قَالَ: وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ رَآهُ قَبْلَ ذَلِكَ فَكَتَمَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا، قَالَ: ثُمَّ أَخْبَرَ النبي ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تُخْبِرَنِي؟**».

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦١٤).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٨٩).

فَقَالَ: سَبَقَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ، فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**يَا بِلَالُ، قُمْ فَانْظُرْ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ، فَافْعَلْهُ**» قَالَ: فَأَذَّنَ بِلَالٌ [١].

وقد جمع الأذان: بين التوحيد والدعوة إلى الخير، وتعظيم الله ﷻ وكله ذكرٌ لله ﷻ.

قوله ﷺ (والدليل: حديث أبي سعيد الخدري ؓ أن رسول الله ﷺ قال: (إذا سمعتم النداء أي الأذان فقولوا مثل ما يقول المؤذن):

والقاعدة: أن أمر النبي ﷺ للوجوب، إلا أنه هنا للاستحباب.

فقد سمع النبي ﷺ مؤذنًا يقول: الله أكبر الله أكبر قال: «**على الفطرة**» قال: أشهد أن لا إله إلا الله. **قال:** «**خرجت من النار**»، أخرجه مسلم عن أنس ؓ.

وهذا صارف الأمر من الوجوب إلى الاستحباب، والله أعلم.

❁❁❁

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٩٨)، من حديث أبي عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار ي ، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي ؒ برقم (١٥١٤)، وقال فيه: هذا حديث حسن. وأخرجه أبو داود برقم (٤٩٩)، من حديث عبد الله بن زيد بن عبد ربه ؓ، وصححه الإمام الألباني ؒ في المشكاة برقم (٦٥٠).

استقبال القبلة في الصلاة

قال المؤلف حفظه الله:

٦٩ إذا قُمْتَ إلَى الصَّلَاة، فَاسْتَقْبل القبْلَة، وَالدَّليلُ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤].

ذكر المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان شرطية استقبال القبلة، وهذه الفقرة وما بعدها شروعٌ من الشيخ حفظه الله في وصف صلاة النبي ﷺ.

والدليل: على استقبال القبلة قوله تعالى: ﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ**﴾ [البقرة:١٤٤]، أي جهته.

ومن السنة: قول النبي ﷺ: «**إذا قمت إلى الصلاة فاستقبل القبلة ثم كبر وقل...**» **الحديث**(١)، متفق عليه.

وقد كان مبدأ الأمر ما جاء في الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه: «**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى، أَوْ صَلَّاهَا، صَلاَةَ العَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ**».

فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ المَسْجِدِ وَهُمْ رَاكِعُونَ، قَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ، لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ البَيْتِ، وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى القِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ قِبَلَ البَيْتِ رِجَالٌ قُتِلُوا، لَمْ نَدْرِ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٦٦٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٩٧).

مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣] »[١] أخرجه البخاري ومسلم.

واستقبال القبلة من شروط الصلاة، وهذا محل إجماع بين المسلمين، ولا يسقط استقبالها إلا إذا كان الرجل يصلي النافلة سفرا، فإن النبي ﷺ كان «**يصلي على راحلته حيث توجهت به**»[٢] متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنه .

وفي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: « **أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا سَافَرَ فَأَرَادَ أَنْ يَتَطَوَّعَ اسْتَقْبَلَ بِنَاقَتِهِ الْقِبْلَةَ فَكَبَّرَ، ثُمَّ صَلَّى حَيْثُ وَجَّهَهُ رِكَابُهُ**»[٣].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أنه النبي ﷺ : «**كان يصلي حيث توجهت به راحلته**»[٤].

وجاء من حديث أنس وعبدالله بن ربيعة وجابر بن عبدالله رضي الله عنهم الصلاة على الراحلة حيث توجهت به.

وفي حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ في الفريضة كان ينزل و يستقبل القبلة متفق عليه.

ولما خرج النبي ﷺ : «**من الكعبة صلى ركعتين بجانب الكعبة وقال هذه القبلة**»[٥] أخرجه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنه .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٢٥).
(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٠٠٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٠٠).
(٣)سنن أبي داود (١٢٢٥) وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٦٧)، وقال فيه: هذا حديث حسن.
(٤)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٠٠٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٠٠، ٧٠١).
(٥)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٩٨)، والإمام مسلم في صحيحه (١٣٣٠).

ويجب على المكلف أن يستقبل عين الكعبة: إذا كان يراها أو يتمكنه من معرفة عينها.

أما إذا كان لا يراها فيجزئه استقبال الجهة؛ لقول الله ﷻ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة:١٤٤]، أي جهته.

وقال ﷻ: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ﴾ [البقرة:١٤٤] أي جهةً ترضاها.

وفي قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥]، أي الجهة التي يقبل الله ﷻ فيها الصلاة.

وقيل: الوجه صفة لله ﷻ لما جاء في الحديث: «**إِنَّ اللهَ ﷻ قِبَلَ وَجْهِ أَحَدِكُمْ فِي صَلَاتِهِ، فَلَا يَتَنَخَّمَنَّ أَحَدٌ قِبَلَ وَجْهِهِ فِي صَلَاتِهِ**»[١] عن ابن عمر رضي الله عنه متفق عليه.

قوله: (والدليل: قول الله -تعالى-: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة:١٤٤])؛

هذه منَّة من الله ﷻ على نبيه إذ أنه كان يقلب وجهه في السماء يرجوا من الله ﷻ أن يحول قبلته من بيت المقدس إلى الكعبة، حتى استجاب الله ﷻ دعوته وحقق رغبته.ولما حولت القبلة ضج السفهاء، فقال الله ﷻ عنهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ﴾ [البقرة:١٤٢].

وكان السفهاء ثلاثة أصناف:

١ـ المنافقون: قالوا هذا رجل يتشكك في دينه.

---

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٥٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٤٧).

٢ـ اليهود قالوا هذا رجل غير قبلته عن قبلة الأنبياء وهو على غير طريقهم.

٣ـ الكفار قالوا هذا رجل رجع إلى قبلتنا ويوشك أن يرجع إلى ديننا.

قوله (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ): أي جهة الكعبة لأن المسجد الحرم يطلق تارة ويراد به الحرم كله ويطلق تارة ويراد به الكعبة ويطلق تارة ويراد به المسجد الذي يصلى فيه.

وبسبب هذا الاختلاف: ذهب بعض أهل العلم إلى أن الصلاة في جميع الحرم تضاعف إلى مائة ألف صلاة.

واستدلوا بقول الله ﷻ: ﴿لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٩٦].

وبقول الله ﷻ: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [التوبة:٢٨]، والمراد به الحرم.

قوله (وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ): حيث ماكنتم من بلاد الله ﷻ، فاجتهدوا في أن تولوا وجوهكم شطر المسجد الحرام وهذه مِنَّة من الله ﷻ، أن جعل لأمة محمد ﷺ هذه القبلة ليتميزوا عن اليهود والنصارى ومن اليهم من المشركين والمنددين.

ومن صلى إلى غير القبلة مجتهدًا ثم تبين له أنه صلى إلى غير جهتها صحت صلاته، ولا تلزمه الإعادة؛ **والدليل:** على ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الكَعْبَةَ، فَاسْتَقْبِلُوهَا وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّأْمِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الكَعْبَةِ**»(١) متفق عليه.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٠٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٢٦).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم: «**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**»، فَنَزَلَتْ: ﴿**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ**﴾ [البقرة:١٤٤]. **فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَقَدْ صَلَّوْا رَكْعَةً، فَنَادَى: أَلَا إِنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ، فَمَالُوا كَمَا هُمْ نَحْوَ الْقِبْلَةِ**» (١) فلم يعيدوا ما فاتهم، فدل على صحة الصلاة.

تنبيه: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**بين المشرق والمغرب قبلة**» (٢) أخرجه الترمذي، وهذا مختص بأهل المدينة وأهل اليمن ومن ساماهم.

أي بمن كان كانت قبلتهم إلى الشمال، أو إلى الجنوب، والله الموفق.

❁❁❁

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٢٧).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٤٢)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الترمذي.

رفع اليدين في الصلاة في أربعة مواضع

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٧٠ رَفْعُ اليَدَين فِي الصَّلَاة فِي أَرْبَعَة مَوَاضع، وَالدَّليلُ حَديثُ عَبْدالله بْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاة كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْه حَذْوَ مَنْكبَيْه، وَإذَا رَكَعَ رَفَعَ يَدَيْه، وَإذَا قَالَ: سَمعَ اللهُ لمَنْ حَمدَهْ رَفَعَ يَدَيْه (وَإذَا قَامَ منَ الرَّكْعَتَيْنِ رَفَعَ يَدَيْه)، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَفْعَلُ ذَلكَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (وَالرَّفْعُ إذَا قَامَ منَ الرَّكْعَتَيْنِ) انْفَرَدَ به البُخَارِيّ.

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لذكر أول ما يقوم به المصلي مع تكبيرة الإحرام، ولبيان سنة رفع اليدين الدال على الخضوع لله عَزَّ وَجَلَّ.

وهو علامة على الذل والانكسار بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ:

وقال بعض أهل العلم إنه علامة على اطراح الدنيا خلف الظهر.

ويرفع المصلي يديه إلى حذو منكبيه، وفي رواية: «**إلى فروع أذنيه**»،

والجمع بينهما أن أعلى الأصابع يكون إلى فروع الأذنين، وأسفلها يكون إلى حذو المنكبين.

ويرفعهما مدا: أي مبسوطتان متجهتان إلى القبلة.

ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**ثَلَاثٌ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِنَّ، قَدْ تَرَكَهُنَّ النَّاسُ: كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ مَدًّا إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ، وَيُكَبِّرُ كُلَّمَا رَكَعَ وَرَفَعَ،**

وَالسُّكُوتُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ يَسْأَلُ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ» ، قَالَ يَزِيدُ: «يَدْعُو وَيَسْأَلُ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ» [١] أخرجه أحمد.

وقد كان أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ : يرى الرفع في تكبيرة الإحرام ولا يرى الرفع في غيرها، وقد صلى بجانبه عبدالله بن المبارك فكان يرفع فيما ثبت فيه الدليل.

فلما انتهى قال أبو حنيفة: رأيتك ترفع كأنك تريد أن تطير.

قال: وأنا رأيتك رفعت حين دخلت في الصلاة هل طرت؟ كالمنكر عليه".

قولهُ (رفع اليدين في الصلاة في أربعة مواضع): لأن بعض أهل العلم ذهب إلى أن الرفع في كل خفضٍ ورفع، والصحيح ما تقدم.

والدليل: حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أي: عند الشيخين إلا ذكر الرابعة، وهي الرفع حين القيام من الركعة الثانية إلى الثالثة، فانفرد بها البخاري.

وقد جاء الرفع في الصحيحين: **«أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا كَبَّرَ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَاذِيَ بِهِمَا أُذُنَيْهِ، وَإِذَا رَكَعَ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَاذِيَ بِهِمَا أُذُنَيْهِ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ» فَقَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ.**

قولهُ (كان): كان تفيد اللزوم والاستمرار.

قولهُ (دخل في الصلاة): أي الفريضة والنافلة.

(كبر ورفع يديه حذو منكبيه): أي إلى جهة المنكبين.

(وإذا ركع رفع يديه): أي قبل الركوع وليس معنى ذلك أنه يرفعهما بعد أن يطمئن راكعا.

---

(١) أخرجه الإمام النسائي في سننه (٨٨٣)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح النسائي.

(وإذا قال سمع الله لمن حمده رفع يديه): أي وهو قائم من الركوع.

(وإذا قام من الركعتين رفع يديه): بعد أن ينتصب قائما.

(وكان ابن عمر يفعل ذلك): أي اقتداءً بالنبي ﷺ لأن النبي ﷺ يقول: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[١] وابن عمر رضي الله عنهما من أحرص الناس على متابعة رسول الله ﷺ .

قولُهُ (والرفع إذا قام من الركعتين): انفرد به البخاري وقد تكلم عليها بعض أهل العلم.

قال الحافظ رحمه الله في "الفتح" (٢/ ٢٢٢): (قَوْلُهُ بَابُ رَفْعِ الْيَدَيْنِ إِذَا قَامَ مِنَ الرَّكْعَتَيْنِ): أَيْ بَعْدَ التَّشَهُّدِ فَيَخْرُجُ مَا إِذَا تَرَكَهُ وَنَهَضَ قَائِمًا مِنَ السُّجُودِ لِعُمُومِ قَوْلِهِ فِي الرِّوَايَةِ الَّتِي قَبْلَهُ وَلَا حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ.

وَيُحْتَمَلُ: حَمْلُ النَّفْيِ هُنَاكَ عَلَى حَالَةِ رَفْعِ الرَّأْسِ مِنَ السُّجُودِ لَا عَلَى مَا بَعْدَ ذَلِكَ حِينَ يَسْتَوِي قَائِمًا.

وَأَبْعَدَ مَنِ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ سَالِمٍ فِي رِوَايَتِهِ وَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي السُّجُودِ عَلَى مُوَافَقَةِ رِوَايَةِ نَافِعٍ فِي حَدِيثِ هَذَا الْبَابِ.

حَيْثُ قَالَ: «وَإِذَا قَامَ مِنَ الرَّكْعَتَيْنِ»، لِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِ لَمْ يَنْفِهِ أَنَّهُ أَثْبَتَهُ، بَلْ هُوَ سَاكِتٌ عَنْهُ.

وَأَبْعَدَ أَيْضًا: مَنِ اسْتَدَلَّ بِرِوَايَةِ سَالِمٍ عَلَى ضَعْفِ رِوَايَةِ نَافِعٍ.

وَالْحَقُّ أَنَّهُ: لَيْسَ بَيْنَ رِوَايَتَيْ نَافِعٍ وَسَالِمٍ تَعَارُضٌ، بَلْ فِي رِوَايَةِ نَافِعٍ زِيَادَةٌ لَمْ

---

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٣١).

يَنْفِهَا سَالِمٌ، وَسَتَأْتِي الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ سَالِمًا أَثْبَتَهَا مِنْ وَجْهٍ آخَرَ.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ رَوَاهُ الثَّقَفِيُّ يَعْنِي عَبْدَ الْوَهَّابِ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ فَلَمْ يَرْفَعْهُ وَهُوَ الصَّحِيحُ وَكَذَا رَوَاهُ اللَّيْث بن سعد وبن جُرَيْجٍ وَمَالِكٌ -يَعْنِي عَنْ نَافِعٍ- مَوْقُوفًا.

وَحَكَى الدَّارَقُطْنِيُّ فِي "**الْعِلَلِ**" الِاخْتِلَافَ فِي وَقْفِهِ وَرَفْعِهِ وَقَالَ: الْأَشْبَهُ بِالصَّوَابِ قَوْلُ عَبْدِ الْأَعْلَى. وَحكَى الْإِسْمَاعِيلِيُّ عَنْ بَعْضِ مَشَايِخِهِ: أَنَّهُ أَوْمَأَ إِلَى أَنَّ عَبْدَ الْأَعْلَى أَخْطَأَ فِي رَفْعِهِ، قَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ: وَخَالَفَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ وَعَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ وَالْمُعْتَمِرُ يَعْنِي عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ فَرَوَوْه مَوْقُوفا عَن ابن عُمَرَ.

قُلْتُ: وَقَفَهُ مُعْتَمِرٌ وَعَبْدُ الْوَهَّابِ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ كَمَا قَالَ لَكِنْ رَفَعَاهُ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالم عَن بن عُمَرَ أَخْرَجَهُمَا الْبُخَارِيُّ فِي جُزْءِ رَفْعِ الْيَدَيْنِ وَفِيهِ الزِّيَادَةُ وَقَدْ تُوبِعَ نَافِعٌ عَلَى ذَلِكَ عَن بن عُمَرَ وَهُوَ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْجُزْءِ الْمَذْكُورِ مِنْ طَرِيقِ مُحَارِبِ بن دثار عَن ابن عُمَرَ قَالَ: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ**»، وَلَهُ شَوَاهِدُ مِنْهَا حَدِيثُ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، وَحَدِيثُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَخْرَجَهُمَا أَبُو دَاوُد وصححهما بن خُزَيْمَة وبن حِبَّانَ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ فِي الْجُزْءِ الْمَذْكُورِ: مَا زَاده ابن عُمَرَ وَعَلِيٌّ وَأَبُو حُمَيْدٍ فِي عَشَرَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنَ الرَّفْعِ عِنْدَ الْقِيَامِ مِنَ الرَّكْعَتَيْنِ صَحِيحٌ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَحْكُوا صَلَاةً وَاحِدَةً، فَاخْتَلَفُوا فِيهَا، وَإِنَّمَا زَادَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَالزِّيَادَةُ مَقْبُولَة من أهل الْعلم، وَقَالَ ابن بَطَّالٍ: هَذِهِ زِيَادَةٌ يَجِبُ قَبُولُهَا لِمَنْ يَقُولُ بِالرَّفْعِ. اهـ

مشروعية وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة

قال المؤلف حفظه الله:

﴿٧١﴾ وَضْعُ اليَد اليُمْنَى عَلَى اليَد اليُسْرَى فِي الصَّلَاة، **والدَّليلُ حَديثُ سَهل بنِ سَعْد** رضي الله عنهما **قَالَ: كَانَ النَّاسُ يُؤمَرُونَ أَنَّ يَضَعَ الرَّجُلُ اليَدَ اليُمْنَى عَلَى اليَد اليُسْرَى فِي الصَّلَاةِ، وَرَفَعَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ** صلى الله عليه وسلم.

ذكر المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان سنية الضم أي وضع اليمين على اليسرى في الصلاة.

وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى استحبابه، وقال بعض أهل العلم بوجوبه، وخالف في هذا جمهور المالكية ولا حجة لهم قائمة.

قال ابن عبد البر رحمه الله في **"الاستذكار"** (٢/ ٢٩١):

وَأَمَّا أَقَاوِيلُ الْفُقَهَاءِ فِي هَذَا الْبَابِ: فذهب مالك في رواية بن الْقَاسِمِ عِنْدَهُ إِلَى إِرْسَالِ الْيَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ، وهو قول الليث بن سعد.

قال ابن الْقَاسِم: قَالَ مَالِكٌ فِي وَضْعِ الْيَدَيْنِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فِي الصَّلَاةِ: إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي النَّوَافِلِ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، قَالَ: وَتَرْكُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ.

وَقَالَ اللَّيْثُ: سَدْلُ الْيَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ أَحَبُّ إِلَيَّ إِلَّا أَنْ يَطُولَ الْقِيَامُ فَلَا بَأْسَ أَنْ يَضَعَ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى.

وروى بن نَافِعٍ وَعَبْدُ الْمَلِكِ وَمُطَرِّفٌ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: تُوضَعُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى فِي الصَّلَاةِ فِي الْفَرِيضَةِ وَالنَّافِلَةِ قَالَ لَا بَأْسَ بِذَلِكَ.

قَالَ أَبُو عُمَرَ: هُوَ قَوْلُ الْمَدَنِيِّينَ مِنْ أَصْحَابِهِ.

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: مَا شَاءَ فَعَلَ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ وَهُوَ قَوْلُ عَطَاءٍ.

وَقَالَ عَبْدُ الرزاق: رأيت بن جُرَيْجٍ يُصَلِّي فِي إِزَارٍ وَقَمِيصٍ وَيَمِينُهُ عَلَى شِمَالِهِ.

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ وَأَصْحَابُهُمْ وَالْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ وَأَبُو ثَوْرٍ وَأَبُو عُبَيْدٍ وَدَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ وَالطَّبَرِيُّ يَضَعُ الْمُصَلِّي يَدَهُ عَلَى شِمَالِهِ فِي الْفَرِيضَةِ وَالنَّافِلَةِ. وَهُوَ عِنْدَ جَمِيعِهِمْ حَسَنٌ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ.اهـ

وقد ذكر الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في الموطأ: ما يدل على ضم اليدين، وإنما أرسل رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ضربه المنصور، حتى لم يستطع بعد أن يرفع يده، فتأسى به أصحابه، وتركوا التأسي بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ويرسل الزيدية والرافضة والإباضية، ولا عبرة بخلافهم.

والمنهي عنه وضع اليدين على الخاصرة:

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ مُخْتَصِرًا**» (١) أخرجه النسائي. وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أنه فعل اليهود».

وأما وضع اليدين على الصدر: فلا يثبت، وقد أعله ابن خزيمة وغيره.

فعلى المصلي أن يضع يديه على المستوى الذي لا تكلف فيه.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٢٢٠).

وللضم ثلاث هيئات فيجوز أن يضع الكف على ظهر الكف، أو أن يضع الكف على الرسغ أو أن يضع الكف على الساعد.

وأما قبض المرفق فلا دليل عليه، بل هو من التكلف.

واقبح ما زعمته الرافضة ومن إليهم من أصحاب التشيع: أن النبي ﷺ كان يضم ثم، إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحملون أصنامهم على ما هم عليه في زمن الإشراك، فأرسل النبي ﷺ يديه فسقطت الأصنام.

هذا قولٌ قبيح وسقيم وكذب وطعن: في صحابة النبي ﷺ رضي الله عنهم.

فبمجرد قول أحدهم: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، تحصل البراءة من الشرك جملة وتفصيلا.

وأما القول بأن النبي ﷺ ضم وأرسل فهذا من الكذب.

بيان حكم الضم بعد القيام من الركوع:

اختلف العلماء في هذه المسألة:

فروى عن الإمام أحمد التخيير في الأمرين، وهذا قول شيخنا الوادعي رحمه الله كما سمعته منه.

وذهب الشيخ الألباني رحمه الله في حاشية كتابه "صفة صلاة النبي ﷺ" صـ(١٤٥) من الطبعة السادسة ما نصه:

ولست أشك في أن وضع اليدين على الصدر في هذا القيام يعني بذلك القيام بعد الركوع بدعة ضلالة؛ لأنه لم يرد مطلقًا في شيء من أحاديث الصلاة، وما أكثرها، ولو كان له أصل لنقل إلينا، ولو عن طريق واحد، ويؤيده أن أحدًا

من السلف لم يفعله، ولا ذكره أحد من أئمة الحديث فيما أعلم. **اهـ**

وقد بسط القول في المسألة مرجحًا للضم بعد الركوع العلامة ابن باز رحمه الله، فقال في كتابه: "**ثلاث رسائل في الصلاة**" ص(٢٠) وما بعدها:

قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه باب وضع اليمنى على اليسرى.

قال: حدثنا عبدالله بن مسلمة عن مالك عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: «**كان الناس يُؤمرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة**».

قال أبو حازم: لا أعلمه إلا ينمي ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم .اهـ المقصود.

ووجه الدلالة من هذا الحديث الصحيح: على شرعية وضع اليمين على الشمال حال قيام المصلي في الصلاة، قبل الركوع وبعده. اهـ

والذي يظهر - والله أعلم - عدم صراحة الأدلة في سنية القبض بعد الركوع، والله أعلم.

وكذا القول بالبدعية بعيد مع وجود العمومات التي استدل بها المثبتون.

ثم إن الصحابة رضي الله عنهم قد نقلوا لنا كل ما يتعلق بصفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم .

ولو كان قد ضم في هذا الموطن لنقل، والله أعلم.

زد على ذلك اختلاف الأمة في ذكر الحمد بعد الرفع من الركوع، فقد لا يتأتى وقت للضم، والله أعلم.

قوله (وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى): أي إذا وضع اليد اليسرى على اليد اليمنى أساء فاليمنى هي العليا وقوله (في الصلاة) مقيد بحال القيام

وليس في حال السجود أو الركوع أو الجلوس بين السجدتين.

قولهُ (والدليل): حديث سهل بن سعد ﵄: أبو العباس الساعدي.

قولهُ (كان الناس يؤمرون): وقول الصحابي كانوا يؤمرون من قسم المرفوع، إذ أن الآمر لهم هو النبي ﷺ .

قولهُ (أن يضع الرجل اليد اليمنى على اليد اليسرى): أي في الصلاة وهكذا الأنثى وإنما خرج ذكر الرجل مخرج الغالب.

ورفع ذلك إلى النبي ﷺ أي ذكره مرفوعا إلى النبي ﷺ .

وما أضيف إلى لنبي المرفوع وما لتابع هو المقطوع

وبهذا انتفى القول بوقف الحديث، والله أعلم.

۞۞۞

أصح دعاء في الاستفتاح

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٧٢ أَصَحُّ دُعَاء فِي الاسْتِفْتَاح بَعْدَ تَكْبِيرَةَ الإِحْرَام مَا جَاءَ فِي حَدِيث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا كَبَّرَ فِي الصَّلَاة سَكَتَ هُنَيْهَةً قَبْلَ القرَاءَة، فَسُئلَ عَمَّا يَقُولُ، فَقَالَ: «أَقُولُ اللهُمَّ بَاعدْ بَيْنى وَبَيْنَ خَطَايَاى كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِق وَالمَغْرِبِ، اللهُمَّ نَقِّني منَ الخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ منَ الدَّنَسِ، اللهُمَّ اغْسلْ خَطَايَايَ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان مشروعية دعاء الاستفتاح، وهو سنة عند جماهير العلماء، ويكون بعد تكبيرة الإحرام، وقبل قراءة الفاتحة.

وقد رجح الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دعاء الاستفتاح: ما جاء أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، كَانَ يَجْهَرُ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» (١) أخرجه مسلم وغيره.

قال: لأن هذا ثناء على الله عَزَّ وَجَلَّ، كما بين ذلك ابن القيم في الزاد.

وأصح حديث في الاستفتاح: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي ذكره المصنف، لأنه من المتفق عليه.

وجاء في صفة دعاء استفتاح الصلاة: حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم: قال كان رسول الله ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي،**

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٩٩).

وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، وَإِذَا رَكَعَ، قَالَ: «اللهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي»، وَإِذَا رَفَعَ، قَالَ: «اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ»، وَإِذَا سَجَدَ، قَالَ: «اللهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»(١).

وحديث ابن عباس رضي الله عنه في صلاة الليل قَالَ: كَانَ النبي ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللهمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمحمد ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللهمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ،

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٧٧١).

وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ - أَوْ: لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ» - قَالَ سُفْيَانُ: وَزَادَ عَبْدُ الكَرِيمِ أَبُو أُمَيَّةَ: «وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» [١] متفق عليه.

وحديث عائشة رضي الله عنها أخرجه مسلم: «أن النبي ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [٢].

وأعله أبو الفضل الشهيد لأنه من رواية عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير، وقد ضعفها علي بن المديني وغيره.

وحديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رسول الله ﷺ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِنَ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟».

قَالَ رَجُلٌ مَنِ الْقَوْمِ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «عَجِبْتُ لَهَا، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ» [٣] أخرجه مسلم.

وأقره النبي ﷺ على ذلك.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١٢٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٦٩).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٧٧٠).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٦٠١).

ومن أراد الاستيعاب في هذا عليه أن يرجع إلى كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم رحمه الله.

الشاهد: أنه اذا جاء المصلي بأي واحد من هذه الأذكار أجزئه سواء ما ثبت عن النبي ﷺ في قيام الليل، أو ما ثبت في الصلاة المفروضة.

قوله (أصح): معناه أن في الأحاديث صحيحا غيره.

قوله (دعاء في الاستفتاح): خرج به أدعية غير الاستفتاح، ويكون دعاء الاستفتاح بعد تكبيرة الإحرام رد على من يرى أن دعاء الاستفتاح يكون قبل تكبيرة الإحرام وهذا مشهور عن الزيدية ومن إليهم.

قوله (ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا كبر في الصلاة سكت هنيهة قبل القراءة):

أي سكت فترة وجيزة وكان للدوام والاستمرار، والمراد بالسكوت هنا عدم الجهر لا عدم الكلام.

قوله (فسئل عما يقول): أي سأله أبو هريرة رضي الله عنه .

قوله (قال أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب): وهذا دعاءٌ عظيم فإن الخطايا إذا أحاطت بالإنسان أضعفت إيمانه فإذا كانت الخطيئة خطيئة الشرك فإنها تذهب الإيمان بالكلية.

قال الله عز وجل: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:٨١].

فالإنسان يدعو الله أن يباعد بينه وبين خطاياه كما باعد بين المشرق والمغرب فلا عاصم منها إلا الله.

قوله (اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس): فإن قدر أنه قد وقع في الخطأ والزلل فيدعوا بالنقاء، كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس.

قال ﷺ في ما يرويه عن ربه عز وجل: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ولا يغفر الذنوب إلا أنا فاستغفروني أغفر لكم**»[1] أخرجه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه.

وذكر الثوب الأبيض؛ لأن الثوب الأبيض إذا غُسل ونقي من الدنس صار ناصعًا وجديدًا، بخلاف بقية الأثواب فإنه تبقى ألوانها فيها.

قوله (اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد): حتى تزول الخطايا بالكلية.

قال الحافظ رحمه الله في **"الفتح" (٢/ ٢٣٠)**: قوله (بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ): قَالَ الْخَطَّابِيُّ: ذِكْرُ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ تَأْكِيدٌ أَوْ لِأَنَّهُمَا مَا آن لَمْ تَمَسَّهُمَا الْأَيْدِي وَلَمْ يَمْتَهِنْهُمَا الِاسْتِعْمَالُ.

وَقَالَ ابن دَقِيقِ الْعِيدِ رحمه الله: عَبَّرَ بِذَلِكَ عَنْ غَايَةِ الْمَحْوِ فَإِنَّ الثَّوْبَ الَّذِي يَتَكَرَّرُ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ مُنَقِّيَةٌ يَكُونُ فِي غَايَةِ النَّقَاءِ.

قَالَ وَيُحْتَمَلُ: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَجَازٌ عَنْ صِفَةٍ يَقَعُ بِهَا الْمَحْوُ.

---

(١)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧٧).

وَكَأَنَّهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآ ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وَأَشَارَ الطِّيبِيُّ إِلَى هَذَا بَحْثًا فَقَالَ: يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمَطْلُوبُ مِنْ ذِكْرِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ بَعْدَ الْمَاءِ شُمُولَ أَنْوَاعِ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ بَعْدَ الْعَفْوِ لِإِطْفَاءِ حَرَارَةِ عَذَابِ النَّارِ الَّتِي هِيَ فِي غَايَةِ الْحَرَارَةِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: "بَرَّدَ اللهُ مَضْجَعَهُ" أَيْ رَحِمَهُ وَوَقَاهُ عَذَابَ النَّارِ.اهـ

وَيُؤَيِّدُهُ وُرُودُ وَصْفِ الْمَاءِ بِالْبُرُودَةِ: فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى عِنْدَ مُسْلِمٍ، وَكَأَنَّهُ جَعَلَ الْخَطَايَا بِمَنْزِلَةِ جَهَنَّمَ، لِكَوْنِهَا مُسَبَّبَةً عَنْهَا فَعَبَّرَ عَنْ إِطْفَاءِ حَرَارَتِهَا بِالْغَسْلِ، وَبَالَغَ فِيهِ بِاسْتِعْمَالِ الْمُبَرِّدَاتِ تَرَقِّيًا عَنِ الْمَاءِ إِلَى أَبْرَدِ مِنْهُ.

وَقَالَ التُّورِبِشْتِيُّ: خَصَّ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهَا مُنَزَّلَةٌ مِنَ السَّمَاءِ.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ فِي الدَّعَوَاتِ الثَّلَاثِ إِشَارَةٌ إِلَى الْأَزْمِنَةِ الثَّلَاثَةِ، فَالْمُبَاعَدَةُ لِلْمُسْتَقْبَلِ، وَالتَّنْقِيَةُ لِلْحَالِ وَالْغَسْلُ لِلْمَاضِي. اهـ

❁❁❁

الاستعاذة والبسملة سراً في الصلاة

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٧٣ قَبْلَ قِراءَةِ الفاتحة اسْتَعذْ باللهِ منَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَسَمِّ اللهَ سرًّا، وَالدَّلِيلُ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، وَعَنْ أَنَس بْنِ مَالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبَا بَكْر، وَعُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كَانُوا يَفْتَتِحُونَ الصَّلَاةَ بـ(الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمينَ). مُتَّفَقٌ عَلَيه، وَفِي لَفْظ: فَكَانُوا لَا يَجْهَرُونَ بـ(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٧٩/٣)، والنَّسَائِيّ (١٣٥/٢) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

ساق المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان ما يفعله المصلي بعد الاستفتاح، كالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم وهل الأمر للوجوب أو للاستحباب ذهب بعضهم إلى أنه واجب لأمر الله به وذهب الجمهور إلى الاستحباب وهو الأظهر.

قوله (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ): لأنه لا عاصم من الشيطان إلا الله عَزَّ وَجَلَّ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦].

وسمي الشيطان بذلك؛ لأنه شط وخرج عن الطاعة والرجيم لأنه ملعونٌ مرجوم. وشرعت الاستعاذة في هذا الموطن لصرف الشيطان عن أذية الإنسان في صلاته.

والدليل على مشروعية قراءة الاستعاذة في الصلاة:

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨].

ويكفي في قراءتها ظاهر القرآن أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وذهب جمهور أهل العلم إلى أنه يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه على ما جاء عن أبي سعيد ﵁ ولا يثبت، وإن استعاذ به فلا ينكر عليه.

قوله(وسم الله سرا): أي تكون التسمية سرا هذا هو الثابت عن رسول الله ﷺ وما جاء عن أبي هريرة أنه صلى ثم جهر بالتسمية فلا يثبت إذ أنه من رواية نعيم المجمر وقد شذ بها خالف ثمانمائة راوي من أصحاب أبي هريرة ﵁، ذكر ذلك الزيلعي في نصب الراية.

والدليل: على الإسراء بها: حديث أنس ﵁ أن النبي ﷺ وهو إمام المسلمين في عهده، وإمامهم في الصلاة وقد أمرنا أن نتأسى به ﷺ .

وأبو بكر ﵁ خليفته من بعده وكان يصلي بالناس ويُسر.

وعمر ﵁ الخليفة الثاني كان يسر.

وجاء في بعضها وعثمان لتأكيد الإسرار عند الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ﵃ فكانوا يفتتحون الصلاة بـ (الحمد لله رب العالمين).

وفي **مسلم** من طريق أبي الجوزاء عن عائشة ﵂: «أن النبي ﷺ كان يفتتح صلاته بالحمد لله رب العالمين»[(١)] أي بالفاتحة، ولم تذكر بسم الله الرحمن الرحيم.

قوله(وفي لفظ: «فكانوا لا يجهرون بـ«بسم الله الرحمن الرحيم»)، وهذا كالمؤكد.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٩٨).

قوله ﷺ (أخرجه أحمد والنسائي بسند صحيح): وهو في الصحيح بمعنى هذا اللفظ.

قال الترمذي (٢٤٤): عَنْ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ قَالَ: سَمِعَنِي أَبِي وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ أَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَقَالَ لِي: «**أَيْ بُنَيَّ مُحْدَثٌ إِيَّاكَ وَالْحَدَثَ**».

قَالَ: وَلَمْ أَرَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَبْغَضَ إِلَيْهِ الْحَدَثُ فِي الْإِسْلَامِ يَعْنِي مِنْهُ.

قَالَ: وَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَ عُمَرَ وَمَعَ عُثْمَانَ فَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا مِنْهُمْ يَقُولُهَا، فَلَا تَقُلْهَا إِذَا أَنْتَ صَلَّيْتَ فَقُلْ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ".

قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَالْعَمَلُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، **مِنْهُمْ**: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَغَيْرُهُمْ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ التَّابِعِينَ. وَبِهِ يَقُولُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَقُ لَا يَرَوْنَ أَنْ يَجْهَرَ بِـ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، قَالُوا: وَيَقُولُهَا فِي نَفْسِهِ. اهـ

وإن جهر المصلي بها لا تبطل صلاته، ولا يصل الجهر بها إلى حد البدعة، لكنه أساء إذ خالف هدي النبي ﷺ في هذه المسألة.

قال الشوكاني رحمه الله في "النيل" (٢/ ٢٣٧):

وَأَكْثَرُ مَا فِي الْمَقَامِ الِاخْتِلَافُ فِي مُسْتَحَبٍّ أَوْ مَسْنُونٍ فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ الْجَهْرِ وَتَرْكِهِ يَقْدَحُ فِي الصَّلَاةِ بِبُطْلَانٍ بِالْإِجْمَاعِ فَلَا يَهُولَنك تَعْظِيمُ جَمَاعَةٍ مِنْ الْعُلَمَاءِ لِشَأْنِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَالْخِلَافُ فِيهَا وَلَقَدْ بَالَغَ بَعْضُهُمْ حَتَّى عَدَّهَا مِنْ مَسَائِلِ الِاعْتِقَادِ. اهـ

وفي المسألة خلاف مشهور:

حتى بين الصحابة رضي الله عنهم ، فالشافعية، وكثير من المتقدمين على الجهر.

وقد بسطت المسألة في كتاب: "الانتصار في المسائل الكبار" .

وألف الدارقطني رسالة مرجحًا الجهر، ولما سئل هل ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء في ذلك قال:" لا"، والله المستعان.

۞۞۞

وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة

قال المؤلف حفظه الله:

٧٤ بَعْدَ الاسْتِعَاذَةِ وَالبَسْمَلَةِ اقْرَإِ الفَاتِحَةَ، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ذكر المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة.

وقراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة، لا تصح الصلاة إلا بها على الصحيح من أقوال أهل العلم.

وهي سبع آيات: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:١-٧].

وأما البسملة فليست آية من الفاتحة، على الصحيح، وإنما هي آية من القرآن أنزلها الله عز وجل للفصل بين السور.

والدليل على أن البسملة ليست آية من الفاتحة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه في مسلم: قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: **قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة:٥] **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ:** ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٧] **قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ** »[١].

وسميت الفاتحة بهذا الاسم؛ لأنه افتتح بها المصحف الشريف.

ومن أسمائها: الصلاة وفاتحة الكتاب وأم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم، وهي أفضل سورة في القرآن بالنص والنظر.

أما النص: ففي حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه، **قال رسول الله ﷺ**: «**أُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ**»، قَالَ: ﴿ **ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ** ﴾ [الفاتحة:٢] **هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»[٢] أخرجه البخاري.

وأما النظر: فإن الله عز وجل شرع قراءتها في كل ركعة.

وهذا دليل على علو منزلتها وشريف فضلها، وقد بُشر بفضلها **النبي ﷺ**.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: «**بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النبي ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ**»[٣] أخرجه مسلم.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٩٥).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٤٧٤).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨٠٦).

قوله (والدليل): أي على ركنيتها **(حديث عبادة بن الصامت ﵁):** أحد نقباء الأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة.

قوله (لا صلاة): ذهب بعضهم إلى أنه لا صلاة كاملة أو لا صلاة أتم.

و الصحيح **أنها لا تصح الصلاة مطلقا** لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب.

وقد جاء عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ﵁ أنه قال: «**لا صلاة إلا بقراءة**» [(١)] أخرجه مسلم.

وفي رواية: «**مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرأْ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَهِيَ خِدَاجٌ**» [(٢)]، أي غير تمام، أخرجه مسلم.

وبوب البخاري: "بَابُ وُجُوبِ القِرَاءَةِ لِلْإِمَامِ وَالمَأْمُومِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا، فِي الحَضَرِ وَالسَّفَرِ، وَمَا يُجْهَرُ فِيهَا وَمَا يُخَافَتُ". اهـ

وهذا في حق المأموم والإمام والمنفرد فتجب قراءتها على الجميع في الصلاة الجهرية والسرية.

و أما حديث: «**من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة**» فهو حديث ضعيف، أعله البخاري ﵀ كما في كتابه القراءة خلف الإمام (ص: ٨) فقال:

وَاحْتَجَّ بَعْضُ هَؤُلَاءِ، فَقَالَ: لَا يَقْرَأُ خَلْفَ الْإِمَامِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿**فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ**﴾ [الأعراف:٢٠٤].

فَقِيلَ لَهُ: فَيُثْنِي عَلَى اللَّهِ، وَالْإِمَامُ يَقْرَأُ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ لَهُ: فَلِمَ جَعَلْتَ عَلَيْهِ

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٩٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٩٥).

الثَّنَاءَ وَالثَّنَاءُ عِنْدَكَ تَطَوَّعٌ تَتِمُّ الصَّلَاةُ بِغَيْرِهِ؟ وَالْقِرَاءَةُ فِي الْأَصْلِ وَاجِبَةٌ أَسْقَطْتَ الْوَاجِبَ بِحَالِ الْإِمَامِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ **فَٱسْتَمِعُواْ** ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

وَأَمَرْتَهُ أَنْ لَا يَسْتَمِعَ عِنْدَ الثَّنَاءِ وَلَمْ تُسْقِطْ عَنْهُ الثَّنَاءَ وَجَعَلْتَ الْفَرِيضَةَ أَهْوَنَ حَالًا مِنَ التَّطَوُّعِ، وَزَعَمْتَ أَنَّهُ إِذَا جَاءَ وَالْإِمَامُ فِي الْفَجْرِ فَإِنَّهُ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ لَا يَسْتَمِعُ وَلَا يُنْصِتُ لِقِرَاءَةِ الْإِمَامِ وَهَذَا خِلَافُ مَا قَالَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ**» فَقَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ فَقِرَاءَةُ الْإِمَامِ لَهُ قِرَاءَةٌ**»، فَقِيلَ لَهُ: هَذَا خَبَرٌ لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ وَغَيْرِهِمْ لِإِرْسَالِهِ وَانْقِطَاعِهِ رَوَاهُ ابْنُ شَدَّادٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: وَرَوَى الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا يَدْرِي أَسَمِعَ جَابِرٌ مِنْ أَبِي الزُّبَيْرِ.

وَذَكَرَ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَقَرَأَ رَجُلٌ خَلْفَهُ فَقَالَ: «**لَا يَقْرَأَنَّ أَحَدُكُمْ وَالْإِمَامُ يَقْرَأُ إِلَّا بِأُمِّ الْقُرْآنِ**» فَلَوْ ثَبَتَ الْخَبَرَانِ كِلَاهُمَا لَكَانَ هَذَا مُسْتَثْنًى مِنَ الْأَوَّلِ لقوله: «**لَا يَقْرَأَنَّ إِلَّا بِأُمِّ الْكِتَابِ**».اهـ

وأما ما جاء عن النهي في القراءة خلف الإمام فقد قرن بالإذن بقراءة فاتحة الكتاب، ففي حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «**لَعَلَّكُمْ تَقْرَؤُونَ خَلْفَ إِمَامِكُمْ قُلْنَا: نَعَمْ هَذَّا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: لاَ تَفْعَلُوا إِلاَّ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَإِنَّهُ لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا**» [1] أخرجه الترمذي.

---

(١) أخرجه الإمام رواه أحمد (٥/ ٣٢١ - ٣٢٢)، وأبو داود (٨٢٣)، والترمذي (٣١١)، وابن حبان (١٧٨٥) وقال الترمذي: حديث حسن، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في المشكاة برقم (٨٥٤).

ومن حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ عند أحمد أنه قال: «**فلا تقرؤوا إلا بفاتحة الكتاب**» فاستثنى فاتحة الكتاب مما نُهي عنه.

وأما ما يفعله بعض الشيعة: وهو الإتيان بالتسبيح والتحميد والتكبير في الركعتين الأخريين ولا يقرؤون الفاتحة مع القدرة، فهذا يبطل صلاتهم وهو مذهبٌ ليس عليه دليل.

وإنما التسبيح والتحميد والتكبير لمن لا يحسن قراءة الفاتحة.

فعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا فَعَلِّمْنِي مَا يُجْزِئُنِي مِنْهُ، قَالَ: «**قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالله أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا لِلَّهِ عز وجل فَمَا لِي، قَالَ: «**قُلْ: اللهمَّ ارْحَمْنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي وَاهْدِنِي**»، فَلَمَّا قَامَ قَالَ: هَكَذَا بِيَدِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ مَلَأَ يَدَهُ مِنَ الْخَيْرِ**» [١] أخرجه أبو داود.

۞۞۞

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٥٣و٣٥٦)، وأبو داود (٨٣٢)، والنسائي (٢/ ١٤٣)، وابن حبان (١٨٠٨)، والدارقطني (١/ ٣١٣)، والحاكم (١/ ٢٤١)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود.

التأمين

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

﴿ ٧٥ ﴾ **التَّأمِينُ، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيرَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا قَالَ الإِمَامُ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فَقُولُوا: آمينْ» مُتَّفَقٌ عَلَيه. وَعَن عَائشَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **عَنِ النَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «مَا حَسدَتْكُمُ اليَهُودُ عَلَى شَيء مَا حَسدَتكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأمِينِ» أخرَجَهُ ابنُ مَاجَه وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.**

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان مشروعية التأمين بعد الانتهاء من الفاتحة. **والتأمين**: هو قول المصلي آمِين.

ومن الخطأ أن يقول: آمِّين -بالمد وتشديد الميم-؛ لأنها بمعنى قاصدين.

ومعنى آمين: اللهم استجب استجابةً بعد استجابة، ولأنها كانت بعد دعاءٍ فناسب أن يؤتى بها، والسنة أن يؤتى بها في الصلاة. أما إذا قرأ الفاتحة بغير صلاة، فلا يلزم أن يأتي بها.

والعجيب! أن تجد من يقول بأن آمين ليست في القرآن، فلا يشرع أن يُؤتى بها، فكم من الأمور التي نعبد الله عَزَّ وَجَلَّ بها ليست في القرآن.

لو قلنا: بأننا لا نعبد الله عَزَّ وَجَلَّ إلا بالقرآن، لبقي الناس حائرين في العمل بمجملات القرآن.

فإن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿ **وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ** ﴾ [البقرة:٤٣]، وبيَّن لنا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طريقة الصلاة من واجباتها وأركانها وركعاتها وأوقاتها، وغير ذلك. وقال الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ **وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ** ﴾ [البقرة:٤٣]، وبيَّن لنا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طريقة إيتاء الزكاة.

وقال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [آل عمران:٩٧]، وبيَّن لنا النبي ﷺ كيف نحج البيت بقوله: «خذوا عني مناسككم» أخرجه مسلم.

إذًا فالفرقة القرآنية: ويمثلهم في هذه الأيام الفرقة الحوثية، كفروا بالله ﷻ، وبكتابه، وبرسوله ﷺ .

من هذا الوجه: كيف كفروا بالله وهم يقولون: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ لأن الله ﷻ أمرهم باتباع القرآن، وباتباع السنة، فأبوا.

وكفروا بكتاب الله؛ لأن الله ﷻ يقول فيه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر:٧] فأبوا.

وكفروا برسول الله ﷺ؛ إذ لم يأخذوا خبره، وهو ثابتٌ في الصحيحين وغيرهما، بل حتى في مسند زيد الذي ينتحلونه وينتسبون إليه، **وفيه**: التأمين والضم، **وفيه**: غير ذلك من السنن الثابتة عن النبي ﷺ .

وقد تكلم الشافعي رحمه الله في كتابه "**الرسالة**"، والآجري في "**الشريعة**" وغيرهم على الفرقة القرآنية.

وقال رسول الله ﷺ محذرًا منهم: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَام فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، أَلَا وَلَا لُقَطَةٌ مِنْ مَالِ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُمْ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُمْ، فَلَهُمْ أَنْ يُعْقِبُوهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُمْ**»(١).

---

(١)، أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٧١٧٣) من حديث المقدام بن معدي كرب، وأبو داود في سننه (٤٦٠٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في المشكاة برقم (٢٤)، وفي صحيح سنن أبي داود.

وقال يحيى بن أبي كثير: السنة قاضية على القرآن. أخرجه الدارمي في مقدمة سننه.

وقال بعض السلف: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن.

قال الله ﷻ: ﴿ **وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾ [النحل:٤٤].

فالنبي ﷺ هو المبين والموضح، فما أُجْمِل في القرآن بينته السنة، فلم يأت لفظ آمين في القرآن، وجاءت في السنة.

فعن أبي هريرة وعائشة وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم وغيرهم، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَالَ الإِمَامُ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾** [الفاتحة:٧] **فَقُولُوا: آمِينَ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(١)] أخرجه البخاري.

قوله (إِذَا قَالَ الإِمَامُ «غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ»، فَقُولُوا: آمِينَ): جاء في بعض الروايات: «**إذا أمن الإمام فأمنوا**»[(٢)].

واستدل بها بعض أهل العلم على أن تأمين المأموم يكون بعد قول الإمام آمين والصحيح خلافه.

والدليل حديث أبي موسى رضي الله عنه عند مسلم: «**فإذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين**».

ولقول النبي ﷺ «**إِذَا قَالَ الإِمَامُ** ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧]، **فَقُولُوا: آمِينَ**» متفقٌ عليه.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٨٢) واللفظ له، والإمام مسلم في صحيحه (٤١٠) بنحوه.

(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٨٠)، والإمام مسلم (٤١٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قولهُ (عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين)[1]:

ساق المصنف حَفِظَهُ اللَّهُ الحديث لبيان مشروعية التأمين وفضيلة السلام.

وقولهُ (ما حسدتكم اليهود): فيه شدة بغض اليهود لهذه الأمة، وكراهة الخير لها، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾ [البقرة:١٠٥].

وقال تعالى: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ**﴾ [البقرة:١٠٩]، إلى غير ذلك.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في "الفتح" (١١/ ٤): «**مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدُوكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ**»: وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ شُرِعَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ دُونَهُمْ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ الطَّوِيلِ فِي قِصَّةِ إِسْلَامِهِ، قَالَ: وَجَاءَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ: «**فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ**»، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "**الشُّعَبِ**": مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَفَعَهُ: «**جَعَلَ الله السَّلَامَ تَحِيَّةً لِأُمَّتِنَا وَأَمَانًا لِأَهْلِ ذِمَّتِنَا**». وَعِنْدَ أَبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كُنَّا نَقُولُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْعِمْ بِكَ عَيْنًا وَأَنْعِمْ صَبَاحًا فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ نُهِينَا عَنْ ذَلِكَ**»، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ؛ لَكِنَّهُ مُنْقَطِعٌ.

---

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٨٥٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (١٥٨٦)، وقال فيه: هذا حديث حسن على شرط مسلم.

وَأخرج بن أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ قَال: كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ حُيِّيتَ مَسَاءً حُيِّيتَ صَبَاحًا فَغَيَّرَ الله ذَلِكَ بِالسَّلَامِ.

قَوْلُهُ: (فَقَالَ السَّلَام عَلَيْكُم): قَالَ بن بَطَّالٍ يَحْتَمِلُ: أَنْ يَكُونَ الله عَلَّمَهُ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ تَنْصِيصًا.

وَيَحْتَمِلُ: أَنْ يَكُونَ فَهِمَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ لَهُ فَسَلِّمْ.

قُلْتُ: وَيَحْتَمِلُ: أَنْ يَكُونَ أَلْهَمَهُ ذَلِكَ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا تَقَدَّمَ فِي بَابِ حَمْدِ الْعَاطِسِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ بن حِبَّانَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ: «**أَنَّ آدَمَ لَمَّا خَلَقَهُ الله عَطَسَ فَأَلْهَمَهُ الله أَنْ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ**» الْحَدِيثَ.

فَلَعَلَّهُ أَلْهَمَهُ أَيْضًا صِفَةَ السَّلَامِ.

وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الصِّيغَةَ هِيَ الْمَشْرُوعَةُ لِابْتِدَاءِ السَّلَامِ لِقَوْلِهِ فَهِيَ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ. وَهَذَا فِيمَا لَوْ سَلَّمَ عَلَى جَمَاعَةٍ فَلَوْ سَلَّمَ عَلَى وَاحِدٍ فَسَيَأْتِي حُكْمُهُ بَعْدَ أَبْوَابٍ، وَلَوْ حَذَفَ اللَّامَ فَقَالَ: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) أَجْزَأَ.

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾[الرعد:٢٣-٢٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ [الأنعام:٥٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ**﴾ [الصافات:٧٩]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. **لَكِنْ بِاللَّامِ أَوْلَى**؛ لِأَنَّهَا لِلتَّفْخِيمِ وَالتَّكْثِيرِ.

وَثَبَتَ فِي حَدِيثِ التَّشَهُّدِ: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ ﷺ**».

قَالَ عِيَاضٌ: وَيُكْرَهُ أَنْ يَقُولَ فِي الِابْتِدَاءِ عَلَيْكَ السَّلَامُ. اهـ

والحديث في "**الصحيح المسند**".

وجوب الاطمئنان في الصلاة

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٧٦ الصَّلَاةُ بِاطْمِئْنَانِ، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِلْمُسِيءِ صَلَاتَهُ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان وجوب الطمأنينة في جميع أركان الصلاة.

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "**الفتح**" (٢/ ٢٧٨): قَوْلُهُ «حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا»: فِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ هَذِهِ الْقَرِينَةِ: **«فَإِذَا رَكَعْتَ فَاجْعَلْ رَاحَتَيْكَ عَلَى رُكْبَتَيْكَ وَامْدُدْ ظَهْرَكَ وَتَمَكَّنْ لِرُكُوعِكَ»**.

وَفِي رِوَايَةِ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ: **«ثُمَّ يُكَبِّرُ فَيَرْكَعُ حَتَّى تَطْمَئِنَّ مَفَاصِلُهُ وَيَسْتَرْخِي»** قَوْله **«حَتَّى تعتدل قَائِمًا»**. فِي رِوَايَة بن نمير عِنْد بن ماجة: **«حَتَّى تطمئِن قَائِمًا»** أخرجه بن أَبِي شَيْبَةَ عَنْهُ.

وَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ إِسْنَادَهُ بِعَيْنِهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لَكِنْ لَمْ يَسُقْ لَفْظَهُ فَهُوَ عَلَى شَرْطِهِ.

وَكَذَا أَخْرَجَهُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهْوَيْهِ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ أَبِي أُسَامَةَ وَهُوَ فِي مُسْتَخْرَجِ أَبِي نُعَيْمٍ مِنْ طَرِيقِهِ.

وَكَذَا أَخْرَجَهُ السَّرَّاجُ عَنْ يُوسُفَ بْنِ مُوسَى أَحَدِ شُيُوخِ الْبُخَارِيِّ عَنْ

أَبِي أُسَامَةَ فَثَبَتَ ذِكْرُ الطُّمَأْنِينَةِ فِي الِاعْتِدَالِ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ.

وَمِثله فِي حَدِيث رِفَاعَة عِنْد أَحْمد وبن حِبَّانَ، وَفِي لَفْظٍ لِأَحْمَدَ: «**فَأَقِمْ صُلْبَكَ حَتَّى تَرْجِعَ الْعِظَامُ إِلَى مَفَاصِلِهَا**».

وَعُرِفَ بِهَذَا أَنَّ قَوْلَ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ فِي الْقَلْبِ مِنْ إِيجَابِهَا أَيِ الطُّمَأْنِينَةَ فِي الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تُذْكَرْ فِي حَدِيثِ الْمُسِيءِ صَلَاتَهُ، دَالٌّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقِفْ عَلَى هَذِهِ الطُّرُقِ الصَّحِيحَةِ. اهـ

قولهُ (الصلاة باطمئنان): أي بسكينة ومن غير عجلة.

ففي البخاري عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أنه رأى رَجُلًا لَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، قَالَ: «**مَا صَلَّيْتَ وَلَوْ مُتَّ مُتَّ عَلَى غَيْرِ الفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ الله مُحَمَّدًا ﷺ عَلَيْهَا**»(١).

فلا بد للمصلي أن يقوم حتى يقرأ الفاتحة على أقل تقدير، ثم يركع حتى يطمئن بدنه، ويوضع كل عظم في موضعه في حال الركوع، ويمكنه من قول سبحان ربي العظيم، ثم يعتدل حتى ينتصب قائمًا كما كان قبل ركوعه على الصحيح من أقوال أهل العلم، ويطمئن في سجوده على أقل الأحوال حتى يقول: سبحان ربي الأعلى، ثم يرفع حتى يجلس بين السجدتين جلوسا يطمئن فيه.

فعن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**رَمَقْتُ الصَّلَاةَ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَوَجَدْتُ قِيَامَهُ فَرَكْعَتَهُ، فَاعْتِدَالَهُ بَعْدَ رُكُوعِهِ، فَسَجْدَتَهُ، فَجَلْسَتَهُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ، فَسَجْدَتَهُ، فَجَلْسَتَهُ مَا بَيْنَ التَّسْلِيمِ وَالِانْصِرَافِ، قَرِيبًا مِنَ السَّوَاءِ**»(٢) متفق عليه.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٨٩).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٩٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٧١) واللفظ له.

قولهُ (وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِلْمُسِيءِ صَلاتَهُ): سُمي بالمسيء صلاته؛ لأنه لم يحسنها.

قال بعض أهل العلم: لو يقال الذي لم يُحسن صلاته كان أحسن، وذلك أن الصحابي لم يتعمد الإساءة.

وقد توارد العلماء قديما وحديثا على هذه التسمية وليس فيه طعن في الصحابيﷺ ، إذ أن الإساءة قد تصدر بسبب الجهل بالحكم والجاهل معذورٌ في فعله.

قولهُ (إذا قمت إلى الصلاة فكبر): أي تكبيرة الإحرام، وهي ركن من أركان الصلاة. وفي رواية: «**إذا توضئت فأحسن الوضوء ثم استقبل القبلة ثم كبر**» متفق عليه.

ويكون التكبير بقول: (**الله أكبر**)، خلافا لأبي حنيفة ومن إليه، من أنه يقول: الله الأكبر، أو الله الأعظم.

وفي الباب عن عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ، وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ، وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ**» [١] أخرجه أحمد، وفي سنده عبد الله بن محمد بن عقيل مختلف فيه والراجح ضعفه.

قولهُ(ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن): والمراد به الفاتحة، ولا بأس بالزيادة عليها، وقد جاء مصرحًا بذكر الفاتحة عند أبي داود وابن حبان وغيرهما.

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٦١)، والترمذى (١/ ٩) والدارمى (١/ ١٧٥) وابن ماجه (٢٧٥) ، وصححه الإمام الألباني ﷺ في الإرواء برقم (٣٠١).

لأن الله ﷻ يقول: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠]

وقال النبي ﷺ : «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»[1] متفق عليه.

قال الحافظ رحمه الله في "الفتح" (٢/ ٢٤٣): إِطْلَاقَ الْقِرَاءَةِ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مُقَيَّدٌ بِالْفَاتِحَةِ كَمَا فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ، وَالله أَعْلَمُ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ رحمه الله: قَوْلُهُ ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ظَاهِرُ الْإِطْلَاقِ التَّخْيِيرِ لَكِنَّ الْمُرَادَ بِهِ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ لِمَنْ أَحْسَنَهَا بِدَلِيلِ حَدِيثِ عُبَادَةَ وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ﴾ [البقرة:١٩٦]، ثُمَّ عَيَّنَتِ السُّنَّةُ الْمُرَادَ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رحمه الله: قَوْلُهُ مَا تَيَسَّرَ مَحْمُولٌ عَلَى الْفَاتِحَةِ فَإِنَّهَا مُتَيَسِّرَةٌ أَوْ عَلَى مَا زَادَ مِنَ الْفَاتِحَةِ بَعْدَ أَنْ يَقْرَأَهَا أَوْ عَلَى مَنْ عَجَزَ عَنِ الْفَاتِحَةِ.

وَتُعُقِّبَ بِأَنَّ قَوْلَهُ مَا تَيَسَّرَ لَا إِجْمَالَ فِيهِ حَتَّى يُبَيَّنَ بِالْفَاتِحَةِ وَالتَّقْيِيدُ بِالْفَاتِحَةِ يُنَافِي التَّيْسِيرَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الْإِطْلَاقُ، فَلَا يَصِحُّ حَمْلُهُ عَلَيْهِ.

وَأَيْضًا فَسُورَةُ الْإِخْلَاصِ مُتَيَسِّرَةٌ وَهِيَ أَقْصَرُ مِنَ الْفَاتِحَةِ فَلَمْ يَنْحَصِرِ التَّيْسِيرُ فِي الْفَاتِحَةِ.

وَأَمَّا الْحَمْلُ عَلَى مَا زَادَ، فَمَبْنِيٌّ عَلَى تَسْلِيمِ تَعَيُّنِ الْفَاتِحَةِ، وَهِيَ مَحَلُّ النِّزَاعِ.

وَأَمَّا حَمْلُهُ عَلَى مَنْ عَجَزَ فَبَعِيدٌ.

وَالْجَوَابُ الْقَوِيُّ عَنْ هَذَا أَنَّهُ وَرَدَ فِي حَدِيثِ الْمُسِيءِ صَلَاتَهُ تَفْسِيرُ مَا تَيَسَّرَ بِالْفَاتِحَةِ كَمَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ رَفَعَهُ: «**وَإِذَا قُمْتَ**

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٥٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٩٤)، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

فَتَوَجَّهْتَ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَبِمَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَقْرَأَ وَإِذَا رَكَعْتَ فَضَعْ رَاحَتَيْكَ عَلَى رُكْبَتَيْكَ» الْحَدِيثَ.

وَوَقَعَ فِيهِ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ: «**ثُمَّ اقْرَأْ إِنْ كَانَ مَعَكَ قُرْآنٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَاحْمَدِ اللَّهَ وَكَبِّرْ وَهَلِّلْ**»، فَإِذَا جُمِعَ بَيْنَ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ كَانَ تَعَيُّنُ الْفَاتِحَةِ هُوَ الْأَصْلُ لِمَنْ مَعَهُ قُرْآنٌ، فَإِنْ عَجَزَ عَنْ تَعَلُّمِهَا وَكَانَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَرَأَ مَا تَيَسَّرَ، وَإِلَّا انْتَقَلَ إِلَى الذِّكْرِ.

وَيُحْتَمَلُ الْجَمْعُ أَيْضًا أَنْ يُقَالَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: «**فَاقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**»، أَيْ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ.

وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ قَوِيٍّ: «**أَمَرَنَا رسول الله ﷺ أَنْ نَقْرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكتاب وَمَا تيسّر**». اهـ

قولہ (ثم اركع حتى تطمئن راكعا): والركوع هو الانحناء، وأتمه أن يلقم الراكع يده اليمنى ركبته اليمنى، ويده اليسرى ركبته اليسرى.

قولہ (ثم ارفع حتى تعتدل قائما): أي الاعتدال من الركوع.

قولہ (ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا): ويسجد على سبعة أعظم كما سيأتي.

قولہ (ثم افعل ذلك في صلاتك كلها): قال بعض أهل العلم أن هذا الحديث تضمن الأركان فكل ما ذكر في هذا الحديث فهو ركن ولا يسقط سهوًا ولا عمدًا.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في "الفتح" (٢/ ٢٧٩): قَالَ بن دَقِيقِ الْعِيدِ: تَكَرَّرَ مِنَ الْفُقَهَاءِ الِاسْتِدْلَالُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى وُجُوبِ مَا ذُكِرَ فِيهِ، وَعَلَى عَدَمِ وُجُوبِ مَا لَمْ يُذْكَرْ.

أَمَّا الْوُجُوبُ: فَلِتَعَلُّقِ الْأَمْرِ بِهِ وَأَمَّا عَدَمُهُ فَلَيْسَ لِمُجَرَّدِ كَوْنِ الْأَصْلِ عَدَمُ الْوُجُوبِ بَلْ لِكَوْنِ الْمَوْضِعِ مَوْضِعَ تَعْلِيمٍ وَبَيَانٍ لِلْجَاهِلِ وَذَلِكَ يَقْتَضِي انْحِصَارَ الْوَاجِبَاتِ فِيمَا ذُكِرَ.

وَيَتَقَوَّى ذَلِكَ بِكَوْنِه ﷺ ذَكَرَ مَا تَعَلَّقَتْ بِهِ الْإِسَاءَةُ مِنْ هَذَا الْمُصَلِّي وَمَا لَمْ تَتَعَلَّقْ بِهِ. فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقْصِرِ الْمَقْصُودَ عَلَى مَا وَقَعَتْ بِهِ الْإِسَاءَةُ.

قَالَ: فَكُلُّ مَوْضِعٍ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي وُجُوبِهِ وَكَانَ مَذْكُورًا فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَلَنَا أَنْ نَتَمَسَّكَ بِهِ فِي وُجُوبِهِ وَبِالْعَكْسِ.

لَكِنْ يَحْتَاجُ أَوَّلًا إِلَى جَمْعِ طُرُقِ هَذَا الْحَدِيثِ وَإِحْصَاءِ الْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ فِيهِ وَالْأَخْذِ بِالزَّائِدِ فَالزَّائِدِ، ثُمَّ إِنْ عَارَضَ الْوُجُوبَ أَوْ عَدَمَهُ دَلِيلٌ أَقْوَى مِنْهُ عُمِلَ بِهِ، وَإِنْ جَاءَتْ صِيغَةُ الْأَمْرِ فِي حَدِيثٍ آخَرَ بِشَيْءٍ لَمْ يُذْكَرْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قُدِّمَتْ.

قُلْتُ: قَدِ امْتَثَلْتُ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ وَجَمَعْتُ طُرُقَهُ الْقَوِيَّةَ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَرِفَاعَة وَقَدْ أَمْلَيْتُ الزِّيَادَاتِ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا فَمِمَّا لم يذكر فِيهِ صَرِيحًا مِنَ الْوَاجِبَاتِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا النِّيَّةُ وَالْقُعُودُ الْأَخِيرُ وَمِنَ الْمُخْتَلَفِ فِيهِ التَّشَهُّدُ الْأَخِيرُ وَالصَّلَاةُ عَلَى النبي ﷺ فِيهِ وَالسَّلَامُ فِي آخِرِ الصَّلَاةِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مَعْلُومًا عِنْدَ الرَّجُلِ.اهـ

وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى تَكْمِلَةٍ وَهُوَ ثُبُوتُ الدليل: عَلَى إِيجَابِ مَا ذُكِرَ كَمَا تَقَدَّمَ وَفِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ نَظَرٌ.

قَالَ وَفِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِقَامَةَ وَالتَّعَوُّذَ وَدُعَاءَ الِافْتِتَاحِ وَرَفْعَ الْيَدَيْنِ فِي الْإِحْرَامِ وَغَيْرِهِ وَوَضْعَ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى وَتَكْبِيرَاتِ الِانْتِقَالَاتِ وَتَسْبِيحَاتِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَهَيْئَاتِ الْجُلُوسِ وَوَضْعَ الْيَدِ عَلَى الْفَخِذِ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ فِي الْحَدِيثِ لَيْسَ بِوَاجِبٍ.

وَهُوَ فِي مَعْرِضِ الْمَنْعِ لِثُبُوتِ بَعْضِ مَا ذُكِرَ فِي بَعْضِ الطُّرُقِ كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فَيَحْتَاجُ مَنْ لَمْ يَقُلْ بِوُجُوبِهِ إِلَى دَلِيلٍ عَلَى عَدَمِ وُجُوبِهِ كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ.اهـ

❁❁❁

تقديم اليدين حين الهوي إلى السجود

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٧٧ النُّزُولُ إِلَى السُّجُود عَلَى اليَدَينِ، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ البَرَاء بْنِ عَازب ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا قَالَ سَمِعَ اللهُ لمَنْ حَمدَهْ، لَمْ يَحن أَحَدٌ منَّا ظَهْرَهُ حَتَّى يَقَعَ النَّبِيِّ ﷺ سَاجِدًا، ثُمَّ نَقَعُ سُجُودًا بَعْدَهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْه، وَانْحنَاءُ الظَّهْرِ يَكُونُ فِي النُّزُولِ عَلَى اليَدَيْنِ.

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان كيفية الهوي إلى السجود وترجيح تقديم اليدين على الركبتين.

وهذه مسألة خلافية بين أهل العلم، وأدلتها صحيحها غير صريح وصريحها غير صحيح.

فذهب ابن القيم والشيخ ابن عثيمين: وهم أكثر من انتصر لها، وجمع من المتقدمين والمتأخرين إلى أن النزول يكون على الركبتين.

لقول النبي ﷺ: «**لا يبرك أحدكم كما يبرك البعير**»، وبروك البعير بتقديم اليدين، لأن ركبتيه في يديه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في "زاد المعاد" (١/ ٢١٦)**: وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ «إِذَا سَجَدَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَبْرُكْ كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ، وَلْيَضَعْ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ» فَالْحَدِيثُ - وَاللهُ أَعْلَمُ - قَدْ وَقَعَ فِيهِ وَهْمٌ مِنْ بَعْضِ الرُّوَاةِ، فَإِنَّ أَوَّلَهُ يُخَالِفُ آخِرَهُ، فَإِنَّهُ إِذَا وَضَعَ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ فَقَدْ بَرَكَ كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ، فَإِنَّ الْبَعِيرَ إِنَّمَا يَضَعُ يَدَيْهِ أَوَّلًا،

وَلَمَّا عَلِمَ أَصْحَابُ هَذَا الْقَوْلِ ذَلِكَ قَالُوا: رُكْبَتَا الْبَعِيرِ فِي يَدَيْهِ، لَا فِي رِجْلَيْهِ، فَهُوَ إِذَا بَرَكَ وَضَعَ رُكْبَتَيْهِ أَوَّلًا، فَهَذَا هُوَ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ. وَهُوَ فَاسِدٌ لِوُجُوهٍ.

أَحَدُهَا: أَنَّ الْبَعِيرَ إِذَا بَرَكَ فَإِنَّهُ يَضَعُ يَدَيْهِ أَوَّلًا وَتَبْقَى رِجْلَاهُ قَائِمَتَيْنِ، فَإِذَا نَهَضَ فَإِنَّهُ يَنْهَضُ بِرِجْلَيْهِ أَوَّلًا وَتَبْقَى يَدَاهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي نَهَى عَنْهُ ﷺ وَفَعَلَ خِلَافَهُ.

وَكَانَ أَوَّلُ مَا يَقَعُ مِنْهُ عَلَى الْأَرْضِ الْأَقْرَبَ مِنْهَا فَالْأَقْرَبَ، وَأَوَّلُ مَا يَرْتَفِعُ عَنِ الْأَرْضِ مِنْهَا الْأَعْلَى فَالْأَعْلَى.

وَكَانَ يَضَعُ رُكْبَتَيْهِ أَوَّلًا ثُمَّ يَدَيْهِ ثُمَّ جَبْهَتَهُ.

وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَ رَأْسَهُ أَوَّلًا ثُمَّ يَدَيْهِ ثُمَّ رُكْبَتَيْهِ، وَهَذَا عَكْسُ فِعْلِ الْبَعِيرِ، وَهُوَ ﷺ نَهَى فِي الصَّلَاةِ عَنِ التَّشَبُّهِ بِالْحَيَوَانَاتِ، فَنَهَى عَنْ بُرُوكٍ كَبُرُوكِ الْبَعِيرِ، وَالْتِفَاتٍ كَالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ، وَافْتِرَاشٍ كَافْتِرَاشِ السَّبُعِ، وَإِقْعَاءٍ كَإِقْعَاءِ الْكَلْبِ، وَنَقْرٍ كَنَقْرِ الْغُرَابِ، وَرَفْعِ الْأَيْدِي وَقْتَ السَّلَامِ كَأَذْنَابِ الْخَيْلِ الشُّمْسِ، فَهَدْيُ الْمُصَلِّي مُخَالِفٌ لِهَدْيِ الْحَيَوَانَاتِ.

الثَّانِي: أَنَّ قَوْلَهُمْ: رُكْبَتَا الْبَعِيرِ فِي يَدَيْهِ كَلَامٌ لَا يُعْقَلُ وَلَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ اللُّغَةِ، وَإِنَّمَا الرُّكْبَةُ فِي الرِّجْلَيْنِ، وَإِنْ أُطْلِقَ عَلَى اللَّتَيْنِ فِي يَدَيْهِ اسْمُ الرُّكْبَةِ فَعَلَى سَبِيلِ التَّغْلِيبِ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ لَوْ كَانَ كَمَا قَالُوهُ لَقَالَ: فَلْيَبْرُكْ كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ، وَإِنَّ أَوَّلَ مَا يَمَسُّ الْأَرْضَ مِنَ الْبَعِيرِ يَدَاهُ.

وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّ مَنْ تَأَمَّلَ بُرُوكَ الْبَعِيرِ وَعَلِمَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ بُرُوكٍ كَبُرُوكِ الْبَعِيرِ»، عَلِمَ أَنَّ حَدِيثَ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ هُوَ الصَّوَابُ، وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ

والصحيح خلاف ما ذهب إليه، بل النزول يكون على اليدين، على ما يأتي إن شاء الله.

قولهُ (والدليل: حديث البراء): هو ابن عازب الأنصاري ﵁ صحابي صغير **(كان رسول الله ﷺ إذا قال سمع الله لمن حمده):** أي حين قيامه من الركوع، وقام الصحابة معه.

قولهُ (لم يحن أحد منا ظهره): أي أن الصحابة يبقون قيامًا لا يحني أحد ظهره حتى يستتم النبي ﷺ ساجدًا وتقع جبهته في الأرض.

قال العلماء: قوله: (لم يحنِ ظهره): دل على تقديم اليدين لأن الانحناء يستلزم تقديم اليدين.

وهذه فتوى شيخنا مقبل ﵀ وشيخنا الحجوري كما ترى من المتأخرين.

وعليه بوب البخاري في صحيحه: "بابٌ: مَتَى يَسْجُدُ مَنْ خَلْفَ الإِمَامِ؟".

قولهُ (وانحناء الظهر يكون في النزول على اليدين): وهذه مسألة خلافية ليس فيها تبديع ولا تفسيق وإنما فيها أفضل ومفضول فنحن نرى أن النزول على اليدين أفضل وغيرنا قد يرى أن النزول على الركبتين أفضل ولكلٍ أدلته لكن هذا القول هو أقرب الأقوال وحديثه متفق عليه.

قال ابن رجب ﵀ في "فتح الباري" (٧/ ٢١٩): واختلفت العلماء في الساجد: هل يضع ركبتيه قبل يديه، أم يديه قبل ركبتيه؟

فقال الأكثرون: يضع ركبتيه قبل يديه.

قال الترمذي: وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ﭫ.

وهو قول مسلم بن يسار، وأبي قلابة، وابن سيرين، والنخعي والثوري، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، وإسحاق.

وقال حجاج، عن أبي إسحاق: كان أصحاب عبد الله إذا أنحطوا للسجود وقعت ركبهم قبل أيديهم.

وكره النخعي أن يضع يديه قبل ركبتيه، وقال: هل يفعله إلا مجنون؟!

وقالت طائفة: يبدأ بيديه قبل ركبتيه، وهو مروي عن الحسن، وقد روي عن ابن عمر كما تقدم، وحكي رواية عن أحمد.

ومن أصحابنا من خصها: بالشيخ الكبير، والضعيف خاصة، وهو أصح.

وقال الأوزاعي: أدركت الناس يصنعونه، وهو قول مالك. وروي عنه، أنهما سواء.

وقال قتادة: فيضع أهون ذلك عليه.اهـ

أذكار الركوع والسجود

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٧٨ أَذْكَارُ الرُّكُوعِ، وَالسُّجُودِ: عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ»، وَفِي سُجُودِهِ «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ رَقْمُ (٧٧٢).

وَأَدْنَى التَّسْبِيحِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ثَلَاثُ تَسْبِيحَاتٍ، ثَبَتَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَجْمُوعِ طُرُقِهِ.

وَلْيُكْثِرْ فِي رُكُوعِهِ مِنَ الذِّكْرِ، وَيُكْثِرْ فِي سُجُودِهِ بَعْدَ التَّسْبِيحِ المَذْكُورِ مِنَ الدُّعَاءِ، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان أذكار الصلاة بعد أن ذكر ما يتعلق بقراءة الفاتحة وغيرها في القيام.

وقد تنوعت أذكار الصلاة: فمن أذكار الركوع كما في كتاب **"زاد المعاد"** (١/ ٢١١): وَكَانَ يَقُولُ أَيْضًا فِي رُكُوعِهِ: (**«سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»** أخرجه مسلم عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وَتَارَةً يَقُولُ: **«اللهمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي، وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي»** أخرجه مسلم عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وَهَذَا إِنَّمَا حُفِظَ عَنْهُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ.اهـ

قولهُ (سبحان ربي العظيم): لفعل رسول الله ﷺ كما في حديث حذيفة عند مسلم، ولأمره ﷺ كما في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وأما الركوع فعظموا فيها الرب» أخرجه مسلم.

قوله(وَفِي سُجُودِهِ «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى»): لما كان السجود سُفُل ناسب أن ينزه الله فيقول سبحان ربي الأعلى العلي في أسمائه وصفاته وذاته.

قوله (وأدنى التسبيح في الركوع والسجود ثلاث تسبيحات): هذا قول الشيخ وهو قول جماهير العلماء، ونرى والله أعلم أنه لو اكتفى بتسبيحه واحدة أجزأه، وإن أتى بثلاث فهو أحسن.

وإن أتى بالعشر إذا كان إمامًا بحيث يتمكن المأموم أن يأتي بالخمس أو الأربع أو أقل أو أكثر فلا بأس بذلك؛ لما روي أن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: «كان يصلي بالناس وكان يسبح عشر تسبيحات فقال أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه : «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ صَلَاةً بِصَلَاةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ هَذَا الْفَتَى يَعْنِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَحَزَرْنَا فِي رُكُوعِهِ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ، وَفِي سُجُودِهِ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ» [(١)]

أخرجه أحمد.

قوله(ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم بمجموع طرقه):

قال الشيخ الألباني رحمه الله في "أصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم" (٢/ ٦٥٠):

فيه أحاديث كثيرة يدل مجموعها على ثبوت تَقْييده بثلاث، خلافًا لابن القيم في كتاب "**الصلاة**" (١٩١)، وتبعه أبو الطيب في "**الروضة الندية**" (١/ ١٠٦)؛ فقال: "وأما التقييد بعدد مخصوص؛ فلم يرد ما يدل عليه، إنما كان الصحابة يقدرون لبثه في ركوعه وسجوده تقادير مختلفة". اهـ

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٨٨٨)، والإمام النسائي (١١٣٥) وفي سنده وهب بن مانوس، ويقال مايوس، مجهول، وقال الإمام الألباني رحمه الله فيه: حسن الإسناد إن شاء الله، وضعفه الإمام الألباني رحمه الله في الإرواء برقم (٣٤٨)، وضعفه أيضًا في المشكاة (٨٨٣) ، وفي ضعيف أبي داود (١٥٧).

ثم خرج الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ طرق الأحاديث في الباب، والذي يظهر ألا حجة فيها بالتقييد بثلاث، والله أعلم.

قوله (وليكثر في ركوعه من الذكر): أي حين يكون في الركوع يكثر من الأذكار مع أنه يجوز الدعاء، ففي الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «**كَانَ النبي ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللهمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللهمَّ اغْفِرْ لِي**»[(١)].

قوله (ويكثر في سجوده بعد التسبيح المذكور من الدعاء): لأن السجود من مواطن استجابة الدعاء، وسيأتي دليله.

ولا يجوز أن يقرأ القرآن في الركوع والسجود؛ لحديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**نُهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا**»[(٢)] أخرجه مسلم.

قوله (فأما الركوع فعظموا فيه الرب تَبَارَكَ وَتَعَالى): أي يؤتى بالأذكار التي فيها تعظيم لله عَزَّ وَجَلَّ وتبجيله.

قوله (وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء): ولا بأس أن يجمع الإنسان بين الذكر والدعاء، والثناء والدعاء.

فقد صح عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النبي ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**»، ثُمَّ تَقَدَّمَ يسأَلُ فَجَعَلَ النبي ﷺ يَقُولُ: «**سَلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ**»، فَقَالَ: فِيمَا سَأَلَ اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ نَبِيِّكَ محمد ﷺ فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨١٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٨٤).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٧٩).

قَالَ: فَأَتَى عُمَرُ ﵁ عَبْدَ اللهِ لِيُبَشِّرَهُ، فَوَجَدَ أَبَا بَكْرٍ ﵁ قَدْ سَبَقَهُ، فَقَالَ: إِنْ فَعَلْتَ، لَقَدْ كُنْتَ سَبَّاقًا بِالْخَيْرِ[(١)]. أخرجه أحمد.

قوله: (فقمن أن يستجاب لكم): أي حريٌ أن يستجاب لكم والسبب والله أعلم أنه موطن خضوع وتذلل بين يدي الله ﷿.

وفي هذا رد على الحلولية الذين يزعمون أن السماء قبلة الدعاء، كما أن الكعبة قبلة الصلاة.

وهذ قول باطل فإن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، فقد كان رسول الله ﷺ إذا دعا استقبل القبلة، ولو كانت السماء قبلة الدعاء لكان أكمل حالات الداعي أن يستلقي على ظهره حين الدعاء، وبالله التوفيق.

❁❁❁

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في سننه (٤٢٥٥)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي ﵀ برقم (٨٥٢)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

الذكر بعد الرفع من الركوع

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

﴿٧٩﴾ مَا يَقُولُ الإِمَامُ والمُنفَرِدُ بَعْدَ الرَّفْعِ منَ الرُّكُوعِ، عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إذَا قَامَ إلَى الصَّلَاة يُكَبِّرُ حينَ يَقُومُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حينَ يَرْكَعُ، ثُمَّ يَقُولُ: «سَمعَ اللهُ لمَنْ حَمدَهُ» حينَ يَرفَعُ صُلْبَهُ منَ الرَّكُوعِ، ثُمَّ يَقُولُ وَهُو قَائمٌ: «رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ»... الحَدِيث. مُتَّفَقٌ عَلَيه وَفِيه تَكْبِيرَاتِ الانتقَالِ.

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان الذكر المشروع حين الرفع من الركوع للإمام والمنفرد، وكان التكبير هو ذكر الانتقال إلا في هذا الموطن.

فقد كان رسول الله ﷺ يكبر في كل خفض ورفع إلا في الرفع من الركوع فيقول الإمام: (سمع الله لمن حمده) حين يرفع رأسه من الركوع وَيَقُولُ: «**اللهمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**» حين يستوي قائما، ويتابعه المأموم في التحميد.

إلا أن بعض أهل العلم ذهب إلى مشروعية قول سمع الله لمن حمده للإمام والمأموم، وهو ترجيح الإمامين الألباني وابن باز رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ.

والدليل أن النبي ﷺ يقول: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»، ويقول النبي ﷺ: «**إنما جعل الإمام ليؤتَمَّ به**».

وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولأن قول المأموم: سمع الله لمن حمده، عند قيامه من الركوع، يكون هذا بديلًا عن تكبيرة الانتقال، التي كانت في الأصل أن يقال فيها: الله أكبر.اهـ

فعند الرفع من الركوع إذا سكت المأموم، فإنه لم يأتِ ببديل عن تكبيرة الانتقال التي كانت قوله: الله أكبر.

لكن هذا القول مرجوح؛ لحديث أبي موسى رضي الله عنه عند مسلم: «**إِذَا قَالَ الْإِمَامُ سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» متفق عليه[1]، حيث أمرهم بقول: ربنا لك الحمد، ولم يأمرهم بالتسميع.

قوله (ما يقول الإمام والمنفرد): أي ما يقوله المصلي سواءً صلى منفردًا أو إمامًا.

قوله (كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يكبر حين يقوم): وهذا تكبيرة الإحرام كما تقدم.

قوله (ثم يكبر حين يركع): وهذه تكبيرة الانتقال.

قوله (ثم يقول سمع الله لمن حمده): هذا إذا كان إماما أو منفردا.

قوله (حين يرفع صلبه من الركوع): أي يقول سمع الله لمن حمده ويستتم القول وقد قام ثم إذا انتصب قائما يقول: «**اللهمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**».

قوله (حين يرفع صلبه من الركوع ثم يقول وهو قائم ربنا لك الحمد): وجاء في بعض الروايات: «**ربنا ولك الحمد**».

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٢٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٤١٤)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وجاء في صحيح البخاري (٦٨٩)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وأما قول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في "زاد المعاد" (١/ ٢١٢): وَكَانَ إِذَا اسْتَوَى قَائِمًا قَالَ: (رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ) وَرُبَّمَا قَالَ: (رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ) وَرُبَّمَا قَالَ: (اللهمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ) صَحَّ ذَلِكَ عَنْهُ. وَأَمَّا الْجَمْعُ بَيْنَ (اللهمَّ) وَ (الْوَاوُ) فَلَمْ يَصِحَّ. اهـ

فهذا قول غير صحيح، فالواو قد جاءت في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَالَ: سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ، قَالَ: اللهمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَكَعَ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ يُكَبِّرُ، وَإِذَا قَامَ مِنَ السَّجْدَتَيْنِ، قَالَ: الله أَكْبَرُ».

فَلَكَ أن تقول: «**اللهم ربنا ولك الحمد**». ويجوز أن تقول: «**اللهم ربنا لك الحمد**». ويجوز أن تقول: «**ربنا لك الحمد**». ويجوز أن تقول: «**ربنا ولك الحمد**». وتزيد عليها: «**حمدًا كثيرًا طيبا مباركا فيه**».

أو تقول: «**رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ: اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**» (١) أخرجه مسلم.

قوله: (ذا الجَدِّ منك الجَدُّ): الجد بالفتح العظمة لا ينفع صاحب العظمة عظمته أو سعته.

❁❁❁

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٧٧).

التشهد في الصلاة

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٨٠ التَّشَهُّدُ فِي الصَّلَاة: وَأَصَحُّ صِيَغ التَّشَهُّد حَديثُ ابْنِ مَسْعُود ﷺ أَنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: «فَإذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاة فَلْيَقُلْ: التَّحيَّاتُ لله وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَاد الله الصَّالِحِينَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة تتمة لبيان أركان الصلاة.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في "الاستذكار" (١/ ٤٨٦)**: وَاخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي وُجُوبِ التَّشَهُّدِ وَفِي حُكْمِ صَلَاةِ مَنْ لَمْ يَتَشَهَّدْ فَقَالَ مَالِكٌ مَنْ نَسِيَ التَّشَهُّدَ رَجَعَ إِلَيْهِ فَعَمِلَهُ إِنْ كَانَ قَرِيبًا وَلَمْ يَتَبَاعَدْ وَلَمْ يَنْتَقِضْ وُضُوءُهُ ثُمَّ سَجَدَ لِسَهْوِهِ بَعْدَ السَّلَامِ وَإِنْ تَبَاعَدَ أَوِ انْتَقَضَ وُضُوءُهُ فَأَرْجُو أَنْ تُجْزِيَهُ صَلَاتُهُ.

قَالَ: وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَعْرِفُ التَّشَهُّدَ فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ أَجْزَأَ عَنْهُ.

وَرَوَاهُ بن وَهْبٍ وَغَيْرُهُ عَنْ مَالِكٍ.

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: مَنْ نَسِيَ التَّشَهُّدَ سَجَدَ لِلسَّهْوِ أَرْبَعَ سَجَدَاتٍ لِأَنَّ مَذْهَبَهُ أَنَّ لِكُلِّ سَهْوٍ سَجْدَتَيْنِ.

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: لَا يَسْجُدُ إِلَّا سَجْدَتَيْنِ فِي السَّهْوِ عَنِ التَّشَهُّدَيْنِ وَكَذَلِكَ مَنْ سَهَا مِرَارًا. وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ فِي سَجْدَتَيِ السَّهْوِ أَنَّهُمَا لِلسَّهْوِ كُلِّهِ.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ: إِنْ قَعَدَ مِقْدَارَ التَّشَهُّدِ وَلَمْ يَتَشَهَّدْ تَمَّتْ صَلَاتُهُ وَإِنْ لَمْ يَقْعُدْ مِقْدَارَ التَّشَهُّدِ فَسَدَتْ صَلَاتُهُ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: مَنْ تَرَكَ التَّشَهُّدَ الْآخِرَ سَاهِيًا أَوْ عَامِدًا فَعَلَيْهِ إِعَادَةَ الصَّلَاةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ السَّاهِي قَرِيبًا فَيَعُودُ إِلَى تَمَام صَلاتِهِ وَيَتَشَهَّدُ وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي آخِرِ صَلاتِهِ عَنِ التَّشَهُّدِ قَبْلَهُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُ مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنَ التَّشَهُّدِ.

قَالَ أَبُو عُمَرَ: لَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَوْجَبَ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَرْضًا فِي التَّشَهُّدِ الْآخِرِ إِلَّا الشَّافِعِيَّ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُ. اهـ

وسمي بالتشهد؛ لأن فيه الشهادة: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله).

ويسمى بالتحيات؛ لأن المسلم يُحِيِّ الله ﷻ بقوله: (التحيات لله).

والتشهد يكون في موطنين:

الأول: التشهد الأوسط، ويسمى بالتشهد الأول: وهو كل تشهد يكون بعد الركعتين في الثلاثية والرباعية.

الثاني: التشهد الأخير: ويكون في الركعة الأخيرة من صلاة.

حكم التشهد الأوسط في الصلاة:

ذهب جماهير العلماء إلى وجوبه.

والدليل حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ ابْنِ بُحَيْنَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «**صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرَ، فَقَامَ وَعَلَيْهِ جُلُوسٌ، فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ صَلاتِهِ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ**»[(١)] متفق عليه، وسجود النبي ﷺ للسهو يدل على وجوبه.

---

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٣٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٧٠).

حكم التشهد الأخير:

ذهب جمهور العلماء إلى أنه ركن فلو تركه ناسيا أو متعمدا وجب العودة إليه.

وأصح صيغ التشهد: حديث ابن مسعود ﵁ في الصحيحين: «**التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ**»[(١)].

وجاء التشهد: عن عمر وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس وأبي موسى ﵃ وألفاظها متقاربة، وقد اختار مالك وشهد عمر، واختيار أبو حنيفة ﵀ وأبو يوسف ومحمد وأبو ثور تشهد ابن مسعود، وهو قول أحمد وإسحاق وداود، وذهب الشافعي وأصحاب الحديث إلى تشهد ابن عباس ﵄، أفاده ابن عبد البر في الاستذكار.

قوله (أن النبي ﷺ قال: فإذا جلس أحدكم في الصلاة فليقل): كانوا قبل ذلك يقولون السلام على الله، السلام على جبريل فقال لهم النبي ﷺ: «**إن الله هو السلام ولكن إذا تشهد أحدكم فليقل**: **(التحياتُ)**: أي التعظيمات والتبريكات والتبجيلات لله ﷻ. **(والصلوات)**: قيل الدعوات وقيل الصلوات المفروضة وهي شاملة

(والطيبات): أي الكلمات والأفعال الطيبات التي ترفع إلى الله ﷻ قال الله ﷻ: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾ [فاطر:١٠].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٠٢).

ثم تقول: «**السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته**»: دعاء للنبي ﷺ بالسلامة، أو بيان أن بركة اسم الله تحل عليه.

وذهب ابن مسعود رضي الله عنه إلى قول المصلي في التشهد: «السلام على النبي» بعد موته ﷺ .

والصواب خلافه لأمرين:

الأول: أن النبي ﷺ يعلم أنه سيموت، وقد قال الله عز وجل له: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ [الزمر:٣٠]، ومع ذلك شرع هذا الدعاء.

الثاني: أن العبد إذا سلم على نبيه أبلغه الله من أمته السلام.

لكن هنا تنبيه: وهو أن النبي ﷺ لا يسمع المسلم كما يظن بعض الجهال ومن إليهم، وإنما جعل الله ملائكة سيارة تبلغه من أمته السلام.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ**»[1] أخرجه أحمد.

قوله (ورحمة الله وبركاته): وهذا أكمل السلام، وفيه دعاء للنبي ﷺ بالرحمة والبركة.

قوله (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين): دعاء بالسلامة لنفسه ولجميع عباد الله الصالحين.

---

(١) أخرجه الإمام النسائي في سننه (١٢٨٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه في صحيح سنن النسائي.

وفي الحديث: «**فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**»(١).

فيدخل فيها الملائكة والصالحون: من الجن والإنس، من الأحياء والأموات، وهو دعاء بالسلامة في الدارين.

قولهُ (أشهد أن لا إله إلا الله): أي أقر واعترف أن لا إله إلا الله وهذه كلمة التوحيد وكلمة الإخلاص يؤتى بها في هذا الموطن العظيم لتقرير أن العبد على عبادة الله، وأنه يجب أن يفرد الله بما يجب له، ولا يجوز أن يشرك معه غيره.

وفي رواية لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا زيادة: «**وحده لا شريك له**» توكيدًا لتنزيه الله عن النقائص.

قولهُ (وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده): فلا يعبد **(ورسوله)**: فلا يُجفى ولا يُعصى ولا يُكذب.

لا كما يقول بعض الزنادقة: هو رجل ونحن رجال.

بل هو رسول أرسله الله مبلغًا لدينه، قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ**﴾ [المائدة:٦٧].

أكرمه الله بالرسالة ولكنه مع ذلك عبد لله عَزَّ وَجَلَّ لا يجوز أن يشرك معه، والله الموفق.

❁❁❁

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٣١)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٠٢)، من حديث عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صفة الجلوس في الصلاة والإشارة في التشهد

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

﴿٨١﴾ صفةُ الجُلُوسِ فِي الصَّلَاة وَالإِشَارَة فِي التَّشَهُّد: كَمَا فِي حَديث عَبْدالله بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله** ﷺ **إذَا قَعَدَ فِي الصَّلَاة وَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى عَلَى فَخذه اليُمْنَى، وَيَدَهُ اليُسْرَى عَلَى فَخذه اليُسْرى، وَأَشَارَ بِأُصْبُعه السَّبَّابَة». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.**

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان كيفية الجلوس في التشهد والإشارة ووضع اليدين حال التشهد.

ثم اعلم أن هنالك ثلاث هيئات للجلوس:

الأولى: الإقعاء: ويكون بين السجدتين بحيث ينصب قدميه ويضع أليتيه على قدميه، كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «سنة نبيكم ﷺ» أخرجه مسلم.

الثاني: الافتراش: ويكون في الجلوس بين السجدتين والتشهد.

الثالث: التورك: ويكون في التشهد الأخير من الثلاثية والرباعية، وذهب الشافعي إلى أنه في كل تشهد أخير.

وجاءت هيئة رابعة: وهي التربع في حال الجلوس في الصلاة.

جاء فيه حديث عائشة ﵂: قَالَتْ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي مُتَرَبِّعًا»(١).

قال النووي ﵀ **(٥/ ٧٩)**: قوله عن بن الزُّبَيْرِ ﵄: «**كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا قَعَدَ فِي الصَّلَاةِ جعَلَ قَدَمَهُ الْيُسْرَى بَيْنَ فَخِذِهِ وَسَاقِهِ وَفرَشَ قَدمَهُ الْيُمْنَى وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُسْرَى وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ وَفِي رِوَايَةٍ أَشَارَ بِإِصْبَعِهِ السبابة ووضع إِبْهَامَهُ عَلَى إِصْبَعِهِ الْوُسْطَى وَيُلْقِمُ كَفَّهُ الْيُسْرَى ركبته**».

وفي رواية بن عُمَرَ ﵄: «**أَنَّ النبي ﷺ كَانَ إِذَا جَلَسَ فِي الصلاة وضع يديه على ركبتيه وَوَضَعَ إِصْبَعِهِ الْيُمْنَى الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ فَدَعَا بِهَا وَيَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ بَاسِطَهَا عَلَيْهَا وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُمْنَى وَعَقَدَ ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ**».

هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ مِنْ صِفَةِ الْقُعُودِ هُوَ التَّوَرُّكِ.

لَكِنَّ قَوْلَهُ وَفَرَشَ قَدمَهُ الْيُمْنَى مُشْكِلٌ؛ لِأَنَّ السُّنَّةَ فِي الْقَدَمِ الْيُمْنَى أَنْ تَكُونَ مَنْصُوبَةً بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ.

وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ عَلَى ذَلِكَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ ﵀: قَالَ الْفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْخُشَنِيُّ: صَوَابُهُ وَفَرَشَ قَدَمَهُ الْيُسْرَى.

ثُمَّ أَنْكَرَ الْقَاضِي قَوْلَهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ ذَكَرَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ مَا يَفْعَلُ بِالْيُسْرَى، وَأَنَّهُ

---

(١) أخرجه الإمام النسائي في سننه (١٦٦١)، وابن خزيمة (١٢٣٨)، وأعله أبو حاتم والنسائي بقوله: «لا أعلم أحدا روى هذا الحديث غير أبي داود الحفري وهو ثقة، ولا أحسب هذا الحديث إلا خطأ. والله – تعالى– أعلم».

جَعَلَهَا بَيْنَ فَخِذِهِ وَسَاقِهِ.

قَالَ: وَلَعَلَّ صَوَابَهُ: "وَنَصَبَ قَدَمَهُ الْيُمْنَى".

قَالَ: وَقَدْ تَكُونُ الرِّوَايَةُ صَحِيحَةٌ فِي الْيُمْنَى وَيَكُونُ مَعْنَى فَرَشَهَا أَنَّهُ لَمْ يَنْصِبْهَا عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ، وَلَا فَتَحَ أَصَابِعَهَا كَمَا كَانَ يَفْعَلُ فِي غَالِبِ الْأَحْوَالِ، هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي.

وَهَذَا التَّأْوِيلُ الْأَخِيرُ الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ الْمُخْتَارُ، وَيَكُونُ فَعَلَ هَذَا لِبَيَانِ الْجَوَازِ، وَأَنَّ وَضْعَ أَطْرَافِ الْأَصَابِعِ عَلَى الْأَرْضِ وَإِنْ كَانَ مُسْتَحَبًّا يَجُوزُ تَرْكُهُ.

وَهَذَا التَّأْوِيلُ لَهُ نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ، لَا سِيَّمَا فِي بَابِ الصَّلَاةِ، وَهُوَ أَوْلَى مِنْ تَغْلِيطِ رِوَايَةٍ ثَابِتَةٍ فِي الصَّحِيحِ، وَاتَّفَقَ عَلَيْهَا جَمِيعُ نُسَخِ مُسْلِمٍ.

وَقَدْ سَبَقَ اخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ فِي أَنَّ الْأَفْضَلَ فِي الْجُلُوسِ فِي التَّشَهُّدَيْنِ التَّوَرُّكُ أَمِ الِافْتِرَاشُ:

فَمَذْهَبُ مَالِكٍ وَطَائِفَةٍ تَفْضِيلُ التَّوَرُّكِ فِيهِمَا؛ لِهَذَا الْحَدِيثِ.

وَمَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَطَائِفَةٍ: تَفْضِيلُ الِافْتِرَاشِ.

وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ رضي الله عنه وَطَائِفَةٍ يَفْتَرِشُ فِي الْأَوَّلِ وَيَتَوَرَّكُ فِي الْأَخِيرِ؛ لِحَدِيثِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه وَرُفْقَتِهِ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، وَهُوَ صَرِيحٌ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ التَّشَهُّدَيْنِ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله : وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ بِتَوَرُّكٍ أَوِ افْتِرَاشٍ مُطْلَقَةٌ لَمْ يُبَيِّنْ فِيهَا أَنَّهُ فِي التَّشَهُّدَيْنِ، أَوْ أَحَدِهِمَا.

وَقَدْ بَيَّنَهُ أَبُو حُمَيْدٍ وَرُفْقَتُهُ وَوَصَفُوا الِافْتِرَاشَ فِي الْأَوَّلِ وَالتَّوَرُّكِ فِي الْأَخِيرِ،

وَهَذَا مُبَيَّنٌ فَوَجَبَ حَمْلُ ذَلِكَ الْمُجْمَلِ عَلَيْهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «**وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ**»، وَفِي رِوَايَةٍ: «**وَيُلْقِمُ كَفَّهُ الْيُسْرَى رُكْبَتَهُ**»، فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِحْبَابِ ذَلِكَ.

وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى اسْتِحْبَابِ وَضْعِهَا عِنْدَ الرُّكْبَةِ أَوْ عَلَى الرُّكْبَةِ.

وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: بِعَطْفِ أَصَابِعِهَا عَلَى الرُّكْبَةِ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ وَيُلْقِمُ كَفَّهُ الْيُسْرَى رُكْبَتَهُ.

وَالْحِكْمَةُ فِي وَضْعِهَا عِنْدَ الرُّكْبَةِ: مَنْعُهَا مِنَ الْعَبَثِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «**وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ اليمنى**»، فمجمع عَلَى اسْتِحْبَابِهِ.

وَقَوْلُهُ: «**أَشَارَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ وَوَضَعَ إِبْهَامَهُ عَلَى إِصْبَعِهِ الْوُسْطَى**»، وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: «**وَعَقَدَ ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ**»: هَاتَانِ الرِّوَايَتَانِ مَحْمُولَتَانِ عَلَى حَالَيْنِ:

فَفَعَلَ فِي وَقْتِ هَذَا، وَفِي وَقْتِ هَذَا، وَقَدْ رَامَ بَعْضُهُمُ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا بِأَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: "عَلَى إِصْبَعِهِ الْوُسْطَى"، أَيْ وَضَعَهَا قَرِيبًا مِنْ أَسْفَلِ الْوُسْطَى، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ بِمَعْنَى الْعَقْدِ ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ.

وَأَمَّا الْإِشَارَةُ بِالْمُسَبِّحَةِ: فَمُسْتَحَبَّةٌ عِنْدَنَا لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ.

قَالَ أَصْحَابُنَا: يُشِيرُ عِنْدَ قَوْلِهِ: (إِلَّا اللهُ)، مِنَ الشَّهَادَةِ، وَيُشِيرُ بِمُسَبِّحَةِ الْيُمْنَى لَا غَيْرُ، فَلَوْ كَانَتْ مَقْطُوعَةً أَوْ عَلِيلَةً لَمْ يُشِرْ بِغَيْرِهَا، لَا مِنَ الْأَصْلِ بِالْيُمْنَى وَلَا الْيُسْرَى.

وَالسُّنَّةُ أَنْ لَا يُجَاوِزَ بَصَرُهُ إِشَارَتَهُ. وَفِيهِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ،

وَيُشِيرُ بِهَا مُوَجَّهَةٌ إِلَى الْقِبْلَةِ.

وَيَنْوِي بِالْإِشَارَةِ التَّوْحِيدَ وَالْإِخْلَاصَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ: «عَقَدَ ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ»، شَرْطُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْحِسَابِ أَنْ يَضَعَ طَرَفَ الْخِنْصَرِ عَلَى الْبِنْصِرِ وَلَيْسَ ذَلِكَ مُرَادًا ها هنا.

بَلِ الْمُرَادُ: أَنْ يَضَعَ الْخِنْصَرَ عَلَى الرَّاحَةِ وَيَكُونَ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي يُسَمِّيهَا أَهْلُ الْحِسَابِ تسعة وخمسين، والله أعلم. اهـ

وقد جاء من طريق زائدة بن قدامة في حديث وائل بن حجر، أنه يشير بالسبابة ويحركها أخرجه أبو داود وغيره وهذه الزيادة انفر بها زائدة بن قدامة، وقد خالف أربعة عشر حافظا قال الشيخ مقبل ﵀ في كتابه "**الجامع الصحيح**"، حيث قال: هذا الحديث بهذا السند ظاهره أنه حسن، ولكن فيه لفظة شاذة وهي ذكر تحريك الأصبع، فقد رواه جماعة من الصحابة وليس في أحاديثهم إلا الاشارة، والذي شذ بهذه اللفظة هو الثقة الثبت زائدة بن قدامة وقد خالف من هو أرجع منه: سفيان الثوري عند النسائي، وشعبة عند أحمد، وسفيان بن عيينة عند النسائي، وبشر بن المفضل عند أبي داود، وعبد الواحد وعند أحمد، وزهير بن معاوية عند أحمد، وعبد الله بن إدريس عند ابن خزيمة، وخالد الطحان عند البيهقي، ومحمد بن فضيل عند ابن خزيمة، وأبا الاحوص سلام بن سليم عند الطيالسي، وأبا عوانة وغيلان بن جامع حكاه عنهما البيهقي، كل هؤلاء يروونه عن عاصم بن كليب به، وليس في روايتهم التحريك فيعتبر زائدة بن قدامة شاذا، ولا يقال: إن زيادة الثقة مقبولة، فإنه يشترط في قبولها أن لا يخالف من هو أوثق.

وقد بسطت القول في ذلك في مقدمة "**الالزامات والتتبع**" .اهـ

والإشارة مستحبة وليست بواجبة، وهي إشارة إلى التوحيد.

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «مرَّ عليَّ النبي ﷺ وأنا أدعو بإصبَعَيَّ، **فقال: أَحِّدْ أَحِّدْ، وأشار بالسبابة**»[1] أخرجه أبو داود.

قوله(عبدالله بن الزبير): هو أحد العبادلة الأربعة:

ابن عباسٍ وعمروٍ وعمر وابن الزبير هم العبادلة الغرر

سموا بالعبادلة؛ لأنهم عاشوا حتى احتاج الناس إلى علمهم.

بايع النبي ﷺ وعمره سبع سنين.

وهو أول مولد للمسلمين في المدينة بعد الهجرة، قتله الحجاج.

ففي صحيح مسلم: أن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، قالت: للحجاج عندما جاء إليها بعدما قتل ولدها عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهما-. فقالت له: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنا أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا»، فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ، قَالَ: فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا**»[2].

وسميت بالسبابة؛ لأن العرب كان أحدهم إذا أراد أن يَسُبَّ يشير بها. ولو قدر أن أصبعه السبابة، أو يده مقطوعة، لا يلزمه الإشارة بالوسطى ولا غيرها، والله الموفق.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٤٩٩)، والنسائي في سننه (١٢٧٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن، وجاء أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٢٩).

الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد

قال المؤلف حفظه الله:

٨٢ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ التَّشَهُّدِ: وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُوا بَعْدُ بِمَا شَاءَ». رَوَاهُ أَبُودَاوُد، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَمِنْ أَحْسَنِ صِيَغِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ بَشِيرَ بْنَ سَعْدٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَمَرَنَا اللهُ أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَارَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

ذكر المصنف هذه الفقرة لبيان مشروعية الصلاة على النبي ﷺ وحكمها.

وقد اختلف العلماء في ذلك إلى ثلاثة أقوال:

الأول: وجوبها. **الثاني:** ركنيتها. **الثالث:** استحبابها.

وهذا هو الأظهر؛ لما جاء في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه الذي تقدم في وصف «**التحيات لله**»، قال له النبي ﷺ: «**ثم ليتخير من الدعاء ما شاء**»، ولم يذكر له الصلاة على النبي ﷺ.

قال ابن العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ "الشرح الممتع" (٣/ ٣١٠): قوله (والصلاة على النبي ﷺ فيه) **أي:** في التشهُّدِ الأخير، وهذا هو الرُّكن الثاني عشر مِن أركان الصلاة.

ودليل ذلك: أنَّ الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ سألوا النبيَّ ﷺ : «**يا رسولَ الله؛ عُلِّمْنَا كيف نُسلِّم عليك، فكيف نُصلِّي عليك؟ قال: قولوا: اللهمَّ صَلِّ على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ**»(١)، والأمر يقتضي الوجوب.

والأصلُ في الوجوب أنَّه فَرْضٌ، إذا تُرِكَ بطلت العبادة، هكذا قرَّرَ الفقهاءُ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ دليل هذه المسألة.

ولكن إذا تأملت هذا الحديث لم يتبيَّن لك منه أنَّ الصَّلاة على النبيِّ ﷺ رُكنٌ؛ لأنَّ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إنَّما طلبوا معرفة الكيفية؛ كيف نُصلِّي؟

فأرشدهم النبيُّ ﷺ إليها، ولهذا نقول: إن الأمر في قوله: «قولوا»: ليس للوجوب، ولكن للإرشاد والتعليم.

فإنْ وُجِدَ دليل غير هذا يأمر بالصلاة على النبي ﷺ في الصَّلاة فعليه الاعتماد، وإنْ لم يوجد إلا هذا فإنه لا يدلُّ على الوجوب، فضلًا عن أن يَدلَّ على أنها رُكن؛ ولهذا اختلفَ العلماء في هذه المسألة على أقوال:

القول الأول: أنها رُكنٌ، وهو المشهور مِن المذهب، فلا تصحُّ الصلاة بدونها.

القول الثاني: أنها واجب، وليست برُكن، فتُجبر بسجود السَّهو عند النسيان.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٣٥٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٠٦)، من حديث كعب بن عجرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قالوا: لأن قوله: «**قولوا: اللهمَّ صَلِّ على محمَّدٍ**» محتمل للإِيجاب وللإِرشاد، ولا يمكن أن نجعله رُكنًا لا تصحُّ الصلاة إلا به مع هذا الاحتمال.

القول الثالث: أنَّ الصَّلاةَ على النبيِّ ﷺ سُنَّة، وليست بواجب ولا رُكن، وهو رواية عن الإمام أحمد، وأن الإِنسان لو تعمَّد تَرْكها فصلاتُه صحيحة، لأن الأدلَّة التي استدلَّ بها الموجبون، أو الذين جعلوها رُكنًا ليست ظاهرة على ما ذهبوا إليه، والأصل براءة الذِّمة.

وهذا القول أرجح الأقوال، إذا لم يكن سوى هذا الدليل الذي استدلَّ به الفقهاء رحمهم الله، فإنه لا يمكن أن نبطلَ العبادة ونفسدها بدليل يحتمل أن يكون المراد به الإِيجاب، أو الإِرشاد.اهـ

وقد جاء في وصف الصلاة على النبي ﷺ عدة أحاديث:

منها حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه: «**اللهم صل على محمدٍ وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمدٍ وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم**»(١) أخرجه البخاري ومسلم.

وحديث أبي سعيد رضي الله عنه عند البخاري ولفظه: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا التَّسْلِيمُ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: قُولُوا: «**اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**»(٢).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٣٦٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٠٧).
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٧٩٨).

وحديث أبي مسعود الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه ولفظه: أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رسول الله ﷺ حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ ثُمَّ قال رسول الله ﷺ : «**قُولُوا اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**»[(١)].

وجاء عن كعب بن عجرة رضي الله عنه : يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَقُولُوا: «**اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللهمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[(٢)]، متفق عليه.

قولهُ (الصلاة على النبي): الصلاة من الله عز وجل الثناء على عبده في الملأ الأعلى؛ قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦].

والصلاة من الملائكة الدعاء: كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «**وَالمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ، اللهمَّ صَلِّ عَلَيْهِ**»[(٣)].

والصلاة من المؤمنين الدعاء أيضًا؛ قال تعالى: ﴿ **وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡ** ﴾ [التوبة:١٠٣].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٠٥).

(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٣٥٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٠٦).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٤٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٤٩).

ومن رحمة الله أن شرع لنا الصلاة على النبي ﷺ وهي من أسباب استجابة الدعاء.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا**»(١) أخرجه مسلم.

ويجوز له إذا أراد أن يدعو في السجود أن يأتي بالصلاة على النبي ﷺ ويجوز أن يأتي بها في التشهد الأوسط كما جاء في بعض روايات حديث عائشة رضي الله عنها في قيام الليل.

وذكر الشيخ الألباني رحمه الله في "الإرواء": أن فيه استحباب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأوسط.

قوله: (والدليل حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم): أي الصلاة المفروضة وغيرها وإذا أراد أن يدعو فليبدأ بتحميد ربه سبحانه وتعالى أي بالثناء عليه كقوله: «**اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد**» إلى غير ذلك.

وهذا من أسباب استجابة الدعاء ولما سمع النبي ﷺ أحدهم يدعو ولم يثنِ على الله ولم يصلِ على رسول الله ﷺ قال: «**عجل هذا**».

والثناء على الله عز وجل بأسمائه وصفاته فيجعل بين يدي المطلوب ما يناسب المقام إذا أردت الرحمة فتوسل بالرحمة وإذا أردت الرزق فتوسل بصفة الرزق

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٨٤)، من حديث عبد الله بن عمرو م .

وهكذا ثم يصلي على النبي ﷺ وأكملها الصلاة الإبراهيمية التي تقدمت في الأحاديث.

ثم يدعوا ويتخير من الدعاء ما شاء: إن تيسر أن يدعو بالثابت عن رسول الله ﷺ فهو الأفضل لأن النبي ﷺ بعث بجوامع الكلم وإن دعا بغيرها جاز، قال: «**والله يا رسول الله لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ ولكني أقول اللهم إني أسالك الجنة وأعوذ بك من النار قال حولها ندندن**» [1] أخرجه أبو داود.

ويدعو بما شاء: «**ما لم يدعو بإثم ولا قطيعة رحم**» فلا يجوز أن يقول: اللهم اسقني خمرًا أو ارزقني حشيشةً.

قوله (رواه أبوداود): وهو سليمان بن الأشعث السجستاني.

قوله (وهو حديث صحيح): وهو مخرج في "**الصحيح المسند**" للشيخ مقبل رحمه الله.

قوله (ومن أحسن صيغ الصلاة على النبي ﷺ): أي أن هناك صيغ كثيرة إلا أن أحسنها ما يأتي ومن للتبعيض.

قوله (ما جاء في حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه): وهو عقبة بن عمرو البدري سمي بدريًا لأنه سكن بدر لا أنه قاتل في بدر.

قوله (أن بشير بن سعد قال للنبي ﷺ: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله): وهذا دليل على أنهم قد عرفوا السلام كما في بعض الروايات،

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٧٩٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٤٦١)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

«يا رسول قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك» فيجمع في التشهد بين السلام والصلاة.

قوله (فكيف نصلي عليك): فيه أن العبادات توقيفية ليس للعقل مجال فيها إنما يتعبد لله عز وجل بالدليل: المنقول عن المعصوم ﷺ .

قوله (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد): والأمر للإرشاد، وقيل للوجوب في هذا الموطن كما تقدم.

وحديث: «**الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**» (١) .

قوله (قولوا اللهم صل على محمدٍ): أي يا الله صل أي اذكر نبيك ﷺ في الملأ الأعلى ولا تكتب صلي بالياء لأن هذا فعل أمر مجزوم بحذف حرف العلة.

قوله (على محمدٍ): وهو رسول الله ﷺ ولا يجوز أن يُصلى على غير محمد ﷺ إلا تبعًا لمحمد ﷺ وهذا الذي عليه جماهير العلماء وأما حديث: «**اللهم صل على آل أبي أوفى**»، متفق عليه فهو دعاء لهم.

قوله (وعلى آل محمدٍ): قيل هم أتباع وقيل هم من حرم الصدقة والأصل أنهم أتباعه.

قوله (كما صليت على آل إبراهيم): استشكل من أن النبي ﷺ أفضل من إبراهيم وأفضل آل إبراهيم ثم في الصلاة يقول: «**صل على محمد كما صليت على إبراهيم**»، و: «**صل على محمد كما صليت على آل إبراهيم**».

(١) أخرجه الإمام الترمذى (٢/ ٢٧١) ، وأحمد (١/ ٢٠١) ، والطبرانى فى " المعجم الكبير " (ج ١/ ٢٩٢/ ١) عن علي رضي الله عنه ، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الإرواء برقم (٥).

وقد ذكر ابن القيم أقوال العلماء المسألة.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ **كما في "جلاء الأفهام"** (ص: ٢٩٠): وَتَقْرِير ذَلِك أَن يَجْعَل الصَّلَاة الْحَاصِلَة لإِبْرَاهِيم ولآله وَفِيهِمْ الْأَنْبِيَاء جملَة مقسومة على محمد ﷺ وَآله وَلَا ريب أَنه لَا يحصل لآل النبي ﷺ مثل مَا حصل لآل إِبْرَاهِيم وَفِيهِمْ الْأَنْبِيَاء بل يحصل لَهُم مَا يَلِيق بهم فَيبقى قسم النبي ﷺ وَالزِّيَادَة المتوفرة الَّتِي لم يَسْتَحِقهَا آله مُخْتَصَّة بِهِ ﷺ فَيصير الْحَاصِل لَهُ من مَجْمُوع ذَلِك أعظم وَأفضل من الْحَاصِل لإِبْرَاهِيم وَهَذَا احسن من كل مَا تقدمه.

وَأحسن مِنْهُ أَن يُقَال: مُحَمَّد ﷺ هُوَ من آل إِبْرَاهِيم بل هُوَ خير آل إِبْرَاهِيم، كَمَا روى عَليّ بن أبي طَلْحَة عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْله تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٣٣].

قَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مُحَمَّد ﷺ من آل إِبْرَاهِيم».

وَهَذَا نَص فَإِنَّهُ إِذا دخل غَيره من الْأَنْبِيَاء الَّذين هم من ذُرِّيَّة إِبْرَاهِيم فِي آله فدخول رَسُول الله ﷺ أولى فَيكون قَوْلنَا كَمَا صليت على آل إِبْرَاهِيم متناولًا للصَّلَاة عَلَيْهِ وعَلى سَائِر النَّبِيين من ذُرِّيَّة إِبْرَاهِيم.

ثمَّ قد أمرنَا الله أَن نصلي عَلَيْهِ وعَلى آله خُصُوصا بِقدر مَا صلينَا عَلَيْهِ مَعَ سَائِر آل إِبْرَاهِيم عُمُوما وَهُوَ فيهم وَيحصل لآله من ذَلِك مَا يَلِيق بهم وَيبقى الْبَاقِي كُله لَهُ ﷺ .اهـ

وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبو الأنبياء الذين جاءوا بعده وهو أفضل أولي العزم من الرسل بعد النبي ﷺ .

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[النحل:١٢٠-١٢١].

قولهُ (وبارك على محمد): سؤال البركة وهي وضع الخير الإلهي في الشيء.

قولهُ(وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد): أي لتكن صلاتك عليهم في العالمين جميعًا من الجن والإنس.

قولهُ(إنك حميدٌ): أي صاحب المحامد العظيمة، فيحمد على أفعاله وذاته وعلى جميع صفاته.

قولهُ(مجيدٌ): أي واسع المحامد.

والحديث رواه مسلم.

❁❁❁

الدعاء قبل التسليم

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٨٣ الدُّعَاءُ قَبْلَ التَّسْليمِ ثُمَّ الذِّكْرُ بَعْدَهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ المَسِيحِ الدَّجَّالِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ رَقْمُ (٥٨٨).

وَعَنْ مُعَاذ بنِ جَبَل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بيده وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاة تَقُولُ: اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» وهو حديث صحيح.

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان الأدعية المشروعة قبل التسليم وبعده، وأحكام التسليم، وهو ركن عند عامة أهل العلم، وبه يخرج من الصلاة خلافًا لما ذهب إليه أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ من تجويز الخروج من الصلاة بأي فعل كان حتى قيل:

ويرى الخروج من الصلاة بضرطة — أين الضراط من السلام عليكم

ويخرج من الصلاة بتسليمة، بقوله: «السلام عليكم ورحمة الله».

ففي مسلم(٤٣١): عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْجَانِبَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«عَلَامَ تُومِئُونَ بِأَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ؟ إِنَّمَا يَكْفِي أَحَدَكُمْ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ ثُمَّ يُسَلِّمُ عَلَى أَخِيهِ مَنْ عَلَى يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ»**.

وجاء أيضًا عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

وأحاديث التسليمة الواحدة: أعلها العلماء، فلا يثبت منها شيء، والله أعلم.

وقد تقدم في حديث ابن مسعود رضي الله عنه «**ثم ليتخير من الدعاء ما شاء**»، وهذا مطلق لكن قد جاء من حديث أبي هريرة وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم.

قوله (إذا فرغ...إلخ)؛ وهذا لفظ حديث أبي هريرة رضي الله عنه [1]. **(إذا فرغ)** أي انتهى **(أحدكم)**؛ من الرجال والنساء، والجن والإنس من المصلين **(من التشهد الآخر)** خرج به التشهد الأوسط.

قوله (فليتعوذ بالله من أربع)؛ لشدة فتنتها وبلائها على المسلمين، **(يقول أعوذ بالله)**: الاستعاذة طلب العوذ من المرهوب، كما إن الاستعانة طلب العون واللوذ تكون للمطلوب.

حتى قال بعضهم:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به مما أحاذره لا يجبر
الناس عظما أنت كاسره ... ولا يهيضون عظما أنت جابره

قوله (فليتعوذ بالله من أربع)؛ ويجوز الزيادة عليها لما يأتي.

قوله (من عذاب جهنم)؛ وبدأ به لشدته ولأنها الخزي العظيم.

قوله (ومن عذاب القبر)؛ لأن القبر أول منازل الآخرة، وأهواله عظيمة كما تقدم.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٨٨).

قولهُ (ومن فتنة المحيا والممات): فتن البدع والحزبيات وفتن الدنيا ويدخل فيها الفتنة عند الموت وهو الخوف من الزيغ في حال الموت.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ غَمًّا، أَوْ هَمًّا، أَوْ أَنْ أَمُوتَ غَرَقًا، وَأَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، أَوْ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا**» أخرجه أحمد.

قولهُ (ومن شر فتنة المسيح الدجال): لشدة فتنته في آخر الزمن، وقد تقدم شيء من ذلك.

وكان طاؤوس إذا صلى ولده ولم يأتِ بهذا الدعاء يأمره بإعادة الصلاة كما في صحيح مسلم كأنه يذهب إلى الوجوب أو أنه يريد به التأديب.

ومن الأدعية: ما جاء عن أبي بكر ﵁ أنه سأل النبي ﷺ أن يعلمه دعاء يدعو به في صلاته قال: «**قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**» [(١)].

وعن علي ﵁ أن النبي ﷺ كان يقول: «**بين الجلوس والتسليم اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما سررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت**» [(٢)] أخرجه مسلم، ولك أن تدعو بغير ذلك بما تحتاج من الأدعية.

قولهُ (عن معاذ بن جبل): هو أبو عبدالرحمن بعثه النبي ﷺ إلى اليمن في الدعوة إلى الله وقد تقدم بيان ذلك، مات بالطاعون ﵁.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٣٨٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٠٥).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٧٧١).

قوله (أن النبي ﷺ أخذ بيده): وهذا لمزيد اعتناء وتنبيه.

قوله (قال يا معاذ): فيه المناداة بالاسم حتى ينتبه الطالب. **(والله إني لأحبك)**: فيه إخبار من أحبه أنه يحبه.

وفي مسند أحمد عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: «**أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُحِبُّ فُلاَنًا فِي اللَّهِ قَالَ: فَأَخْبَرْتَهُ؟ قَالَ: لاَ قَالَ: فَأَخْبِرْهُ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ يَا فُلاَنُ، فَقَالَ لَهُ: أَحَبَّكَ الله الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ**»[1].

قوله (أوصيك يا معاذ): والوصية الأخذ بها متعين ومنها الواجب ومنها المستحب قوله: « **لا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ** ».

اختلف العلماء في المراد به:

فقال بعضهم: الدبر يكون خارج الصلاة.

وقال بعضهم: الدبر يكون داخل الصلاة.

ونص في ذلك قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله بمعنى كلامه:

إن كان الذكر من الأدعية فإن الدبر داخل الصلاة، وإن كان من الذكر المجرد من التكبير والتسبيح والتحميد ونحو ذلك فيكون خارج الصلاة.

قوله (تقول: اللهم أعني): أي تطلب من الله عز وجل العون على ما يكون سببا للخير.

قوله (ذكرك): والذكر هو طاعة الله عز وجل.

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٥١٢٥)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٥٤)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

والمراد به هنا: التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والحسبلة والحوقله وما في بابها. وكلما كان الإنسان ذاكرًا لله ﷻ كان الله ذاكرًا له. قال الله ﷻ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٥٢]. وفي الحديث القدسي: «إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي»[(١)] متفق عليه. وقال تعالى: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت:٤٥].

قوله: (وشكرك): وشكر الله على نعمه الكثيرة، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [النحل:١٨]. وكلما زاد الإنسان من الشكر زاد الله في العطاء.

قال الله ﷻ: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم:٧].

والشاكرون قليل قال الله: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]. **فالشكر يكون بالعمل**: كالصلاة والصيام والحج والقيام والصدقة. **ويكون بالقول**: كالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والثناء. **ويكون بالاعتقاد**: كالتعظيم والتبجيل والإجلال وغير ذلك.

والنبي ﷺ كان يصلي من الليل حتى تتفطر قدماه وقيل له في ذلك، فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورا**»، متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها.

والمسلم يشكر الله ﷻ فيؤجر، فعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ولا يكون ذلك إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»[(٢)] أخرجه مسلم.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٤٠٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٩٩).

قولهُ (وحسن عبادتك): أي ارزقني وأعني على أن أعبدك على أحسن الحالات وأكمل الهيئات.

وحسن العبادة: لا يكون إلا باجتماع الإخلاص والمتابعة.

قال الله ﷻ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: أخلصه وأصوبه.

والخالص: لا يكون إلا لله. **والمتابعة**: تكون لرسول الله ﷺ.

وفيه: أن العبادة لا تقبل إلا إذا كانت على وجهٍ حسنٍ، وإلا فإن الله ﷻ يقول: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج:٣٧].

فالمسألة عائدةٌ إلى الإحسان بين العبد وبين الله ﷻ.

والحديث مخرجٌ في الصحيح المسند للشيخ مقبل رحمه الله.

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «**إذا أحب أحدكم أن يجتهد في الدعاء فليقل اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»(١).

و جاء عن بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «**اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»(٢) أخرجه أحمد، وهذا يدل على منزلة هذا الدعاء المبارك، فهو من الدعوات الجامعات.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢ / ٢٩٩)، وعنه أبو نعيم في " الحلية " (٩ / ٢٢٣)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله برقم (٨٤٤).

(٢) أخرجه الإمام البزار في مسنده برقم (٢٠٧٥)، وقال فيه: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عبد الله بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٨٦٧)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

بهذا نكون قد انتهينا من وصف صفة صلاة النبي ﷺ وصفًا مختصرا يستفيد منه المبتدئ ولا يستغني عن الاطلاع عليه المنتهي.

ومن الأذكار دبر الصلاة:

ما جاء في حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه : عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مُعَقِّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ - أَوْ فَاعِلُهُنَّ - دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً**»[١] أخرجه مسلم.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ : «**مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ** »[٢].

وحديث المغيرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا قَضَى الصَّلَاةَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»[٣] متفق عليه.

وحديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أنه كان يَقُولُ: فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ،**

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٩٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٩٧).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٤٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٩٣).

وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» وَقَالَ: **«كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ»**[(١)] أخرجه مسلم.

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه عند أحمد: **«تُسَبِّحُ اللَّهَ عَشْرًا وَتَحْمَدُ اللَّهَ عَشْرًا وَتُكَبِّرُ اللَّهَ عَشْرًا فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ فَذَلِكَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ بِاللِّسَانِ وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ»**،[(٢)] وسيأتي الحديث بطوله في الفقرة التالية.

تنبيه: قراءة آية الكرسي دبر الصلاة حديثها ضعيف.

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ»**[(٣)]، ذكره الذهبي في مناكير محمد بن حمير، وما جاء له من الشواهد لا يرتقي بها إلى الحسن، والله أعلم.

وكذلك لم تثبت قراءة المعوذات عن النبي ﷺ فيما ظهر لي، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٩٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦٩١٠)، والحديث إسناده حسن، شعبة سمع من عطاء قبل الاختلاط. وأخرجه أبو داود (٥٠٦٥) من طريق شعبة، بهذا الإسناد. أفاده المحقق.

(٣) أخرجه الإمام النسائي: في "عمل اليوم والليلة" ص (١٨٢)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٤٧٨). وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله برقم (٩٧٢).

من أذكار النوم والاستيقاظ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٨٤ مِنْ أذْكَار النَّوْم وَالاسْتيقَاظ: **عَنْ حُذَيْفَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله** ﷺ **إذَا أرَادَ أنْ يَنَامَ قَالَ: «باسْمكَ اللهُمَّ أمُوتُ وَأحْيَا» وَإذَا اسْتَيْقَظَ منْ مَنَامه قَالَ: «الحَمْدُ لله الَّذي أحْيَانَا بَعْدَ مَا أمَاتَنَا وَإلَيْهِ النُّشُورُ». رَوَاهُ البُخَارِيّ.**

ذكر المصنف هذه الفقرة لتتمة فوائد الكتاب، وذلك بذكر بعض ما يحتاج إليه المسلم في حياته اليومية والعمرية.

قوله: (من أذكار النوم): من للتبعيض وإلا فإن أذكار النوم كثيره يعلمه من رجع إلى كتب الأذكار ككتاب "**الأذكار**" للنووي و"**عمل اليوم والليلة**" لابن السني و"**عمل اليوم والليلة**" للنسائي و"**الدعاء**" للطبراني وما جاء في الصحيحين في كتاب الدعوات والأذكار، وغيرهما.

ومن أذكار النوم: قراءة آية الكرسي كما في البخاري معلقًا عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ:** وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ**»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لاَ أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ : «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ الله بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ.

فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي الله بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**مَا هِيَ**»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ**»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ**»[(١)].

ومن أذكار النوم ما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «**إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ: اللهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ خَيْرًا**»[(٢)] متفق عليه.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣١١).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧١).

ومنها: ما جاء عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في الصحيح: أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ شَكَتْ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَى، فَأَتَتِ النبي ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تَجِدْهُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ، قَالَ: فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ أَقُومُ، فَقَالَ: «**مَكَانَكِ**» فَجَلَسَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: «**أَلاَ أَدُلُّكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ؟ إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا، أَوْ أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا، فَكَبِّرَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، فَهَذَا خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**»(١).

ومنها: حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها: «**أَنَّ النبي ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ**»(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنْ النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**خَصْلَتَانِ أَوْ خَلَّتَانِ لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ هُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ تُسَبِّحُ اللَّهَ عَشْرًا وَتَحْمَدُ اللَّهَ عَشْرًا وَتُكَبِّرُ اللَّهَ عَشْرًا فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ فَذَلِكَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ بِاللِّسَانِ وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ وَتُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ عَطَاءٌ لَا يَدْرِي أَيَّتُهُنَّ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ فَذَلِكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَ مِائَةِ سَيِّئَةٍ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ هُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ قَالَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ الشَّيْطَانُ إِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ فَيُذَكِّرُهُ حَاجَةَ كَذَا وَكَذَا فَيَقُومُ**

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٧٠٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٢٧).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٠١٧).

وَلَا يَقُولُهَا فَإِذَا اضْطَجَعَ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيُنَوِّمُهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهَا فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْقِدُهُنَّ فِي يَدِهِ» أخرجه أحمد وقد تقدم.

ومن أذكار الاستيقاظ: ما ذكره المصنف.

ومنها: ما فعله النبي ﷺ من أنه كان ينظر إلى السماء ثم يقرأ العشر الآيات من أواخر سورة آل عمران: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ»(١)، متفق عليه عن ابن عباس رضي الله عنه .

قوله (عن حذيفة بن اليماني رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام): أي قبل أن ينام وتأهب للنوم.

قوله (باسمك اللهم): أي على اسم الله وهذا فيه التبرك باسم الله عز وجل وفيه السلامة من الشيطان، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النبي ﷺ يَقُولُ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»(٢) متفق عليه.

قوله (أموت): أي الموتة الصغرى التي هي النوم.

وقد يراد بها الكبرى: قال الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر:٤٢].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٥٦٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠١٨).

قولهُ (أحيانا): أي من الموتة الصغرى وهي النوم.

قولهُ (وإذا استيقظ من منامه قال: الحمد لله): يحمد الله عَزَّ وَجَلَّ على أنه سلمه من الموتة الكبرى وأنه أهله للعمل الصالح والله عَزَّ وَجَلَّ يحمد على كل حال.

قولهُ (وإليه النشور): أي يوم القيامة.

والحديث رواه البخاري.

التسمية على الطعام

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٨٥ **التَّسْمِيةُ عَلَى الطَّعَامِ، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.**

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة للإشارة إلى آداب الطعام.

ومنها: التسمية، والتسمية على الطعام قد جاء فيها عدة أحاديث:

منها: قول النبي ﷺ «**اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ**»(١) أخرجه أحمد عن وحشي بن حرب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ومنها: حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قَالَ: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رسول الله ﷺ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا**»(٢) أخرجه مسلم.

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٣٧٦٤)، وابن ماجه في سننه (٣٢٨٦)، وابن حبان (١٣٤٥)، والحاكم (٢/ ١٠٣)، وأحمد (٣/ ٥٠١)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (٦٦٤).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠١٧).

ويدخل فيه التسمية على الشراب: وإنما ذكر الطعام من باب التغليب وإلا فهي على الطعام والشراب، وعند الدخول والخروج.

وحديث أبي سعيد ﵁: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ**»[(١)] أخرجه مسلم.

قوله (والدليل حديث عمر بن أبي سلمة): وهو عمر بن أبي سلمه ربيب النبي ﷺ، أبوه عبدالله بن عبد الأسد. **(أن النبي ﷺ قال له: «يا غلام»)**: وله قصة قال: «أكلت مع النبي ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة».

قوله (سم الله): أي قل بسم الله وإن قال بسم الله الرحمن الرحيم جاز لكن الأولى أن يكتفي بما ورد به النص.

قوله (وكل بيمينك): أي كل بيدك اليمنى مخالفة للشيطان، والنبي ﷺ يقول: «**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ**»[(٢)].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: «**لِيَأْكُلْ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ، وَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، وَلْيَأْخُذْ بِيَمِينِهِ، وَلْيُعْطِ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ، وَيُعْطِي بِشِمَالِهِ، وَيَأْخُذُ بِشِمَالِهِ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠١٨) من حديث جابر بن عبد الله ﵄.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٢٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٢٦٦)، وصححه الإمام الألباني ﵀ في صحيح ابن ماجه.

ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ، وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِهَا»(١)، قَالَ وَكَانَ نَافِعٌ يَزِيدُ فِيهَا: «وَلَا يَأْخُذُ بِهَا، وَلَا يُعْطِي بِهَا»، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الطَّاهِرِ: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدُكُمْ»، وقد تقدم معنا.

فاليمين لها شرفٌ على اليسرى، وقد تقدم من أحكامها.

قوله (وكل مما يليك): أي من الطعام الذي يليك قالوا إلا إذا كان لحمًا أو فاكهة فله أن يختار لقول الله عز وجل: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ [الواقعة:٢١-٢٢] لكن ينبغي أن يأكل من الشق الذي يليه.

قوله (فما زالت تلك طعمتي بعد): فيه أخذ الصحابة رضي الله عنهم بتعليم النبي صلى الله عليه وسلم.

وفيه: تعليم الصغار لآداب الطعام والشراب والنوم ونحو ذلك من الآداب.

وفيه: ملازمة ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وإذا أكل المسلم حمد الله؛ لحديث أنس رضي الله عنه عند مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهِ»(٢).

وجاءت عدة أنواع من الحمد:

١ـ وفي الحديث: «**الحمد للَّه الذي أطعمَ وسَقَى، وسَوَّغَه، وجعل له مَخْرَجًا**»(٣) أخرجه أبو داود.

---

(١)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٢٠).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٣٤).

(٣)أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٣٨٥١)، من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح أبي داود.

٢ـ وفي الحديث: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ، مَنَّ عَلَيْنَا فَهَدَانَا وَأَطْعَمَنَا وَأَسْقَانَا، وَكُلَّ بَلَاءٍ حَسَنٍ أَبْلَانَا، الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مُوَدَّعٍ وَلَا مُكَافِيٍ وَلَا مَكْفُورٍ وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ مِنَ الطَّعَامِ، وَسَقَى مِنَ الشَّرَابِ، وَكَسَى مِنَ الْعُرْيِ، وَهَدَى مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبَصَّرَ مِنَ الْعَمَى، وَفَضَّلَ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**»(١).

إلى غير ذلك من الأذكار في الباب.

وقد تكلمت عن آداب الطعام والشراب في شرحي على عمدة الأحكام، والله الموفق.

❁❁❁

(١) أخرجه الإمام النسائي: في عمل اليوم والليلة برقم (٣٠١)، وابن حبان في صحيحه (٥٢١٩)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٣١٠)، وقال فيه: هذا حديث حسن على شرط مسلم.
وقال الإمام الألباني رحمه الله في التعليقات الحسان برقم (٥١٩٦): حسن الإسناد.

أذى الجيران وغيرهم من المسلمين حرام

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

﴿٨٦﴾ أذى الجيرانِ وغيرِهمْ منَ المُسْلمينَ حَرَامٌ، وَالدَّليلُ حَديثُ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان حق الجار ووجوب رفع الأذى عنه،

قال رسول ﷺ : «**والله لا يؤمن والله لا يؤمن قالوا من يا رسول الله قال من لا يأمن جاره بوائقه**» [(١)]، أخرجه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

وفي رواية: «**لا يدخل الجنة**».

فعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**مَا زَالَ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**» [(٢)] أخرجه أحمد.

وحتى ولو كان الجار من غير المسلمين: قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَٱلۡجَارِ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ**﴾ [النساء:٣٦]، ولا تجوز الأذية لا بالقول ولا بالفعل.

قولهُ (أن النبي ﷺ قال: المسلم): أي حقًا، ظاهرًا وباطنًا الذي يثني عليه بالإسلام لأنه التزمه وطبقه **(من سلم المسلمون من لسانه):** بالشتم والسب واللعن **(ويده):** بالضرب والسرقة والنهبة والاغتصاب، والحديث متفق عليه.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠١٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٢٥) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠١٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٢٤) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وينبغي: أن يسلم المسلمون من سوء الظن.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»** (١) أخرجه أحمد.

وقد بين الله عز وجل ما للمسلمين من الحقوق:

فقال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٢].

وحقوق المسلمين كثيرة منها ما جاء فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال ﷺ: **«حق المسلم على المسلم ست إذا لقِيتَه فسلِّمْ عليه وإذا دعاك فأَجِبْه وإذا استنصحَك فانصحْ له وإذا عطِس فحمِدَ اللهَ فشَمِّتْهُ وإذا مرِضَ فعُدْهُ وإذا مات فاتَّبِعْهُ»** (٢)، متفق عليه واللفظ لمسلم.

ويقول ﷺ: **«المسلمُ أخو المسلمِ، لا يظلِمُهُ ولا يخذلُهُ، كلُّ المسلمِ علَى المسلمِ حرامٌ، دمُهُ، ومالُهُ، وَعِرْضُهُ»** (٣) أخرجه مسلم.

فالمسلم يتميز بمكارم الأخلاف: سواء مع الجيران أو غيرهم من الأرحام ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥١٤٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٢٤٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٦٢)، بلفظ: «حق المسلم على المسلم خمس...»، وبلفظ: «ست»، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢١٦٢).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤٤٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٨٠).

السلام والاستئذان

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٨٧ **إذا أردت أن تدخل بيتًا فاستأذن وسلّم قبل دخولك**، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا** ﴾ [النور: ٢٧].

وَعَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِخَادِمِهِ: «اخْرُجْ إِلَى هَذَا وَعَلِّمْهُ الاسْتِئْذَانَ، فَقُلْ لَهُ: قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ»[(١)]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «... أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ذكر المصنف حَفِظَهُ اللهُ هذه الفقرة لتعليم بعض آداب الاستئذان.

ومنها: أن الإنسان يستأذن قبل دخول البيت أما بيته فيدخل بدون استئذان، إلا أنه ينبغي أن يسلم على أهله.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا** ﴾ [النور:٢٧]. وجعل الاستئذان من أجل البصر.

فعن سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ**»[(٢)] أخرجه البخاري ومسلم.

والاستئذان ثلاثًا: قال أبو سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كُنَّا فِي مَجْلِسٍ عِنْدَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَأَتَى

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٥١٧٧) من حديث رجل من بني عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ برقم (١٤٩٤)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٤١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٥٦).

أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ مُغْضَبًا حَتَّى وَقَفَ، فَقَالَ: أَنْشُدُكُمُ اللهَ هَلْ سَمِعَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ، وَإِلَّا فَارْجِعْ**».

قَالَ أُبَيٌّ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَمْسِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ، ثُمَّ جِئْتُهُ الْيَوْمَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ، أَنِّي جِئْتُ أَمْسِ فَسَلَّمْتُ ثَلَاثًا، ثُمَّ انْصَرَفْتُ. قَالَ: قَدْ سَمِعْنَاكَ وَنَحْنُ حِينَئِذٍ عَلَى شُغْلٍ، فَلَوْ مَا اسْتَأْذَنْتَ حَتَّى يُؤْذَنَ لَكَ قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ كَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَوَاللهِ، لَأُوجِعَنَّ ظَهْرَكَ وَبَطْنَكَ، أَوْ لَتَأْتِيَنَّ بِمَنْ يَشْهَدُ لَكَ عَلَى هَذَا، فَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: فَوَاللهِ، لَا يَقُومُ مَعَكَ إِلَّا أَحْدَثُنَا سِنًّا، قُمْ، يَا أَبَا سَعِيدٍ، فَقُمْتُ حَتَّى أَتَيْتُ عُمَرَ، فَقُلْتُ: قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ هَذَا [١]. أخرجه البخاري ومسلم.

قوله (وَسَلِّمْ قَبْلَ دُخُولِكَ): والدليل: قول الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ** ﴾ [النور:٢٧]؛

قوله (وعلمه الاستئذان): فيه الحاجة إلى معرفة تعلم الآداب.

قوله (وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ): والإبهام في أسماء الصحابة لا يضر وإنما يضر الإبهام في السند في غير الصحابة.

قوله (أن النبي ﷺ قال لخادمه: اخرج إلى هذا وعلمه الاستئذان):

لأن الرجل كان يقول: «**أألجُ فقال النبي ﷺ اخرج فعلمه الاستئذان**»، أي الاستئذان الشرعي وهو أن يبدأ ويقول السلام عليكم أأدخل، فإذا سمعه صاحب البيت قال: وعليكم السلام ادخل وتفضل ونحو ذلك.

وتدل هذه الأبواب على أن الإسلام دين شامل كامل.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٤٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٥٣).

إفشاء السلام بين المسلمين:

قوله: (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «... أفشوا السلام بينكم»): هذا في الاستئذان وغيره؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم**»[1].

وأكمله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم السلام عليكم ورحمة الله، ثم السلام عليكم.

فعن عِمرانَ بنِ حُصَين، قال: جاء رجُلٌ إلى النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فقال: السلامُ عليكُم، فردَّ عليه، ثم جلَسَ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «عشرٌ»، ثُمَّ جاء آخرُ، فقال: السلامُ عليكم ورحمةُ الله، فردَّ عليه، فجلسَ، فقال: «عِشْرونَ»، ثم جاء آخرُ، فقال: السلامُ عليكُم ورحمةُ الله وبركاتُه، فردَّ عليه، فجلسَ، فقال: «ثلاثونَ». أخرجه أبو داود (٥١٩٥).

وهل يجزئ أن تقول: (سلام)؟

رأى بعضهم جواز ذلك؛ لقول الله عز وجل: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب:٤٤]، وقوله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨].

والصحيح، أنه لو أتى بالسلام الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو أكمل.

وأما قوله عليك السلام فقد أنكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَوْتَى»[2] أخرجه أبو داود عن جابر بن سليم رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٤).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٥٢٠٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود: .

ومن آداب السلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ، وَالمَارُّ عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ**»[1].

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ **(١١/ ١٧)**: قَالَ ابن بَطَّالٍ عَنِ الْمُهَلَّبِ: **تَسْلِيمُ الصَّغِيرِ لِأَجْلِ حَقِّ الْكَبِيرِ** لِأَنَّهُ أُمِرَ بِتَوْقِيرِهِ وَالتَّوَاضُعِ لَهُ، **وَتَسْلِيمُ الْقَلِيلِ لِأَجْلِ حَقِّ الْكَثِيرِ** لِأَنَّ حَقَّهُمْ أَعْظَمُ. **وَتَسْلِيمُ الْمَارِّ** لِشَبَهِهِ بِالدَّاخِلِ عَلَى أَهْلِ الْمَنْزِلِ. **وَتَسْلِيمُ الرَّاكِبِ** لِئَلَّا يَتَكَبَّرَ بِرُكُوبِهِ فَيَرْجِعُ إِلَى التَّوَاضُعِ.

وَقَالَ ابن الْعَرَبِيِّ رَحِمَهُ اللهُ : حَاصِلُ مَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَفْضُولَ بِنَوْعٍ مَا يَبْدَأُ الْفَاضِلَ.

وَقَالَ الْمَازِرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: أَمَّا أَمْرُ الرَّاكِبِ فَلِأَنَّ لَهُ مَزِيَّةً عَلَى الْمَاشِي، فَعُوِّضَ الْمَاشِي بِأَنْ يَبْدَأَهُ الرَّاكِبُ بِالسَّلَامِ، احْتِيَاطًا عَلَى الرَّاكِبِ مِنَ الزَّهْو، أَنْ لَوْ حَازَ الْفَضِيلَتَيْنِ.

وَأَمَّا الْمَاشِي فَلِمَا يَتَوَقَّعُ الْقَاعِدُ مِنْهُ مِنَ الشَّرِّ وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ رَاكِبًا فَإِذَا ابْتَدَأَهُ بِالسَّلَامِ أَمِنَ مِنْهُ ذَلِكَ، وَأَنِسَ إِلَيْهِ، أَوْ لِأَنَّ فِي التَّصَرُّفِ فِي الْحَاجَاتِ امْتِهَانًا فَصَارَ لِلْقَاعِدِ مَزِيَّةً فَأُمِرَ بِالِابْتِدَاءِ، أَوْ لِأَنَّ الْقَاعِدَ يَشُقُّ عَلَيْهِ مُرَاعَاةُ الْمَارِّينَ مَعَ كَثْرَتِهِمْ، فَسَقَطَتِ الْبَدَاءَةُ عَنْهُ لِلْمَشَقَّةِ بِخِلَافِ الْمَارِّ فَلَا مَشَقَّةَ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الْقَلِيلُ فَلِفَضِيلَةِ الْجَمَاعَةِ، أَوْ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ لَوِ ابْتَدَءُوا لَخِيفَ عَلَى الْوَاحِدِ الزَّهْوُ فَاحْتِيطَ لَهُ.

وَلَمْ يَقَعْ تَسْلِيمُ الصَّغِيرِ عَلَى الْكَبِيرِ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، وَكَأَنَّهُ لِمُرَاعَاةِ السِّنِّ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٣١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٦٠).

فَإِنَّهُ مُعْتَبَرٌ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ فِي الشَّرْعِ، فَلَوْ تَعَارَضَ الصِّغَرُ الْمَعْنَوِيُّ والحسي كَأَن يكون الْأَصْغَر أعلم مثلا فبه نَظَرٌ.

وَلَمْ أَرَ فِيهِ نَقْلًا وَالَّذِي يَظْهَرُ اعْتِبَارُ السِّنِّ لِأَنَّهُ الظَّاهِرُ كَمَا تُقَدَّمُ الْحَقِيقَةُ على الْمجَاز.

وَنقل بن دَقِيق الْعِيد عَن بن رُشْدٍ: أَنَّ مَحِلَّ الْأَمْرِ فِي تَسْلِيمِ الصَّغِيرِ عَلَى الْكَبِيرِ إِذَا الْتَقَيَا فَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا رَاكِبًا وَالْآخَرُ مَاشِيًا بَدَأَ الرَّاكِبُ، وَإِنْ كَانَا رَاكِبَيْنِ أَوْ مَاشِيَيْنِ بَدَأَ الصَّغِيرُ.

وَقَالَ الْمَازِرِيُّ وَغَيْرُهُ: هَذِهِ الْمُنَاسَبَاتُ لَا يُعْتَرَضُ عَلَيْهَا بِجُزْئِيَّاتٍ تُخَالِفُهَا؛ لِأَنَّهَا لَمْ تُنْصَبْ نَصْبَ الْعِلَلِ الْوَاجِبَةِ الِاعْتِبَارِ، حَتَّى لَا يَجُوزَ أَنْ يُعْدَلَ عَنْهَا حَتَّى لَوِ ابْتَدَأَ الْمَاشِي فَسَلَّمَ عَلَى الرَّاكِبِ لَمْ يَمْتَنِعْ لِأَنَّهُ مُمْتَثِلٌ لِلْأَمْرِ بِإِظْهَارِ السَّلَامِ، وَإِفْشَائِهِ غَيْرَ أَنَّ مُرَاعَاةَ مَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ أَوْلَى، وَهُوَ خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِحْبَابِ.

وَلَا يَلْزَمُ مِنْ تَرْكِ الْمُسْتَحَبِّ الْكَرَاهَةُ بَلْ يَكُونُ خِلَافَ الْأَوْلَى فَلَوْ تَرَكَ الْمَأْمُورَ بِالِابْتِدَاءِ فَبَدَأَهُ الْآخَرُ كَانَ الْمَأْمُورُ تَارِكًا لِلْمُسْتَحَبِّ وَالْآخَرُ فَاعِلًا لِلسُّنَّةِ إِلَّا إِنْ بَادَرَ فَيَكُونُ تَارِكًا لِلْمُسْتَحَبِّ أَيْضًا.

وَقَالَ الْمُتَوَلِّي: لَوْ خَالَفَ الرَّاكِبُ أَوِ الْمَاشِي مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْخَبَرُ كُرِهَ.

قَالَ: وَالْوَارِدُ يَبْدَأُ بِكُلِّ حَالٍ.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: لَوْ جَاءَ أَنَّ الْكَبِيرَ يَبْدَأُ الصَّغِيرَ وَالْكَثِيرَ يَبْدَأُ الْقَلِيلَ لَكَانَ مُنَاسِبًا؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ أَنَّ الصَّغِيرَ يَخَافُ مِنَ الْكَبِيرِ، وَالْقَلِيلَ مِنَ الْكَثِيرِ فَإِذَا بَدَأَ الْكَبِيرُ وَالْكَثِيرُ أَمِنَ مِنْهُ الصَّغِيرُ وَالْقَلِيلُ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ مِنْ شَأْنِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ

يَأْمَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا اعْتُبِرَ جَانِبُ التَّوَاضُعِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَحَيْثُ لَا يَظْهَرُ رُجْحَانُ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ بِاسْتِحْقَاقِهِ التَّوَاضُعَ لَهُ اعْتُبِرَ الْإِعْلَامُ بِالسَّلَامَةِ وَالدُّعَاءُ لَهُ رُجُوعًا إِلَى مَا هُوَ الْأَصْلُ.

فَلَوْ كَانَ الْمُشَاةُ كَثِيرًا وَالْقُعُودُ قَلِيلًا تَعَارَضَا وَيَكُونُ الْحُكْمُ حُكْمَ اثْنَيْنِ تَلَاقَيَا مَعًا فَأَيُّهُمَا بَدَأَ فَهُوَ أَفْضَلُ وَيَحْتَمِلُ تَرْجِيحُ جَانِبِ الْمَاشِي كَمَا تَقَدَّمَ.اهـ

وأما أهل الكتاب من اليهود والنصارى ونحوهم فلا يبتدئون بالسلام ولكن إن سلموا فقل: (وعليك).

لما جاء في الصحيحين: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ**»[1] إلى غير ذلك.

❁❁❁

(١)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢١٦٧).

الأمر بالصدق

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

٨٨ عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّهُ يَهْدِي إِلَى الجَنَّة، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّة، وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان ما في شعيرة الصدق من البركة.

والصدقُ يكون في الأقوال والأفعال والمعتقدات ويكون مع الله عَزَّ وَجَلَّ ومع غيره.

قوله (عليكم بالصدق): أي الزموا الصدق لأنه خلقٌ جميلٌ جليلٌ.

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر:٣٣].

قوله (فإن الصدق يهدي إلى الجنة): لأنه من البر.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٧].

قوله (فإنه يهدي إلى الجنة): أي طريق وسبيل الجنة قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ**

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس:٩].

قوله (والدليل: حديث ابن مسعود رضي الله عنه): وهو عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه صحابي جليل.

قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: «**ساق عبدالله ابن مسعود أثقل في الميزان من جبل أحد**»(١) أخرجه أحمد.

قوله (إن الصدق يهدي إلى البر): أي الصدق مع الله عز وجل وصدق الأقوال والأفعال يكون سبيلًا إلى البر لأنه خلق كريم يدعو إلى مكارم الأخلاق.

وقد جاء عن أبي بكر رضي الله عنه خطبه في خطبة: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ - يَعْنِي: الرَّجُلَ - لَيَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا**» (٢) أخرجه أحمد.

قال الله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف:٧٢].

وأما حديث: «**لم يعملوا خيرا قط**»، فيحمل على أنهم لم يتمكنوا من العمل، أو لم يعملوا ما يثنى عليهم به، مع عمله ببعض الخير.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٩٩١)، عنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « مِمَّ تَضْحَكُونَ؟ » قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»، والحديث صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل عاصم، وهو ابن أبي النجود، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد - وهو ابن سلمة - فمن رجال مسلم. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٨٣٧)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٩٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٠٧).

قولهُ (وإن الكذب يهدي إلى الفجور): جاء في بعض الروايات: «وإياكم والكذب» أي اجتنبوا الكذب. **(يهدي إلى الفجور)**: أي يوصل إلى مخالفة أمر الله بمعصيته.

وللحديث تتمة: «**وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا**».

وذكر الصدق؛ لأنه من الأخلاق العامة التي آلتها الجوارح والقلب واللسان.

والصدق يكون مع الله: بالتوحيد.

ويكون مع الجار: بعدم النظر إلى زوجه، وبعدم الخيانة، والأذى له.

ومع الشريك: بعدم الخيانة له، والصدق معه.

وفي البيع والشراء، وفي الأخذ والعطاء وهو كلمة عامة لكل خير.

ولذلك قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩] وقال: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ ﴾ [المائدة:١١٩]، والله أعلم.

وفي حديث حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، - أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**»(١) متفق عليه.

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: «**قِيلَ لِرسول الله ﷺ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ قَالَ كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ قَالُوا صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ قَالَ**

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٠٧٩)، والإمام مسلم في صحيحه (١٥٣٢).

هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ» (١) أخرجه ابن ماجه.

وفي حديث الحسن بن علي رضي الله عنه : «**الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبَ رِيبَةٌ**» (٢) أخرجه الترمذي.

وقد حذر النبي ﷺ من الكذب: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**» (٣)، متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

-والله الموفق-

---

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٤٢١٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه، وهو في الصحيحة (٩٤٨).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٥١٨)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٣٠٨).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٩).

الحث على بر الوالدين

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

﴿ ٨٩ ﴾ عَلَيْكَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ؛ فَقَدْ أَمَرَ اللهُ ﷻ بِذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣].

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان بعض حقوق العباد.

ويدخل فيها صلة الأرحام؛ لأن الوالد والأم أعلى درجات الرحم.

وقد قال النبي ﷺ : «**من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليصل رحمه**»(١).

قال الله ﷻ: ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴾[محمد: ٢٢– ٢٣].

وقد أمر الله ﷻ بحق الوالدين في مواطن فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾ [الإسراء:٢٣].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ﴾ [الأنعام:١٥١].

وقال ﷻ: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ ﴾ [العنكبوت:٨]. وقال ﷻ: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ ﴾ [الأحقاف:١٥]. قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ﴾ [النساء:٣٦].

كل هذا التكرار يدل على عظم حقهما ويقول النبي ﷺ وسأله رجل: «**الوالد**

---

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦١٣٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

أوسط أبواب الجنة فإن شئت فاحفظ وإن شئت فضيع» [(١)] أخرجه أحمد عن أبي الدرداء ﷺ.

وأحق الناس بالبر الأم ثم الأب، قال ﷺ: **«من أحق الناس بحسن صاحبتي قال: أمك قال ثم من قال: أمك قال: ثم من قال: أمك قال: ثم من قال: أبوك»** **وفي الحديث الآخر: «ثم أدناك أدناك»** [(٢)] متفق عليه عن أبي هريرة ﷺ.

وبر الوالدين: يكون بالإحسان إليهما في حياتهما، والإحسان إلى أصحابهما بعد مماتهما.

قال النبي ﷺ لما سئل عن أبر البر قال: **«أن يصل الرجل أهل ود أبيه»** [(٣)]، متفق عليه عن ابن عمر ﷺ.

ومن البر: الدعاء والاستغفار لهما بعد موتهما والتصدق عنهما فقد أمر الله ﷻ بذلك، وما أمر الله به فهو من محاسن الأمور، وتمام الشريعة ومن أسباب القرب منه.

وعقوق الوالدين من الكبائر؛ قال رسول الله ﷺ: **«مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ»** [(٤)] متفق عليه، عن عبد الله بن عمرو ﷺ.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (١٩٠٠)، وصححه الإمام الألباني ﵀ في صحيح الترمذي.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٩٧١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٤٨)، واللفظ الآخر أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٤٨).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٥٢)، ولم يخرجه البخاري ﵀.

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٧٣)، وأخرجه مسلم (٩٠)، واللفظ لمسلم.

وقد قال الله ﷻ: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

قولهُ (وَقَضَى رَبُّكَ): أي أمر الله وشرع **(أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ)**: أن توحدوه وتفردوه بحقه **(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)**: بالإحسان إليهما، وطاعتهما بما لا معصية فيه قال الله ﷻ: **﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾** [العنكبوت:٨].

وفي حديث علي رضي الله عنه: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**»[1] متفق عليه، والله أعلم.

❁❁❁

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٢٥٧)، والإمام مسلم في صحيحه (١٨٤٠).

تحريم التشبه بالكافرين

٩٠ احْذَرِ التَّشَبُّهَ بِالكَافِرِينَ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ، وَالحَدِيثُ حَسَنٌ.

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لبيان شؤم موافقة المشركين، ووجوب مخالفتهم.

ومن كتابي: "**الأدلة الرضية في حكم الديمقراطية**": ثم اعلم وفقك الله أن هذا الدين كان حريصًا على أن يكون للمسلم كيان مستقل بعيدًا عن التشبه بالكافرين الملحدين الضالين، فتجد أن الله قد أمر بمخالفتهم في كثير من العبادات والعادات؛ لأن الكافرين في جاهلية وجهل وبعد عن طاعة الله ﷻ، وأولياء الشيطان، وأعداء الرحمن، كما قال الله مخبرًا عن إبراهيم: ﴿**يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا**﴾ [مريم:٤٤].

وقد حذرنا الله تعالى من مشابهتهم في الفرقة وغيرها، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم: ٣١-٣٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [آل عمران:١٠٥].

قال الله تعالى: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ**﴾ [الجاثية:١٨-١٩].

قال تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠].

قال ابن كثير رحمه الله **(١/١٦٨)**: فيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن طرائق اليهود والنصارى، بعدما علموا من القرآن والسنة، عياذًا بالله من ذلك، فإن الخطاب لرسول الله صَلَى اللهُ عَلِيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأمته. اهـ

ومما يدل عليه القرآن النهي عن مشافهتهم قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [البقرة:١٠٤].

وقال قتادة وغيره: كانت اليهود تقوله استهزاء فكره الله للمؤمنين أن يقولوا مثل قولهم، ومن أراد أكثر فعليه بقراءة كتاب شيخ الإسلام "**اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم**".

قال ابن كثير رحمه الله **(١/ ١٥٣)**: عند تفسير هذه الآية، نهى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين، أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وأفعالهم.

بعد سوقه لحديث ابن عمر الذي أخرجه الإمام أحمد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**»[١].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٥٠ و٩٢)، وعبد بن حميد في " المنتخب من المسند " (ق ٩٢/ ٢)، وابن أبي شيبة في " المصنف " (٧/ ١٥٠/ ١)، وأبو سعيد ابن الأعرابي في " المعجم " (ق ١١٠/ ٢)، والهروي في " ذم الكلام " (ق ٥٤/ ٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الإرواء برقم (١٢٦٩).

ففيه: دلالة على النهي الشديد، والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أفعالهم وأقوالهم ولباسهم، وأعيادهم وعباداتهم، وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا، ولم نقر عليها. اهـ

وقد جاءت أدلة كثيرة تحث على مخالفتهم في عباداتهم، نورد منها على سبيل الذكر لا الحصر:

حديث عمر بن عبسة ﵁ عند الإمام مسلم (٨٣٢): «صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس، حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة، فإن حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار».

وحديث ابن عمر ﵄ عند الشيخين قال: قال رسول الله ﷺ: «**خالفوا المشركين، احفوا الشوارب واعفوا اللحى**».

وحديث أبي هريرة ﵁ عند مسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «**جزوا الشوارب وأرخوا اللحى، خالفوا المجوس**»[(١)].

وقال ﷺ: «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم**»[(٢)]، أخرجه الإمام مسلم من حديث جابر ﵄.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٠).
(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٤٦٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٠٣).

وقال ﷺ كما في حديث عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «**فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر**»[(١)]، أخرجه مسلم.

وقال ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أبي داود، وهو في صحيح شيخنا مقبل رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال الدين ظاهرًا ما عجل الناس الفطر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**صلوا في نعالكم، خالفوا اليهود**»[(٣)].

وكانت اليهود إذا حاضت النساء لا يآكلوهن ولا يجامعوهن في البيوت.

فسأل الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله: ﴿**وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة:٢٢٢].

فقال رسول الله ﷺ: «**اصنعوا كل شيءٍ إلا النكاح**»[(٤)].

فبلغ ذلك اليهود فقالوا: "ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا، إلا خالفنا فيه". أخرجه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله (ص٦٢) في كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم": فهذا الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه من

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٠٩٦).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٢٣٥٣)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٤١٦)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

(٣) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٦٥٢)، بلفظ: «خَالِفُوا الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ، وَلَا خِفَافِهِمْ»، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٤٧١).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٠٢).

مخالفة اليهود، بل على أنه خالفهم في جميع أمورهم، حتى قالوا: ما يريد أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه. اهـ

وأخرج الإمام مسلم من حديث جابر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ رأى أصحابه يصلون، ورآه قيامًا فقال: «**إن كدتم آنفًا تفعلوا فعل فارس والروم، يقومون على ملوكهم، وهم قعود فلا تفعلوا**»[1]. وقال ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله**»[2].

وقال الله تعالى محذرًا النساء من التشبه بالجاهليات: ﴿**وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ**﴾ [الأحزاب:٣٣].

وقال ﷺ في صيام يوم عاشورا: «**لأن بقيت إلى القابل لأصومن التاسع**»[3]، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند مسلم، وهذا من أجل مخالفة اليهود.

ورأى ﷺ على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ثوبًا معصفرًا فقال: «**أمك أمرتك بهذا**» قال: «**أغسله**»، **قال:** «**بل أحرقه إنه من لباس الكفار**»[4]، وهو في الصحيح.

وقال ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه عند أن قال له: لو اشتريت هذه الحلة فلبستها في العيد أو الوفود؟ قال: «**إنما يلبس هذا من لا خلاق له**»[5].

والذين يلبسونها الكفار، ونزع فروخًا من حرير، وكان قد لبسه فقال: «**إن هذا لا ينبغي للمتقين**»[1].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤١٣).
(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٤٤٥).
(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١١٣٤).
(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٧٧).
(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٨٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٠٦٨).

والأشهر من هذا مخالفتهم في القبلة، قال تعالى: ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة:١٤٤].

ومما تقدم يظهر لك أن الله قد أمرنا بمخالفتهم في جميع أمور الدين؛ لأنهم على طريقة غير مرضية، وسبيل غير سوي، وصراط معوج، وفي هذا غنية لمن أراد الحق.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص١٦٤):

قد ذكرنا من دلائل الكتاب والسنة، والإجماع والآثار والاعتبار ما دل على أن التشبه بهم في الجملة منهيٌ عنه، وأن مخالفتهم في هديهم إيجابًا وإما استحبابًا، بحسب المواضع.

وقد تقدم بيان ما أمرنا الله ورسوله ﷺ به من مخالفتهم، مشروع سواء كان ذلك بالفعل مما قصد فاعل التشبه بهم أو لم يقصد، وكذلك ما نهى عنه من مشابهتهم يعم ما إذا قُصدت مشابهتهم أو لم تقصد، فإن عامة هذه الأعمال لم يكن المسلمون يقصدون المشابهة فيها، وفيها ما لا يتصور قصد المُشابهة فيه كبياض الشعر، وطول الشارب، ونحو ذلك. اهـ، وبالله التوفيق.

---

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٧٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٠٧٥)، من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الإكثار من ذكر الله

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

﴿٩١﴾ عَلَيكَ بِكَثْرَة ذِكْر الله عَزَّوَجَلَّ، عَلَى مَا ثَبَتَتْ به الأدِلَّةُ فَإنَّ ذلكَ من أسْبَاب الفَلَاح في الدُّنْيَا وَالآخرَة، قَالَ تَعَالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، وَعَن أبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلمَتَانِ خَفيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقيلَتَانِ فِي الميزَانِ حَبِيبَتَانِ إلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِه، سُبْحَانَ الله العَظِيمِ»[ح١] متفقٌ عَلَيهِ.

[ح١] وفي هذا الحديث إثباتُ الميزان وأنه يَثقلُ بالحسناتِ.

ذكر المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ هذه الفقرة لأن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ هو أعظم سبب لفلاح الدنيا والآخرة.

وفي هذه الفقرة إثبات الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة، وقد تقدم الكلام عليه.

وبذكر الله ترتاح القلوب، ودنيانا بذكراه تطيب.

هو ديدن الأنبياء والصالحين، ومؤنس الوحيد، وأكبر من كل شيء: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت:٤٥].

إنه الطمأنينة: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

إنه السكينة وسبب النصر والثبات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥].

به ترفع الغفلة: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

وصاحبه محروس من الشيطان: ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[الزخرف: ٣٦-٣٧].

وكم يحاول الشيطان في الصد عنه وغيره من الطاعات.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة:٩١].

وأخرج الإمام الترمذي (٢٨٦٣): عَنِ الْحَارِثَ الْأَشْعَرِيَّ رضي الله عنه حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا، حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنْ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ**».

وهل بنيت المساجد إلا للذكر؟

قال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [البقرة:١١٤].

وأخرج مسلم رحمه الله (٢٨٥): عَنْ أَنَسِ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَهْ مَهْ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ**» فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «**إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ**

هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ ﷻ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فَأَمَرَ رَجُلًا مِنْ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ**».

ودوام الذكر للرب ﷻ هو طريقة أصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة، والاعتقادات القومية، كما قال ﷻ: ﴿**إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ**﴾[آل عمران: ١٩٠-١٩١].

والذي يتأثر بالذكر ويوجل قلبه هو المؤمن، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾[الأنفال:٢-٤]، فصاحب الذكر من المؤمنين حقًا كما تقدم في الآية.

وكم من الأجور العظيمة التي أعدها الله ﷻ لذاكرين.

قال تعالى: ﴿**وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب:٣٥].

والنفور منه علامة النفاق، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا**﴾[الإسراء: ٤٥-٤٦].

شرعه الله ﷻ بعد العبادات، وما شرعت العبادات إلا لذكره، قال تعالى: ﴿**وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ**﴾ [طه:١٤]، إلى غير ذلك.

قال ابن القيم رحمه الله في "**المدارج**" (٢/ ٤٤٠-٤٤١): وهي منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون وفيها يتجرون وإليها دائما يترددون والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل ومن منعه عزل وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورا وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورا وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحيانا فننتكس

به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات وتهون عليهم به المصيبات إذا أظلمهم البلاء فإليه ملجؤهم وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم فهو رياض جنتهم التي فيها يتقبلون ورءوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا ويوصل الذاكر إلى المذكور بل يدع الذاكر مذكورا.

وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة والذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة بل هم يأمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال قياما وقعودا وعلى جنوبهم فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها فكذلك القلوب بور وخراب وهو عمارتها وأساسها.

وهو جلاء القلوب وصقالها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقا وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شيء وحفظ الله عليه كل شيء وكان له عوضا من كل شيء.

به يزول الوقر عن الأسماع والبكم عن الألسن وتنقشع الظلمة عن الأبصار زين الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين فاللسان الغافل كالعين العمياء والأذن الصماء واليد الشلاء وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته.

والذاكر منصور بنصر الله ﷻ، ومحفوظ بحفظ الله ﷻ، وتضاعف له الأجور العظيمة والعطايا الجزيلة من رب كريم وملك عظيم.اهـ

وأخرج الترمذي (٣٣٧٧): عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟**» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «**ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى**».

قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ».

وأخرج الإمام الترمذي (٣٣٧٥): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ**».

فلازم أيها المسلم الذكر، فإنه أمر الله ﷻ لي ولك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

الأذكار التي ينبغي للمسلم المحافظة عليها ما استطاع إلى ذلك سبيلا:

١- الأذكار المطلقة المضاعفة:

أخرج مسلم في "صحيحه" (٢٧٢٦): عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ جُوَيْرِيَةَ رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «**مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟**» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**».

وقال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَإِسْحَقُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بِشْرٍ عَنْ مِسْعَرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي رِشْدِينَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ جُوَيْرِيَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «**مَرَّ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْغَدَاةِ أَوْ بَعْدَ مَا صَلَّى الْغَدَاةَ فَذَكَرَ نَحْوَهُ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ خَلْقِهِ سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ**».

وأخرج مسلم: عَنْ سَعْدٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ فِي الْيَوْمِ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟**» قَالَ: وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «**يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ وَتُمْحَى عَنْهُ أَلْفُ سَيِّئَةٍ**»(١).

وأخرج الشيخان: عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكَ قَالَ حَجَّاجٌ أَوَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»(٢).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٨).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٣٨٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٠٤)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وفيهما: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(١) متفق عليه.

وفي مسلم: عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**»(٢).

وفي "**الصحيحين**" عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ**»، البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢١٣٧).

وعن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كأنما أعتق أربعة من ولد إسماعيل**»(٣).

ولأحمد: عَنْ أَبِي سلمى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَخ بَخ خَمْسٌ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ، أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ وَالِدَاهُ**»، وَقَالَ: «**بَخٍ بَخٍ لِخَمْسٍ مَنْ لَقِيَ اللهَ**

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٠٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٤).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٢٣).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٣).

مُسْتَيْقِنًا بِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ: يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْحِسَابِ» [(١)].

وفي مسلم (٢٦٩٥): عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر: أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**».

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند الترمذي وغيره: وفيه: «**اقرأ أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**» [(٢)] والحديث حسن.

وعند أحمد والترمذي (٣٥٩٠): من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما قال عبد لا إله إلا قط مخلصًا إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش**». الحديث في الصحيح المسند للإمام الوادعي.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عند البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨) قال: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ**».

وفي البخاري (٩٩): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٥٦٦٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٢٢٩)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٤٦٢)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي.

يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ».

وفي الصحيحين: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: سبحان الله وبحمده في يومه مئة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»[(١)].

وفي مسلم: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها تَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِ مِائَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللهَ وَحَمِدَ اللهَ وَهَلَّلَ اللهَ وَسَبَّحَ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ اللهَ وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِ مِائَةِ السُّلَامَى، فَإِنَّهُ يَمْشِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ**»[(٢)].

قَالَ أَبُو تَوْبَةَ: «وَرُبَّمَا قَالَ: يُمْسِي».

وقال ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللهِ التَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّحْمِيدَ يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ**»[(٣)] أخرجه أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه وهو في "الصحيح المسند".

وأخرج أحمد (٣/ ١٥٢)، والبخاري في "**الأدب**" (٦٣٤): عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ غُصْنًا فَنَفَضَهُ فَلَمْ يَنْتَفِضْ، ثُمَّ نَفَضَهُ فَلَمْ يَنْتَفِضْ، ثُمَّ نَفَضَهُ فَانْتَفَضَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ تَنْفُضُ الْخَطَايَا كَمَا تَنْفُضُ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**».

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٠٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩١، ٢٦٩٢).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٠٠٧).

(٣) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٣٨٠٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه .

وأخرج أحمد (١/ ١٦٣)، والنسائي في عمل اليوم والليلة(٨٣٨)، وهو في الصحيحة (٦٥٣): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَدَّادٍ ﵁: أَنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عُذْرَةَ ثَلَاثَةً أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَأَسْلَمُوا، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ يَكْفِنِيهِمْ؟**» قَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، قَالَ: فَكَانُوا عِنْدَ طَلْحَةَ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا فَخَرَجَ أَحَدُهُمْ فَاسْتُشْهِدَ، قَالَ: ثُمَّ بَعَثَ بَعْثًا فَخَرَجَ فِيهِمْ آخَرُ فَاسْتُشْهِدَ، قَالَ: ثُمَّ مَاتَ الثَّالِثُ عَلَى فِرَاشِهِ، قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدِي فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ الْمَيِّتَ عَلَى فِرَاشِهِ أَمَامَهُمْ، وَرَأَيْتُ الَّذِي اسْتُشْهِدَ أَخِيرًا يَلِيهِ، وَرَأَيْتُ الَّذِي اسْتُشْهِدَ أَوَّلَهُمْ آخِرَهُمْ، قَالَ: فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«**وَمَا أَنْكَرْتَ مِنْ ذَلِكَ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمَّرُ فِي الْإِسْلَامِ لِتَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ**».

إلى غير ذلك من أراد التزود فليراجع كتب الأذكار والدعوات،**وبالله التوفيق**.

❁❁❁

كفارة المجلس

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

﴿٩٢﴾ **كَفَّارَةُ المَجْلِسِ:** عَنْ عَائشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إذَا جَلَسَ مَجْلسًا، أَوْ صَلَّى تَكَلَّمَ بكَلِمَات، فَسَأَلَتْهُ عَائشَةُ عَن الكَلمَات، فَقَالَ: «إنْ تَكَلَّمَ بِخَيْرٍ كَانَ طَابَعًا عَلَيْهِنَّ إلَى يَوْمِ القيَامَة، وَإنْ تَكَلَّمَ بغَيْرِ ذلكَ كَانَ كَفَّارَةً: سُبْحَانَكَ وَبحَمْدكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

ختم المصنف حَفِظَهُ ٱللَّهُ فوائد المبادئ المفيدة بهذا الحديث لما فيه من البركات، وعظيم الهبات .

حيث أن مجالس العباد لا تسلم من لغوٍ يحتاج إلى تكفير أو طاعة تحتاج إلى محافظة عليها، حتى يوافي بها العبد يوم القيامة.

قال الله ﷻ: ﴿ **مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ [الأنعام:١٦٠].

قولهُ (كفارة المجلس): أي مجلس إن كان مجلس خير كانت خاتما عليه حتى يلقى الله بذلك وإن كانت مجلس شر كان كفارة له وهذا إنما هو من الصغائر أما الكبائر فلابد لها من توبة نصوح.

قولهُ(عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا): هي أم المؤمنين أم عبدالله.

قولهُ(أن رسول الله ﷺ كان إذا جلس مجلسا): وفي رواية: «إذا قرأ قرآنًا أو صلى صلاةً» فهذا من أذكار المجلس وقراءة القرآن والصلاة فهو ذكر جامع.

قولهُ (تكلم بكلمات): أي تسمعه يتكلم ولا تدري ما سبب ذلك فسألته عائشة رضي الله عنها عن الكلمات، فقال: «**إن تكلم بخير كان طابعا عليهن إلى يوم القيامة**»(١).

وهذا من الحرص على خواتم الأعمال، وفي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ**»(٢) أخرجه البخاري.

قولهُ(وإن تكلم بغير ذلك كان كفارة): لما بدر من اللغو ونحوه، والكفارة هي الستر للذنب والتجاوز عنه.

وقد ذكر العلماء إحدى عشر مكفرًا من مكفرات الذنوب.

قال ابن أبي العز رحمه الله في "شرح الطحاوية" (٢/ ٤٥١): وَأَيْضًا: فَإِنَّهُ قَدْ يُعْفَى لِصَاحِبِ الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ مَا لَا يُعْفَى لِغَيْرِهِ، فَإِنَّ فَاعِلَ السَّيِّئَاتِ تَسْقُطُ عَنْهُ عُقُوبَةُ جَهَنَّمَ بِنَحْوِ عَشَرَةِ أَسْبَابٍ، عُرِفَتْ بِالِاسْتِقْرَاءِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ:

السَّبَبُ الأول: التَّوْبَةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **إِلَّا مَن تَابَ** ﴾ [مريم:٦٠] [الفرقان:٧٠].

﴿ **إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ** ﴾ [البقرة:١٦٠].

وَالتَّوْبَةُ النَّصُوحُ، وَهِيَ الْخَالِصَةُ، لَا يَخْتَصُّ بِهَا ذَنْبٌ دُونَ ذَنْبٍ، لَكِنْ هَلْ تَتَوَقَّفُ صِحَّتُهَا عَلَى أَنْ تَكُونَ عَامَّةً؟ حَتَّى لَوْ تَابَ مِنْ ذَنْبٍ وَأَصَرَّ عَلَى آخَرَ لَا تُقْبَلُ؟

الصَّحِيحُ أَنَّهَا تُقْبَلُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٤٨٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٦٠٧).

وَهَلْ يَجُبُّ الْإِسْلَامُ مَا قَبْلَهُ مِنَ الشِّرْكِ وَغَيْرِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا؟

أَمْ لَا بُدَّ مَعَ الْإِسْلَامِ مِنَ التَّوْبَةِ مِنْ غَيْرِ الشِّرْكِ؟ حَتَّى لَوْ أَسْلَمَ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى الزِّنَا وَشُرْبِ الْخَمْرِ مَثَلًا، هَلْ يُؤَاخَذُ بِمَا كَانَ مِنْهُ فِي كُفْرِهِ مِنَ الزِّنَا وَشُرْبِ الْخَمْرِ؟ أَمْ لَا بُدَّ أَنْ يَتُوبَ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ مَعَ إِسْلَامِهِ؟

أَوْ يَتُوبَ تَوْبَةً عَامَّةً مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؟

وَهَذَا هُوَ الْأَصَحُّ: أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ التَّوْبَةِ مَعَ الْإِسْلَامِ، وَكَوْنُ التَّوْبَةِ سَبَبًا لِغُفْرَانِ الذُّنُوبِ وَعَدَمِ الْمُؤَاخَذَةِ بِهَا - مِمَّا لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الْأُمَّةِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ.

يَكُونُ سَبَبًا لِغُفْرَانِ جَمِيعِ الذُّنُوبِ إِلَّا التَّوْبَةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

وَهَذَا لِمَنْ تَابَ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾ [الزمر:٥٣].وَقَالَ بَعْدَهَا: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر:٥٤].

السَّبَبُ الثاني: الِاسْتِغْفَارُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ**﴾ [الأنفال:٣٣].

لَكِنَّ الِاسْتِغْفَارَ تَارَةً يُذْكَرُ وَحْدَهُ، وَتَارَةً يُقْرَنُ بِالتَّوْبَةِ، فَإِنْ ذُكِرَ وَحْدَهُ دَخَلَ مَعَهُ التَّوْبَةُ، كَمَا إِذَا ذُكِرَتِ التَّوْبَةُ وَحْدَهَا شَمَلَتْ الِاسْتِغْفَارَ.

فَالتَّوْبَةُ تَتَضَمَّنُ الِاسْتِغْفَارَ، وَالِاسْتِغْفَارُ يَتَضَمَّنُ التَّوْبَةَ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَدْخُلُ فِي مُسَمَّى الْآخَرِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، وَأَمَّا عِنْدُ اقْتِرَانِ إِحْدَى اللَّفْظَتَيْنِ بِالْأُخْرَى، فَالِاسْتِغْفَارُ: طَلَبُ وِقَايَةِ شَرِّ مَا مَضَى، وَالتَّوْبَةُ: الرُّجُوعُ وَطَلَبُ وِقَايَةِ شَرِّ مَا يَخَافُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِ.

السَّبَبُ الثالث: الْحَسَنَاتُ: فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا، فَالْوَيْلُ لِمَنْ غَلَبَتْ آحَادُهُ أَعْشَارَهُ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ**﴾ [هود:١١٤]. وَقَالَ ﷺ: «**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا**»(١).

السَّبَبُ الرَّابِعُ: الْمَصَائِبُ الدُّنْيَوِيَّةُ. قَالَ ﷺ: «**مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ، وَلَا غَمٍّ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا - إِلَّا كُفِّرَ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»(٢).

وَفِي الْمُسْنَدِ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ**﴾ [النساء:١٢٣].

«**قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَزَلَتْ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ، وَأَيُّنَا لَمْ يَعْمَلْ سُوءًا؟ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ يُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ؟ فَذَلِكَ مَا تُجْزَوْنَ بِهِ**»(٣).

فَالْمَصَائِبُ نَفْسُهَا، مُكَفِّرَةٌ، وَبِالصَّبْرِ عَلَيْهَا يُثَابُ الْعَبْدُ، وَبِالتَّسَخُّطِ يَأْثَمُ. فَالصَّبْرُ وَالتَّسَخُّطُ أَمْرٌ آخَرُ غَيْرُ الْمُصِيبَةِ، فَالْمُصِيبَةُ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ لَا مِنْ فِعْلِ الْعَبْدِ، وَهِيَ جَزَاءٌ مِنَ اللَّهِ لِلْعَبْدِ عَلَى ذَنْبِهِ، وَيُكَفِّرُ ذَنْبَهُ بِهَا، وَإِنَّمَا يُثَابُ الْمَرْءُ وَيَأْثَمُ عَلَى فِعْلِهِ، وَالصَّبْرُ وَالسُّخْطُ مِنْ فِعْلِهِ، وَإِنْ كَانَ الثَّوَابُ وَالْأَجْرُ قَدْ يَحْصُلُ بِغَيْرِ عَمَلٍ مِنَ الْعَبْدِ، بَلْ هَدِيَّةٌ مِنَ الْغَيْرِ، أَوْ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (١٩٨٧)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي، وفي صحيح الجامع (٩٧).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٦٤١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦٨)، من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه والحديث صحيح، وصححه في التعليقات الحسان برقم (٢٩١٥).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠]. فَنَفْسُ الْمَرَضِ جَزَاءٌ وَكَفَّارَةٌ لِمَا تَقَدَّمَ. وَكَثِيرًا مَا يُفْهَمُ مِنَ الْأَجْرِ غُفْرَانُ الذُّنُوبِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مَدْلُولَهُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مِنْ لَازِمِهِ.

السَّبَبُ الْخَامِسُ: عَذَابُ الْقَبْرِ. وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهِ، إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى.

السَّبَبُ السَّادِسُ: دُعَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَاسْتِغْفَارُهُمْ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ.

السَّبَبُ السَّابِعُ: مَا يُهْدَى إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ ثَوَابِ صَدَقَةٍ أَوْ قِرَاءَةٍ أَوْ حَجٍّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى.

السَّبَبُ الثَّامِنُ: أَهْوَالُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَشَدَائِدُهُ.

السَّبَبُ التَّاسِعُ: مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «**أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا عَبَرُوا الصِّرَاطَ وُقِفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ**»(١).

السَّبَبُ الْعَاشِرُ: شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ، كَمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ ذِكْرِ الشَّفَاعَةِ وَأَقْسَامِهَا.

السَّبَبُ الْحَادِي عَشَرَ: عَفْوُ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ لِلذُّنُوبِ مِنْ غَيْرِ شَفَاعَةٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨].

فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ لَمْ يَشَأِ الله أَنْ يَغْفِرَ لَهُ لِعِظَمِ جُرْمِهِ، فَلَا بُدَّ مِنْ دُخُولِهِ إِلَى الْكِيرِ، لِيَخْلُصَ طِيبُ إِيمَانِهِ مِنْ خَبَثِ مَعَاصِيهِ، فَلَا يَبْقَى فِي النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، بَلْ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه. انتهى

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٣٥)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قولهُ (سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفر الله وأتوب إليه): حيث نزه الله من النقائص وحمده على كماله ووحده فجمع بين الاعتراف والتوحيد والاستغفار وهذا حريٌّ أن يتاب علي، والحال كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤].

قال الله ﷻ عن يونس ﵇: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧- ٨٨].

قولهُ (أخرجه أحمد): وهو حديث صحيح في الصحيح المسند للشيخ مقبل وجاء عن غير عائشة ﵂، وأُعِلَّ.

وقد تكلم الحافظ ابن حجر على هذا الحديث وطرقه: في أخر كتاب فتح الباري عند شرح حديث أبي هريرة ﵁ : «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**».

وتكلم عليه الحافظ ابن كثير ﵀ عند قوله: ﴿**سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ**﴾ [الصافات:١٨٢].

في أواخر سورة الصافات.

وبهذا نكون قد انتهيت مما أردت تسطيره بتوفيق الله وعونه.

وأقول: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

ذكر أسماء الله الحسنى بأدلتها

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

ذكر أسماء الله الحسنى بأدلتها[(١)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لله تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ» أخرجه البُخَارِيّ (٦٤١٠)، ومُسْلِمٌ (٢٦٧٧) واللفظ له.

هذه تتمة من المؤلف لكتابه "**المبادئ المفيدة**"، وختم حَفِظَهُ ٱللَّهُ الكتاب بهذا الملحق لأمور:

الأول: التبرك بذكر أسماء الله جَلَّ وَعَلَا.

الثاني: الدخول في سلك من نظمها، ولعلها أن تحفظ ويكون منه الدلالة عليها، والدال على الخير كفاعله.

الثالث: الرد على من زعم حصرها في تسعة وتسعين.

ويجب أن تؤخذ الأسماء والصفات من الكتاب والسنة إذ لا مجال للعقل فيه لأنه من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله جَلَّ وَعَلَا.

وسميت بالحسنى لأمور منها:

١- أن الله تعالى سمى بها نفسه وسماهُ بها رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

---

(١) استفدنا من كتاب تفسير الأسماء والصفات للسعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢- أنها مذكورة في الكتاب والسنة الصحيحة.

٣- أن الله يدعى بها، قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

٤- أنها أسماء مدح وكمال.

٥- أنها متضمنة لصفات مدح وكمال.

والقول بحصر الأسماء والصفات: قولٌ مبتدع لا يؤثر عن السلف رضوان الله عليهم، كما تقدم بيانه.

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[١].

فقد قال ابن القيم رحمه الله في "**البدائع**" (١/ ١٦٦): أسماء الله تعالى الحسنى لا تدخل تحت حصر، ولا تحد بعدد، فإن لله تعالى أسماء وصفات، استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، كما في الحديث الصحيح: «**أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحد من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[٢].

فجعل أسماءه ثلاثة أقسام:

قسم سمى به نفسه، فأظهره لمن شاء من ملائكته، وغيرهم، ولم ينزله في كتابه. **وقسم أنزله في كتابه**، فتعرف به إلى عباده.

---

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٧٣٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٧٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣٧١٢).

وقسم استأثر به في علم الغيب، فلم يطلع عليه أحدًا من خلقه، ولهذا قال: «**استأثرت به**»، أي: انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمي به؛ لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها في كتابه.

ومنه قوله ﷺ: «**لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**».

وأما **قوله**: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**»، فالكلام جملة واحدة. **وقوله** ﷺ: «**من أحصاها**»: صفة لا خبر مستقبل، والمعنى أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، وهذا لا ينبغي أن يكون له أسماء غيرها. **اهـ**

ولها أحكام يجب السير عليها فمنها ما قاله الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد: (باب احْتِرامُ أسْماء الله تعالى وتَغيير الاسْم لأجلِ ذلك).**اهـ**

قُلْتُ في كتابي: "فتح الوهاب شرح كتاب التوحيد": الاحترام هو التقدير والإجلال، واحترام أسماء الله ﷻ وصفاته تكون بأمور:

الأول: إثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه، وأثبته رسوله ﷺ.

الثاني: إثبات ما تضمنته من الصفات، إذ أن كل اسم يتضمن صفة، فالسميع يسمع، والبصير يبصر، والقوي ذو القوة.. وهكذا.

الثالث: دعاء الله ﷻ بها، قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ**﴾ [الأعراف:١٨٠].

الرابع: عدم التسمي بها إن كانت مختصة بالله ﷻ، وإن كانت غير مختصة منع الجمع بين التسمية والصفة على ما يأتي في حديث الباب.

الخامس: اعتقاد عدم حصرها بعدد معلوم لنا على ما بينته في كتابي "**التبيين لخطأ من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين**".

السادس: التعبد لله ﷻ بمقتضاها بمعنى: أن المؤمن يرحم ويحسن وغير ذلك.

السابع: البعد عن الإلحاد فيها بجميع أنواع الإلحاد، قال الله ﷻ: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

وقد ذكرت أنواع الإلحاد في كتابي "**القواعد الحسان في أسماء وصفات الرحمن**"، وتقدم ذكر ملخصه.

الثامن: احترام أدلتها وصيانتها من التحريف والتعطيل، والتكييف والتمثيل، والتأويل الفاسد، والتفويض وغير ذلك مما يسلكه المبتدعة.

التاسع: احترامها من الامتهان أو الدوس عليها ونحو ذلك، قال الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

العاشر: عدم الحلف إلا بها كما تقدم قول النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»(١).

الحادي عشر: التعبيد بها، قال رسول الله ﷺ: «**أَحَبُّ الأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ: عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**»(٢)، من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه أحمد (١٩٠٣٢)، والترمذي (٢٨٣٣)، وغيرهما.

الثاني عشر: اعتقاد ما تضمنته من المدح، وما دلت عليه من الكمال، فإنها أسماء مدح وكمال.

الثالث عشر: ذكر الله ﷻ بها، قال الله ﷻ: ﴿ **فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ** ﴾ [البقرة:١٥٢].

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ**»، أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه.

الرابع عشر: إحصائها، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»، متفق عليه[١].

والإحصاء: هو الحفظ لها والعمل بمقتضاها.

الخامس عشر: اعتقاد أنها غير مخلوقة، بل هي أسماء وصفات لله ﷻ على الوجه اللائق به.

وكل ما ذكرت من القواعد في كتابي "**القواعد الحسان في أسماء وصفات الرحمن**"، فهو دلالة إلى كيفية احترام هذه الأسماء وما دلت عليه من الصفات، بعيدًا عن سبيل المبتدعين والضالين، وبالله التوفيق.

---

(١) البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

الله الإله الحي القيوم

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

اللهُ[١]، الإِلَـٰهُ[٢]، الحَيّ[٣]، القَيّومُ[٤].

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة:٢٥٥].

هذه أربعة أسماء ودليلها قول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة:٢٥٥].

١ - الله: لفظ الجلالة الاسم الأعظم على الصحيح، مُشْتَقّ من وَله يوله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **"مدارج السالكين"** (١/ ٥٦): **فَاسْمُ اللَّهِ**: دَالٌّ عَلَى جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتِ الْعُلْيَا، بِالدِّلَالَاتِ الثَّلَاثِ، فَإِنَّهُ دَالٌّ عَلَى إِلَهِيَّتِهِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِثُبُوتِ صِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ لَهُ مَعَ نَفْيِ أَضْدَادِهَا عَنْهُ.

وَصِفَاتُ الْإِلَهِيَّةِ: هِيَ صِفَاتُ الْكَمَالِ، الْمُنَزَّهَةُ عَنِ التَّشْبِيهِ وَالْمِثَالِ، وَعَنِ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ، وَلِهَذَا يُضِيفُ الله تَعَالَى سَائِرَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى إِلَى هَذَا الِاسْمِ الْعَظِيمِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠]. **وَيُقَالُ**: الرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ، وَالْقُدُّوسُ، وَالسَّلَامُ، وَالْعَزِيزُ، وَالْحَكِيمُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَلَا يُقَالُ: الله مِنْ أَسْمَاءِ الرَّحْمَنِ، وَلَا مِنْ أَسْمَاءِ الْعَزِيزِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

فَعُلِمَ أَنَّ اسْمَهُ الله مُسْتَلْزِمٌ لِجَمِيعِ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، دَالٌّ عَلَيْهَا بِالْإِجْمَالِ، وَالْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى تَفْصِيلٌ وَتَبْيِينٌ لِصِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي اشْتُقَّ مِنْهَا اسْمُ اللَّهِ.

وَاسْمُ اللَّهِ: دَالٌّ عَلَى كَوْنِهِ مَأْلُوهًا مَعْبُودًا، تُؤَلِّهُهُ الْخَلَائِقُ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا وَخُضُوعًا، وَفَزَعًا إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ وَالنَّوَائِبِ، وَذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ لِكَمَالِ رُبُوبِيَّتِهِ وَرَحْمَتِهِ، الْمُتَضَمِّنَيْنِ لِكَمَالِ الْمُلْكِ وَالْحَمْدِ، وَإِلَهِيَّتُهُ وَرُبُوبِيَّتُهُ وَرَحْمَانِيَّتُهُ وَمُلْكُهُ مُسْتَلْزِمٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ كَمَالِهِ، إِذْ يَسْتَحِيلُ ثُبُوتُ ذَلِكَ لِمَنْ لَيْسَ بِحَيٍّ، وَلَا سَمِيعٍ، وَلَا بَصِيرٍ، وَلَا قَادِرٍ، وَلَا مُتَكَلِّمٍ، وَلَا فَعَّالٍ لِمَا يُرِيدُ، وَلَا حَكِيمٍ فِي أَفْعَالِهِ.

وَصِفَاتُ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ: أَخَصُّ بِاسْمِ اللَّهِ.

وَصِفَاتُ الْفِعْلِ وَالْقُدْرَةِ، وَالتَّفَرُّدِ بِالضُّرِّ وَالنَّفْعِ، وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَنُفُوذِ الْمَشِيئَةِ وَكَمَالِ الْقُوَّةِ، وَتَدْبِيرِ أَمْرِ الْخَلِيقَةِ: أَخَصُّ بِاسْمِ الرَّبِّ.

وَصِفَاتُ الْإِحْسَانِ، وَالْجُودِ وَالْبِرِّ، وَالْحَنَانِ وَالْمِنَّةِ، وَالرَّأْفَةِ وَاللُّطْفِ: أَخَصُّ بِاسْمِ الرَّحْمَنِ. **اهـ**

٢- **الإِلَـٰـهُ**: هو المعبود محبة وتعظيما.

قال ابن القيم رحمه الله في "المدارج" (٣/ ٣٣٧): وَاسْمُ (اللَّهِ) سُبْحَانَهُ، (وَالرَّبِّ، وَالْإِلَهِ) - اسْمٌ لِذَاتٍ لَهَا جَمِيعُ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَنُعُوتِ الْجَلَالِ، كَالْعِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالْحَيَاةِ، وَالْإِرَادَةِ، وَالْكَلَامِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْبَقَاءِ، وَالْقِدَمِ، وَسَائِرِ الْكَمَالِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ الله لِذَاتِهِ، فَصِفَاتُهُ دَاخِلَةٌ فِي مُسَمَّى اسْمِهِ. **اهـ**

٣- الحَيُّ: المتصف بصفة الحياة الأزلية الأبدية التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء والحي هو كامل الحياة، وذلك يتضمن إثبات جميع الصفات الذاتية كما أن القيوم دل على جميع الصفات الفعلية .

قال ابن القيم في "المدارج" (١/ ٤١٩): وَاسْمُهُ الْحَيُّ يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ مُعَطَّلًا مِنَ الْفِعْلِ، بَلْ حَقِيقَةُ الْحَيَاةِ الْفِعْلُ، فَكُلُّ حَيٍّ فَعَّالٌ. **اهـ**

٤- القَيُّومُ: القائم بنفسه والمقيم لغيره.

قال الإمام السعدي رحمه الله : **الحي القيوم**: كامل الحياة والقائم بنفسه والقيوم لأهل السماوات والأرض القائم بتدبيرهم وأرزاقهم وجميع أحوالهم؛ فالحي: الجامع لصفات الذات، والقيوم: الجامع لصفات الأفعال وجمعهما في غاية المناسبة كما جمعهما الله في عدة مواضع من كتابه كقوله: ﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ** ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وذلك أنهما محتويان على جميع صفات الكمال.

فالحي: هو كامل الحياة، وذلك يتضمن جميع الصفات الذاتية لله كالعلم والعزة والقدرة، والإرادة، والعظمة، والكبرياء، وغيرها من صفات الذات المقدسة.

والقيوم: هو كامل القيومية الذي قام بنفسه، وعظمت صفاته، واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقامت به الأرض، والسماوات، وما فيهما من المخلوقات.**اهـ**

الرَّبُّ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الرّبّ[٥]، الرّحْمنُ[٦]، الرَّحِيمُ[٧].

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣]، وعَنْ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «..فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ» أخرجه مُسْلِمٌ رقم (٤٧٩).

٥- **الرَّبُّ**: وهو المربي لجميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، ويجوز أن يطلق على غير الله عَزَّ وَجَلَّ كرب الدار ورب البيت لكن بشرط التجرد عن الألف واللام أما الرب بالألف واللام فلا يطلق إلا على الله عَزَّ وَجَلَّ.

وله معنيان: الأول: المعنى العام: وهو الدال على تفرد الله لأ بالخلق والملك والتدبير .

الثاني: المعنى الخاص: وهو الدال على الحفظ والكلاءة والنصر والتمكين، ولذلك كان أغلب دعاء الأنبياء به، كما هو معلوم، والله المستعان .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "**بدائع الفوائد**" (٤/ ١٣٢): والرب هو السيد والمالك والمنعم والمربي والمصلح والله تعالى هو الرب بهذه الاعتبارات كلها فلا شيء أوجب في العقول والفطر من عبادة من هذا شأنه وحده لا شريك له. انتهى

٦- **الرَّحْمٰنُ** ٧- **والرَّحِيمُ**: أسمان دالان على صفة الرحمة لله عَزَّ وَجَلَّ .

والرحمن: أبلغ من الرحيم، وهو اسم مختص بالله عَزَّ وَجَلَّ، ورحمته عامة وخاصة.

وفي "مختصر الصواعق المرسلة" (ص: ٣٦٠): لِأَنَّ وُرُودَ الرَّحْمَنِ فِي أَسْمَائِهِ أَكْثَرُ مِنْ وُرُودِ الرَّحِيمِ: وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩]. ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [مريم:٤٥]. ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ﴾ [النبأ:٣٧].

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[الرحمن: ١ – ٢].

وَإِنَّمَا جَاءَ الرَّحِيمُ مُقَيَّدًا كَقوله: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب:٤٣].

وَقوله: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١١٧].

وَمَقْرُونًا بِاسْمِ الرَّحْمَنِ كَمَا فِي الْفَاتِحَةِ، أَوْ بِاسْمٍ آخَرَ، نَحْوِ: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء:٩].

وَأَيْضًا فَالرَّحْمَنُ جَاءَ عَلَى بِنَاءِ فَعْلَانَ الدَّالِّ عَلَى الصِّفَةِ الثَّابِتَةِ اللَّازِمَةِ الْكَامِلَةِ، كَمَا يُشْعِرُ بِهِ هَذَا الْبِنَاءُ نَحْوَ غَضْبَانَ وَنَدْمَانَ وَحَيْرَانَ.

فَالرَّحْمَنُ مِنْ صِفَتِهِ الرَّحْمَةُ، وَالرَّحِيمُ مَنْ يَرْحَمُ بِالْفِعْلِ. اهـ

قولهُ (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «...فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ تبارك وتعالى»[1] أخرجه مسلم):

وساقه المصنف للدلالة على اسم الرب، وهذا الاسم لا يوجد في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه الترمذي في سر الأسماء الحسنى من رواية الوليد بن مسلم، مما يدل على أن هذه الرواية لم تثبت عن النبي ﷺ .

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٧٩).

المَلِكُ القُدُّوسُ السّلامُ المُؤْمِنُ الحَكِيمُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الـمَلكُ[٨]، **القُدُّوسُ**[٩]، **السّلَامُ**[١٠]، **الـمُؤْمنُ**[١١]، **الـمُهَيْمنُ**[١٢]، **الجَبّارُ**[١٣]، **الـمُتَكَبِّرُ**[١٤]، **الخَالِقُ**[١٥]، **البَارِئُ**[١٦]، **الـمُصَوِّرُ**[١٧]، **العَزِيْزُ**[١٨]، **الحَكِيمُ**[١٩].

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٣-٢٤].

٨- الـمَلِكُ: هو المتصرف في كل شيء وله الملك المطلق وهو من خصائص الربوبية، الذي له الملك فهو الموصوف بصفات الملك كالعظمة والكبرياء، والقهر، والتدبير، الذي له التصرف المطلق، في الخلق والأمر والجزاء.

وله جميع العالم العلوي والسفلي، كلهم عبيد، ومماليك، ومضطرون إليه وهو الآمر الناهي المعز المذل الذي يصرف أمور عباده كما يحب.

٩- القُدُّوسُ ١٠- السَّلَامُ: المنزه عن النقائص والمتصف بالكمال.

ومن أسمائه القدوس السلام، أي: المعظم المنزه عن صفات النقص كلها وأن يماثله أحد من الخلق، فهو المتنزه عن جميع العيوب، والمتنزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال.

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص:٤]، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم:٦٥]، ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ [البقرة:٢٢]. فالقدوس كالسلام، ينفيان كل نقص من جميع الوجوه، ويتضمنان الكمال المطلق من جميع الوجوه، لأن النقص إذا انتفى ثبت الكمال كله فهو المقدس المعظم المنزه عن كل سوء، السالم من مماثلة أحد من خلقه ومن النقصان ومن كل ما ينافي كماله.

فهذا ضابط ما ينزه عنه، ينزه عن كل نقص بوجه من الوجوه، وينزه ويعظم أن يكون له مثيل أو شبيه أو كفو أو سمي أو ند أو مضاد، وينزه عن نقص صفة من صفاته التي هي أكمل الصفات وأعظمها وأوسعها.

ومن تمام تنزيهه عن ذلك إثبات صفات الكبرياء والعظمة له فإن التنزيه مراد لغيره ومقصود به حفظ كماله عن الظنون السيئة كظن الجاهلية الذين يظنون به ظن السوء، ظن غير ما يليق بجلاله وإذا قال العبد مثنيًا على ربه (سبحان الله) أو (تقدس الله) أو (تعالى الله) ونحوها كان مثنيًا عليه بالسلامة من كل نقص وإثبات كل كمال.

١١- المُؤْمِنُ: الصادق في قوله والمصدق من المؤمنين. قال الله ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء:١٢٢].

ويُقَال إِنَّمَا سمى الله نَفسه مُؤمنا لِأَنَّهُ شهد بوحدانيته، فَقَالَ تَعَالَى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران:١٨] كَمَا شَهِدنَا.

قال السعدي رحمه الله : المؤمن الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال والجمال، الذي أرسل رسله وأنزل كتبه بالآيات، والبراهين وصدق رسله بكل آية وبرهان، يدل على صدقهم وصحة ماجاؤا به. اهـ

١٢- الـمُهَيْمِنُ: المهيمن على عباده قهرا وملكا وحكما، المطلع على خفايا الأمور، وخبايا الصدور الذي أحاط بكل شيء علما.

قال الزجاج رحمه الله **في "تفسير أسماء الله الحسنى" (ص: ٣٢)**: فسر الْقُرْآن على أوجه كَثِيرَة يُقَال إِنَّه الشَّاهِد تَقول فلَان مهيمن على فلَان إِذا كَانَ شَاهِدي عَلَيْهِ. **وَقَالَ مُحَمَّد بن يزِيد**: تخاصم أَعْرَابِيَّانِ إِلَى عمَارَة بن عقيل بن بِلَال بن جرير فِي بعض الْأَمر فَقَالَ لأَحَدهمَا أَلَك مهيمن فَقَالَ مهيمني حِجَارَة اللابة.

وَقَالَ الشَّاعِر:

وَلَا تـدخر قـولا فَأَنْـت الْمُهَـيْمِن ....

وَيُقَال: إِن الْمُهَيْمِن الرَّقِيب الْحَافِظ.

وَيُقَال: بل الْمُهَيْمِن أَصله الْمؤيمن فأبدلت الْهمزَة هَاء، كَمَا قَالُوا هرقت المَاء وأرقته وهنرت الثَّوْب وأنرته، وهرحت الدَّابَّة وأرحتها، وهياك وَإِيَّاك. اهـ

١٣- الجَبَّارُ: أي صاحب الجبروت والعظمة وله غير ذلك من المعاني.

قال الإمام السعدي رحمه الله : **وله ثلاثة معان كلها داخلة باسمه الجبار:**

فهو الذي يجبر الضعيف، وكل قلب منكسر لأجله، فيجبر الكسير ويغني الفقير ويُيّسر على المعسر كل عسير، ويجبر المصاب بتوفيقه للثبات، والصبر، ويعيضه على مصابه أعظم الأجر إذا قام بواجبها، ويجبر جبرًا خاصًا قلوب

الخاضعين لعظمته وجلاله، وقلوب المحبين بما يفيض عليها من أنواع كراماته، وأصناف المعارف والأحوال الإيمانية فقلوب المنكسرين لأجله جبرها دان قريب وإذا دعا الداعي فقال: "اللهم أجبرني، فإنه يريد هذا الجبر الذي حقيقته اصلاح العبد ودفع جميع المكاره عنه".

والمعنى الثاني: أنه القهار لكل شيء، الذي دان له كل شيء، وخضع له كل شيء.

والمعنى الثالث: أنه العلي على كل شيء، فصار الجبار متضمنًا لمعنى الرؤوف القهار العلي، وقد يراد به معنى رابع وهو المتكبر عن كل سوء، ونقص، وعن مماثلة أحد، وعن أن يكون له كفؤ أو ضد أو سمي أو شريك في خصائصه، وحقوقه".

١٤- الـمُتَكَبِّرُ: أي صاحب الكبرياء وفي دعاء النبي ﷺ : «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**»[(١)].

والكبر في حق الله ﷻ كمال وفي حق المخلوق نقص لذلك قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**الْعِزُّ إِزَارِي، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي بِشَيْءٍ مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ**»[(٢)] أخرجه البخاري في "**الأدب المفرد**".

١٥- الخَالِقُ: أي الموجد من العدم.

---

(١) أخرجه الإمام أبي داود في سننه (٨٧٣)، والإمام النسائي في سننه (١٠٤٩)، من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٠٣١)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

(٢)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٢٠).

وأما معنى قول الله ﷻ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤]، أي: المقدرين وخلق غيرهم وتقديره عائد إلى خلق ﷻ وتقديره، ولذلك قيل:

ولأنـــت تفـــري مـــا خلقـــت ... وبعـض القـوم يخلـق ثـم لا يفـري

١٦- **البَارِئُ**: الذاري أي الذي برئ المخلوقات وأوجدها من العدم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦-٧].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "**زاد المعاد**" رحمه الله:

وأقـــر أن الله جـــل جـــلاله ... هـو وحـده البـاري لذي الأكـوان

وقال رحمه الله في "**شفاء العليل**" (ص: ١٣١): وأما البارئ فلا يصح إطلاقه إلا عليه سبحانه فإنه الذي برأ الخليقة وأوجدها بعد عدمها والعبد لا تتعلق قدرته بذلك إذ غاية مقدوره التصرف في بعض صفات ما أوجده الرب تعالى وبراه وتغييرها من حال إلى حال على وجه مخصوص لا تتعداه قدرته. انتهى

١٧- **الـمُصَوِّرُ**: قال الله ﷻ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [التغابن:٣].يصور المخلوقات على ما يريد من الصفات والهيئات.

وقال ابن القيم رحمه الله في "**شفاء العليل**" (ص: ١٣١): وأما الخالق والمصور فإن استعملا مطلقين غير مقيدين لم يطلقا إلا على الرب كقوله الخالق البارئ

المصور وإن استعملا مقيدين أطلقا على العبد كما يقال لمن قدر شيئا في نفيه أنه خلقه قال:

ولأنـــت تفـــري مـــا خلقـــت وبعـض القـوم يخلـق ثـم لا يفـري

أي لك قدرة تمضي وتنفذ بها ما قدرته في نفسك وغيرك يقدر أشياء وهو عاجز عن إنفاذها وإمضائها وبهذا الاعتبار صح إطلاق خالق على العبد في قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤] أي أحسن المصورين والمقدرين والعرب تقول قدرت الأديم وخلقته إذا قسته لتقطع منه مزادة أو قربة ونحوها، قال مجاهد: يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين، وقال الليث: رجل خالق أي صانع وهن الخالقات للنساء، وقال مقاتل: يقول تعالى هو أحسن خلقا من الذين يخلقون التماثيل وغيرها التي لا يتحرك منها شيء. انتهى

٨- **العَزِيْزُ**: ذو العزة له عزة من قهره وعزة من حُكمه وعزة من سُلطانه.

قال ابن القيم رحمه الله في "الكافية الشافية" (ص: ٢٠٥):

وهـو العزيـز فلــن يـرام جنابــه أنى يـــرام جنـــاب ذي الســـلطان

وهـو العزيـز القـاهر الغـلاب لـم يغلبــه شيء هـــــذه صفتـــــان

وهـــو العزيـــز بقـــوة هي وصفـــه فـــالعز حينئـذ ثـــلاث معـــان

قال الزجاج رحمه الله في تفسير "أسماء الله الحسنى" (ص: ٣٣): أصل (ع ز ز) فِي الْكَلَام: الْغَلَبَة والشدة وَيُقَال عزني فلَان على الْأَمر إِذا غلبني عَلَيْهِ.

وَقَالَ الله تَعَالَى ذكره: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس:١٤]، أَرَادَ وَالله أعلم قوينا أمره وشددناه. وَقَالَ تَعَالَى ﴿دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ﴾ [القصص:٢٣] أَرَادَ غلبني.

وَقَالَ جرير:

يعـــز على الطَّرِيـــق بمنكبيـــه ... كَمَـا ابـترك الخليـع على القـداح

وَيُقَال عزه يعزه، وَالله تَعَالَى هُوَ الْغَالِب كل شَيْء، فَهُوَ الْعَزِيز الَّذِي ذل لعزته كل عَزِيز.

١٩- الحَكِيمُ: أي ذو الحكمة والحاكم بين عباده.

قال الإمام السعدي رحمه الله : الحكيم هو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره الذي أحسن كل شيء خلقه، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

فلا يخلق شيئًا عبثا، ولا يشرع شيئًا سدى، الذي له الحكم في الأولى، والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده في شرعه، وفي قدره، وجزائه.

وحكمته نوعان:

أحدهما: الحكمة في خلقه فإنه خلق الخلق بالحق، ومشتملًا على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق.

النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب وأرسل الرسل ليعرفه العباد، ويعبدوه، فأي حكمة أجل من هذا.

قال ابن القيم رحمه الله في "الكافية الشافية" (ص: ٢٠٥):

وهو الحكيم وذاك مـن أوصـــافه ... نوعان أيضا مـا همـا عدمـــان

حكم وإحكام فكـــــل منهـــــما نـوعان أيضـا ثابتـا البرهـــــان
والحكم شـــــرعي وكـــــوني ولا يتلازمان ومـا همـا سيـــــان
بل ذاك يوجـد دون هـــــذا مفـــردا والعكـــس أيضـا ثـم يجتمعــــان
لكـــــن يخلـــو المربـــوب مـــن أو منهما بل لـيس ينتفيـــــان
لكنما الشـــرعي محبـــوب لـــــه أبدا ولن يخلـو مـن الأكـــــوان
هو أمره الديـني الذي جـاءت رسـله بقيامـه في سـائر الأزمـــــان
لكنما الكـوني فهـــــو قضــــاؤه في خلقـه بالعـدل والإحســـان

❁❁❁

الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، البَاطِنُ، العَلِيمُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الأَوَّلُ[٢٠]**، الآخِرُ**[٢١]**، الظَّاهِرُ**[٢٢]**، البَاطِنُ**[٢٣]**، العَلِيمُ**[٢٤].

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

وهذه الأسماء الأربعة المقترنة دلت على الإحاطة الزمانية والمكانية.

٢٠- الأَوَّلُ ٢١- الآخِرُ: دلت على الإحاطة الزمانية.

٢٢- الظَّاهِرُ ٢٣- البَاطِنُ: دلت على الإحاطة المكانية.

وقد فسر النبي ﷺ هذه الأسماء بقوله: «**الأول ليس قَبْلَه شيءٌ، والآخِرُ ليس بَعْدَه شيءٌ، والظَّاهرُ ليس فَوْقَه شيءٌ، والباطِنُ ليس دونَه شيءٌ**»(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كما في "تفسير أسماء الله الحسنى" (ص: ١٦٩)**: ففسر كل اسم بكل معناه، ونفى عنه كل ما يضاده وينافيه فمهما قدر المقدرون وفرض الفارضون من الأوقات السابقة المتسلسلة إلى غير نهاية فالله قبل ذلك، وكل وقت لاحق مهما قدر وفرض الله بعد ذلك.

ولهذا لا يستحق اسم واجب الوجود إلا هو، فمن خصائصه أنه لا يكون إلا موجودًا كاملًا فلا يشاركه في وجوب الوجود أحد فوجوب وجوده بنعوته الكاملة في جميع الأوقات، وهو الذي أوجد الأوقات وجميع الموجودات، وكلها

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧١٣).

مستندة في وجودها وبقائها إلى الله.

فالأول: يدل على أن كل ما سواه حادث كائن بعد أن لم يكن، ويوجب للعبد أن يلحظ فضل ربه في كل نعمة دينية أو دنيوية، إذ السبب والمسبب منه تعالى.

والآخر: يدل على أنه هو الغاية، والصمد الذي تصمد إليه المخلوقات بتأهلها، ورغبتها، ورهبتها، وجميع مطالبها.

والظاهر: يدل على عظمة صفاته، واضمحلال كل شيء عند عظمته من ذوات وصفات وعلى علوه.

والباطن: يدل على اطلاعه على السرائر، والضمائر، والخبايا، والخفايا، ودقائق الأشياء، كما يدل على كمال قربه ودنوه، ولا يتنافى الظاهر، والباطن لأن الله ليس كمثله شيء في كل النعوت فهو العلي في دنوه القريب في علوه.

٢٤- العَلِيمُ: دال على إحاطة الله بكل معلوم أزلًا وأبدًا، علم لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣]، وأدلته كثيرة. ولا يلزم من كونه باطن أن يكون متحدا أو مختلطا فهو باطن وهو في علوه على عرشه بائن من خلقه سبحانه وتعالى، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

ويزعم أهل الباطل أن الله لا يعلم بالأشياء إلا بعد وقوعها ويرد عليه مثل هذه الآية: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩] وكل من ألفاظ العموم.

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام:٥٩]، إلى غير ذلك.

الغفورُ، الودُودُ، المَجيدُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الغَفُورُ[٢٥]، **الوَدُودُ**[٢٦]، **الـمَجِيدُ**[٢٧]،

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ﴾ [البروج:١٥].

٢٥- الغَفُورُ: الذي يغفر الذنب ويستره ويعفو عنه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كما في "تفسير أسماء الله الحسنى" (ص: ٢١٨):**

(العفو الغفور الغفار): الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفًا، وبالغفران، والصفح عن عباده موصوفًا.

كل أحد مضطر إلى عفوه، ومغفرته كما هو مضطر إلى رحمته، وكرمه وقد وعد بالمغفرة، والعفو لمن أتى بأسبابها قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في "الكافية الشافية" (ص: ٢٠٩):**

وهــو الغفــور فلــو أتى بقرابهــا ... مـن غـير شرك بـل مـن العصـيان

لاقـاه بـالغفران مــلء قرابهــا ... سـبحانه هــو واسـع الغفـــران

٢٦- الوَدُودُ: المُحِبُ لأوليائه والمُحَبُ من أوليائه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في "نونيته":**

وهــو الــودود يحـــبهم ويحبــه ... أحبابـــه والفضـــل للمنـــان

٢٧- الـمَجِيدُ: الواسع وفي قراءة ذو العرش المجيدِ بالكسر تكون صفة للعرش الواسع، فما الكرسي فيه إلا كحلقة في فلاة. وأما على قراءة الرفع فالمجيد اسم لله ﷻ. وفي حديث أبي هريرة ﷺ في مسلم: «إذا قال العبد: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة:٤] يقول الله: **«مجدني عبدي»**؛ لأن الميم والجيم والدال تدل على السعة.

قال ابن القيم رحمه الله :

وهو المجيـد صـفاته أوصـاف تعــ ـظيم فشأن الوصـف أعظـم شـان

❁❁❁

ومن أسماء الله الحسنى: الرَّزَّاقُ، القَوِيُّ، المَتِينُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الرَّزَّاقُ[٢٨]، القَوِيُّ[٢٩]، المَتِينُ[٣٠]،

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذريات:٥٨]،

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشورى:١٩].

٢٨- الرَّزَّاقُ: الرزق العطاء فهو الذي يرزق عباده ويعطيهم، والرزاق هو الذي يرزق عباده، يرزق مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم.

والرزق رزقان:

١- رزق حسي: وهو ما يقتناه الناس ويتمولون من الألبسة والمسكن والأطعمة والأشربة، وهذا عام في حق المؤمنين والكفار.

٢- رزق معنوي: وهو الإيمان والإسلام وهذا أعظم أنواع الرزق.

٢٩- القَوِيُّ: أي ذو القوة الذي لا يعجزه شيء.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤]. **وقال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨].

أي صاحب القوة وهذا مما يدل على أن الأسماء متضمنة لصفاتٍ جليلات.

قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ [الصافات:١٨٠].أي صاحب العزة.

ومثله: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الكهف:٥٨]، أي صاحب الرحمة وهذا الوجه مما يرد به على أهل البدع لأن الله قد فسر بعض الأسماء بما تضمنته من الصفات.

٣٠- الـمَتِينُ: قريب من معنى القوي أي ذو المتانة الذي لا يعجزه شيء.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [الشورى:١٩].

أي قوي لا يعجزه شيء وعزيز منيع لا يصل إليه شيء.

الخَيْرُ، الحَافِظُ، الحَفِيظُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الخَيْرُ[٣١]، الحَافِظُ[٣٢]، الحَفِيظُ[٣٣]،

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤]،

و قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود:٥٧].

٣١- الخَيْرُ: هو ذو الخير خير في قوله وخير في فعله وخير في كل ما يصدر عنه.

٣٢- الحَافِظُ: أي الحافظ لعباده المؤمنين يحفظ حركاتهم وسكناتهم ويحفظ أعمالهم ويحفظهم من بين أيديهم ومن خلفهم.

٣٣- الحَفِيظُ: وإن كان المعنى متقارب لكن صيغ المبالغة لها أثر في المعاني كالحافظ على وزن فاعل والحفيظ على وزن فعيل فهو حافظٌ وحفيظٌ حافظٌ لعباده وحفيظٌ لأعمالهم.

قال تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤]. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود:٥٧]، أي لا يعزب عنه شيء، كل شيء محفوظٌ عنده.

وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيل بحفظهم من كل أمر عان

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والحفيظ له معنيان:

أحدهما: أنه قد حفظ على عباده ما عملوه من خير، وشر، وطاعة، ومعصية.

والمعني الثاني: أنه تعالى الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون وحفظه لخلقه نوعان عام وخاص: حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيتها ويحفظ بنيتها، وتمشي إلى هدايته، وإلى مصالحها بإرشاده.

والنوع الثاني: حفظه الخاص لأوليائه سوى ما تقدم، بحفظهم عما يضر إيمانهم أو يزلزل إيقانهم من الشبه، والفتن، والشهوات فيعافيهم منها ويخرجهم منها بسلامة وحفظ وعافية، ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس فينصرهم.

العَالِمُ، الكَبِيرُ، المُتعَالِ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

العَالِمُ[٣٤]، **الكَبِيرُ**[٣٥]، **الـمُتَعَالُ**[٣٦]،

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿ **عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ** ﴾ [الرعد:٩].

٣٤- **العَالِمُ**: بكل شيء الذي لم يسبق علمه جهل ولا يلحقه نسيان.

٣٥- **الكَبِيرُ**: الواسع العظيم الذي ليس كمثله شيء، كبير في ذاته وكبير في صفاته.

٣٦- **الـمُتَعَالُ**: العالي على عباده وعلى عرشه والمتعالي في صفاته فنتثبت لله جميع أنواع العلو: علو الذات، وعلو الصفات، وعلو القهر: ﴿ **عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ** ﴾ [الرعد:٩] وقد تكلم الكلام على صفة العلو، وبالله التوفيق.

المَالِكُ، المَلِيكُ، المُقْتَدِرُ

قال المصنف حَفِظَهُ اللهُ :

المَالِكُ[٣٧]، المَلِيكُ[٣٨]، المُقْتَدِرُ[٣٩]،

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة:٤]،وقَالَ تَعَالَى: ﴿ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴾ [القمر:٥٥].

٣٧- المَالِكُ: قال تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة:٤] وتقرأ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١].

٣٨- المَلِيكُ: قال تعالى: ﴿ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴾ [القمر:٥٥] قَالَ أَصْحَاب الْمعَانِي الْملك النَّافِذ الْأَمر فِي ملكه إِذْ لَيْسَ كل مَالك ينفذ أمره وتصرفه فِيمَا يملكهُ فالملك أَعم من الْمَالِك وَالله تَعَالَى مَالك المالكين كلهم والملاك إِنَّمَا استفادوا التَّصَرُّف فِي أملاكهم من جِهَته تَعَالَى.

٣٩- المُقْتَدِرُ: الذي لا يعجزه شيء، والمقتدر مُبَالغَة فِي الْوَصْف بِالْقُدْرَةِ وَالْأَصْل فِي الْعَرَبيَّة أَن زِيَادَة اللَّفْظ زِيَادَة الْمَعْنى فَلَمَّا قلت اقتدر أَفَادَ زِيَادَة اللَّفْظ زِيَادَة الْمَعْنى، وقد قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٨٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴾ [فاطر:٤٤].

الأَحَدُ، الصَّمَدُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الأَحَدُ[٤٠]، الصَّمَدُ[٤١]،

الدليل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:١-٢]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ عزوجل: ...وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ»، أخرجه البخاري (٤٩٧٤).

٤٠- الأَحَدُ: أي الواحد قال السعد: الواحد الأحد هو الذي توحّد بجميع الكمالات، وتفرّد بكل كمال، ومجد وجلال، وجمال، وحمد، وحكمة، ورحمة، وغيرها من صفات الكمال فليس له فيها مثيل ولا نظير، ولا مناسب بوجه من الوجوه فهو الأحد في حياته، وقيوميته، وعلمه، وقدرته، وعظمته، وجلاله، وجماله، وحمده، وحكمته، ورحمته، وغيرها من صفاته.

٤١- الصَّمَدُ: الذي تصمد اليه الخلائق. **وقيل**: السيد الذي كمل في سؤدده. **وقيل**: هو الذي لم يلد ولم يولد. **وقيل**: الذي لا جوف له وكلها معاني صحيحة.

وهل هو من الأسماء المختصة؟

ذهب شيخ الإسلام إلى أنه ليس من الأسماء المختصة.

أما الأحد: فهو من الأسماء المختصة قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:٢].

قولهُ (وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النبي ﷺ قَالَ: «قال الله ﷻ: ... وَأَنَا الله الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ» (١) أخرجه البخاري).

فالله ﷻ تعرف على عباده بأنه الأحد: أي الواحد.

الصمد: الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها.

قولهُ (لم ألد): لم يكن له والدٌ.

قولهُ (ولم أولد): أي لم يكن له ولدٌ ففيه ردٌ على النصارى وعلى غيرهم.

قال أبو بكر ابن أبي داود:

وليس بمولود وليس بوالد ... وليس له شبه تعالى المسبح

قولهُ (ولم يكن له كفئًا أحد): لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله وذلك لكماله المقدس من كل وجه، وهذا قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

❁❁❁

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٩٧٤).

الواحِدُ، القهّارُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الوَاحِدُ[٤٢]**، القَهَّارُ**[٤٣]،

الدليل: قَالَ تعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:١٦].

٤٢- الوَاحِدُ: ويثبت له صفة الأحدية، فهو الواحد الأحد هو الذي توحّد بجميع الكمالات، وتفرّد بكل كمال، ومجد وجلال، وجمال، وحمد، وحكمة، ورحمة، وغيرها من صفات الكمال فليس له فيها مثيل ولا نظير، ولا مناسب بوجه من الوجوه فهو الأحد في حياته، وقيوميته، وعلمه، وقدرته، وعظمته، وجلاله، وجماله، وحمده، وحكمته، ورحمته، وغيرها من صفاته، موصوف بغاية الكمال، ونهايته من كل صفة من هذه الصفات فيجب على العبيد توحيده، عقدًا، وقولًا، وعملًا، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة".

٤٣- القَهَّارُ: القاهر لغيره سبحانه وتعالى وقد جاء في القرآن اسم الواحد القهار مجتمعان غير مفردين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

وكـــذلك القهـــار مـــن أوصـــافه   فـــالخلق مقهـــورون بالســـلطان
لو لـم يكـن حيـا عزيـزا قـــادرا   مـا كان مـن قهـر ومـن سـلطان

۞۞۞

الوَلِيُّ، الحَمِيدُ

قال المؤلف حفظه الله:

الوَلِيّ[٤٤]، **الحَمِيدُ**[٤٥]،

الدليل: قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى:٢٨].

٤٤- الوَلِيُّ: الذي يتولى عباده ويكرمهم ويدافع عنهم وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**من عادَى لي وليًّا فقد آذنتُه بالحربِ**»(١) أخرجه البخاري.

قال الزجاج رحمه الله **في "تفسير أسماء الله الحسنى" (ص: ٥٥)**: **الْوَلِيّ**: هُوَ فعيل من الْمُوَالَاة وَالْوَلِيّ النَّاصِر.

وَقَالَ الله تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧]. وَهُوَ تَعَالَى وليهم بِأَن يتَوَلَّى نَصرهم وإرشادهم كَمَا يتَوَلَّى ذَلِك من الصَّبِي وليه وَهُوَ يتَوَلَّى يَوْم الْحساب ثوابهم وجزاءهم.

٤٥- الحَمِيدُ: ذو المحامد سبحانه وتعالى له حمدٌ من ذاته وله حمدٌ من صفاته وله حمدٌ في أفعاله فهو محمودٌ سبحانه وتعالى في جميع شأنه على عدله وفضله.

وقال الإمام السعدي رحمه الله: "الحميد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها، وأحسنها، فإن أفعاله تعالى دائرة بين الفضل، والعدل. فالحمد كثرة الصفات والخيرات، فهو الحميد لكثرة صفاته الحميدة.

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

وهو سبحانه حميد من وجهين:

أحدهما: أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده.

الثاني: أنه يحمد على ماله من الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا.

المَوْلَى، النّصِيرُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الـمَوْلَى[٤٦]، النَّصِيرُ[٤٧]،

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨].

٤٦- الـمَوْلَى ٤٧- النَّصِيرُ: الذي يتولى عباده وينصرهم قال تعالى-: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨].

وقد تجعل هذه الأسماء من الأسماء المركبة: (فَنِعْمَ الْمَوْلَى) (وَنِعْمَ النَّصِيرُ).

وقد نقل شيخ الإسلام الإجماع على جواز دعاء الله بالأسماء المركبة.

الرَّقِيبُ، الشَّهِيدُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الرَّقِيبُ[٤٨]، **الشَّهِيدُ**[٤٩]،

الدليل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:١١٧].

٤٨- الرَّقِيْبُ: **قوله: (فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ)**: أي المراقب لهم، العليم بأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم.

قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في "تفسير أسماء الله الحسنى" (ص: ٥١)**: **الرَّقِيب**: هُوَ الْحَافِظ الَّذِي لَا يغيب عَمَّا يحفظه يُقَال رقبت الشَّيْء أرقبه رَقَبَة وَقَالَ الله تَعَالَى ذكره: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

والمراقبة: الاستحياء وَالْحيَاء ضرب من التحفظ أَيْضا وَهُوَ تَعَالَى الْحَافِظ الَّذِي لَا يغيب عَنهُ شَيْء. اهـ

٤٩- الشَّهِيْدُ: المطلع فقوله: ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:١١٧].أي مطلع لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور والشهيد بما عمل العباد يوم القيامة.

قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في "تفسير أسماء الله الحسنى" (ص: ٥٣)**: **الشَّهِيد**: الْحَاضِر يُقَال شهِدت الشَّيْء وَشهِدت بِهِ وأصل قَوْلهم شهِدت بِهِ من الشَّهَادَة الَّتِي هِيَ الْحُضُور. **وَالْيَوْم الْمَشْهُود**: يَوْم الْقِيَامَة لِأَنَّهُ مَعْلُوم كَونه لَا محَالة فَكَانَ معنى الشَّهِيد: الْعَالم.

السَّمِيعُ، البَصِيرُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

السَّمِيعُ[٥٠]،البَصِيرُ[٥١]،

الدليل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر:٢٠].

٥٠- السَّمِيعُ: الذي يسمع، بسمعٍ يليق بجلاله، فلا يعزب عنه شيء من المسموعات.

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكثيرًا ما يقرن الله بين (السميع البصير) مثل قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:١٣٤]، فكل من السمع، والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات.

فكل ما في العالم العلوي، والسفلي من الأصوات يسمعها سرها وعلنها وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلف عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها، والبعيد، والسر، والعلانية عنده سواء ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد:١٠]، ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١].

قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «**تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشتكي إلى رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وأنا في جانب الحجرة وإنه ليخفي عليَّ بعض كلامها فأنزل الله** ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:١] الآية»[١].

---

(١)أخرجه الإمام النسائي في سننه (٣٤٦٠)، والإمام ابن ماجه في سننه (١٨٨)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح السنن.

٥١- البَصِيرُ: الذي يبصر بعينين ويرى بهما على ما يليق بجلاله.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : البصير الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسماوات، حتى أخفى ما يكون فيها فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة، والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار، وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها، وصغرها، ودقتها، ويرى نياط عروق النملة، والنحلة، والبعوضة، وأصغر من ذلك، فسبحان من تحدث العقول في عظمته، وسعة متعلقات صفاته، وكمال عظمته، ولطفه، وخبره بالغيب، والشهادة والحاضر، والغائب، ويرى خيانات الأعين، وتقلبات الأجفان، وحركات الجنان.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ ﴾ ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[الشعراء:٢١٨-٢١٩]..

﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر:١٩].

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المجادلة:٦]، أي مطلع، ومحيط علمه، وبصره، وسمعه بجميع الكائنات. اهـ

❁❁❁

الحقّ، المُبِينُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الحَقُّ[٥٢]، الـمُبِينُ[٥٣]،

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور:٢٥].

٥٢- الحَقُّ: الحق هو الواضح الثابت، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الحق: في ذاته، وصفاته، فهو واجب الوجود كامل الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به.

فهو الذي لم يزل، ولا يزال بالجلال، والجمال، والكمال، موصوفًا.

ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفًا. فقوله حق، وفعله حق، ولقاؤه حق، ورسوله حق، وكتبه حق، ودينه هو الحق، وعبادته وحده لا شريك له هي الحق، وكل شيء إليه فهو حق: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج:٦٢].

عَنْ طَاوُسٍ، سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «**اللهمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللهمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا**

قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ - أَوْ: لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ - » قَالَ سُفْيَانُ: وَزَادَ عَبْدُ الكَرِيمِ أَبُو أُمَيَّةَ: «**وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**»(١) متفق عليه.

٥٣- الـمُبِينُ: البين الذي دلت الدلائل على وجوده وعلى اتصافه بكل كمال قال تعالى: ﴿ **وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ** ﴾ [النور:٢٥].

وكون الله حق يعلمه كل عاقل وإنما منعهم الكبر والشبه التي تتوارد عليهم.

قال تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ** ﴾ [الحج:٦٢].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١٢٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٦٩).

اللَّطِيفُ، الخَبِيرُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

اللَّطِيفُ[٥٤]، **الخَبِيرُ**[٥٥]،

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

٥٤- اللَّطِيفُ: العليم ببواطن الأمور وظواهرها وبصغائر الأمور وكبارها.

وقيل: اللطيف هو الذي يلطف بعباده وكلا المعنيين ثابت لله عَزَّ وَجَلَّ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ص: ٢٠٧)**:

وهو اللطيف بعبده ولعبده ... واللطف في أوصافه نوعان
إدرك أسرار الأمور بخبرة ... واللطف عند مواقع الإحسان
فيريك عزته ويبدي لطفه ... والعبد في الغفلات عن ذا الشان

٥٥- الخَبِيرُ: إذا قرن بالعلم فالمراد بالخبير المطلع على البواطن وبالعليم المطلع على الظواهر. وإذا أفرد فالمراد بالخبير العليم بكل شيء ظاهرها وباطنها. قال تعالى: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ**﴾ [الملك:١٤] وهذا على التهديد والوعد والوعيد وعدٌ للمؤمنين من أنه علم بأفعالهم، ويجازيهم عليه، وفيه وعيد على المجرمين من أنه لا تخفى عليه خافية.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كما في "تفسير أسماء الله الحسنى" (ص: ١٩٤)**:

الخبير العليم: هو الذي أحاط علمه بالظواهر، والبواطن، والإسرار، والإعلان، والواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.اهـ

القَرِيْبُ، المُجِيبُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

القَرِيبُ[٥٦]، المُجِيبُ[٥٧]،

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

٥٦- القَرِيبُ: وهو في علوه كما قال النبي ﷺ: «**إنكم تدعون سميعا قريبا**»(١) متفق عليه عن أبي موسى رضي الله عنه.

"تفسير أسماء الله الحسنى" للسعدي (ص: ٢٢٢):

هو القريب من كل أحد، وقربه نوعان:

قرب عام: من كل أحد بعلمه، وخبرته، ومراقبته، ومشاهدته، واحاطته وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.

وقرب خاص: من عابديه، وسائليه، ومجيبيه، وهو قرب يقتضي المحبة، والنصرة، والتأييد في الحركات، والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول، والإثابة، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩﴾ [العلق:١٩].

وفي قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١]، وفي قوله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

وهذا النوع قرب يقتضي الطافه تعالى، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم ولهذا يقرن باسمه (القريب) اسمه (المجيب) وهذا القرب قربه لا تدرك له

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٢٠٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٠٤).

حقيقة، وإنما تعلم آثاره من لطف بعبده، وعنايته به وتوفيقه، وتسديده، ومن آثاره الإجابة للداعين والإثابة للعابدين.اهـ

وهو في علوه على عرشه ولا يلزم من إثبات القرب أن يكون متحدا أو مختلطا بمخلوقاته تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرا.

٥٧- **المُجِيبُ**: الذي يجيب الدعاء قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦].

قولهُ(الدليل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١])، تقدم بيانه.

قال ابن القيم رحمه الله **في "الكافية الشافية"** (ص: ٢٠٨):

وهو القريب وقربه المختص بالـ   اعي وعابـــده على الإيمـــــــان
وهو المجيب يقول من يدعو أجبـ   ـه أنا المجيب لكل من ناداني
وهو المجيب لدعوة المضطر إذ   يـــدعوه في سر وفي إعـــــلان

❁❁❁

الكَرِيْمُ، الأَكرَمُ

قال المؤلف حفظه الله:

الكَرِيْمُ[٥٨]، **الأَكْرَمُ**[٥٩].

الدليل: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار:٦]، وقال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق:٣].

٥٨- الكَرِيْمُ: من حيث اتصافه بصفات الجمال والكمال والعظمة والكريم من حيث العطاء، فهو معنى عظيم كريم في علوه كريم في جماله، كريم في فعاله، كريم في عفوه، كريم في انتقامه، إلى غير ذلك من معاني الكرم.

والكريم: كثير الخير يعم به الشاكر، والكافر، إلا أن شكر نعمه داع للمزيد منها، وكفرها داع لزوالها. أفاده السعدي.

وقال ابن القيم رحمه الله **في "التبيان في أقسام القرآن" (ص: ٢٢٥)**: هو البهي الكثير الخير العظيم النفع وهو من كل شيء أحسنه وأفضله والله سبحانه وصف نفسه بالكرم ووصف به كلامه ووصف به عرشه ووصف به ما كثر خيره وحسن منظره من النبات وغيره. اهـ

وقوله (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ): هذا على التهديد.

قال ابن كثير رحمه الله **(٨/ ٣٣٩)**: هَذَا تَهْدِيدٌ لَا كَمَا يَتَوَهَّمُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَنَّهُ إِرْشَادٌ إِلَى الْجَوَابِ حَيْثُ قَالَ الْكَرِيمِ حَتَّى يَقُولَ قَائِلُهُمْ غَرَّهُ كَرَمُهُ، بَلِ الْمَعْنَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: مَا غَرَّكَ يَا ابْنَ آدَمَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ، أَيِ الْعَظِيمِ حَتَّى أَقْدَمْتَ عَلَى

مَعْصِيَتِهِ وَقَابَلْتَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ. كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**يَقُولُ الله تعالى يوم القيامة يا ابن آدم ما غرك بي؟ يا ابْنَ آدَمَ مَاذَا أَجَبْتَ الْمُرْسَلِينَ؟**»[١]. اهـ

٥٩- الأَكْرَمُ: من قوله: ﴿ **ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ** ﴾ [العلق:٣]: مبالغة في الكرم، وقال الكلبي: هو الحليم عن جهل العباد، لا يعجل عليهم العقوبة.

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٨٤٣).

العَلِيُّ، العظِيمُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

العَليّ[٦٠]، **العَظِيمُ**[٦١]،

الدليل: قَالَ تعَالَى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥].

٦٠- **العَلِيُّ**: أي على عرشه، والعلي في صفاته، والعلي في ذاته، والعلي في قهره وقد تقدم الكلام على صفة العلو.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهـــو العـــلي فـــكل أنـــواع العلـــ ـــلو له فثابتـــة بـــلا نكـــران

٦١- **العَظِيمُ**: أيضا ذو العظمة، والعظيم هو الذي يتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال.

وفي الحديث: «**سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ**»[١]، أخرجه أحمد عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وعظمته في أفعاله وفي سعته وفي كِبرهِ وكِبَره إلى غير ذلك.

وفي تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال (ص: ٢١٧):

واعلم أن معاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان:

أحدهما: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٨٧٣)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (١٠٣١)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

وأوسعه، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء، والعظمة، ومن عظمته أن السماوات والأرض في كف الرحمن أصغر من الخردلة كما قال ذلك ابن عباس وغيره وقال تعالى ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر:٤١]، وقال تعالى وهو العلي العظيم: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّۚ﴾ [الشورى:٥] الآية.

وفي الصحيح عنه: أنه ﷺ قال: «**إن الله يقول الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما عذبته**»(١).

فلله تعالى الكبرياء والعظمة، والوصفان اللذان لا يقدر قدرهما ولا يبلغ كنههما.

النوع الثاني: من معاني عظمته تعالى أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظم كما يعظم الله فيستحق جل جلاله من عباده أن يعظموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذل له. انتهى

قال ابن القيم رحمه الله:

وهو العظيم بكل معنى يوجب التـ ـــعظيم لا يحصيه من إنسان

❁❁❁

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٢٠).

الحَسِيبُ، الوَكِيلُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الحَسِيبُ[٦٢]**، الوَكِيلُ**[٦٣]،

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، و**قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء:٦].

٦٢- الحَسِيبُ: الذي يحفظ عباده ويعلم أفعالهم وما هم إليه.

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء:٦].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : **الحسيب**: هو العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر بحسب حكمته وعلمه بدقيق اعمالهم وجليلها.

والحسيب: بمعنى الرقيب المحاسب لعباده المتولي جزاءهم بالعدل، وبالفضل، وبمعنى الكافي عبده همومه، وغمومه.

وأخص من ذلك أنه الحسيب للمتوكلين، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، أي كافيه أمور دينه ودنياه.

والحسيب أيضًا: هو الذي يحفظ أعمال عباده من خير، وشر، ويحاسبهم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

٦٣- الوَكِيلُ: الحافظ لهم: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته والذي تولى أولياءه فيسرهم لليسرى وجنبهم العسرى وكفاهم الأمور.

فمن أتخذه وكيلًا كفاه. ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧]، أفاده السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

۞۞۞

الشّكُورُ، الحَلِيمُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الشَّكُورُ[٦٤]، **الحَلِيمُ**[٦٥]،

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ**﴾ [التغابن:١٧].

٦٤- الشَّكُورُ: والشاكر هو الذي يجازي على القليل بالكثير، ويغفر ويستر، قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ [فاطر:٣٤].

فالله وَجَلَّ يقول: ﴿**مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ [الأنعام:١٦٠].

وفي الحديث القدسي: «**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ**»[١] أخرجه مسلم. وقال تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ**﴾ [التغابن:١٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(٨/ ١٤١)**: ﴿**وَٱللَّهُ شَكُورٌ**﴾ [التغابن:١٧] أَيْ: يَجْزِي عَلَى الْقَلِيلِ بِالْكَثِيرِ. ﴿**حَلِيمٌ**﴾ [التغابن:١٧] أي: يعفو ويصفح وَيَغْفِرُ وَيَسْتُرُ، وَيَتَجَاوَزُ عَنِ الذُّنُوبِ وَالزَّلَّاتِ وَالْخَطَايَا وَالسَّيِّئَاتِ. اهـ

ومن أسمائه تعالى الشاكر الشكور: وهو الذي يشكر القليل من العمل الخالص النقي النافع، ويعفو عن الكثير من الزلل ولا يضيع أجر من أحسن عملا بل يضاعفه أضعافًا مضاعفة بغير عدٍ ولا حساب، ومن شكره أنه يجزي بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وقد يجزئ الله

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٨٧)، من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

العبد على العمل بأنواع من الثواب العاجل قبل الآجل، وليس عليه حق واجب بمقتضى أعمال العباد وإنما هو الذي أوجب الحق على نفسه كرمًا منه وجودًا، والله لا يضيع أجر العاملين به إذا أحسنوا في أعمالهم واخلصوها لله تعالى. **أفاده السعدي** رحمه الله .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله (ص: ٢٠٨):

وهو الشكور فلن يضيع سعيهم ... لكن يضاعفه بلا حسبان
ما للعباد عليه حق واجب ... هو أوجب الأجر العظيم الشأن
كلا ولا عمل لديه ضائع ... إن كان بالإخلاص والإحسان
إن عذبوا فبعدله أو نعموا ... فبفضله والحمد للمنان

٦٥- الحَلِيمُ:

قوله: (والله غفور حليم): أي غفور لعباده حليم عليهم.

قال السعدي رحمه الله : **الحليم**: الذي له الحلم الكامل، والذي وسع حلمه أهل الكفر، والفسوق، والعصيان، ومنع عقوبته أن تحل بأهل الظلم عاجلًا، فهو يمهلهم ليتوبوا، ولا يهملهم إذا أصروا، واستمروا في طغيانهم، ولم ينيبوا.

والحليم: الذي يدر على خلقه النعم الظاهرة، والباطنة مع معاصيهم، وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي ينيبوا.

قال ابن القيم رحمه الله :

وهو الحليم فلا يعاجل عبده ... بعقوبة ليتوب من عصيان

البَرُّ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

البَرّ[٦٦]،

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور:٢٨].

٦٦- البَرُّ: بفتح الباء وتشديد الراء، ذكر مرة واحدة في القرآن في قوله: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور:٢٨].

قال ابن عباس: هو اللطيف الصادق فيما وعد، وقال الضحاك: والبرَّ هو اللطيف بعباده، المتولي لهم، الموصل إليهم جميع أنواع البر ووصفه البر وآثار هذا الوصف جميع النعم الظاهرة، والباطنة، فلا يستغني مخلوق عن إحسانه وبره طرفة عين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

والبر في أوصافه سبحانه ... هو كثرة الخيرات والإحسان
صدرت عن البر الذي هو وصفه ... فالبر حينئذ له نوعان
وصف وفعل فهو بر محسن ... مولى الجميل ودائم الإحسان

❁❁❁

الشَّاكِرُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الشَّاكِرُ[٦٧]،

الدليل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٧].

٦٧- الشَّاكِرُ: بمعنى الشكور وقد تقدم الكلام عليه في الشكور.

الوهاب

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الوَهَّابُ[٦٨]،

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾ [ص:٩].

٦٨- الوَهَّابُ: الذي يعطي لعباده، ما شاء من الأرزاق والذرية والعلم.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ [القصص:٩].

﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[الشورى:٤٩-٥٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في "النونية"**:

وكذلك الوهاب من أسمائه ... فانظر مواهبه مدى الأزمان

أهل السموات العلى والأرض ... تلك المواهب ليس ينفكان

❁❁❁

القَاهِرُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

القَاهِرُ[٦٩]،

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨].

٦٩- القَاهِرُ: القوي المتسلط عليهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهـو العزيـز القـاهر الغـلاب لـم يغلبـــــه شيء هـــذه صـــفتان

۞۞۞

الغفار

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الغَفَّارُ[٧٠]،

الدليل: قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [ص:٦٦].

٧٠- **الغَفَّارُ**: صيغة مبالغة من المغفرة، يغفر ذنوبهم ويستر عيوبهم.

قال تعالى: ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [القصص:٦٦] مع عزته يغفر للمؤمنين.

قال ابن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : **الغفار**: الذي لم يزل يغفر الذنوب، ويتوب عل كل من يتوب.

التَّوَّابُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

التَّوَّابُ[٧١]،

الدليل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧].

٧١- **التَّوَّابُ**: الذي يقبل التوبة من عباده.

قال تعالى: ﴿**فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ**﴾ [البقرة:٣٧] يتوب على عباده أي يوفقهم للتوبة ثم يتقبل منهم.

وكان **النبي** ﷺ ربما قال في المجلس الواحد: «**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم**»[١] أخرجه أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنه.

قال السعدي رحمه الله: **التواب**: الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين فكل من تاب إلى الله توبة نصوحا تاب الله عليه.

وتوبته على عبده نوعان:

أحدهما: أنه يوقع في قلب عبده التوبة إليه، والإنابة إليه، فيقوم بالتوبة وشروطها من الإقلاع عن المعاصي، والندم على فعلها، والعزم على أن لا يعود إليها، واستبدالها بعمل صالح.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤)، والنسائي (٣٨١٤)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٧٤٢)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

والثاني: توبته على عبده بقبولها وإجابتها، ومحو الذنوب بها فإن التوبة النصوح تجب ما قبلها".

قال ابن القيم رحمه الله :

وكــذلك التــواب مــن أوصــافه	والتــــواب في أوصــــافه نــــوعان
إذن بتوبــة عبــده وقبولهـــــا	بعــد المتــاب بمنــة المنـــــان

۞۞۞

الفَتَّاحُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الفَتَّاحُ[٧٢]،

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ:٢٦].

٧٢- الفَتَّاحُ: الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ:٢٦] وأيضا يفتح على عباده بالخير.

قال في النونية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكذلك الفتاح من أسمائه ... والفتح في أوصافه أمران

فتح بحكم وهو شرع إلهنا ... والفتح بالأقدار فتح ثان

الرءوف

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الرَّءوفُ[٧٣]،

الدليل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور:٢٠].

٧٣- **الرَّءُوفُ**: من الرأفة والرحمة.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور:٢٠].

يرأف بعباده فييسر لهم سبل الهداية ويجنبهم طرق الغواية.

قال ابن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : **الرؤوف أي**: شديد الرأفة بعباده فمن رأفته ورحمته بهم أن يتم عليهم نعمته التي ابتدأهم بها.

❁❁❁

النُّورُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

النّورُ[٧٤]،

الدليل: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور:٣٥].

٧٤- النُّورُ: من أسماء الله الحسنى، وقد ذهب بعض العلماء إلى عدم إثبات هذا الاسم إلا أن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ دافع عنه واثبته كما في "**مختصر الصواعق المرسلة**".

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ومن أسمائه الحسنى النور؛ فالنور**: وصفه العظيم، وأسماؤه حسنى، وصفاته أكمل الصفات له تعالى رحمة، وحمد، وحكمة، وهو نور السماوات والأرض الذي نور قلوب العارفين بمعرفته، والإيمان به ونور أفئدتهم بهدايته، وهو الذي أنار السماوات والأرض بالأنوار التي وضعها.

وحجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

وبنوره استنارت جنات النعيم. والنور الذي هو وصفه من جملة نعوته العظيمة.اهـ

المُقِيتُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الـمُقِيتُ[٧٥]،

الدليل: قَالَ تعَالَى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء:٨٥].

٧٥- المقيت: أي الحفيظ والمطلع إلى غير ذلك من المعاني، قَالَ أهل اللُّغَة إِن المقيت المقتدر على الشَّيْء وَقَالَ الله عز ذكره **﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾** [النساء:٨٥]. يُرِيد وَالله أعلم مقتدرا.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : **المقيت**: الذي أوصل إلى كل موجود مابه يقتات وأوصل إليها أرزاقها وصرفها كيف يشاء بحكمه وحمده.اهـ

الوَاسِعُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الوَاسِعُ[٧٦]،

الدليل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٧].

٧٦- الوَاسِعُ: واسعٌ في أسمائه وواسعٌ في صفاته وواسعٌ في ذاته، وواسع في عطائه، وإنما استوى على العرش لحكمة أرادها وإلا فإن الله أعظم وأعظم وأعظم.

فمن زعم أن العرش يظله ويقله فقد كفر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مـن ذاك يسـألني فيعطـى سـؤله ... مـن ذا يتـوب إلي مـن عصـيان
مـن ذاك يسـألني فـأغفر ذنبـه ... فأنـا الـودود الواسـع الغفـران

الوارِث

قال المصنف حفظه الله :

الوَارِثُ[٧٧]،

الدليل: قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [الحجر:٢٣].

٧٧- الوَارِثُ: هذا من الأسماء المختلف فيها.

ومعناه الذي يرث عباده يقبضهم فلا يبقى إلا هو سبحانه وتعالى.

قال السعدي رحمه الله : كل بَاقٍ بعد ذَاهِب فَهُوَ وراث أَو لم يكن على هَذَا يدل وضع الْكَلِمَة وَفِي الحَدِيث أَن رَسُول الله ﷺ كَانَ يَقُول فِي دُعَائِهِ: «**متعنَا بأسماعنا وأبصارنا واجعله الْوَارِث منا**»(١).

❁❁❁

(١)أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٥٠٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنه وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترمذي.

الأَعْلَى

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الأَعْلَى[٧٨]،

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١].

٧٨- **الأَعْلَى**: على جميع خلقه ذاتًا وصفاتً وأفعالًا، وقد تقدم الكلام على صفة العلو.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وذلك دال على أن جميع معاني العلو ثابتة لله من كل وجه، فله علو الذات، وهو أنه مستو على عرشه، فوق جميع خلقه، مباين لهم، وهو مع هذا مطلع على أحوالهم، مشاهد لهم، مدبر لأمورهم الظاهرة والباطنة متكلم بأحكامه القدرية، وتدبيراته الكونية، وبأحكامه الشرعية.

وأما علو القدر فهو علو صفاته، وعظمتها فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠].

وبذلك يعلم أنه ليس كمثله شيء في كل نعوته وله علو القهر فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلّهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكن فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأه الله لم يقدروا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعوه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه. فهو الذي على العرش استوى وعلى الملك احتوى.

المُحيطُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الـمُحِيْطُ[٧٩]،

الدليل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت:٥٤].

٧٩- الـمُحِيْطُ: أي المحيط بعباده علمًا وقهرًا وقدرةً وذاتًا، وهو على عرشه استوى، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت:٥٤].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "النونية":

وهو العليم أحاط علما بالذي ... في الكون من سر ومن إعلان

وبكل شيء علمه سبحانه ... فهو المحيط وليس ذا نسيان

العلام

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

العَلَّامُ[٨٠]،

الدليل: قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [التوبة:٧٨].

٨٠- **العَلَّامُ**: صفة مبالغة من العلم علام الغيوب وغيرها، الذي يعلم السر وأخفى ولا يخفى عليه شيء.

المُسْتَعَانُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الـمُسْتَعَانُ[٨١]،

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١١٢].

٨١- الـمُسْتَعَانُ: أي الذي يُستعان ويُعين.

قال تعالى: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١١٢].

وكان من دعاء النبي ﷺ كثيرا: «**رَبِّ أَعِنِّي وَلا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلا تَنْصُرْ عَلَيَّ**»(١) أخرجه أحمد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(١)أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٥١٠)، والإمام الترمذي في سننه (٣٥٥١)، والإمام ابن ماجه في سننه (٣٨٣٠)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (٦٠٦).

الهادي

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الهَادِي[٨٢]،

الدليل: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج:٥٤].

٨٢- الهَادِي: أي الذي يهدي ويوفق ويدل ويرشد. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج:٥٤].

وقد أثبت هذا الاسم أيضا الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "**الجامع الصحيح**".

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هُوَ الَّذِي هدى خلقه إِلَى مَعْرِفَته وربوبيته وَهُوَ الَّذِي هدى عباده إِلَى صراطه الْمُسْتَقيم كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿**يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [البقرة:١٤٢].اهـ

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقـــد أتى في رقيـــة المرضـــــى عن الهادي المبين أتم مـا تبيـان

النَّاصِرُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

النَّاصِرُ[٨٣]،

الدليل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران:١٥٠].

٨٣- **النَّاصِرُ**: الذي ينصر عباده قال الله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران:١٥٠]»، وكان الشيخ مقبل لا يثبت هذا الاسم.

الخَلاقُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الخَلَّاقُ[٨٤]،

الدليل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الحجر:٨٦].

٨٤- **الخَلَّاقُ**: صيغة مبالغة من الخلق، فهو الخالق الذي يكثر الخلق فسمي بالخلاق.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أتــرى أبــا جهــل وشيعتــــه رأوا ... مــن خــالق ثــان لذي الأكــوان

أم كلهــم جمعــا أقــروا أنـــــه ... هــو وحــده الخــلاق للإنســان

وقال أيضًا:

هم شبهوا المخلوق بـالخلاق عكـ ... ـــس مشبــــه الخــلاق بالإنسـان

العفو

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

العَفُوُّ[٨٥]،

الدليل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩].

٨٥- **العَفُوُّ**: الذي يعفو عن عباده ويتجاوز ويصفح عنهم.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: وعفوه يقتضي مغفرة ما صدر منهم من الذنوب خصوصًا إذا أتوا بأسباب المغفرة من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة، وحلمه وسع السماوات، والأرض، فلولا عفوه ما ترك على ظهرها من دابة، وهو تعالى عفو يحب العفو عن عباده، ويحب منهم أن يسعوا بالأسباب التي ينالون بها عفوه من السعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه.

ومن كمال عفوه أن المسرفين على أنفسهم إذا تابوا إليه غفر لهم كل جرم صغير، وكبير، وأنه جعل الإسلام يجب ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها".

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ : يُقَال عَفَوْت عَن الشَّيْء أعفو عَنهُ إِذا تركته وَعَفا عَن ذَنبه إِذا ترك الْعقُوبَة عَلَيْهِ وَالله تَعَالَى عَفْو عَن الذُّنُوب وتارك الْعقُوبَة عَلَيْهَا.اهـ

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وهــو العفــو فعفــوه وسـع الـورى ... لــــولاه غار الأرض بالســـــكان

الحَاكِمُ

قال المؤلف حفظه الله:

الحَاكِمُ[٨٦]،

الدليل: قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [يونس:١٠٩].

٨٦- **الحَاكِمُ**: أي الذي يحكم بين عباده في الدنيا بتيسير طرق التحاكم لهم وبالانتقام من المجرمين.

وفي الآخرة يقضي بينهم سبحانه بالحق: ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧].

قال الإمام السعدي رحمه الله: سمي الْحَاكِمِ حَاكما لِأَنَّهُ يمْنَع الْخَصْمَيْنِ من التظالم.اهـ

قال ابن القيم رحمه الله:

وقد حكاه الحاكم العدل الرضى في كتبه عنه بلا نكران

الغني

قال المؤلف حفظه الله:

الغَنِيّ [٨٧]،

الدليل: قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الأنعام:١٣٣].

٨٧- **الغَنِيُّ**: أي ذو الغنى الذاتي سواءً عُبد أو كُفر، أُطيع أم عُصي.

قال الله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الأنعام:١٣٣].

أي صاحب الغنى المطلق: «**ألم ترى كم أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه وعرشه على الماء**»(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

و عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنِ النبي ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي**

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٤١٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٩٩٣).

صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»[١] أخرجه مسلم.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ : وَهُوَ الْغَنِيّ والمستغني عَن الْخلق بقدرته وَعز سُلْطَانه والخلق فُقَرَاء إِلَى تطوله وإحسانه كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ**﴾ [محمد:٣٨].اهـ

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ :

وهـــو الغـــني بذاتـــه فغنـــاه ذا … تي له كالجـــــود والإحســـــان

❁❁❁

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧٧).

الكفيل

قال المؤلف حفظه الله:

الكَفِيلُ[٨٨]،

الدليل: قال تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل:٩١]. وعلّق الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الحوالات، بعد حديث رقم (٢٢٩١) ووصله أحمد (٣٤٨/٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا من بَنِي إِسْرَائيلَ: «...قَالَ كَفَى بِاللهِ كَفِيلًا»، وهو حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٨٨- **الكَفِيلُ**: الضامن.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل:٩١].أي: ضامنًا عليكم. وعلق الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الحوالات، بعد حديث رقم (٢٢٩١) ووصله أحمد (٢/ ٣٤٨).

قوله (أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: قَالَ كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلا): الرجل الذي استلف ألف دينار كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **«أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى البَحْرِ، فَقَالَ: اللهمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا**

أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلاَ، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي البَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا» [(١)]أخرجه البخاري.

الله كفيلًا: ضامنًا ،فإذا أراد الإنسان أن يخفر ذمة الله، أهلكه الله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ :

وهو الكفيل بكل ما يدعونه   لا يعتري جدواه من نقصان

❁❁❁

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٢٩١).

الحَيِيُّ، السِتْيرُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الحَيِيّ[٨٩] ، السَّتِّيْرُ[٩٠]،

الدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ﴾ [الأحزاب:٥٣]، وعَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيّ، ستِّيرٌ»، أخرجه أبوداود (٤٠١٢) وأحمد (٢٢٤/٤) والنسائي (٤٠٦)، وهو حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٨٩- **الحَيِيُّ**: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ﴾ [البقرة:٢٦]. فهو حييٌ كريم ولذلك أمر بالطاعات وحذر من المعاصي والذنوب والسيئات ولذلك يحبُ الطاعات ويكره الكفر والفسوق والعصيان.

فالحيي في المخلوق هو الذي ميله إلى الطاعة محبةً وفعلا والله عَزَّ وَجَلَّ حييٌ يأمر بالطاعة وينهى عن المعصية.

وحييٌ يستحي من عبده أن يدعوه ولا يكرمه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحيي الستير: يحب أهل الحياء، والستر، ومن ستر مسلما ستر الله عليه في الدنيا، والآخرة، ولهذا يكره من عبده إذا فعل معصية أن يذيعها، بل يتوب إليه فيما بينه وبينه ولا يظهرها للناس، وإن من أمقت الناس إليه من بات عاصيًا، والله يستره فيصبح يكشف ستر الله عليه.اهـ

٩٠- **السِّتِّيْرُ**: بفتح السين، الذي يستر على عبده قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ﴾ [الأحزاب:٥٣].

وَعَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ ﵁ قَالَ: قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللهَ ﷻ حَيِيٌّ سِتِّير»،

أخرجه أبو داود (٤٠١٢) وأحمد (٤/ ٢٢٤) والنسائي (٤٠٦)، وهو حديثٌ صحيحٌ.

والعامة يقولون ستار ولا يصح.

قال ابن القيم ﵀ :

وهو الحيي فليس يفضح عبده   عند التجاهر منه بالعصيان

لكنه يلقي عليه ستره   فهو السَتِير وصاحب الغفران

❁❁❁

المُسَعِرُ، القَابِضُ، البَاسِطُ، الرازِقُ

قال المؤلف حفظه الله:

الـمُسَعِّرُ[٩١]، القَابِضُ[٩٢]، البَاسِطُ[٩٣]، الرّازِقُ[٩٤]،

الدليل: عَنْ أَنَس بْنِ مَالك قَالَ: قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ الله غَلَا السِّعْرُ، فَسَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الرَّازِقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَة فِي دَم وَلَا مَال»، حَديث صَحيحٌ، أَخْرَجَه أبودَاود (٣٤٥٠)، وغيرُهُ.

٩١- **الـمُسَعِّرُ**: هو الذي يسعر بين العباد كيف شاء.

قال ابن العثيمين رحمه الله: يعني: أن الله هو الذي يُغَلِّي الأشياء ويرخِّصها، فليس من الأسماء، هذا الذي يظهر لي، والله أعلم. اهـ

٩٢- **القَابِضُ**: يقبض عمن شاء ويعطي من شاء.

٩٣- **البَاسِطُ**: يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط لعباده الأرزاق، وفي الحديث: «**اللهمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**»(١) متفق عليه.

ويبسط يده بالرزق والعطاء.

٩٤- **الرَّازِقُ**: أي المعطي لأن الرزق هو العطاء.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٤٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٩٣)، من حديث المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه.

قال ابن القيم رحمه الله في "نونيته":

وكذلـــك الـرزاق مـن أسمائـــه ... والـــرزق مـــن أفعـــاله نوعـــان
رزق على يــد عبـــــده ورسولـــه ... نوعـــان أيضـــا ذان معروفـــان
رزق القلـوب العلـم والإيمـــان ... والـــرزق المعـد لهـذه الأبـــدان
هذا هو الـرزق الحــــلال وربنـــا ... رزاقــــه والفضــل للمنـــــان
والثـان سـوق القـوت للأعضـاء في ... تلــك المجــاري ســوقه بـــوزان
هــذا يكــون مـن الحـلال كمـا ... مــن الحــرام كلاهمــا رزقـــان
والله رازقه بهــــذا الاعتبــــار ... ولــيس بــالإطلاق دون بيـــان

قوله: (وَإِنِّى لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِى بِمَظْلَمَةٍ فِى دَمٍ وَلاَ مَالٍ): فيه بعد النبي ﷺ عن الظلم، والحديث صحيح وهو في الصحيح المسند أخرجه أبو داود.

قال ابن القيم رحمه الله:

ونظير هذا القابض المقـرون بـا ... سم الباسـط اللفظـان مقترنـان

❁❁❁

المُقَدِّمُ، المُؤَخِّرُ، القَدِيرُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الـمُقَدِّمُ[٩٥]، الـمُؤَخِّرُ[٩٦]، القَدِيرُ[٩٧]،

الدليل: عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «...أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، أخرجه البُخَارِيّ (٦٣٩٨)، و مُسْلِمٌ (٢٧١٩).

٩٥- الـمُقَدِّمُ: أي من شاء إلى كل خير وصلاح.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْمُقدم: هُوَ الَّذِي يقدم مَا يجب تَقْدِيمه من شَيْء حكما وفعلا على مَا أحب وَكَيف أحب وَمَا قدمه فَهُوَ مقدم وَمَا أَخّرهُ فَهُوَ مُؤخر تَعَالَى الله علوا كَبِيرا.اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

وهو المقـــدم في محبتنـــا على الـ ... أهلـــين والأزواج والولــــــدان
وعلى العباد جميعهـم حـتى على النـ ... ـفس الـتي قـد ضـمها الجنبـان

٩٦- الـمُؤَخِّرُ: يؤخر من شاء وهو القدير الذي لا يعجز شيء. عَنْ أَبِي مُوسَى،عَنْ النبي ﷺ قَالَ: «...**أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»(١) أخرجه البخاري ومسلم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **الْمُؤخر**: وَهُوَ الَّذِي يُؤَخر مَا يجب تَأْخِيره وَالْحكمَة وَالصَّلَاح فِيمَا يَفْعَله الله تَعَالَى وَإِن خَفِي علينا وَجه الْحِكْمَة وَالصَّلَاح فِيهِ. اهـ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٣٩٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧١٩).

أي في الدعاء يتوسل إلى الله ﷻ بكونه المقدم والمؤخر وأنه على كل شيءٍ قدير. اهـ

٩٧- **القَدِيرُ**: القادر على كل شيء فلا يعجزه شيء، ولا يكرثه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فيسأل الله أن يغفر له ذنوبه المتقدمة والمتأخرة.

قال السعدي رحمه الله: **القدير**: كامل القدرة بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، بقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون، وبقدرته يقلب القلوب ويصرفها على ما يشاء ويريد.اهـ

وقال ابن القيم رحمه الله:

وهو القدير فكل شيء فهو مقـ ... دور له طوعا بلا عصيان
وعموم قدرته تدل بأنه ... هو خالق الأفعال للحيوان

وقال أيضًا رحمه الله:

وهو القدير وليس يعجزه إذا ... ما رام شيئا قط ذو سلطان

❁❁❁

السبوح

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

السّبّوحُ[٩٨]،

الدليل: **عَنْ عَائشَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، **أَنَّ رَسُولَ الله** ﷺ **كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعه وَسُجُوده:** «**سُبّوحٌ قُدُّوسٌ..** »، **أخرجه مُسْلِمٌ (٤٨٧).**

٩٨- **السُّبُّوحُ**: أي المنزه عن النقائص.

قولهُ (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رب الملائكة والروح): أي المنزه والمقدس عن النقص والعيب.

وتتمة الحديث: كَانَ يَقُولُ: «فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ».

الرفيق

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الرَّفِيقُ[٩٩]،

الدليل: عَنْ عَائشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يَا عَائشَةُ إنَّ اللهَ رَفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ.. »، أخرجه البُخَارِيّ رقم (٦٩٢٧) و مُسْلِمٌ رقم (٢٥٩٣).

٩٩- **الرَّفِيقُ**: رفيق يحب الرفق، يرفق بعباده ما أمرهم إلا بما يستطيعون.

قال تعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا** ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وقال تعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ** ﴾ [الطلاق:٧].

وتتمة الحديث: «يَا عَائِشَةُ؛ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ ».

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ومن أسمائه (الرفيق) في أفعاله وشرعه**، وهذا قد أخذ من قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «**إن الله رفيق يحب أهل الرفق، وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**»[١].

فالله تعالى رفيق في أفعاله خلق المخلوقات كلها بالتدريج شيئًا فشيئًا بحسب حكمته ورفقه مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٩٢٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٩٣)، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

ومن تدبر المخلوقات وتدبر الشرائع كيف يأتي بها شيئًا بعد شيء شاهد من ذلك العجب العجيب، فالمتأني الذي يأتي الأمور برفق وسكينة ووقار إتباعًا لسنن الله في الكون وإتباعًا لنبيه ﷺ .اهـ

۞۞۞

الطيب

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الطَّيِّبُ[١٠٠]،

الدليل: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا..»، أخرجه مُسْلِمٌ (١٠١٥).

١٠٠ - **الطَّيِّبُ**: أي في ذاته وصفاته وأفعاله، ولا يقبل إلا طيبا.

وتتمة الحديث: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون:٥١]. وَقَالَ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾ [البقرة:١٧٢]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ ».

الحكم

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الحَكَمُ[١٠١]،

الدليل: عَنْ أبي شُرَيْح هَانئ بْنَ يَزيدَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإلَيْه الْحُكْمُ.. » أخرجه أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي (٥٣٨٧)، وهو حَديثٌ حَسَنٌ.

١٠١ - **الحَكَمُ**: الذي يحكم بين العباد وهو الحاكم، الذي يحكم بالعدل قال تعالى: ﴿ **وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ** ﴾ [غافر: ٢٠].

وأخرجه أبو داود والنسائي: وهو حديث حسن في الصحيح المسند، ولفظه: «**إن الله هو الحَكَمُ، وإليه الحُكمُ، فلِمَ تَكَنَّى أبا الحَكَمِ**»، فقال: إن قومي إذا اختلفُوا في شيء أتوني، فحكمتُ بينهم، فرَضِيَ كِلا الفريقين، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**ما أحسَنَ هذا، فمالك مِن الولد؟**» قال: لي شُرَيحٌ ومسلمٌ وعبدُ الله، قال: «**فَمَن أكبَرُهُم؟**» قال: قلت: شُريح، قال: «**فأنت أبو شُرَيحِ**»[(١)].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن أسمائه الحكم العدل الذي يحكم بين عباده في الدنيا، والآخرة بعدله، وقسطه فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يحمل أحدًا وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي الحقوق إلى أهلها، فلا يدع صاحب حق إلا وصل إليه حقه.

(١)أخرجه أبو داود (٤٩٥٥) .

والحكم العدل الذي إليه الحكم في كل شيء فيحكم تعالى بشرعه، ويبين لعباده جميع الطرق التي يحكم بها بين المتخاصمين، ويفصل بين المتنازعين، من الطرق العادلة الحكيمة، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ويحكم فيها بأحكام القضاء، والقدر، فيجري عليهم منها ما تقتضيه حكمته ويضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها، ويقضي بينهم يوم الجزاء، والحساب، فيقضي بينهم بالحق، ويحمده الخلائق على حكمه حتى من قضى عليهم بالعذاب يعترفون له بالعدل، وأنه لم يظلمهم مثقال ذرة.اهـ

أقول: لا دليل على تسمية الله بالعدل مع أنه موصوف بها تعالى.

۞۞۞

الشافي

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الشَّافِي[١٠٢]،

الدليل: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا**، أَنَّ رَسُولَ الله** ﷺ **كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا قَالَ: «أَذْهِبْ الْبَاسَ رَبَّ النَّاس اشْف وَأَنْتَ الشَّافِي.. »، أخرجه البُخَارِيّ (٥٦٧٥)، و مُسْلمٌ رقم (٢١٩١).**

١٠٢ – **الشَّافِي**: أي المعافي من المرض، الذاهب به.

عن عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا قَالَ: **«أَذْهِبِ البَأْسَ رَبَّ النَّاسِ اشْفِ وأَنْتَ الشَّافِي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما»**،[١] أخرجه البخاري ومسلم، أي توسل إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بشفائه.

❁❁❁

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٦٧٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٩١).

المعطي

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الـمُعْطِي[١٠٣]،

الدليل: عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «..وَاللهُ الْمُعْطى وَأنَا الْقَاسِمُ»، أخرجه البُخَارِيّ (٣١١٦)، و مُسْلِمٌ (١٠٣٧) واللفظ للبُخارِي.

١٠٣ - **الـمُعْطِي**: الذي يهب للعباد ما شاء، ولا راد لعطائه ولا معطي لمنعه.

لحديث: «**اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»(١).

وعَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَالله الْمُعْطِي وَأَنَا القَاسِمُ، وَلاَ تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ**»(٢)، أخرجه البخاري ومسلم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : **المعطي، المانع**: هذه من الأسماء المتقابلة التي لا ينبغي أن يثني على الله بها إلا كل واحد منها مع الآخر لأن الكمال المطلق من اجتماع الوصفين، فهو المعطي المانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فجميع المصالح والمنافع منه تطلب، وإليه يرغب فيها، وهو الذي يعطيها لمن شاء ويمنعها من يشاء بحكمته ورحمته. اهـ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٤٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٩٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣١١٦)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٣٧).

وقال ابن القيم رحمه الله :

هذا ومن أسمائه ما ليـــــس يفـ ـــرد بـل يقـال إذا أتى بقـــــران

وهي الـتي تـدعى بمزدوجـــاتها إفرادهـا خطـر على الإنسـان

إذ ذاك موهم نـوع نقـص جل رب العـرش عـن عيـب وعـن نقصـان

كالمانع المعطـي وكالضـــار الـذي هـو نـافع وكمـاله الأمـــران

❁❁❁

الوتر

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الوَتَرُ[١٠٤]،

والدليل: الحديث المذكور في أول هذه الأسماء.

١٠٤- **الوَتَرُ**: أي أن الله فرد أحد لا ثاني له ولا يثبت من أسماء الله الفرد، بدليل صحيح، مع أنه يثبته بعض أهل العلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في "تفسيره" (٢٠/ ٤١)**: **وَالْوَتْرُ**: انْفِرَادُ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى: عِزٌّ بِلَا ذُلٍّ، وَقُدْرَةٌ بِلَا عَجْزٍ، وَقُوَّةٌ بِلَا ضَعْفٍ، وَعِلْمٌ بِلَا جَهْلٍ، وَحَيَاةٌ بِلَا مَوْتٍ، وَبَصَرٌ بِلَا عَمًى، وَكَلَامٌ بِلَا خَرَسٍ، وَسَمْعٌ بِلَا صَمَمٍ، وَمَا وَازَاهَا. انتهى

الطبيب

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الطَّبِيْبُ[١٠٥]،

الدليل: عَنْ أَبِي رِمْثَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «..اللهُ الطَّبِيبُ»، أخرجه أبوداود (٤٢٠٦) وأحمد (١٦٣/٤) وهو حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

١٠٥ - الطَّبِيْبُ: قد أثبت اسم الطبيب أيضا الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لما جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أطبها لك قال طبيبها الذي خلقها**»(١)، وفي رواية: «**أنت الرفيق والله الطبيب**»، أي المداوي والشافي للأمراض.

وفي "المجالسة" للدينوري (٣٠٥٤): قال دخل الفرزدق على عبيد الله بن بكرة يعوده وعنده متطبب يذوف له درياقا فأنشأ الفرزدق يقول:

يا طالب الطب من داء تخوفه ... إن الطبيب الذي أبلاك بالداء

هو الطبيب فمنه البرء فالتمس ... لا من يذوف لك الدرياق بالماء

فقال عبيد الله: والله لا أشربه أبدا، فما أمسى حتى وجد العافية.اهـ

---

(١)أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٢٠٧)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح أبي داود، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (١٢٢٦)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

الجَمِيلُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الجَمِيلُ[١٠٦]،

الدليل: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **، عَنْ النَّبِيِّ** ﷺ **قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»، أخرجه مُسْلِمٌ (٩١).**

١٠٦ – **الجَمِيلُ**: أي ذو الجمال وهو الجميلُ ذاتًا وصفاتًا وأفعالًا.

قوله ﷺ (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ) أخرجه مسلم.

وفيه قصة: أن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»(١).

وجاء عند أحمد من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ : **الجميل**: من له نعوت الحسن والإحسان، فإنه جميل في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فلا يمكن مخلوقًا أن يعبر عن بعض جمال ذاته، حتى أن أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم، واللذات، والسرور، والأفراح التي لا يقدر قدرها إذا رأوا ربهم، وتمتعوا بجماله نسوا ما هم فيه من النعيم، وتلاشى ما هم فيه من الأفراح، وودّوا أن لو تدوم هذه الحال، ليكتسبوا

(١) أخرجه مسلم (١٤٧).

من جماله، ونوره جمالًا إلى جمالهم، وكانت قلوبهم في شوق دائم ونزوع إلى رؤية ربهم، ويفرحون بيوم المزيد فرحًا تكاد تطير له القلوب.

وكذلك هو جميل في أسمائه، فإنها كلها حسنى بل أحسن الأسماء على الإطلاق وأجملها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف:١٨٠].

وقال تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم:٦٥].

فكلها دالة على غاية الحمد، والمجد، والكمال، لا يسمى باسم منقسم إلى كمال وغيره.

وكذلك هو الجميل في أوصافه فإن أوصافه كلها أوصاف كمال ونعوت ثناء وحمد، فهي أوسع الصفات، وأعمّها، وأكثرها تعلقًا، خصوصًا أوصاف الرحمة، والبر، والكرم، والجود.

وكذلك أفعاله كلها جميله فإنها دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يحمد عليها ويثني عليه ويشكر، وبين أفعال العدل التي يحمد عليها لموافقتها للحكمة والحمد، فليس في أفعاله عبث ولا سفه، ولا سدى ولا ظلم، كلها خير وهدى ورحمة ورشد وعدل ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود:٥٦].

الـمَنَّانُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الـمَنَّانُ[١٠٧]،

الدليل: عَنْ أنَس بْن مَالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قَالَ: سَمعَ النَّبيّ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **رَجُلًا يَقُولُ: اللهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بأنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَريكَ لَكَ، الْمَنَّانُ.. فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلَ اللهَ باسْمه الْأَعْظَمِ الَّذى إذَا سُئلَ به أَعْطَى وَإذَا دُعىَ به أَجَابَ»، أخرجه ابن ماجه (٣٨٥٨) وهو حَديثٌ حَسَنٌ.**

١٠٨- **الـمَنَّانُ**: بمعنى المعطي وبمعنى أنه يستحق أن يَمُنَّ على عباده ويذكرهم بآلائه ونعمه.

قوله: (لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ أخرجه ابن ماجه (٣٨٥٨) وهو حديثٌ حسنٌ)**:** وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ. وهذا دليل على أن أسماء الله تتفاضل فمنها عظيم وأعظم، والصحيح أن الاسم الأعظم لفظ الجلالة: (الله).

السَّيِّدُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

السَّيِّدُ[١٠٨]،

الدليل: عَنْ عَبْد الله بْن الشِّخِّير قَالَ: قُلْنَا يا رَسُول الله أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»، أخرجه أبوداود (٤٨٠٦) وهو حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

١٠٩ – **السَّيِّدُ**: هو ذو السيادة المطلقة، والخلق عبيده ويطلق على غير الله فالنبي ﷺ يقول: «**أنا سيد الناس**»(١).

ويقول ﷺ : «**قوموا إلى سيدكم**»(٢) لكن السيادة المطلقة لا تكون إلا لله، سيد الدنيا والآخرة وله السيادة من كل وجه.

قولهُ(السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أخرجه أبو داود(٤٨٠٦) وهو حديثٌ صحيح): وهو في الصحيح المسند للشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

وهـــو الإله الســـيد الصـــمد الذي صـــمدت إليـــه الخلـــق بـــالإذعان

❁❁❁

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧١٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٩٤).

(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٠٤٣)، والإمام مسلم في صحيحه (١٧٦٨).

الدَّيَّانُ

قال المؤلف حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الدَّيَّانُ[١٠٩] ،

الدليل: قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (في كتاب التوحيد، باب (٣٢) وَيُذْكَرُ عَنْ جَابر، عَنْ عَبْد الله بْن أُنَيْس قَالَ: سَمعْتُ النَّبىَّ ﷺ يَقُولُ: «يَحْشُرُ اللهُ الْعبَادَ فَيُنَاديهمْ بصَوْت يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ أَنَا الْمَلكُ أَنَا الدَّيَّانُ.. »، ووصله أحمد في "مسنده" (٣:/٤٩٥)، والحديث حسن، وقد أثبت هذه الاسم ابن القيم في "نونيته".

١١٠ - **الدَّيَّانُ**: الذي يجازي العباد على أفعالهم ولذلك يقولون الديان لا يموت وكما تدين تدان. ومعنى مالك يوم الدين يوم الجزاء فهو الذي يجازي على الأفعال.

قولهُ (يُحْشَرُ اللّٰه الْعِبَادُ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ... ووصله أحمد في مسنده (٣:/ ٤٩٥)، والحديث حسن)؛ وقد أثبت هذا الاسم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "**نونيته**".

قُلْتُ: الحديث أخرجه أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ ابْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاشْتَرَيْتُ بَعِيرًا، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا، حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ، فَقُلْتُ لِلْبَوَّابِ: قُلْ لَهُ: جَابِرٌ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ؟

قُلْتُ: نَعَمْ، فَخَرَجَ يَطَأُ ثَوْبَهُ فَاعْتَنَقَنِي، وَاعْتَنَقْتُهُ، فَقُلْتُ: حَدِيثًا بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْقِصَاصِ، فَخَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ، أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا**»، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟

قَالَ: «**لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ [بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ] قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ**»، قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللهَ ﷻ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟ قَالَ: «**بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**» ومداره على عبدالله بن محمد بن عقيل مختلفٌ فيه، والراجح ضعفه، ومع ذلك علقه البخاري بصيغة الجزم، وقد أثبت الاسم غير واحد من أهل العلم كما ترى.

قال ابن القيم رحمه الله:

وكذا ينادي الخلق يوم معادهم   بالصوت يسمع صوته الثقلان

أني أنا الديان آخذ حق مظـ   ـلوم من العبد الظلوم الجاني

وباب الأسماء والصفات باب واسع، أُلفت فيه المختصرات والمطولات، لكن ما قل وكفى فيه خير، وعسى أن ييسر الله ﷻ بإفراد هذا الباب والتعليق عليه بأوسع مما ذكر للحاجة إليه، والله المستعان.

القَادِرُ

قال الله ﷻ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ [الأنعام:٦٥].

هذا الاسم لم يذكره المصنف حفظه الله تعالى، وقد تواصلت به، فقال لعله ذهل عن ذكره، وإن شاء الله يضيفه في طبعة أخرى، فتعين التنبيه عليه .

قال الزجاج ؒ في "تفسير أسماء الله الحسنى" (ص: ٥٩): الْقَادِر على مَا يَشَاء لَا يعجزه شَيْء وَلَا يفوتهُ مَطْلُوب والقادر منا وَإِن اسْتحق هَذَا الْوَصْف فَإِن قدرته مستعارة وَهِي عِنْده وَدِيعَة من الله تَعَالَى وَيجوز عَلَيْهِ الْعَجز فِي حَال وَالْقُدْرَة فِي أُخْرَى وَالله تَعَالَى هُوَ الْقَادِر فَلَا يتطَرَّق عَلَيْهِ الْعَجز وَلَا يفوتهُ شَيْء .اهـ

ومما يدل على هذا المعنى قول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾ [فاطر:٤٤].

قال ابن القيم ؒ في "أحكام أهل الذمة" (١/ ٤١٤): الْقَادِرُ الَّذِي سَلِمَتْ قُدْرَتُهُ مِنَ اللُّغُوبِ وَالتَّعَبِ وَالْإِعْيَاءِ وَالْعَجْزِ عَمَّا يُرِيدُ. اهـ

❁❁❁

الخاتمة

بهذا أكون قد انتهيت من تدريس كتاب "**المبادئ المفيدة في التوحيد والفقه والعقيدة**" في التاسع والعشرين من صفر لعام أربعين وأربعمائة وألف من هجرة النبي ﷺ.

فأسأل الله أن ينفع به كما نفع بأصله، والنصيحة لطلاب العلم وغيرهم من المسلمين بالاهتمام بالعقيدة والتوحيد والفقه الصحيح؛ لأن التعبد لله بما وكما شرع وأمر لا يكون إلا بسلوك هذا الطريق الذي تقدم ذكر بعض ما يتعلق به مع أدلته، فهو الفارق بين أهل السنة والبدعة، وهو الحق المقدم، والواجب المفخم، الذي بينه الله عز وجل وبينه رسوله ﷺ على أتم وأكمل حال.

وكان الانتهاء من المراجعة الأخير في السادس والعشرين من ربيع الآخرة
لعام واحد وأربعين وأربعمائة وألف ضحى يوم الاثنين، في مكتبة دار الحديث
بمسجد الصحابة بمدينة الغيضة، بمحافظة المهرة. وتمت له مراجعة
أخرى انتهيت منها في ليلة السبت ١٤/ ربيع أول/ ١٤٤٢ هـ
والحمد لله.

الفهرس